مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢

١٤٠٩هـ

١٩٨٩م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
جدة

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢

١٤٠٩هـ
١٩٨٩م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

المحتــويات

أولا : القسم العربي

لغة عربية

ثانياً : القسم الإنجليزى

لغة

أدب

عـــام

• مجلة سنوية تصدرها الجامعة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية وينشرها مركز النشر العلمي بالجامعة . يُقبل للنشر فيها البحوث المبتكرة ، ترسل المواد إلى :

رئيس التحرير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – ص . ب ٩٠٣٢ جدة ٢١٤٩٢ – المملكة العربية السعودية

• لاتنشر المواد إلا بعد التحكيم . • المواد المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها أو مقدمة للنشر في جهة أخرى ، وإذا قبلت للنشر ، لايسمح بنشرها بنفس الشكل وبأية لغة في أية جهة أخرى إلا بتصريح كتابي من رئيس التحرير .

التقديم للنشر

• تقدم المواد من أصل وصورتين منسوخة على الآلة الكاتبة على مسافتين وعلى وجه واحد فقط ، مع ترك بوصة لكل هامش ، مرقمة ترقيما مسلسلا بما في ذلك الأشكال والجداول . • يشترط أن تقدم المستخلصات ، والهوامش ، والجداول ، والتعليق على الأشكال والمراجع في صفحات مستقلة .

الكتـــابة

• يبوب المقال على النحو التالي :

١ – عنوان المقال ويكون مختصراً ومعبراً عن مضمون المقال . ٢ – المؤلف (المؤلفون) . ٣ – عنوان المؤلف (المؤلفون) بحيث يصلح عنواناً للمراسلات ٤ – المستخلص (بلغة المقال) . ٥ – المتن ويقسم إلى عناوين رئيسة محددة وفق المنهج البحثي المتبع (على سبيل المثال ، المقدمة ، التجارب ، النتائج ، المناقشة ، الخلاصة ، المراجع ، الملاحق) ، مع مراعاة أن تكون العناوين الفرعية ذات المستوى الواحد مكتوبة بالطريقة نفسها .

• يكون لكل بحث مستخلصان أحدهما بالعربية والآخر بالانجليزية ، ويتبع في كتابتهما القواعد الدولية لكتابة المستخلصات على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما ٢٠٠ كلمة . يراعي أن يتضمن المستخلص أهم الحقائق والاستنتاجات ، وأن يكون مستقلا بذاته ويغني عن قراءة المقال .

• يستخدم النظام المتري والاختصارات المقننة (SI) . • التذييلات : تكون مرقمة ترقيما مسلسلاً خلال المتن وعند الإشارة إلى مرجع للمرة الأولى يكتب كاملا على أن يكون المدخل بالاسم الأول متبوعا باسم العائلة . عند تكرار الإشارة إلى المرجع نفسه تستخدم اصطلاحات الإحالة المقننة . لايغني ذكر المراجع كاملة في التذييلات من إعداد قائمة مراجع كاملة في نهاية المتن . • يجوز أن يستخدم المؤلف ، بدلاً من التذييلات ، نظام اسم/تاريخ/صفحة في المتن ، وعليه في هذه الحالة مراعاة القواعد المتبعة في هذا المنهج . • المراجع : ترتب هجائيا حسب اسم عائلة المؤلف ، تكون جميع العناصر البيليوجرافية للمرجع كاملة ، مع اتباع القواعد الدولية لكتابتها . تكتب جميع اسماء المؤلفين ولايقبل «وآخرون» . يجب التأكد من أن جميع المراجع الواردة بالمتن مذكورة بالقائمة ، كما أنه يجب ألا تكون هناك مراجع بالقائمة لم يشر إليها في المتن .

الجـــداول

• ترقم الجداول ترقيما مسلسلاً خلال المتن ، ويكون لكل منها عنوانه أعلى الجدول ، ومصدره أسفله . • تحدد أماكن الجداول في هامش المتن .

• يراعي تنسيق كتابة الأرقام تحت بعضها البعض .

الأشكـــال

• تقدم في غلافة منفصلة مع مراعاة عدم طيها . • يشار إلى مواضع الأشكال في هامش المتن أو لصق **صورة** منها في أماكنها المحددة بالمتن .

• تقدم الأشكال الخطية مرسومة بالحبر الصيني على ورق كلك أو لماع مقاس ١٢ × ١٨سم أو أضعافه أو أنصافه ، مع مراعاة سمك الحروف والرموز والخطوط . • تقدم الصور الظلية (الفوتوغرافية) من نسخ أصلية مطبوعة على ورق لماع مقاس ١٣ × ١٨سم أو أضعافه أو أنصافه .

• لاتقبل الصور الملونة إلا إذا كان للون دلالة علمية .

تجــارب الطبع

• يراجع المؤلف تجربتي الطبع الأولى (سلخ) والثانية (صفحات) ، على ألا تستغرق المراجعة أكثر من ٧٢ ساعة . • ولايجوز له الإضافة أو الحذف أو التعديل ، وبخاصة على التجربة الصفحات .

المستـلات

• يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على ٥٠ مستلة من كل بحث بدون مقابل . • يتحمل المؤلف (المؤلفون) بتكاليف مازاد على ذلك طبقا لما يقرره المركز ، وعلى المؤلف (المؤلفين) طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع والسداد مقدماً .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ الاشتراك السنوي ■

■ داخل المملكة ٥ ريالات سعودية
■ خارج المملكة ٥ دولارات أمريكية (بمافي ذلك البريد)

■ البيع والاشتراك ■

مركز النشر العلمي - جامعة الملك عبد العزيز
ص . ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١ - المملكة العربية السعودية

■ التبادل ■

عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك عبد العزيز
ص . ب ٣٧١١ - جدة ٢١٤٨١ - المملكة العربية السعودية

مطابع جامعة الملك عبد العزيز

القسم العربي

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٢ ، ص ص ١ - ٣٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

تغير الأدوار فى الأسرة الريفية
دراسة في منطقة الباحة

سعيد فالح الغامدي
أستاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز - جدة
المملكة العربية السعودية

لما كان المجتمع العربي السعودي يمر بمرحلة تحولات كبيرة بدأت منذ أكثر من ربع قرن ولازالت . فإن رصد الآثار الناجمة عن تلك التحولات ذات أهمية خاصة بالنسبة للمهتمين بدراسة المجتمع على اختلاف تخصصاتهم . والقطاع الريفي في المجتمع العربي السعودي شأنه شأن القطاعين الآخرين - الحضري والبدوي - شهد الكثير من التغيرات التي حاولنا في هذه الدراسة إبراز أحد جوانبها الهامة وهو - تغير الادوار في الأسرة الريفية - وبطبيعة الحال فإن تغير دور الأسرة لأسباب مختلفة يؤدي إلى تحول الطابع الريفي من وضع إلى آخر . وهذا ماحاولنا إبرازه من خلال جداول هذه الدراسة التي كشفت عن هذا التحول بوضوح تام .

منذ نحو ربع قرن مضى والمجتمع العربي السعودي يمر بتحولات كبيرة ، هذه التحولات أثرت ولاشك في بنائه بكل مايحويه من أجزاء ، ونقلت المجتمع العربي السعودي من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معان في فترة وجيزة وفي مجالات مختلفة .

ولاشك أن التغيرات السريعة في المجتمعات الانسانية ، بصفة عامة ، لها آثارها الإيجابية والسلبية على بناء المجتمع بشكل عام ، وهذا يجعلنا نعتقد في ضوء ماذكر أننا بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث في مجتمعنا لإبراز تلك الجوانب . ولما كان المجتمع الريفي يمثل قطاعا مهما في المجتمع السعودي إلى جانب القطاعين الآخرين ، وهما الحضري والبدوي ، وعلى اعتبار أنه يمثل أكثر من (٢٥٪) من مجموع سكان المملكة العربية السعودية ، فإن رصد الآثار الناجمة عن تلك التغيرات تمثل أهمية خاصة في الدراسات الاجتماعية في مجتمعنا على وجه الخصوص ، لأن مثل هذه الدراسات قد

تفتح المجال أمام الباحثين للقيام بدراسات أخرى وفي مناطق مختلفة علّها مجتمعة تساعد في إعطاء صورة واضحة للآثار الناجمة عن تلك التغيرات . ومن ثم معرفة جوانبها المختلفة التي قد تفيد عند تصميم خطط التنمية الشاملة خاصة وأن بلادنا لازالت تسير في عمليات التنمية والتحديث بخطوات كبيرة .

وعليه نأمل من خلال هذه الدراسة تقديم صورة عن الريف في المجتمع العربي السعودي في ضوء المعطيات الميدانية لهذه الدراسة والتي ستسير وفق الخطوات التالية :

المفاهيم الأساسية

أولا : مفهوم التغير Change Concept

عندما قال «هيرقلطيس» الفيلسوف (٥٤٠ – ٤٧٥ ق . م) أن التغير قانون الوجود . وأن الاستقرار موت وعدم . وعندما مثل لفكرة التغير بقوله : «إنك لاتنزل النهر الواحد مرتين ، فإن مياها جديدة تجري فيه» ، فقد صور المعنى العميق والدقيق للتغير . فنحن جميعا على قناعة تامة بأن التغير ظاهرة طبيعية تشمل جميع مظاهر الكون وما المجتمعات الانسانية الا واحدة من تلك المظاهر الخاضعة لقانون التغير . . أما الجمود فأمر غير ممكن منطقيا التسليم به . إذ لابد أن تحدث تغيرات في المجتمع الانساني بحكم الظروف الطبيعية وبحكم أن الانسان دائم البحث عن طرق وأفكار يستطيع بواسطتها أن يتكيف مع الظروف المحيطة به . وأن يعد نفسه لمواجهة ظروف أخرى . لكن الذي يحدث عادة أن يكون التغير في مرحلة ما وفي مجتمع ما من النوع الذي نطلق عليه التغير السريع أو التغير المفاجىء . والذي يجعلنا ندركه بسهولة عكس تلك التغيرات التي تحدث في فترات تاريخية متباعدة أو بصفة تدريجية لايكاد يلحظها البعض . . ولعل هذا هو الذي أدى إلى لبس في تصور بعض الباحثين في مجال التغير الاجتماعي خاصة في «الدول النامية» حيث تصوروا أن التغير الاجتماعي ظاهرة حديثة ترجع إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ليس ذلك فحسب ، بل قادهم اللبس أيضا إلى النظر إلى المجتمع الريفي – فيما قبل عملية التحديث Modernization كما لو كان مجتمعا تقليديا ساكنا[١] .

ويرى بعض الباحثين – ضمن تعريفهم لمفهوم التغير الاجتماعي – أنه نمط من العلاقات الاجتماعية التي تكون في وضع معين ، ويظهر عليها التغير خلال فترة محددة من الزمن[٢] . بينما يرى آخرون أن التغير الاجتماعي بالضرورة ظاهرة اجتماعية تحدث في البناء الاجتماعي في فترة زمنية . ويمتاز بالاستمرارية والنسبية . أما كنجسلي ديفيز Kingsley Davis ، فقد عرفه بأنه عبارة عن التحول الذي يحدث في التنظيم الاجتماعي سواء في تركيبه وبنائه أو في وظائفه[٣] . ويمكن أن نفهم مما سبق

أن أبعاد التغير الاجتماعي هي مايتمثل في بنائه من تحولات عبر التاريخ ، فإذا مانظرنا إلى التغير في سياقه التاريخي ، فإننا نجد أنفسنا أمام سياق يمكن أن نطلق عليه مفهوم «التطور الاجتماعي» بمعنى التغير التدريجي للمجتمع ، كما يمكن أن يشمل مفهوم «الثورة» أي التغير السريع . لكن بعض الباحثين لايرون أن هناك تطابقا بين مفهوم التغير والتطور أو التقدم الاجتماعي ، على اعتبار أنه يمكن أن يشمل معنى التغير Change الارتقاء والتقدم أو النكوص والتأخر ، على اعتبار أن المجتمعات الإنسانية تشهد تحسنا وارتقاءً في بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فيها ويمكن أن تعيش خلال التغير حالة من التأخر في بعض مظاهر أخرى . بينما تعنى كلمة تقدم Progress جانبا واحداً فقط وهو الارتقاء . وهناك الكثير من الخلط بين معنى التغير الاجتماعي والتغير الثقافي غير أن التباين بين المعنيين يكمن في أن التغير الاجتماعي يشير إلى المجتمع كمجال لحدوث التغير ، وفي نفس الوقت لايصلح أن يكون المجتمع مرادفا لمصطلح الثقافة ، إذ إن مصطلح الثقافة يحتوى العناصر المادية وغير المادية وهي في مجملها نتاج للمجتمع . كما يشير التغير الاجتماعي إلى تلك المظاهر والتحولات في ميكانزمات العلاقات بين الناس في المجتمع . وتكون أكثر وضوحا في مظاهر التنظيم والسلوك الاجتماعي والتي تمثلها العادات والعرف والقانون واللغة والدين وكافة أشكال الصور الثقافية . وعلى ذلك فإن التغير الاجتماعي في مفهومه أوسع وأكثر شمولا ، حيث ينطوي بالضرورة على تغيرات ثقافية ، وليس العكس . . ومن جهة أخرى فإن الفصل بين مايمكن اعتباره تغيرا اجتماعيا وماهو تغير ثقافي قد يبدو تعسفيا إلى حد ما إن قصد به عدم وجود رابطة بينهما أو النظر إلى كل منهما على اعتبار أنه مستقل عن الآخر تماما . فالمجتمع عبارة عن مجموعات من الناس تقوم بينها علاقات تبادلية هي مانسميه «بنماذج التفاعل الاجتماعي» ، أما الثقافة بكافة مظاهرها المادية والفكرية فهي ثمرة تلك العلاقات أو ذلك التفاعل . وعادة مايكون الفصل بين المسميين لغرض تيسير الدراسة ، شأنه في ذلك شأن الفصل المؤقت الذي يلجأ إليه الباحثون عند دراسة النظم الاجتماعية فيحاولون تجزئتها إلى أنساق فكرية ومظاهر مادية ، على الرغم من الاتصال الوثيق بينهما والتأثيرات المتبادلة التي تفرضها الوحدة البنائية في المجتمع والتي تتكون من – جماعات وعلاقات – تشكل تداخلا وتفاعلا بحيث لايمكن فهم كل قسم منها بعيدا عن الأقسام الأخرى ، ولذلك فإن أي تغير يطرأ على أي جزء أو نظام يؤثر في النظم الأخرى ، الأمر الذي يؤدي إلى تغير شامل في بناء المجتمع(٤) .

والتغير الاجتماعي له عوامل تؤدي إليه وتؤثر فيه منها : العامل الأيكولوجي والعوامل التكنولوجية والعامل الثقافي ، ونمو الوعي ، والحروب والثورات(٥) . ويرى آخرون أن أكثر العوامل ترددا وتأثيراً في التغير الاجتماعي هي العوامل الجغرافية والثقافية(٦) ، وأن التغير الاجتماعي في أساسه هو استجابة للتغيرات التي تطرأ على العوامل الرئيسية في كل مجتمع انساني . وتصنف هذه العوامل الرئيسة في الموقف الانساني تحت ثلاثة عناوين هي : البيئة الخارجية ، وهي عامل مستقل عن النشاط

الانساني والاجتماعي . والتكنولوجيا والثقافة . وبما أن حقيقة التغير الاجتماعي كانت ولاتزال من أهم مايشغل الباحثين . فإن تساؤلات كثيرة لاتزال في حاجة إلى إجابات مقنعة مثل : ماهو الشيء الذي يتغير ؟ وكيف ؟ وماهو اتجاه التغير ومعدله ؟ ولماذا يحدث التغير وما العوامل الرئيسة فيه ؟ . وعلى الرغم من كل ذلك فإن المتأمل في نظريات علم الاجتماع وخاصة ماتعلق منها بموضوع التغير يجد أنها تدور حول موضوعات تحاول تسليط الأضواء على العوامل التي تختص بالتغير في المجتمع والثقافة ، ولا نجد من بين تلك النظريات نظرية متكاملة يمكن الاعتماد عليها في تفسير عملية التغير الاجتماعي من كل الجوانب ، بل نجد أن عدة نظريات لاتهتم إلا بمظاهر محددة للتغير(٧) . وعندما نصنف هذه النظريات فإنها تأتي بحسب اتجاهات التغير . فنقول النظريات الخطية وتمثلها نظريات «كونت وسبنسر وهوبهوس» ويعتقد هؤلاء مع آخرين أن حركة المجتمع التي تؤدي إلى التغير تسير في خط مستقيم واحد . وكذا النظريات الدائرية والتي تمثلها نظرية «باريتو» عن الصفوة ، والتي تعتبر حركة المجتمع نحو التغير تسير على شكل دائري . والنظريات الخطية والدائرية ركزت على اتجاهات التغير وليس على عملياته . وهذا مأخذ عليها . وهناك نظريات أخرى كالحتمية Determinism theories والتي تربط التغير بعامل واحد فقط ، في حين يوجد على نقيضها النظريات التي ترجع التغير إلى عوامل متعددة Multi Factor theories تتفاعل مع بعضها ليحدث التغير في المجتمع . وتوجد أيضا نظريات أخرى ترجع التغير الاجتماعي إلى عوامل تتصل بالأفكار والعوامل الروحية ، كنظرية (ماكس فيبر وسوروكين وأوجست كونت) فنلاحظ أن (فيبر) يحاول اعتبار العوامل الروحية كأساس جوهري في التغير ، وأراد أن يأتي بأفكار مخالفة تماما للنظرية الاقتصادية التي تعتبر العامل الاقتصادي كعنصر وحيد وموجه للتغير الاجتماعي بل وتذهب إلى أكثر من ذلك فتعتبر العامل الاقتصادي موجها للواقع الفكري والسيكولوجي أيضا ، ولقد حاول (فيبر) إثبات أن الواقع السيكولوجي في المجتمع هو الذي يحدد الواقع الاقتصادي ، وقال : إن نشأة الرأسمالية كنظام اقتصادي إجتماعي إنما كان نتاجا لنشأة الروح الرأسمالية وهي نتاج للأخلاق البروتستانتية . ولذا فقد اعتبر في ضوء هذا المفهوم أن الأساس في الحياة الاجتماعية «العامل المستقل» هو «الأخلاق والدين» ، أما الشروط المادية فهي غير كافية لتفسير عملية التغير الاجتماعي(٨) .

وفي ضوء ماسبق نجد أن هناك عوامل عدة تؤثر في التغير الاجتماعي وتعمل سويا لحدوثه أهمها : الأفكار والتجديد الثقافي – المخترعات الحديثة – والعوامل الطبيعية . إضافة إلى الفعل الانساني فابتداءً بعمل الأفراد والجماعات وانتهاءً بعمل المؤسسات والحكومة يحدث التغير الاجتماعي دائما(٩) .

ثانيا : مفهوم الدور Role Concept

وكما هو الحال في تباين وجهات النظر حول مفهوم التغير الاجتماعي . نجد تباينا ولكن بصورة أقل فيما يتعلق بمفهوم الدور . إذ يعتبره البعض عنصرا من العناصر الهامة في عملية التفاعل الاجتماعي على اعتبار أن الدور يشير إلى نمط متكرر من الأفعال التي يؤديها شخص في موقف . في الوقت الذي يرى فيه «رالف لينتون» أن الدور هو المظهر الديناميكي للمكانة ، فعندما يسير المرء وفق واجبات وحقوق المكانة التي يحتلها ، فإن معنى ذلك أنه يقوم بالدور(١٠) . ويعرف الدور أيضا بأنه عبارة عن نمط منظم من المعايير فيما يختص بسلوك فرد معين يقوم بوظيفة محددة في جماعة معينة(١١) . كما يعرف الدور بأنه : نموذج يتركز حول بعض الحقوق والواجبات ، ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل الجماعة أو موقف اجتماعي معين ، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة من التوقعات التي يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الشخص نفسه(١٢) . والدور عبارة عن أداء فرد معين لواجبات المكانة الاجتماعية التي يتمتع بميزاتها وحقوقها(١٣) . والمعايير هي التي تحدد السلوك الذي ينبغي على شاغل الدور أن يقوم به . فالمدرس على سبيل المثال يتوقع التلاميذ منه أن يزودهم بالمعرفة وأن يكون قدوة حسنة . كما يتوقع منهم تحقيق القدر اللازم من الاستفادة وأن يعاملوه باحترام . ويختلف السلوك الفعلي للدور من شخص لآخر باختلاف التكوين العقلي وباختلاف البيئة الاجتماعية للفرد من ثقافة وقيم ومعايير وعادات ، كما يرتبط أداء الدور بالمكانة التي يشغلها الفرد(١٤) . ولكي يكون الدور عنصرا مهما في عملية التفاعل الاجتماعي ، فإنه لابد من التكامل في أداء الأدوار والذي يعني ترابط أجزاء النسق الاجتماعي لكي يصبح كلا موحدا(١٥) .

وينبغي هنا أن نشير إلى علاقة الدور بالمكانة من ناحية وإلى الفرق بينهما من ناحية أخرى . فإذا كانت المكانة أو المركز كما تسمى أحيانا (Status) تعنى الإشارة إلى وضع الأشخاص أو حتى الجماعات داخل الصيغة الكلية للمجتمع . أي وضع شخص أو أشخاص بالنسبة لآخرين أو جماعة بالنسبة لجماعات أخرى . فان معنى الدور يشتمل على كل الاتجاهات والسلوك والمشاعر المناسبة لمراكز محددة شرط أن تكون مقبولة من الأشخاص الذين هم في تلك المراكز(١٦) ، ويمكن إيضاح ذلك من خلال مايأتي :

١ – العلاقة التي تقوم بين الأشخاص تخضع لنظام معين ، ومعنى هذا أن كل شخص يرتبط بالآخر بطرق لها مستويات محددة تعتمد في تحديدها على أوضاعهم النسبية ، وفكرة الموضوع التي نستخدمها بصورة منتظمة في حديثنا عن الناس في المجتمع . ولذا يمكن أن نعرف المركز وفق هذا المفهوم بأنه كل وضع يتخذه كل شخص في المجتمع إزاء الآخر .

٢ – وللمركز ناحية خاصة وأخرى عامة ، فيظهر العنصر الخاص بالمركز في العلاقات المباشرة التي تقوم بين الأفراد مثل علاقة الابن بأبيه أو الرئيس بمرؤوسه ، أما المراكز العامة فهي تشير

إلى الفكرة التي خلف العلاقات في النسق الاجتماعي ككل مثل العمال والموظفين . . الخ ، ويرتبط بهذا النوع الأخير ما يمكن أن نسميه بالواجبات والحقوق والامتيازات التي تعتبر في الوقت نفسه مكونات أساسية لهذه المراكز وهي ماتعرف بالأدوار . ولقد اشتقت كلمة دور من (المسرح) حيث يفهم الدور على أنه سلوك يقوم به الممثل في مضمون معين ، وعلى الممثل أن يحفظ دوره ويفسره ، كما أن عليه أن يتصرف خلال الحدود المعينة له مستخدما كل إمكاناته . ومثل هذا ينطبق على الدور الاجتماعي الذي يقوم به الفرد في حياته اليومية ، فالأب فى المجتمع يتوقع منه أن ينصح ابنه وأن يعنفه فى حالة الخطأ كما يتوقع أن يهيىء لابنه الحماية والراحة وتأمين مستقبله ، فإذا أساء الأب تفسير دوره فإنه يكون عرضة للنقد من الأسرة والأصدقاء وحتى الجماعة والجيران .

٣ – وفي كل مجتمع انساني توجد أدوار ومراكز . وأساس تكوينها يختلف من ثقافة إلى أخرى . ويمكن أن يكون لكل مركز عدة أدوار . ذلك أن الانسان عندما يشترك في أي موقف اجتماعي يتوقع مقدما أنماط السلوك التي يمكن أن تصدر عن الآخرين ، فعندما نأخذ مريضا إلى طبيب ، فإننا نتوقع قبل أن نذهب به أن يقوم الطبيب بتشخيص الداء ثم وصف الدواء . وللفرد في المجتمع وفي أي مركز كان مجموعة من الأدوار فهو يمكن أن يكون زوجا وأبا وابنا وعضوا في مؤسسة وموظفا . . الخ .

٤ – وهناك اعتبار هام في علاقة الدور ينجم عن الجنس والعمر . ذلك أنهما أساسيان في الوجود الانساني ولهما طابع الثبات باعتبار أنهما ناحيتان متميزتان في العلاقات الاجتماعية . ولذلك فإن توقعات الرجال خلاف توقعات النساء وبالمثل فإن توقعات الشباب خلاف توقعات الكبار . ولايعني ذلك ارتباط الاختلاف بالتكوين البيولوجي لكل منهما ، بل إن المجتمع هو الذي يعطي أو يجعل لهذا الاختلاف معانى ثقافية محددة .

ثالثا : مفهوم الأسرة Family Concept

وكما هو الحال بالنسبة للخلاف في مفهوم التغير وكذا مفهوم الدور ، فإن الاختلاف في تعريف الأسرة بين المشتغلين في مجال علم الاجتماع يكاد يكون أكثر وضوحا . ففي الوقت الذي يرى فيه «روبرت لوي» أن الأسرة هي : «الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج» يرى «ماكيفر» أن الأسرة : «عبارة عن جماعة تقوم على أساس العلاقة الجنسية على النحو الذي يسمح بإنجاب أطفال ورعايتهم[١٧]» . ويرى «برجس ولوك» أن الأسرة : «مجموعة من الأشخاص يرتبطون إما بروابط الزواج أو الدم أو التبني ، ويعيشون تحت سقف واحد ، ويتفاعلون وفقا لأدوار اجتماعية معينة ، وهم في اختلافهم أو إتفاقهم يحافظون على نمط ثقافي عام[١٨]» .

ويرى «أوجبرن» أن الأسرة : «علاقة مستمرة ودائمة بين الزوج والزوجة بصرف النظر عن

وجود أولادهما ، وتعتبر الناحية الجنسية من أهم مميزاتها . وقد تتضمن الأسرة أفرادا آخرين غير الزوجين وأولادهما يمتون إليهم بصلة القرابة(١٩) » . ويرى «زيدان عبد الباقي» أن الأسرة هي : الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق الدوافع الطبيعية والاجتماعية للإنسان ، وذلك مثل : حب الحياة وبقاء النوع وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعي ، وإشباع الدوافع الجنسية وتحقيق العواطف والانفعالات الاجتماعية ، مثل الأبوة والأمومة والأخوة والغيرية وما إلى ذلك(٢٠) . بينما يرى «أحمد أبو زيد» أن الأسرة هي : التي تتألف من الأبوين والأبناء والإخوة والأخوات غير المتزوجين ، وهي الأساس الذي تقوم عليه الجماعات الزواجية أو المنزلية التي تتألف من أشخاص يعيشون في بيت واحد ، وتقوم بينهم علاقات وثيقة في حياتهم اليومية(٢١) . . ويفرق الباحثون بين أنواع ثلاثة للأسرة : أولها الأسرة النووية Nucler Family ، وهي عبارة عن جماعة تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين ، وتعتبر هذه ظاهرة عامة(٢٢) خاصة في مجتمع المدينة . والنوع الثاني هو : الأسرة المركبة Complex Family وهي عبارة عن عدد من الأسر البسيطة التي ترتبط معا فتؤلف وحدة قرابية نتيجة وجود عضو مشترك يربط بين أفرادها وهو الزوج ، وتتميز هذه الأسرة بوجود نوعين من الإخوة : الإخوة الأشقاء والإخوة غير الأشقاء(٢٣) . أما النوع الثالث فهو الأسرة الممتدة Extended Family وتعرف على أنها : أسرة تتكون بنائيا من ثلاثة أجيال أو أكثر ، ولهذا تضم الأجداد وأبناءهم المتزوجين أو بناتهم ، وكذا الأحفاد . أو أنها أسرة تتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر بصرف النظر عما إذا كانت الأسرتان تنتميان إلى نفس الجيل أو إلى جيلين مختلفين لكنهما لايتحدان عن طريق الزواج التعددي(٢٤) .

وفي ضوء ماسبق يمكن أن نخلص إلى القول بأن مفهوم الأسرة يعني أنها تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما ، وأنها تلك التي تعيش في مكان واحد ، والتي يسود بين أفرادها تفاعل متبادل وعلاقات خاصة ، وأنها تتمشى مع المعايير الثقافية السائدة في المجتمع . مهما اختلف الحجم وتعددت الأجيال .

رابعا : مفهوم الريف Rural Concept

وعندما يكون الحديث عن الريف نلاحظ ارتباط مفهومه بالمفهوم النقيض وهو الحضر . إذ أن بعض الباحثين يحاول إيضاح مفهوم الريف من خلال التفرقة بينه وبين مفهوم الحضر . ولذلك نجد أن مفهوم الريف والحضر قد نال اهتمام الكثير من المهتمين بالدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية منذ زمن طويل ، فقد ظهرت تصورات متعددة لمعنى الريفية أو المجتمع الريفي ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية «يعتبرون المجتمع الريفي كل مجتمع يقل عدد سكانه عن ألفين وخمسمائة نسمة ، أما إن زاد عن ذلك العدد فهو مجتمع غير ريفي حتى وإن مارس سكانه الزراعة(٢٥)» . وبموجب هذا

التعريف استخدمت عدة تسميات ، فهناك الريفي غير الزراعي ، والريفي الزراعي ، كما يوجد الزراعي غير الريفي . إذاً فالريف طبقا لهذا التعريف لاعلاقة له بالمهنة بل هو مجرد اصطلاح له مدلول احصائي تبعا لعدد السكان .

وهناك تعريف يستخدم في كثير من البلدان الآسيوية والأفريقية يقوم على أساس مهني ، ويقتصر على الزراعة ، فالمجتمع الريفي طبقا لذلك هو «كل مجتمع يعتمد غالبية سكانه على الزراعة» ، وبموجبه تعتبر بعض المجتمعات في آسيا وأفريقيا مجتمعات ريفية بينما يزيد عدد سكانها كثيرا عما حدده التعريف الأمريكي . وقد كان مجتمعنا العربي يأخذ بهذا التعريف حتى عهد قريب ، الا أن مصلحة الاحصاء والتعداد قد أخذت في المدة الأخيرة بتعريف إداري للريف المصري ، إذ اعتبرت المجتمع الحضري ما كان عاصمة لمحافظة أو مديرية أو عاصمة للمركز بإستثناء المناطق الصحراوية ، على أن يكون المجتمع الريفي كل ماعدا ذلك[٢٦] .

ويعتبر كروبر من أدق الأنثروبولوجيين الذين قدموا تعريفا محددا للريفيين من خلال ذكره لخصائص الحياة القروية والتي تتلخص في أنهم يعتمدون على فلاحة الأرض ، ولايعيشون منعزلين تماما كما هو الحال في التنظيمات العشائرية والسلبية ، إذا أنهم مرتبطون إلى حد ما بأسواق المدن ، ويرى أن من أهم الخصائص التي تميز الريفيين سكان القرى ، ارتباطهم الشديد بالأرض واحتفاظهم بتراث خاص ومميز .

وهناك من يرى أن الريف والبيئة الريفية تشمل مايلي :

١ – عددا من السكان لايتجاوز ألفين وخمسمائة نسمة .

٢ – أن تكون العلاقة الاجتماعية بينهم مباشرة تؤدي إلى طابع مميز للحياة الاجتماعية .

٣ – المهنة الغالبة هي الزراعة ، وإن كان من الممكن إدخال مهن أخرى مع توفير الشرطين السابقين[٢٧] .

ونستطيع القول بأن تلك المفاهيم السابقة لاتنطبق حرفيا على مجتمعنا موضوع الدراسة – منطقة الباحة – فهي منطقة ريفية بكل ماتحمله كلمة الريف من معان ، وعلى الرغم من ذلك يزيد عدد سكانها عن مائتي ألف نسمة[٢٨] ، ويبدو أن الاعتماد على النظريات التقليدية قد أدى بالكثير من الباحثين إلى الوقوع في الخطأ وإلى تعميمات واسعة النطاق ، قد لاتنطبق الا على المجتمع الأمريكي وحده ، لأن الباحثين الأمريكيين قد أهملوا عند دراستهم للمجتمع الريفي البعد التاريخي ، فالريف الذي اهتم الباحثون الأمريكيون بدراسته هو الريف الأمريكى . فإذا وضعنا فى الاعتبار أن المجتمع الأمريكى كله ريفه وحضره مجتمع حديث وغير تاريخي لوجدنا لهؤلاء الباحثين عذرهم في ذلك ، فالقرية الأمريكية ليست كالقرية الآسيوية والأفريقية ، فهي ليست مجتمعا تبلور تاريخيا ، وإنما هي مجتمعات أقرب إلى الاستحداث والاصطناع ، ولذا لم يكن من المهم لديهم الاهتمام ببعد يلعب دورا هاما في بلورة الأوضاع الاجتماعية والثقافية وهو البعد التاريخي . إذاً فالمجتمع الريفي في منطقة الباحة

ليس وليدا لعملية اجتماعية مصطنعة ، تم تحديد عدد أفرادها ومهنهم ، وإنما هو مجتمع تاريخي جاءت مهنته نابعة من ظروفه واحتياجاته على مدى قرون طويلة .

وفي رأينا أن الريفية طريقة سلوك ، وثقافة ، وأسلوب حياة ، وليست مجرد تحديد أرقام لأعداد السكان ، أو تحديد اقليم أو مهنة ، وإلا فماذا نسمى سلوك الريفي وطريقته الخاصة تجاه المحافظة على القيم والعادات والتقاليد ؟ حقيقة إن الإقامة في إقليم ذي معالم خاصة ، واحدة من سمات المجتمع الريفي . ولكن يجب ألاّ ننسى أن الإقامة وحدها لاتمنح صفة للمقيم ، فهناك قول مشهور لأرثر بارك هو «أنك تستطيع أن تنتزع الريفي من بيئته ولكن لاتستطيع نزع الريفية من نفسه بنفس السرعة والسهولة» إذاً فهناك ثقافة تعيش في نفس الريفي ومشاعره ، وهي التي تملي عليه طريقة سلوكه وأسلوب حياته . ويمكن أن يكون أنسب تعريف للريف هو أنه «عبارة عن منطقة صالحة للزراعة يمارس السكان فيها النشاط الزراعي في الغالب إلى جانب مهن أخرى كتربية الحيوان وبعض الحرف اليدوية ، وتسود بينهم علاقات أولية مباشرة ، ولهم تراث مميز وثقافة خاصة وأسلوب حياة يختلف عما هو سائد في المدينة[٢٩]» .

الدراسة الميدانية

نبذة عن منطقة البحث

يحسن التنبيه في البداية إلى أن منطقة الباحة من الناحية الإدارية تشمل قبائل غامد وزهران ومدينة الباحة التي تقع في بلاد غامد وهي مقر الحكم الإداري للمنطقة عموما ، ففيها تقع إمارة منطقة الباحة وكل الإدارات الحكومية مثل إدارة التعليم والشرطة والمرور ورئاسة تعليم البنات وبقية فروع الوزارات والمصالح الحكومية عموما .

ولكن منطقة البحث الفعلية هي الباحة نفسها وماحولها من قبائل والمعروفة ببلاد غامد[٣٠] .

وعن منطقة الباحة ، تقول المصادر التاريخية فيما يختص بأصل قبائل غامد : إن أصل هذه القبائل يعود إلى عبد الله بن كعب بن الحارث بن عبد الله الملقب بـ «شنودة» بن الأزد عمرو . وهو غامد الأب الأكبر والذي تنسب إليه قبائل غامد . وغامد هذا ولد له سعد مناة ، وظبيان ، ومالك ومحمية ، وولد لسعد مناة (مناة الدول) وثعلبة . وولد للدؤل «سعد مناة» (مازن – وكبير – ووالبة) ومن مازن ، عبد الرحمن بن مخفف بن سليمان بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر ابن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدؤل (سعد مناة) بن غامد ومنهم الأزد (بالكوفة) .

وقبائل غامد الحالية هي :

(أ) قبائل غامد في منطقة السراة

١ – بني عبد الله ، وتشمل ١٩ قرية .

٢ - بالجرشي ، وتشمل ٣٥ قرية .
٣ - بني ظبيان ، وتشمل ٣٩ قرية .
٤ - بني خثيم، وتشمل ١٨ قرية .
٥ - بالشهم، وتشمل ٢٠ قرية .
٦ - الرهوة ، وتشمل ١٨ قرية .
٧ - بني كبير، وتشمل ١٦ قرية .

(ب) قبائل غامد في البادية

١ - قبيلة رفاعة .
٢ - قبيلة الحلة .
٣ - قبيلة الزهران .
٤ - قبيلة آل طالب .
٥ - قبيلة القنازعة
٦ - قبيلة بني كبير .
٧ - قبيلة الهجاهجة .
٨ - قبيلة آل مسلم .
٩ - قبيلة الزوايع .

(جـ) قبائل غامد في تهامة

١ - قبيلة غامد الزناد ، وعدد قراها ٧٨ قرية .
٢ - قبيلة بني عبد الله ، وعدد قراها ٦٤ قرية .

جغرافية منطقة البحث

تقع منطقة الباحة في الجنوب الغربي للمملكة العربية السعودية على بعد ٢٣٠ كيلومترا جنوبي مدينة الطائف على خطي عرض ١٩ ، ٢٠ ، وخطي طول ٤١ ، ٤٢ بمساحة إجمالية قدرها ١٩٠٠٠ كم^{٢} ، وترتفع مدينة الباحة (العاصمة الإدارية للمنطقة) عن سطح البحر حوالي ٢٥٠٠ مترا في منطقة السراة ، ويربط منطقة الباحة بمدينة الطائف طريق بري معبد ، يصل الطائف والباحة بمنطقة الجنوب ، حتى نجران . كما أنشىء فيها مطار محلي في عام ١٩٨٠م .

وتنقسم منطقة الباحة إلى قطاعين رئيسيين متفاوتين جغرافياً هما : قطاع السراة ، وقطاع تهامة ، وتلعب العوامل الطبوجغرافية دورا رئيسيا في تحديد نمط الاستيطان السكاني ، وتحديد نمط استعمالات الأرض بهذه المنطقة . . وعلى ذلك تكون تضاريس المنطقة كمايلي :

السراة الشمالية : وهي المناطق الشديدة الارتفاع على قمم سلسلة جبال السروات المحاذية للبحر الأحمر ، من الشمال إلى الجنوب .

السراة : وهى تلي الانحدار ، وتنتشر فيها الأودية الخضراء ، والأحواض المائية ، ويزيد فيها معدل سقوط الأمطار عن ٣٠٠ ملم سنويا . وعلى هذه المنخدرات أو السفوح تقع المدرجات الزراعية (المصاطب) والتي أنشأها السكان كأراضي زراعية .

الانحدار : وهى مناطق غير آهلة بالسكان ، ويصل أعلى ارتفاع لمناطق الانحدار ٢١٠٠ م عن سطح البحر .

تهامة العليا : وتقع تحت الانحدار بارتفاع عال بين ٢٠٠ : ٤٠٠ م عن سطح البحر ، وقد لعبت عوامل التعرية دورا في تشكيل تلالها الجليدية وأوديتها الكبيرة ، التي تتعرض لمياه الأمطار العنيفة ، مما أدى إلى وجود تجمعات سكانية على ضفاف الأودية ، واستغلال مياه الأمطار لأغراض الزراعة .

تهامة السفلى : وهى عبارة عن سهول ساحلية متموجة ، محاذية للبحر الأحمر بعرض ٣٠ - ٤٠ في قطاعها المتواجد في منطقة الباحة .

التركيب السكاني في منطقة البحث

الملاحظة الأولى فيما يختص بالتركيب السكاني لمنطقة الباحة هي (تجانس السكان) ، والثانية هي قلة وجود غير السعوديين بالمنطقة ، والثالثة وهى الأهم : أن نسبة الإناث بين سكان المنطقة مرتفعة بالنسبة للرجال ، وتفسير ذلك في اعتقادي ، يرجع إلى أن السكان من الذكور في المنطقة هاجروا ولازالوا يهاجرون منها رغبة في العمل خارجها وخاصة في المدن المجاورة ومناطق البترول في المنطقة الشرقية ، وكان لهجرة الذكور أثر آخر على الزراعة في المنطقة ، فقد تقلص حجم الزراعة والأراضي المزروعة بدرجة كبيرة ، وأصبحت المنطقة منطقة مستوردة للحبوب والخضروات والفواكه بعد أن كانت مصدرة ، ذلك لأن الذكور الذين هاجروا من المنطقة ، والذين كانوا يشكلون الأيدي العاملة الرئيسية بالنسبة للزراعة ، هم السبب الأول في حدوث ذلك . بالإضافة إلى قلة موارد المياه في السنوات الأخيرة ، وعزوف المقيمين منهم عن ممارسة مهنة الزراعة والتحاقهم بوظائف حكومية داخل المنطقة ، ويمكن أن أضيف إلى كل ذلك ، اتصال المنطقة بالمدن المجاورة وإرتباطها معها بطرق معبدة سهلت عملية استيراد المنتجات الزراعية بدلا من إنتاجها محليا .

والسكان يتركزون مكانياً في ثلاث مناطق هي : السراة وتهامة والبادية ويتكونون من (ثماني عشرة قبيلة) يتوزعون في (ثلاثمائة وسبع قرى) غير المقيمين في المخيمات في بادية غامد . وتقول الاحصائية التي صدرت من مصلحة الاحصاءات العامة ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني - الرياض عام ١٩٧٤م أن عدد سكان المنطقة عموما يبلغ (١٨٥٨٥١) نسمة من السعوديين فقط . بينما بلغ

عدد السكان في المنطقة من غير السعوديين (٤٩٥٧) ذكورا وإناثا . أما عدد الإناث من السكان السعوديين فبلغ (٩٨٢٢٥) بينما عدد الذكور (٨٧٦٢٦) نسمة . وبنسب احصائية يمكن القول :

١ - أن نسبة غير السعوديين إلى السعوديين تساوي ٢,٧٦٨٪ .

٢ - أن نسبة الذكور إلى الإناث من سكان المنطقة السعوديين تساوي ٤٧,٢٤٨٪ .

والملاحظ أن نسبة الذكور إلى الإناث تقل عند فئات العمر ٢٥ - ٢٩ ، ٣٠ - ٣٥ ، ٣٥ - ٤٠ ، ٤٠ - ٤٥ بحيث تصبح نسب النساء في مراحل العمر السابقة على الترتيب ٦١,٧٪ ، ٦١,٠٪ ، ٥٨,٢٪ . وتفاوت النسب هذا يعود إلى هجرة الذكور من المنطقة إلى مناطق العمل كما أسلفت ، بينما يمكن أن أرجع إنخفاض نسبة الرجال عند مرحلة العمر من ٢٠ - ٢٤ عن نسبة النساء بحيث أصبحت نسبة الإناث إلى الذكور تساوي ٦٠,٠٪ إلى هجرة الشباب في هذه السن إلى المدن المجاورة للإلتحاق بالجامعات أو المعاهد العليا ، نظرا لعدم وجود جامعة أو معهد عال في منطقة الباحة في ذلك التاريخ ، أي تاريخ إجراء الاحصاء عام ١٩٧٤م .

وفي إحصاء آخر أجرته إمارة منطقة الباحة في شهر رجب عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، أي بعد سنوات أربع من تاريخ الاحصاء الأول المشار إليه آنفا ، وجد أن عدد السكان الإجمالي من السعوديين قد ارتفع إلى الرقم (٢٣٢٥٦٠) نسمة ، أي بزيادة قدرها ٢٥,١٣٢٪ وهي زيادة مرتفعة بالنسبة إلى الفترة (٤ سنوات) . ولعل سبب هذه الزيادة الكبيرة يعود إلى انتشار الوعي الصحي بين السكان وتقلص عدد وفيات الأطفال ، كما يمكن أن يعزي إلى الهجرة المرتدة من المدن والمراكز الحضرية إلى المنطقة ، وخاصة بعد تعميم الكهرباء ، وانتشار المباني الحديثة بها ووجود فرص كثيرة للعمل فيها ، وخاصة الأعمال التجارية .

وكما أشرنا في بداية هذه الدراسة ، فإن المتتبع للحياة الاجتماعية في المملكة العربية السعودية يمكن أن يلاحظ بسهولة حجم وسرعة التغير الذي شمل كل المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها مما له علاقة بالبناء الاجتماعي . وتبعا لذلك ، فإن مسؤولية رصد وتسجيل معدلات التغير في المجتمع تقع على عاتق المهتمين بالدراسات الاجتماعية وشؤون المجتمع . وذلك عن طريق رسم صورة عن الحياة الاجتماعية الآن ومقارنتها بما كانت عليه ليخلصوا إلى نتائج تساعد في وضع خطط التنمية وتجنب الآثار السلبية التي عادة ماتصاحب التغير السريع . ولما كانت اهتماماتي على هذا النحو ، فإنني عندما فكرت في دراسة تغير الأدوار في الأسرة الريفية في المجتمع العربي السعودي كنت أريد دراسة عدد من المناطق الريفية في المملكة العربية السعودية لمعرفة الفروق بين كل منطقة وأخرى ، وارتباط تلك الفروق بعدد من القضايا ذات العلاقة بالتغير . ولتكون الصورة أشمل وأعم . غير أنني لاحظت أنه من الصعب على باحث واحد القيام بهذه المهمة لما يكتنفها من مصاعب ومايحف بها من احتمالات الخطأ بسبب كثرة المناطق الريفية ولسرعة معدلات التغير التي يعيشها المجتمع حاليا . . ثم بسبب غياب الدراسات السابقة عن المناطق الريفية الأخرى . وتوفر دراستين سابقتين عن منطقة الباحة

وأشرنا إليهما في الصفحات السابقة (انظر هامش ص ١٣) ، ولهذا فإنني أحاول الآن توجيه طلبة الدراسات العليا الذين أشرف عليهم في مرحلة الماجستير نحو دراسة المناطق الريفية حتى يمكن توفر الدراسات العلمية لهذا القطاع الهام من المجتمع . ثم تفتح أبواب جديدة للبحث والمناقشة . ولذا فقد قصرت هذه الدراسة على منطقة الباحة . ليس ذلك فحسب ، بل استبعدنا من مجال الدراسة مناطق البادية وتهامة وقبائل زهران . واكتفينا بقبائل غامد وعددها سبع . وتضم (١٦٥) قرية . واخترنا من بين تلك القرى (سبع عشرة قرية) لتكون مجال الدراسة . وتمثل نحو ١٠٪ من مجموع القرى . ويبلغ إجمالي عدد السكان في القرى المختارة (١٢٢٠٤) نسمة ويبلغ عدد الأسر التى تضم هذا العدد (٩٥٠) أسرة . اخترنا منها (٣٠٠) أسرة فقط كعينة للدراسة . وتم اختيار العينة من القرى والأسر أيضا بطريقة عشوائية . . وبلغت نسبة الأسر عينة الدراسة (٣١,٥٨) . وطبقنا الاستبيان على (أرباب الأسر) . بصرف النظر عن عدد أفراد الأسرة أو أي من المتغيرات الأخرى كالعمر والمهنة ونوع القرابة . واستعنت في تطبيق الاستبيان (بعرفاء القرى) وبعض شبابها المتعلمين الذين أظهروا اهتمامهم وحسن تعاونهم معنا خلال الدراسة الميدانية . .

وسنحاول من خلال عرض بيانات جداول الاستبيان أن نقدم الصورة التي نعتقد أنها تفي بالغرض وتحقق بعض أهداف دراستنا هذه . . ولابد أن نشير في بداية دراستنا الميدانية ، إلى أن البعض قد يتصور أن اتجاهات أفراد المجتمع نحو عمل ما وترك آخر ، يتعلق بعوامل اقتصادية وتنظيمية بحتة خالصة لاعلاقة لها بالمتغيرات الاجتماعية الأخرى . وتظل هذه الرؤية من وجهة نظرنا قاصرة ، خاصة وأنه قد ثبت أن الباحث عندما يتجه نحو دراسة الظواهر بشكل منفصل – أي فصل كل ظاهرة عن الأخرى – فإنه بذلك لايصل إلى تصور كامل للأوضاع الاجتماعية . ويقوده ذلك إلى قصور واضح في فهم الحقيقة الاجتماعية . . ولذلك فإن بعض الباحثين الاجتماعيين الآن يميلون إلى تبني وجهة نظر متعددة الجوانب وتلتزم بالنظر إلى تعدد العوامل عند محاولة التفسير والتحليل . ذلك أن الظواهر وعلى كل المستويات الطبيعية والفكرية والظواهر الاجتماعية تترابط تماما وتؤثر في بعضها ، وهذا ينطبق بصفة خاصة على النظم الاجتماعية التي ترتبط ببعضها كما هو الحال في «البناء الاجتماعي» الذي يجمع هذه النظم ويجعل منها وحدة بنائية وظيفية[٣١] . ولذلك فإننا نعتقد أن مجموعة من العوامل المتداخلة قادت إلى تغير الأدوار في الأسرة الريفية ، ومنها المستوى التعليمي ، والمستوى الاقتصادي ، والمستوى الثقافي ، فمثلا قد يكون ارتفاع المستوى التعليمي للأفراد عاملا مؤثرا في انصراف الأسرة عن أنماط النشاط الاقتصادي التقليدي ، وذلك لوجود عدد من أفرادها الذين انهوا تعليمهم والتحقوا بوظائف مختلفة ، هذه الوظائف أدت إلى ارتفاع المستوى الاقتصادي للأسرة والتي وجدت أن دخلها أصبح كافيا ولاضير في توقفها عن الأنشطة السابقة . وهكذا نجد أن العامل الأول يؤثر في الثاني والعكس . . ويمكن القول بصفة عامة أن للتنشئة الاجتماعية دورها في

تكوين الاتجاهات عند الأفراد للرغبة في عمل أو الاحجام عنه . . فالبدوي ينظر إلى العمل اليدوي نظرة مختلفة بين عمل وآخر ، فإن كان العمل اليدوي له علاقة بالماشية كأن يحفر بئرا مثلا فهو مرغوب لديه . وإن كان له علاقة بخلاف ذلك فهو مرفوض(٣٢) .

فالبدوي هنا تلقن هذا المفهوم عن العمل من أسرته ووالديه ، فالأسرة يمكنها أن تبث قيما تفضيلية نحو مهن معينة من ناحية ، كما أن نسق القيم السائدة في المجتمع وتركيب البناء الاجتماعي ومايفرضه من متغيرات من جهة ثانية يعتبر عاملا هاما في هذا الصدد(٣٣) . وانصراف الأسرة الريفية عن العمل الزراعي لانعتقد أنه يرتبط بعامل وحيد . ولتوضيح ذلك نعرض الجداول الاحصائية التالية :

جدول رقم (١) : توزيع مفردات العينة حسب رب الأسرة

رب الأسرة	التكرار	النسبة المئوية
الجـــد	٤٤	١٤,٦٧
الأب	٢٠٧	٦٩,٠٠
الأخ الأكبر	٣٢	١٠,٦٧
آخـــرون	١٧	٥,٦٦
المجمـــوع	**٣٠٠**	٪١٠٠

ومن هذا الجدول يتضح لنا أن أعلى نسبة فيه (٦٩٪) من مجموع الأسر المبحوثة الأب فيها هو رئيس العائلة ، يليه الجد بنسبة (١٤,٦٧٪) فالأخ الأكبر بنسبة (١٠,٦٧٪) . أما النسبة الأخيرة وهي (٥,٦٦٪) فليس رب الأسرة فيها واحد من الثلاثة المذكورين . وقد تكون الأم أو زوجها أو أحد الاقرباء هو رب الأسرة لظروف مختلفة . . ولقد كان الجد في الأسرة الريفية حتى وقت قريب هو رئيس العائلة . وهو المسؤول عن نشاطها الاقتصادي والإنفاق والدخل فيها . وكانت الأسرة بكاملها تأتمر بأمره وترى رأيه . وفي ظل الظروف التي أدت إلى تغير كبير في نمط الأسرة وفي وظائفها . تغير أيضا وضع رب الأسرة ، فعندما استقل الأبناء بأسرهم عن الأسر الكبيرة . أصبح رب الأسرة هو الزوج وليس الجد . وهذا مانلاحظه من النسبة الثانية في نفس الجدول . أما النسبة الثالثة وهي الخاصة بالأخ الأكبر الذي يرأس مانسبته (١٠,٦٧٪) من الأسر المبحوثة ، فلعل لذلك علاقة بكون أن هذه الأسر لاتزال تميل إلى النمط الريفي التقليدي للأسرة وهو نمط الأسرة المركبة . أو أن الذكور فيها لم يتزوجوا بعد ويشكلون أسرا مستقلة . ومن خلال الجداول اللاحقة سنحاول الربط بين بيانات هذا الجدول مع تلك .

نلاحظ من بيانات هذا الجدول أن أعلى نسبة تقع في فئات العمر من ٣٠ – ٥٠ سنة ، إذ يبلغ مجموع النسب (٤٦٪) للفئات العمرية المذكورة . بينما تقل النسبة في الفئات الأعلى من ٥٠ إلى أكثر

جدول رقم (٢) توزيع مفردات العينة حسب عمر رب الأسرة

فئات العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ٢٠ سنة	١٦	٥,٣٣
من ٢٠ – ٣٠	٥٤	١٨,٠٠
من ٣٠ – ٤٠	٦٨	٢٢,٦٧
من ٤٠ – ٥٠	٧٠	٢٣,٣٣
من ٥٠ – ٦٠	٥١	١٧,٠٠
أكثر من ٦٠ سنة	٤١	١٣,٦٧
المجمـــوع	**٣٠٠**	**٪١٠٠**

من ٦٠ سنة (٣٠,٦٧٪) . أما الفئات الصغرى في العمر فتشكل أقل النسب إذ بلغ مجموعها (٢٣,٣٣٪) . ولعل هذا يؤكد لنا أن الاتجاه نحو الاستقلال عن الأسرة لم يبدأ الا منذ فترة قصيرة لاتزيد عن ثلاثين سنة فأقل . حيث نلاحظ أن الشباب المتزوجين حديثا قد استقلوا عن أسرهم الأصلية . وأنشأوا أسراً جديدة مستقلة اقتصاديا واجتماعيا عن الأسرة الأم . ويكشف لنا الجدول رقم (٧) أن هناك نسبة قريبة جدا من هذه النسبة من الأسر المبحوثة تقتصر على الزوج والزوجة دون أبناء ، وهم فئة الشباب الذين تزوجوا حديثا .

جدول رقم (٣) توزيع مفردات العينة حسب المهنة

المهنـة	التكرار	النسبة المئوية
مزارع	٥٨	١٩,٣٣
تاجر	٩٧	٣٢,٣٣
موظف	١٢٦	٤٢,٠٠
عامل	٩	٣,٠٠
أخـرى	٧	٢,٣٤
لايعمل	٣	١,٠٠
المجمـــوع	**٣٠٠**	**٪١٠٠**

ونلاحظ من هذا الجدول أن نسبة الموظفين من أرباب الأسر تبلغ (٤٢٪) تليها نسبة (٣٢,٣٣٪) للذين يشتغلون بالتجارة . وهذا أمر طبيعي إذا نظرنا إليه من زاويتين . الأولى انتشار التعليم في منطقة البحث والذي بدأ منذ مايقرب من خمسين عاما بداية أولية . ثم ظل ينمو نموا سريعا

عن طريق التوسع في أعداد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية إضافة إلى المعاهد المتخصصة ، الأمر الذي أدى إلى التحاق أبناء الريف هناك بالمدارس وحصولهم على شهادات تؤهلهم للإلتحاق بوظائف مدنية وعسكرية وفنية ، ولعل لانتشار الموظفين في الأسر الريفية علاقة بتحسن المستوى الاقتصادي للأسر وبالتالي تخليها عن نشاطها التقليدي . أما نسبة الذين يشتغلون بالتجارة والتي تشكل النسبة العالية الثانية ، فيمكن النظر إليها من زاوية ثانية ، وهى ارتفاع المستوى الاقتصادي للسكان في ظل ارتفاع المستوى الاقتصادي في المملكة بصفة عامة . إذ وجد هؤلاء أمامهم فرصا كبيرة لمزاولة التجارة وتحسين أوضاعهم الاقتصادية . وبعد أن كان الرجل الريفي يعتمد اقتصاديا على ماتنتجه الأرض ثم يقوم بتسويقه وجد أنه يمكن أن يفعل ذلك دون أن يكلف نفسه أو أسرته عناء الإنتاج . بل وأن العائد أكبر مقابل جهد أقل . أما فئة المزارعين فلم تشكل من بين أفراد العينة سوى (١٩,٣٣٪) ، وهى التي لازالت فعلا تقوم بالنشاط الزراعي . وإن كان ليس في صورته التي كان عليها في السابق ، فبعد أن كانت المنطقة تشتهر بإنتاج الحبوب في المقام الأول ، ثم تنتج بعد ذلك أنواعا من الخضروات والفواكه ، وبعد أن كانت المساحة الخضراء في المنطقة تشكل نسبة عالية ، بدأت هذه المساحة في الانحسار ، إذ أن السكان لاينتجون الآن الا أنواعا معينة وقليلة من الحبوب كالقمح والذرة والشعير ، أما معظم الأسر التي مازالت تشتغل بالزراعة فتتجه لإنتاج الخضروات والفواكه . ذلك أن الجهد الذي يبذل فيها أقل والعائد منها أكثر وأسرع ، وأهم المنتجات الآن ، العنب والخوخ والرمان والتين . إضافة إلى الخس والجرجير والطماطم وبعض أصناف الخضروات الأخرى . . وقد حل محل المساحة الخضراء في المنطقة العمارات الحديثة ، والمحلات التجارية ، والورش كورش الحدادة والنجارة والورش الخاصة بإصلاح السيارات . كما أن الأدوات التقليدية الخاصة بأعمال الزراعة قد اختفت وحل محلها الآلات الحديثة ، بمعنى أنه تحول النشاط الزراعي التقليدي إلى الميكنة الزراعية . وعلى الرغم من ذلك تحولت المنطقة من منطقة تشتهر بالزراعة والإنتاج الزراعي إلى منطقة مستهلكة تماما . فالحبوب المنتجة لاتكفي الا حاجة الأسرة ذاتها وأحيانا لاتكفي . وتعتمد الأسرة في ذلك على مايصل إليها من حبوب عن طريق المدن المجاورة والتي تستورد الحبوب من الخارج . والنسبة الرابعة في الجدول رقم (٣) والتي تبلغ (٣٪) وهى الخاصة بأرباب الأسر الذين يتخدون من العمل مصدرا للرزق . ومفهوم العمل هنا لايعني العمل عند الغير لقاء أجر ، وليس بالعمل اليدوي كالعمل مثلا في مجال البناء أو الزراعة لدى آخرين . ومثل ذلك النسبة الخامسة والتي تبلغ (٢,٣٤٪) وهى الخاصة بمهن أخرى . فقد لاحظنا أن المبحوثين يقصدون بذلك عملهم في ورش النجارة أو ورش الحدادة أو ورش السيارات التي تؤول إليهم ملكيتها ، أو العمل كسائقي سيارات نقل أو أجرة تابعة لهم . أما النسبة الصغرى في الجدول المذكور وهى (١٪) من مجموع أفراد العينة فتمثل الذين لاعمل لهم . وهؤلاء من كبار السن أرباب الأسر والذين يقوم أبناؤهم في الأسر بكامل أوجه النشاط الاقتصادي نيابة عنهم .

جدول رقم (٤) توزيع مفردات العينة حسب عدد الزوجات

عدد الزوجات	التكرار	النسبة المئوية
١	١٤٢	٤٧,٣٣
٢	٧٥	٢٥,٠٠
٣	٦٨	٢٢,٦٧
٤	١٥	٥,٠٠
المجمـــوع	٣٠٠	٪١٠٠

ونلاحظ من الجدول السابق أن نسبة المتزوجين من واحدة بلغت (٤٧,٣٣٪) من بين أفراد العينة . وهذه النسبة غير متوقعة في منطقة ريفية . إذ أن المتوقع أن تسود ظاهرة تعدد الزوجات . ويمكن أن نفسّر ذلك في ضوء معلومات الجدول السابق التي كشفت أن نسبة المزارعين حوالي (١٩٪) من أفراد العينة ، فإذا علمنا أن النشاط الزراعي يحتاج إلى أيد عاملة كثيرة في الأسرة . وحيث أن المرأة كانت تقوم بدور هام في هذا النشاط . وعندما تخلت نسبة كبيرة من الأسر في المنطقة عن النشاط الزراعي . فإن النظرة الى تعدد الزوجات أخذت بعدا اقتصاديا جديدا . ذلك أنه كلما زاد عدد النساء لدى الرجل الواحد شكل ذلك عبئا اقتصاديا عليه . فكل واحدة منهن في حاجة إلى مصروف وكماليات . كما أنهن قد يضفن عبئا اقتصاديا جديدا على الأسرة في حالة إنجاب الأطفال . كما أن الشباب غير كبار السن في نظرتهم إلى تعدد الزوجات . وقد تكون هذه النسبة من

جدول رقم (٥) توزيع مفردات العينة حسب الدخل

فئات الدخل	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ١٠٠٠ ريال	٨	٢,٦٧
١٠٠٠ – ٢٠٠٠	٢١	٧,٠٠
٢٠٠٠ – ٣٠٠٠	٢٦	٨,٦٧
٣٠٠٠ – ٤٠٠٠	١٨	٦,٠٠
٤٠٠٠ – ٥٠٠٠	٢٠	٦,٦٧
٥٠٠٠ – ٦٠٠٠	٣٢	١٠,٦٦
٦٠٠٠ – ٧٠٠٠	٢٦	٨,٦٧
٧٠٠٠ – ٨٠٠٠	١٩	٦,٣٣
من ٨٠٠٠ – ٩٠٠٠	٢٠	٦,٦٧
٩٠٠٠ – ١٠٠٠٠	١٧	٥,٦٦
أكثر من ١٠٠٠٠	٩٣	٣١,٠٠

فئات العمر المتوسطة خاصة وأنها تشكل نسبة (٤٦٪) من بين أفراد العينة . ويصدق هذا التوقع إذا لاحظنا أن النسبة الباقية وهى (٥٣,٦٧٪) من العينة هم المتزوجون من أكثر من واحدة فنسبة (٢٥٪) من أرباب الأسر هناك متزوجون من اثنتين ونسبة (٢٢,٦٧٪) متزوجون من ثلاث نساء. أما نسبة (٥٪) فمتزوجون من أربع . وهذه نسبة تبدو طبيعية إلى حد كبير خاصة وأن نسبة كبار السن من بين أفراد العينة تبلغ (٥٤٪) وهم الذين لايزالون يحتفظون باتجاهاتهم نحو تعدد الزوجات لظروف النشاط الزراعي التي كانت ظاهرة عامة في المنطقة تحتاج كما قلنا إلى أيد عاملة كثيرة . وستكشف لنا الجداول اللاحقة عن وجود علاقة بين هذا ونوع الأسرة وحجمها وعلاقة ذلك بعمل المرأة .

ونلاحظ من بيانات هذا الجدول أن أعلى نسبة في الدخل هى لأولئك الذين يزيد دخلهم الشهري عن عشرة آلاف ريال حيث بلغت هذه النسبة (٣١٪) بينما لم تبلغ نسبة الذين يقل دخلهم الشهري عن ألف ريال سوى (٢,٦٧٪) . وإجمالا فإن نسبة الذين تتدنى دخولهم وهى التي تتراوح بين ألف إلى ثلاثة آلاف ريال لم تبلغ سوى (١٨٪) من مجموع أفراد العينة . وقد تكون هذه النسبة شاملة لفئة المزارعين الذين لم تعد الزراعة تحقق لهم دخلا عاليا كما كانت في السابق . ولعل هذه المعدلات تكشف لنا عن أسباب اتجاهات الأفراد هناك إلى الميل نحو الأسر الصغيرة . ليتناسب ذلك مع الناحية الاقتصادية لرب الأسرة .

جدول رقم (٦) توزيع مفردات العينة حسب عدد الأبناء

عدد الأبناء	التكرار	النسبة المئوية
لايوجد	١٤	٤,٦٦
واحد	٢	٠,٦٦
من ٢ – ٣	٣٣	١١,٠٠
من ٤ – ٦	٤٦	١٥,٣٤
من ٦ – ٨	٥١	١٧,٠٠
من ٨ – ١٠	٥٤	١٨,٠٠
من ١٠ – ١٢	٤٢	١٤,٠٠
من ١٢ – ١٣	٣٦	١٢,٠٠
من ١٣ – ١٥	١٣	٤,٣٤
أكثر من ١٥	٩	٣,٠٠
المجمــوع	٣٠٠	٪١٠٠

وعلى الرغم من أن نمط الأسرة في الريف السعودي بدأ يميل الآن نحو النمط الحديث ، فلم تعد الأسرة المركبة أو الممتدة هى النمط السائد في المنطقة كما كان الحال في السابق . إلا أننا نلاحظ من هذا

الجدول أن النسب الأعلى منه يزيد عدد الأبناء فيها عن (٦) . وقد حاولنا أن نوضح لأفراد العينة المقصود بعدد الأبناء أنه أبناء رب الأسرة فقط ، دون إضافة عدد أبناء أبنائه أو أبناء إخوته واخواته . فوجدنا أن عدد الأبناء يفوق ماتوقعنا في ظل الظروف الإجتماعية والاقتصادية الجديدة في المنطقة . ولعل للعادات والتقاليد الموروثة دورها في ظاهرة زيادة عدد الأبناء ذلك أنهم كانوا في السابق يحرصون على زيادة الإنجاب لعدة اعتبارات . أولها أن الأبناء (عزوة) فكلما كان عدد الأبناء كبيرا زادت المكانة الاجتماعية للأسرة أهمية ، كما أن زيادة عدد الأبناء له علاقة بالنشاط الاقتصادي ، فالزراعة والرعي وتربية الحيوانات وغيرها من المهن الأخرى في حاجة إلى أيد عاملة كثيرة في الأسرة . هذه الحاجة تفرض زيادة العدد ليسهم كل فرد في الأسرة بدور في العائد الاقتصادي لها . ولما كان المجتمع القبلي في السابق يعيش في شبه حالة استنفار نتيجة للخلافات مع القبائل المجاورة وهي تلك الخلافات التي كانت تنشب بسبب الأرض أو مناطق الرعي ومنابع المياه ، فإن القبيلة في حاجة إلى زيادة في عدد الأفراد وخاصة الذكور منهم ، للدفاع عن أرض القبيلة . ولذلك فإنهم كانوا يحرصون على زيادة النسل لتحقيق هذه الغاية إضافة إلى الأهداف الاقتصادية والاجتماعية التي أشرنا إلى بعض منها . . ونعتقد أنه على الرغم من انتفاء الأسباب ، إلا أن الأفراد هناك لازالوا يحملون في نفوسهم الاتجاه نحو زيادة العدد ، ولذا وجدنا أن نسبة (١٧٪) من بين الأسر المبحوثة يتراوح عدد الأبناء فيها بين (٦ – ٨) ، بينما نسبة (١٨٪) يتراوح عدد الأبناء فيها بين ٨ – ١٠ ، وهى أعلى نسبة في الجدول على الإطلاق . بينما تبلغ نسبة الذين يزيد عدد أبنائهم عن عشرة فما فوق نحو (٣٣٪) . وهى نسبة كبيرة ، خاصة إذا نظرنا إلى النسب الثلاث الأخيرة في الجدول . أما نسبة الذين لايوجد لديهم أبناء في الأسرة فبلغ (٤,٦٦) وقد تكون هذه النسبة شاملة للمتزوجين حديثا أو الذين لديهم ظروف خاصة بسببها لم ينجبوا أطفالا .

جدول رقم (٧) توزيع مفردات العينة حسب نوع الأسرة

نوع الأسرة	التكرار	النسبة المئوية
الزوج والزوجة	١٤	٤,٦٦
الزوج والزوجة وأبناؤهما	١٦٩	٥٦,٣٣
الجد والأبناء وأبناؤهم	٩٧	٣٢,٣٣
الجد والأبناء وأبناؤهم وأبناء الأبناء والأقارب	٢٠	٦,٦٧

وتؤكد البيانات الواردة في هذا الجدول ماذهبنا إليه في الفصل الخاص بملامح الأسرة في المجتمع السعودي . وما أشرنا إليه خلال عرضنا لبيانات الجداول السابقة . وماذهب إليه المتخصصون في الدراسات الاجتماعية ، من أن الأسرة الريفية في المجتمعات العربية المعاصرة قد بدأت تتجه نحو نمط الأسرة

الحديثة . وهي ذلك النوع من الأسر الذي يقتصر على الزوج والزوجة وأبنائهما إن وجدوا . فإذا أضفنا نسبة العمود الأفقي الأول إلى نسبة العمود الثاني تصبح نسبة النمط الحديث للأسرة في منطقة الباحة (٦١٪) من بين الأسر المبحوثة ، وهي نسبة تكشف لنا ولاشك تغير النظرة نحو الأسرة التقليدية تغيرا ملحوظا . في الوقت الذي لاتزال فيه مظاهر الاحتفاظ بالأسرة التقليدية ماثلة أمامنا . فيوجد (٣٩٪) من مجموع أفراد عينة الدراسة يشكل الجد فيها أهمية ورابطة لباقي أفرادها وهي التي تمثل النمطين اللذين كانا يسودان في المنطقة بصفة عامة ونعني بهما الأسرة الممتدة والأسرة المركبة . فالأسرة التي تضم الأبناء وأبناءهم ويرأسها الجد ، أي ثلاثة أجيال تبلغ نسبتها (٣٢,٣٣٪) من مجموع العينة . بينما تبلغ نسبة الأسر التي تضم أكثر من ثلاثة أجيال (٦,٦٧٪) ، وهذه الأسر تشمل إضافة إلى الأبناء وأبنائهم وأبناء الأبناء مجموعة من الأقارب الآخرين الذين يعيشون مع الأسرة في مكان واحد عيشة مشتركة ، ويدلنا هذا النمط والذي قبله على أنه لايزال هناك بعض الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تتميز بها الأسرة في الريف عن الأسرة في المدينة ، وأن هذه العلاقات تشكل أهمية كبرى من وجهة نظر كبار السن الذين لايزالون يظهرون حرصهم على استمراريتها . بل ولايتقبلون النمط الحديث للأسرة التي لاتعني في نظرهم مجرد الانفصال المكاني فقط بل تعني انفصالا في العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة التي تمتد في نظرهم لتشمل الفخذ والبدنة والعشيرة والقبيلة .

جدول رقم (٨) توزيع مفردات العينة حسب عمل المرأة

عمل المرأة	التكرار	النسبة المئوية
موظفة	٣١	١٠,٣٣
طالبة	٩٧	٣٢,٣٣
ربة منزل	١٧٢	٥٧,٣٤

أما الجدول رقم (٨) فيكشف لنا نمط التغير في دور المرأة في الأسرة الريفية في المجتمع العربي السعودي ، فالمرأة التي كانت تلعب دورا كبيرا في النشاط الاقتصادي في أسرتها ، لم تعد كذلك بسبب الظروف الاقتصادية التي أسهمت في اختفاء دورها في مظاهر هذا النشاط . إضافة إلى التعليم الذي فتح أمام المرأة الريفية آفاقا جديدة لم تكن موجودة من قبل . فالريف بدأ يدفع ابنته نحو المدارس باختلاف مستوياتها لتتعلم ، وكون أنها ذهبت إلى المدرسة فذلك يعني أنها توقفت عن مزاولة النشاط الذي كانت تقوم به في أسرتها . وبعد حصولها على مؤهل دراسي التحقت بوظيفة ، فأصبح دورها وقد تغير تغيرا جذريا . فنجد أن نسبة (١٠,٣٣٪) من مجموع الأسر المبحوثة في المنطقة يعملن في وظائف حكومية في مقدمتها بنسبة كبيرة حقل التعليم . أما نسبة (٣٢,٣٣٪) فلسن موظفات أو متفرغات

كربات بيوت . بل يواصلن تعليمهن في مراحل مختلفة إضافة إلى قيامهن بأدوارهن في المنازل . وهذا يعتبر من التغيرات الهامة ، والتي تكشف اتجاه المرأة نحو التعليم بصورة منتظمة . والنسبة الباقية وهى الأعلى بين مجموع مفردات العينة والتي تبلغ (٥٧,٣٤٪) فتمثل النساء اللاتي يقتصر دورهن على القيام بأعباء المنزل . وقد يكن من الأميات ، أو من اللاتى حصلن على مؤهلات ولم يلتحقن بوظائف حكومية وانحصر دورهن في المنازل .

جدول رقم (٩) توزيع مفردات العينة حسب وجود عمالة بها

نوع العمالة	التكرار	النسبة المئوية
خادمة أو مربية	٣٩	١٣,٠٠
سائق	٥٧	١٩,٠٠
عامل زراعي	١٣	٤,٣٣
أخرى	صفر	صفر
لايوجد	١٩١	٦٣,٦٧
المجموع	٣٠٠	١٠٠٪

وإذا كان الجدول رقم (٨) قد كشف لنا عن تغير كبير في أدوار المرأة في الأسرة الريفية . فبعد أن كانت المرأة تقوم بكل مظاهر النشاط الاقتصادي في أسرتها تقريبا[٣٤] ، ثم تحولت عن ذلك إلى الوظيفة أو أصبحت طالبة في مدرسة ، فإن الجدول رقم (٩) يكشف لنا عن تغير جديد ليس في دور المرأة فحسب وإنما في أدوار أفراد الأسرة كلها بصفة عامة ، فظاهرة الخادمة والمربية إن كانت مألوفة في مجتمع المدينة منذ أمد طويل ، لم يكن التفكير فيها ليرد حتى وقت متأخر عند الأسرة الريفية . فالنظرة إلى المرأة هناك كانت لاتتعدى كونها وعاء الطفل وركيزة من ركائز الاقتصاد في الريف . ومع تغير الظروف التي أشرنا إليها في غير موضع هنا ، يبدو أن النظرة إلى المرأة تغيرت أيضا إلى حد كبير . فالخادمة والمربية أصبحت ظاهرة مألوفة في الأسرة الريفية حتى أن نسبة (١٣٪) من مجموع العينة توجد بها خادمة أو مربية ، تقوم عن المرأة بمهامها المنزلية بما في ذلك تربية الأطفال ، وتربية الأطفال في الأسرة الريفية كانت من واجبات المرأة الأساسية ، بحكم انشغال الرجل الريفي بأرضه الزراعية أو بسعيه في مناشط اقتصادية أخرى . غير أننا نلاحظ من هذا الجدول أن ذلك لم يعد واقعا عند الأسرة الريفية . ليس ذلك فحسب . بل يوجد في الأسرة الريفية الآن سائق مهمته قيادة السيارة والتنقل بأفراد الأسرة إما لأمكنة أعمالهم وإما لمدارسهم ، فالرجل الريفي الذي كان يمثل الجمل والحمار لديه وسيلة هامة ووحيدة للتنقل ، أصبح الآن يمتلك سيارة وأكثر ، وأصبحت الطرق المعبدة والحديثة منتشرة في المنطقة ، تلك الطرق التي تربط

القرى ببعضها وتربط كل القرى بالمناطق والمدن المجاورة . الأمر الذي أدى إلى استعانته بالسائق لينوب عنه في كثير من مهام التنقل بين مكان وآخر . ولقد كان لامتداد شبكة الطرق الحديثة أثره البالغ في تغيير كثير من أنماط الحياة الريفية ، وذلك لأنها أتاحت له سرعة وسهولة التنقل من القرية إلى المدينة ، مما مكنه من الاتصال بثقافات أخرى ، أثرت ولاشك على كثير من المفاهيم عنده وأدت إلى تغيير نظرته نحو كثير من أنماط حياته التقليدية ، ووجود السائق في الأسرة الريفية قد يكون للسبب الذي ذكرناه ولتأثر الريفي بما يراه في الأسرة في المدينة . ووجود السائق لدى (١٩٪) من مجموع عينة البحث يؤكد هذا القول . وتبقى نسبة الخادمة والمربية والسائق معقولة إلى حد ما كظاهرة جديدة في الأسرة الريفية . لكن الذي يلفت النظر هو وجود العمال الزراعيين بنسبة (٤,٣٣) ، فبعد أن كان الرجل الريفي وكامل أسرته يقومون بأعمال الزراعة المتعددة ، أصبحت بعض الأسر الآن تعتمد على عمالة من الخارج لتنوب عنها في أعمال الزراعة التي كانت تمثل لدى الأسرة الريفية وضعا اقتصاديا واجتماعيا في غاية الأهمية . فالريفي شديد الارتباط بأرضه والمفاخرة بها ، فكلما زادت رقعة المساحة الزراعية التي يملكها ارتفعت مكانته الاجتماعية وارتفع العائد الاقتصادي لديه ، وكان الوجهاء والعرفاء وشيوخ القبائل يختارون من بين ملاك الأراضي لا من بين أولئك الذين لايملكون مساحات زراعية كبيرة . ولعل هذا الارتباط هو الذي يدفع الريفي إلى التمسك بأرضه ، ويجعله دائم المحاولة لتوسيعها إما باستصلاح أراضٍ مجاورة ، وإما بشراء قطع أخرى من آخرين تدفعهم الظروف القاهرة إلى بيعها . حتى أنه في وقتنا الحاضر يعتبر بيع الأرض الزراعية التي يرثها المرء عن أبيه أو جده عيبا كبيرا ، لايقدم أحد عليه الا في ظروف قاسية للغاية لاتعفيه على كل حال من لوم الناس واحتقارهم له . هذا المفهوم لازال قائما على الرغم من انصراف الناس هناك عن أعمال الزراعة الا بنسبة قليلة يدخل ضمنها أولئك الذين يعتمدون على عمالة أجنبية في هذا الخصوص .

جدول رقم (١٠) توزيع مفردات العينة حسب أسباب ترك العمل الزراعي

الأسباب	التكرار	النسبة المئوية
١ – لعدم وجود أرض زراعية	صفر	صفر
٢ – ضعف العائد الاقتصادي من الزراعة	١١٨	٤٨,٨
٣ – لعدم وجود من يساعدني من أفراد الاسرة	٢٢	٩
٤ – لانشغالي بأعمال أخرى	١٠٢	٤٢,٢
المجموع	**٢٤٢**	**٪١٠٠**

والجدول رقم (١٠) يكشف لنا عن أسباب تحول الأسرة الريفية عن العمل الزراعي إلى مناشط بديلة . فإذا عدنا إلى الجدول رقم (٣) نجد أن عدد الأسر التي لاتزال تمارس النشاط الزراعي (٥٨) أسرة فقط بنسبة (١٩,٣٣٪) منها . كما لاحظنا في الجدول رقم (٩) نسبة (٤,٣٣٪) يعتمدون على عمالة أجنبية لمباشرة أعمال الزراعة . أما بقية الأسر المبحوثة فقد انصرفت كلية عن أي نشاط زراعي . وحاولنا من خلال طرح بعض الأسباب في صحيفة الاستبيان التعرف على أسباب ذلك . فكانت النتائج على النحو التالي :

لاتوجد أسرة في منطقة الباحة دون أن تكون لديها أرض زراعية ، إذ أن سبب التوقف عن ممارسة النشاط الزراعي لم يكن مطلقا بسبب عدم وجود الأرض الزراعية حيث بلغت النسبة لهذا السبب صفرا ٪ . أما السبب الثاني ، وهو انصراف الريفي عن النشاط الزراعي بسبب ضعف العائد الاقتصادي منها ، فيمثل أعلى نسبة في هذا الجدول ، إذ بلغت نسبة الانصراف عن الزراعة لهذا السبب (٤٨,٨٪) . وهذا أمر طبيعي ، فإذا عرفنا أن المساحات الصالحة للزراعة في منطقة الباحة عبارة عن مدرجات على سفوح الجبال . أو قطع صغيرة على ضفاف مجاري السيول أو حول الآبار . إضافة إلى اختفاء مظاهر زراعة القمح والذرة والشعير وغيرها من أصناف الحبوب ، وبقاء بعض أنواع الخضروات كمظاهر للنشاط الزراعي ، وزيادة على ذلك اتجاه السكان إلى بناء العمارات السكنية وإقامة بعض المحلات التجارية والورش على بعض الأراضي التى كانت تستخدم للزراعة ، كل ذلك جعل العائد الاقتصادي من النشاط الزراعي غير كاف أو مساو للجهد المبذول . ولهذا السبب عدل المزارعون عن النشاط الاقتصادي واتجهوا لأعمال أخرى . أما النسبة الثانية والتي بلغت (٤٢,٢٪) فسبب انصرافها عن النشاط الزراعي يرجع إلى انشغالهم بأعمال أخرى . وتتراوح هذه الأعمال بين الوظائف في القطاع الحكومي أو الأهلي ، وبين التجارة أو تأسيس الورش والعمل فيها . وبطبيعة الحال ، فإن العائد من هذه الأنماط الجديدة يفوق العائد من الزراعة الأمر الذي أدى إلى انصرافهم عنها . أما النسبة الثالثة والأدنى في هذا الجدول والتي بلغت (٩٪) من مجموع الأسر المبحوثة ، فسبب تركها للعمل الزراعي يرتبط بعدم وجود من يساعد رب الأسرة في القيام بهذا النشاط ، إذ أن أفراد الأسرة الآخرين قد تغيرت أدوارهم وبدأوا في ممارسة أنماط جديدة . ولم يتمكن هؤلاء من استقدام الأيدي الزراعية التي يمكن أن تساهم بجهودها في النشاط الزراعي . ولهذا السبب تركوا الزراعة . ولاشك أن هذه النسبة ونعني بها نسبة الذين تركوا العمل الزراعي سواء المرتبط بضعف الجدوى الاقتصادية أو بعدم وجود من يساعد من أفراد الأسرة في هذا العمل ، قد تحولوا إلى مناشط أخرى تحقق لهم دخلا كافيا . لكن هذا الجدول يكشف بوضوح العلاقة بين ترك العمل في الزراعة والأسباب المذكورة فيه .

كان لدخول التيار الكهربائي إلى المنطقة أثره البالغ في تغيير الكثير من عادات الأسرة الريفية ذلك أن الأسرة هناك كانت تستخدم للإضاءة الوسائل التقليدية ، فالحطب كان وسيلة هامة للإضاءة

جدول رقم (١١) توزيع مفردات العينة حسب وجود منتجات حديثة في المنزل

المنتجات	التكرار	النسبة المئوية
تلفزيـــون	٣٠٠	١٠٠
فيديـــو	٢٤٠	٨٠
تليفـــون	١١٦	٣٨,٦٧
غسالـــة	٣٠٠	١٠٠
ثلاجـــة	٣٠٠	١٠٠
سخان مياه	٢٧٠	٩٠
موقد غاز أو كهربائي	٣٠٠	١٠٠

والمطبخ ، ثم بدأ استعمال وسائل الإضاءة التي وجدت في المنطقة في وقت لاحق كالفوانيس والأتاريك التي يستخدم الكيروسين كوقود لها ، ثم بدأت المنطقة في استخدام الكهرباء بواسطة مولدات كانت تستخدمها بعض الأسر . وأخيرا دخلت الكهرباء إلى كل منزل في المنطقة تقريبا . فنلاحظ مثلا أن الأسرة التي كانت تخلد إلى النوم في وقت مبكر وتستيقظ في وقت مبكر لتزاول أعمالها ، بدأت في تغيير مواعيد النوم بحكم وجود أجهزة التلفزيون الذى يمتد إرساله إلى مابعد منتصف الليل ، وكل الأسر المبحوثة يوجد لديها جهاز تليفزيون أو أكثر تشدها برامجه وتؤثر فيها . ولقد كان لوجوده أثره الكبير في تغيير الكثير من العادات على اعتبار أن المشاهد يتأثر بما يرى ويسمع فيه ، فالبرامج الصحية مثلا علّمت الأسرة هناك الكثير من القواعد الصحية ، وبرامج الأطفال أكسبتهم بعض المعارف ، والمسلسلات التلفزيونية أدخلت إلى الأسرة بعض العادات والمفهومات التي كانت لاتعرفها ، كما تأثرت المرأة بكثير من الأدوار التمثيلية التي تشاهدها ، فأصبح بإمكانها أن تبدي وجهة نظرها في كثير من المواقف في الأسرة ، كما اعتبرت أن لها حق إبداء بعض الملاحظات على بعض أنماط السلوك في الأسرة الريفية حتى أنها لم تعد مجرد إمرأة في الدار لا رأى لها ولانفوذ . وزاد من قوة هذا الاتجاه وانشغال أفراد الأسرة انتشار أجهزة الفيديو لدى الأسر هناك بشكل كبير حيث نجد في الجدول رقم (١١) أن عدد الأسر التي يوجد فيها جهاز فيديو أو أكثر تبلغ (٨٠٪) من مجموع الأسر المبحوثة ، والتليفون وسيلة هامة من وسائل الاتصال يربط الناس بالعالم الخارجي ، ويؤثر في كثير من العادات والتقاليد . فالأسرة التي كانت تحرص على زيارة أسر أخرى داخل المنطقة وخارجها في مناسبات مختلفة ، أصبحت تستخدم جهاز الهاتف لينوب عن انتقالها من مكان إلى آخر . وهذا في نظر كبار السن من الريفيين يمثل أيضا ضعفا في العلاقات الاجتماعية . أما وجود الأجهزة الأخرى لدى الأسرة الريفية كالغسالة والثلاجة وسخان المياه والمواقد التي تعمل بالغاز أو الكهرباء ، والتي تبلغ نسبتها (١٠٠٪) بأستثناء سخان المياه الذي بلغت نسبة وجوده في الأسرة الريفية (٩٠٪) ، فقد

أدت إلى تفرغ المرأة لمشاهدة التلفزيون أو الفيديو أو التحدث بالهاتف ، أو تفرغها لزينتها أو اجتماعها بنساء القرية أو زيارة الصديقات ، وهذه أشياء لم تكن تخطر في بال المرأة الريفية التي كانت تزاول مناشط مختلفة تستغرق عليها كل وقتها منذ الصباح وحتى المساء . ولاشك أن منتجات التكنولوجيا الحديثة ساعدت إلى حد كبير ليس في تغيير دور المرأة الريفية فحسب بل في تغيير كامل الأدوار لكامل أفراد الأسرة .

جدول رقم (١٢) توزيع مفردات العينة حسب رأيهم فى حجم الأسرة

الـــــرأي	التكرار	النسبة المئوية
١ - لاأهتم بزيادة أو نقص عدد أفراد الأسرة.	٣٦	١٢
٢ - العدد الأقل أفضل .	٢٢٠	٧٣,٣٣
٣ - أفضّل زيادة العدد ليشمل أكثر من جيلين.	٤٤	١٤,٦٧
المجمـــوع	٣٠٠	٪١٠٠

وأخيرا ، فإن الجدول رقم (١٢) يوضح اتجاهات مفردات العينة حسب رأيهم في عدد أفراد الأسرة ، سواء كان عدد الاطفال بها أو العدد الكلي الذي يشمل الإخوة والأخوات والزوجات والأبناء وغيرهم . بصرف النظر عن رب الأسرة كونه الزوج أو الجد . وكذا عن عدد الأبناء بالزيادة أو النقص . فالسؤال الخاص بحجم الأسرة قصدنا به معرفة اتجاه أرباب الأسر هناك نحو حجمها دون أن تكون هناك علاقة بالفعل بين الحجم الحقيقي لأسرة المبحوث وبين الإجابة على هذا السؤال . ونجد أن نسبة (١٢٪) من مجموع العينة لم يفكروا مطلقا في زيادة عدد أفراد الأسرة أو قلته ، وهذا يعني عدم اهتمامهم بالزيادة أو النقص . بينما تكشف لنا النسبة الثانية عن رأى مجموعة كبيرة تبلغ ٧٣,٣٣٪ من المجموع الكلي للعينة ، وهو أنهم يفضلون العدد الأقل بحيث تقتصر الأسرة على الروجين والأبناء ، لاعتبارات وظروف مختلفة . فإذا ماعدنا إلى بيانات الجدول رقم (٧) وجدنا أن توزيع مفردات العينة حسب نوع الأسرة بلغت أعلى نسبة فيه (٥٦,٣٣٪) وهى الأسر التي تضم الزوجين والأبناء فقط . في حين أن نسبة الذين يفضلون نوع الأسرة الواردة في الجدول المذكور بلغت (٧٣,٣٣٪) بزيادة قدرها (١٧٪) . وهذا يعني أن بعض ذوي الأسر الكبيرة الحجم غير راضين عن هذا الوضع ، وقبلوه كأمر واقع . وإذاً فالأسرة هناك تميل نحو النمط الحديث من حيث الواقع وليس من حيث الرغبة لدى مفردات العينة . أما النسبة الثالثة وهى الخاصة بالذين يفضلون زيادة العدد في الأسرة فتبلغ (١٤,٦٧٪) وهذه النسبة تمثل الاتجاه التقليدي لحجم الأسرة وهى التي تفضل زيادة عدد أفراد الأسرة ليشتمل على أكثر من جيلين . ومن خلال البيانات الواردة في الجدول

رقم (١٢) نلمس اتجاه مفردات العينة نحو الأسرة الحديثة على الرغم من الواقع الذي تعيشه .

وبعد أن عرضنا لعدد من ملامح تغير الأدوار في الأسرة الريفية من خلال معلومات الجداول السابقة ، يحسن أن نقدم خلال الصفحات اللاحقة بعض القضايا والأفكار عن المرأة في منطقة الخليج في إسهامها في برامج التنمية بصفة عامة . وقد أشار عدد من الباحثين إلى تطابق في وضع المرأة في منطقة الخليج نظرا لتماثل الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية في كل بلدان الخليج ، ومن خلال قراءة لعدد من تلك الدراسات نلاحظ أنها تدور حول محورين أساسيين ، أولهما : عملية التحديث التي عاشتها منطقة الخليج في الآونة الاخيرة وما واكبها من تغيرات في مجالات مختلفة ، الأمر الذي أدى إلى تغير كبير في أدوار المرأة وبالتالي في مركزها في الأسرة . وثانيهما يدور حول التوازن الذي يجب أن تكون عليه المرأة ، فمع الأخذ بمبدأ التحديث . إلا أنه ينبغي ألاّ يعني ذلك خروج المرأة من تعاليم الدين أو تمردها على العادات والتقاليد ، بمعنى أنه لابد أن تكون هناك مواءمة بين متطلبات التحديث والمحافظة على القيم[٣٥] .

ويمكن أن نستخلص من تلك الدراسات رؤية شاملة لوضع المرأة في منطقة الخليج فهذه الدراسات توفر لنا قاعدة يمكن الاستناد إليها عند محاولة تفهم أوضاع المرأة الخليجية الاجتماعية والاقتصادية والأدوار التي تقوم بها على كل المستويات . وقد ربطت تلك الدراسات في مجملها بين وضع الرجل ووضع المرأة في المنطقة . كما قدمت وصفا لنشاط المرأة في الخليج في الزمن الماضي بحسب البناء الطبقي الذي تنتمي إليه ، إذ نجد أنها حددت ذلك بطبقات ثلاث . الأولى طبقة صائدي السمك ومايلحق به من صناعة السفن التقليدية والمشتغلين في البحر بصفة عامة ، وقد اعتبر أولئك من أفقر الطبقات في منطقة الخليج ، وكانت المرأة تشارك زوجها متاعب الحياة في محاولة لزيادة الدخل . أما المرأة الريفية فقد صنفت في الطبقة الثانية ، فلقد كانت المرأة إضافة إلى أعبائها المنزلية تساهم بفعالية في النشاط الزراعي فتقوم بحرث الأرض وري المزارع والحصاد وتربية الحيوانات ، كما كانت تبيع المحصول الزراعي في الأسواق . إضافة إلى قيامها ببعض المصنوعات التقليدية كالسلال والملابس الصوفية وآنية الفخار وغيرها مما كانت تحتاجه الأسرة الريفية في حياتها اليومية . والطبقة الثالثة هى طبقة التجار والأثرياء وذوي المكانة . وكانت المرأة في هذه الطبقة لاتقوم بدور يذكر ، بل كانت تحجب عن الأنظار حفاظا على مكانة الأسرة . . وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد اكتشاف البترول في منطقة الخليج عاشت المنطقة تغيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة ، مما أدى إلى تغير كبير في دور المرأة ومركزها في الأسرة . وقد أدى ذلك إلى مشاركة المرأة للرجل في التعليم ثم العمل . فبعد أن التحقت المرأة بالمدارس والمعاهد والجامعات التحقت بعد تخرجها بوظائف مختلفة كالطب والتدريس والتمريض وبعض أعمال أخرى تتناسب مع طبيعتها ومع وضعها الديني والاجتماعي . وبطبيعة الحال فقد استفادت الطبقات المختلفة من فرص التعليم المتاحة

وفرص العمل أيضا . وكان لذلك أثره على تخلي المرأة عن كثير من المناشط الاقتصادية التقليدية التي كانت تقوم بها . . ونتيجة لذلك فإن المرأة في منطقة الخليج تساهم بجهد فعال في عملية التنمية والتحديث التي تعيشها المنطقة ، ولايعني تخليها عن نشاطها التقليدي انعدام دورها . بل تحول هذا الجهد إلى مجالات أخرى تتطلبها الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة . . ولما كانت التنمية تعني تحقيق التغيرات الشاملة في البناء الاقتصادي والاجتماعي كي ينتقل المجتمع من مجتمع تقليدي إلى مجتمع متقدم اجتماعيا واقتصاديا ، عن طريق خلق المناخ الفكري والنفسي والذي يؤهل الناس إلى تقبل الجديد في حياتهم . لذلك بدأت المجتمعات العربية بصفة عامة بتعليم المرأة وتأهيلها لتسهم بفعالية في عملية التنمية . ذلك أن المرأة عنصر بشري له أهميته في نجاح خطط التنمية ، بل إن العنصر البشري هو هدف التنمية وأدائها في نفس الوقت[٣٦] . وعملية التنمية الناجحة تلك التي ترتبط بالرجل والمرأة وبدور كل منهما . من خلال تنظيم اجتماعي يستطيع توظيف كل الطاقات البشرية من الجنسين . وفي المجتمع العربي السعودي نجد أن خطط التنمية وضعت في الاعتبار ماأشرنا إليه . بحيث اعتبرت الرجل والمرأة هدفا لها . فعن طريق التعليم اتسع مجال مشاركة المرأة في كثير من المناشط الاقتصادية والاجتماعية ، فعن طريق عملها في مجالات مختلفة كالطب والتمريض والتدريس وغيرها من الوظائف الأخرى ، إضافة إلى إسهامها الملحوظ في مجال الرعاية الاجتماعية . إما عن طريق المؤسسات التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، أو إسهامها في المجال الاجتماعي عن طريق الجمعيات النسوية الخيرية ، استطاعت أن تحقق لها دورا بارزا في المجتمع ، كما أسهمت في تنمية الموارد الاقتصادية لأسرتها . فلم يعد دور المرأة في منزلها فقط بل تجاوز ذلك إلى إسهامها في تنمية المجتمع إضافة إلى حفاظها على دورها في المنزل . والمرأة الريفية في المجتمع العربي السعودي التي كانت تقوم بكامل وظائفها في الأسرة إضافة إلى الدور الكبير الذي تلعبه في النشاط الاقتصادي ، كقيامها بأعمال الزراعة بمختلف أشكالها . وإنتاج بعض الصناعات التقليدية كالصوف وآنية الفخار ودباغة الجلود ، إضافة إلى رعي وتربية الحيوانات . تغيرت أدوارها في ظل الظروف الاقتصادية الجديدة ، فكما رأينا في تحليل الجداول تحول المرأة الريفية عن الأنماط التقليدية إلى أنماط جديدة . لكن ذلك لايعني اضمحلال دور المرأة ، بل يعني تحوله من موقع إلى آخر .

التعليقـــات

(١) السيد محمد الحسيني ، القرية في الدول النامية – تحليل نقدي بنائي لبعض اتجاهات التغير الاجتماعي ، في : السيد الحسيني وآخرون . **دراسات في التنمية الاجتماعية** ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧) ، ٣٨٧ .

(٢) محمد عاطف غيث ، **التغير الاجتماعي والتخطيط** ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٨) ، ١٧ .

(٣) محي الدين صابر ، **التغير الحضاري وتنمية المجتمع** ، (سرس الليان ، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي ، ١٩٦٢) ، ٧٣ .

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر : صلاح عبد المتعال ، **التغير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية** (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٠) ، ٥٨ ومابعدها . وكذا ، محمد فؤاد حجازي ، **التغير الاجتماعي** (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٨) ، ١٣١ ومابعدها .

(٥) أحمد الخشاب ، **التغير الاجتماعي ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية** ، (القاهرة : ١٩٧٠) ، ٦٢ .

(٦) محمد عاطف غيث ، **علم الاجتماع النظم والتغيرات والمشاكل** ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠) ، ٧١ .

(٧) محمد عاطف غيث ، **قاموس علم الاجتماع** (الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩) ، ٤١٤ – ٤١٦ .

(٨) سمير نعيم ، **النظرية في علم الاجتماع** ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩) ، ١١٩ .

(٩) **Ian. Robertson**, Sociology, (New York, Worth Publishers 1977), 556.

(١٠) محمد عاطف غيث ، **قاموس علم الاجتماع** ، مرجع سابق ، ٧٨ .

(١١) حامد زهران ، **علم النفس الاجتماعي** ، (القاهرة ، دار العالم العربي ، ١٩٧٧) ، ١٣٧ .

(١٢) محمد علي محمد ، **تاريخ علم الاجتماع ، الاتجاهات المعاصرة** ، ط ٢ (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٧) ، ٤٤٥ .

(١٣) محمد فؤاد حجازي ، **البناء الاجتماعي** ، ط ٢ (القاهرة : دار غريب ، ١٩٧٩) ، ٧٨ .

(١٤) حامد زهران ، **علم النفس الاجتماعي** ، مرجع سابق ، ١٤٠ – ١٤٣ .

(١٥) محمد الجوهري ، **المدخل لعلم الاجتماع** ، (القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤) ، ٤٩ .

(١٦) محمد عاطف غيث ، **علم الاجتماع ، نظريات وتطبيقات** ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥) ، ١٠٢ .

(١٧) محمد عاطف غيث ، **قاموس علم الاجتماع** ، مرجع سابق ، ١٧٧ .

(١٨) عبد الله الرشدان ، **علم الاجتماع التربوي** ، (عمان : دار عمان للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤) ، ١٣٠ .

(١٩) غنيمة يوسف المهيني ، **الأسرة والبناء الاجتماعي في المجتمع الكويتي** ، (الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٩٨٠) ، ١٩ .

(٢٠) زيدان عبد الباقي ، **علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية** (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩) ، ٢١١ .

(٢١) أحمد أبو زيد ، **البناء الاجتماعي «الأنساق»** ط ٣ (الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧) ، ٣١٢ .

(٢٢) عبد الله الخريجي ، **علم الاجتماع المعاصر** ، (القاهرة : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٧) ، ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٢٣) محمد علي قطان ، **الدراسات الاجتماعية في المجتمعات البدوية** (جدة : دار البلاد ، ١٤٠٠هـ) ٦٩ .

(٢٤) محمد عاطف غيث ، **قاموس علم الاجتماع** ، مرجع سابق ، ١٨٠ .

(٢٥) غريب سيد أحمد ، **علم الاجتماع الريفي** ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤) ، ٩ .

(٢٦) المرجع السابق ، ٢١ .

(٢٧) علي فؤاد أحمد ، **علم الاجتماع الريفي** ، (القاهرة : دار الثقافة والعلوم للطباعة والنشر ، ١٩٦٠) ، ٢٩ .

(٢٨) سعيد فالح الغامدي ، **التراث الشعبي في القرية والمدينة** ، (جدة : شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ) ، ١٠٥ .

(٢٩) يلاحظ القارىء في جدول (٣) أن نسبة ١٩٪ من عينة البحث لازالوا يمارسون الزراعة بينما تحول الآخرون إلى مناشط أخرى غير الزراعة . وفي جدول (١٠) نجد أن كامل عينة البحث يملكون أرضا زراعية . وأن هناك أسبابا أخرى دفعتهم إلى ترك النشاط الزراعي . وإذاً فمنطقة الباحة من حيث «المكان» ريفية ١٠٠٪ . ولما كنا نرصد عملية التغير ، فإن النسبة الواردة في جدول (٣) تكشف عن عمق هذا التغير وجدول (١٠) يوضح أسبابه . أما من حيث العلاقات والثقافة في المجتمع الريفي ، فيمكن الرجوع إلى :

(أ) سعيد فالح الغامدي ، **التراث الشعبي في القرية والمدينة** ، مرجع سابق ، ١٣٩ - ٤١٢ .

(ب) سعيد فالح الغامدي ، **البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية ، دراسة انثروبولوجية لقبيلة بني كبير** ، (جدة : دار الشروق ، ١٤٠١هـ) ، ٢٠٩ .

(جـ) أبو بكر أحمد باقادر ، بنية الأسرة العربية ، دراسة تطبيقية على مدينة جدة ، **مجلة كلية الآداب ، المجلد الرابع** ، ١٩٨٤ .

(د) عبد الهادي قريطم وآخرون ، **الأسرة السعودية ، الدور والتغير وأثرهما في اتخاذ القرارات** ، (جدة : دار البلاد ، د . ت) ، ٢٠ .

(٣٠) انظر : سعيد فالح الغامدي ، **التراث الشعبي في القرية والمدينة** ، مرجع سابق ، ١٠٠ وما بعدها .

(٣١) انظر : محمد عاطف غيث ، **الموقف النظري لعلم الاجتماع المعاصر** (الاسكندرية : دار الكتاب الجامعي ، ١٩٧٢) ، ٢ .

(٣٢) انظر في ذلك : **Mohammed M, Raddady,** *Transform Mabion of Agriculture in Saudi Arabia problems and prospects,* ph.D, dissertation, University of Durham. 1977. (Unpublished), 70-71.

(٣٣) ابراهيم الغفيلي ، **اتجاهات التعليم المهني والعمل الفني بين الشباب السعودي** . (جدة : كلية الاقتصاد والإدارة . مركز البحوث ، ١٤٠٤هـ) ، ١٥ .

وانظر أيضا : ليفون مليكان ، جهينة العيسى ، دراسات في المجتمع القطري ، بحث عن «المكانة الاجتماعية لمجموعة المهن المختارة» ، **مجلة العلوم الاجتماعية** (جامعة الكويت ، **العدد الثاني** ، ١٩٨٠) .

(٣٤) للوقوف على دور الفرد في الأسرة الريفية بمنطقة الباحة . انظر سعيد فالح الغامدي ، **البناء القبلي والتحضر** ، مرجع سابق ، ١٥٠ - ١٧٢ ، ٢٤٠ - ٢٤٧ .

(٣٥) انظر : **Al-Rimehi.M.** "The reality of women in the Gulf" A paper presented at the first regional conference on women, in the Arabian Gulf, Kuwit April 21-24, 1975,

F.,A, Shaker, *Modernization in the developing nations, the case of Saudi Arabia, (unpublished)* Ph.D. Dissertation purude University, 1972. (unpublished) , 303

Nagat, Sultan. The Kuwaiti professional women. *Gonference on development in* the Arab World (New York, 1-3 oct, 1976).

Soraya Alturki. *Religion and Social Organization of Elite Families in Urban Saudi Arailia,* Ph.D. disseration. Berkeley University of California, 1972. (unpublished).

United Nation Development, *Interation of women in development in Six Arab Countries: Tunis, Egypt, Sudan, United Arab, Emarats, Irag, Kuwait* (New York, U.N, 1979), 209

(٣٦) عفاف عبد العليم ناصر ، **الحركة النسائية وتأثيرها على الأدوار المتغيرة في المجتمع المصري** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ٤٠٨ . (غير منشورة) .

المراجـــــع

أولا : المراجع العربية

أبو زيد ، أحمد ، **البناء الاجتماعي «الأنساق»** ، ط ٣ ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

أحمد ، على فؤاد ، **علم الاجتماع الريفي** ، القاهرة ، دار الثقافة والعلوم للطباعة والنشر ، ١٩٦٠ م .

أحمد ، غريب سيد ، **علم الاجتماع الريفي** ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤ .

الجوهرى ، محمد ، **المدخل لعلم الاجتماع** . القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ .

حجازي ، محمد فؤاد ، **البناء الاجتماعي** ، ط ٢ ، القاهرة ، دار غريب ، ١٩٧٩ .

حجازي ، محمد فؤاد ، **التغير الاجتماعي** ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٨ .

الحسيني ، السيد محمد ، (القرية في الدول النامية) – تحليل نقدي بنائي لبعض اتجاهات التغير الاجماعي بحث في :

الحسيني ، السيد محمد ، وآخرون . **دراسات في التنمية الاجتماعية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ .

الخشاب ، أحمد ، **التغير الاجتماعي ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ .

الخريجي ، عبد الله ، **علم الاجتماع المعاصر** ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٧ .

الرشدان ، عبد الله ، **علم الاجتماع التربوي** ، عمان ، دار عمان للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ .

زهران ، حامد ، **علم النفس الاجتماعي** ، ط ٤ ، القاهرة ، دار العالم العربي ، ١٩٧٧ .

عبد الباقي ، زيدان ، **علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ .

صابر ، محي الدين ، **التغير الحضاري وتنمية المجتمع** ، سرس الليان ، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي ، ١٩٦٢ .

عبد المتعال ، صلاح ، **التغير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية** ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٠ .

الغامدي ، سعيد فالح ، **التراث الشعبي في القرية والمدينة** ، جدة ، شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ .

الغامدي ، سعيد فالح ، **البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية ، دراسة انثروبولوجية لقبيلة بني كبير** ، جدة ، دارة الشروق ، ١٤٠١هـ .

الغفيلي ، ابراهيم ، **اتجاهات التعليم المهني والعمل الفني بين الشباب السعودى** ، جدة ، كلية الاقتصاد والإدارة ، مركز البحوث ، ١٤٠٤هـ .

غيث ، محمد عاطف ، **علم الاجتماع ، نظريات وتطبيقات** ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .

غيث ، محمد عاطف ، **علم الاجتماع النظم والتغيرات والمشاكل** ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٠ .

غيث محمد عاطف ، **قاموس علم الاجتماع** ، الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .
غيث محمد عاطف ، **التغير الاجتماعي** ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٨ .
غيث محمد عاطف ، **الموقف النظري لعلم الاجتماع المعاصر** ، الاسكندرية ، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٧٢ .
قطان ، محمد علي ، **الدراسات الاجتماعية في المجتمعات البدوية** ، جدة ، دار البلاد ، ١٤٠٠هـ .
محمد ، محمد علي ، **تاريخ علم الاجتماع ، الاتجاهات المعاصرة** ، ط ٢ ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٧ .
مليكان ، ليفون والعيسى ، جهينة ، دراسات في المجتمع القطري . بحث عن : «المكانة الاجتماعية لمجموعة المهن المختارة» . **مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت ، العدد الثاني** ، ١٩٨٠ .
المهيني ، غنيمة يوسف ، **الأسرة والبناء الاجتماعي في المجتمع الكويتي** ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٠ .
ناصر ، عفاف عبد العليم ، **الحركة النسائية وتأثيرها على الأدوار المتغيرة في المجتمع المصري** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، (غير منشورة) .
نعيم ، سمير ، **النظرية في علم الاجتماع** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ .

ثانياً : المراجع الأجنبية

Al-Rimehi, M., "The reality of women in the Gulf". A paper presented at the *First Regional Conference on Women in the Arabian Gulf*, April 21-24, 1975.

James, Henslin M., *Marriage and Family in Changing Society*. New York, The Free Press, a division of Macmillan Co., Inc., 1977.

Robertson, Ian, *Sociology*, New York, Worth Publishers, 1977.

Raddady, Mohammed M., *Transform Mabion of Agriculture in Saudi Arabia: Problems and Prospects*, Ph.D. dissertation, University of Durham, 1977 (unpublished).

Shaker, F.A., Modernization in The Developing Nations, The Case of Saudi Arabia, Ph.D. dissertation, Purdue University, 1972 (unpublished).

Sultan, Nagat, The Kuwaiti Professional Women. *Conference on Development in the Arab World*. New York, 1-3, Oct. 1976.

Al-Turki, Soraya, *Religion and Social Organization of Elite Families in Urban Saudi Arailis*, Ph.D. dissertation. Berkeley University of California, 1972 (unpublished).

United Nation Development Program, *Interaction of Women in Development in Six Arab Countries: Tunis, Egypt, Sudan, United Arab Emirates, Iraq, Kuwait*, New York, U.N., 1979.

The Changing Roles of Rural Family: Anthropological Study in Al-Baha Area

SAEED FALEH AL-GHAMDI
Assistant Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. The Saudi Arabian society has passed, since more than 25 years, with rapid changes in different aspects of social life. To trace such changes, is one of the concerns of scholars in different areas of research. To be sure, the rural sector, as well as the urban and bedwin sectors, has passed changes in different ways of life, especially the changing roles in rural family. Such changes in family roles, of course, will led to the change of the general type of rural life. So the main aim of this study is to trace such change, i.e. family roles, and its impact on the rural way of life.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٢ ، ص ص ٣٣ - ٤٥ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

انتشار المعلومات الاقتصادية عبر الراديو وقنوات الاتصال الشخصى
دراسة تطبيقية على بلدة أضم بالمملكة العربية السعودية

عبد الرزاق صالح العصمانى
أستاذ مساعد - قسم الإعلام - كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز - جدة
المملكة العربية السعودية

استهدفت هذه الدراسة - التي أجريت حول انتشار خبر اقتصادي في بلدة أضم - الإجابة على أربعة أسئلة رئيسة من خلال مقارنة الاتصال الشخصي والاتصال عبر الراديو . فبعد أن أجاب كافة المبحوثين بأنهم سمعوا أخباراً عن أسعار البترول (خلال فترة الدراسة) تم سؤالهم عن المصدر الذي أخذوا عنه تلك المعلومات بشكل مباشر في محاولة للتعرف على الوسيلة الأكثر شيوعاً في تزويد المتلقين بالأخبار . وقد تبين أن ٧٧٪ من المبحوثين سمعوا الخبر عن أسعار البترول من الراديو مباشرة ، في مقابل ١٤٪ سمعوه عن طريق الاتصال الشخصي .

وكان السؤال الثالث حول فهم الخبر واستيعابه ، حيث تبين أن كافة الذين سمعوا الخبر عن طريق الاتصال الشخصي فهموه ، بينما لم يفهمه معظم الذين سمعوه عن طريق الراديو . أما السؤال الرابع فقد كان حول الثقة في المصدر ، حيث أجاب معظم الذين سمعوا الخبر عبر الراديو بأنهم لايثقون في المصدر ، بينما معظم الذين سمعوه عن طريق الاتصال الشخصي يثقون في مصادرهم .

وهكذا تعطي هذه الدراسة مؤشرات على أن الراديو هو أكثر الوسائل شيوعاً من حيث الانتشار ، إلا أن الاستيعاب للخبر وكذلك الثقة في المصدر يرتبطان أكثر بالاتصال الشخصي .

ويبدو أن الحاجة لازالت ملحة لدراسة العلاقة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة وطريقة انتشار الخبر ، كما أن الثقة في المصدر من القضايا الهامة التي تستلزم مزيداً من البحث ، خاصة إذا أريد للراديو كوسيلة اتصال جماهيري - أن تلعب دوراً في التعليم أو التثقيف أو التنمية .

مقدمـــــة

تصدى كثير من الباحثين في الدراسات الإعلامية لقضية انتشار المعلومات بين جمهور المتلقين ، وهل تعتبر وسائل الاتصال التقليدية المعروفة كالصحافة والراديو والتليفزيون أفضل الوسائل الناقلة للمعلومات ، أم أن قنوات الاتصال الشخصي تلعب دوراً أهم من دور وسائل الاتصال الجماهيري . وقد تأثرت معظم الدراسات التى أجريت حول هذه القضية ، سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية أو خارجها ، بما يعرف بنظرية انتشار المعلومات diffusion theory ، التي كان من أبرز روادها الباحث الاجتماعي إيڤريت روجرز Everett Rogers وزميله شوميكر Shomaker ١٩٧١ .

لقد أكد روجرز وزميله ، ومعهما عدد آخر من الباحثين ، على أهمية قادة الرأي opinion leaders كوسطاء بين وسائل الاتصال الجماهيري وبين المتلقين من عامة الجماهير ، فأكدوا على أن المعلومات تنتقل من وسائل الاتصال الجماهيري إلى هؤلاء القادة الذين يقومون بدورهم بتمرير تلك المعلومات إلى العامة ، ممن هم أقل حظاً في التعرض لهذه المعلومات مباشرة من وسائل الاتصال الجماهيري . ويبدو أن القضية في الستينيات وبداية السبعينيات كانت تتركز حول محور واحد ، وهو أن وسائل الاتصال المعروفة إما أنها لاتصل إلى كافة الجماهير ممن لايستطيعون اقتناء أجهزة الراديو والتليفزيون ، أو أنها ؛ حتى إذا وصلت ، ليس في مقدورها إحداث التأثير المرغوب فيه ، كما تستطيع أن تفعل ذلك قنوات الاتصال الشخصي interpersonal communication channels في حالات معينة .

لكن المسار البحثي اتخذ بُعداً آخر ربما لايتفق تماماً مع مفهوم روجرز وأمثاله من الباحثين ، فبينما كان روجرز وشوميكر يركزان على انتشار المعلومات المتعلقة بالمخترعات أو الأفكار الحديثة diffusion of innovation وخاصة بين جمهور الفلاحين ، حيث أكدا أن أوائل المتبنين لمخترع ما أو لفكرة معينة هم قادة الرأي الذين يتأثر بهم الباقون فيسيرون على منوالهم(١) ، نجد أن فريقاً آخر من الباحثين يستخدم نظرية «انتشار المعلومات عن المخترعات» ، كإطار نظري لدراسات تهتم بالمعلومات (أو الأخبار بصورة خاصة) ، التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري . وذلك مسار بحثي قد يكون له مايبرره على اعتبار أن المعلومات هي المعلومات مهما كانت . ورغم أن أهميتها قد تتفاوت بين نوع وآخر ، إلا أن هذا التفاوت قد يلعب دوراً في الطريقة التي يحصل بها الفرد على هذه المعلومات ، إما عن طريق الوسائل مباشرة ، أو عن طريق الاتصال الشخصي ، ولكن الخطأ الذي وقع فيه بعض الباحثين هو تأثرهم بالنتائج التي تمخضت عنها دراسات روجرز وشوميكر عن انتشار المخترعات ودور قادة الرأي وتعميمها ، لدرجة أنهم يتعاملون مع الفرد المتلقي للأخبار العادية والعامة التي تنقلها وسائل الاتصال ، بنفس الطريقة التي يتعاملون بها مع الفلاح عندما يتبنى نوعاً جديداً من البذور أو الآلات الزراعية ، مع أن الفرق بين الاثنين واضح ، فالمزارع يتردد كثيراً قبل

استخدام نوع جديد من البذور ، حتى يرى أن هناك من سبقه في هذا . وهنا يظهر بوضوح دور قادة الرأي في تعميم الفكرة ، أما المعلومات أو الأخبار ، فليس هناك مايجعل المتلقي يتردد في سماعها حتى يفعل ذلك غيره . ومن هنا ، كانت الحاجة ماسة إلى التركيز على أبحاث تهتم بصورة مباشرة بالمعلومات العامة ، التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري ، بطريقة لاتستدعي بالضرورة وجود عنصر غير عادي من المعلومات ، كسبب لانتشارها رأسياً أو أفقياً ، كما أن هذا التركيز يأخذ أهمية أخرى تتمثل في توسيع قاعدة الاسئلة البحثية ، فبدلاً من أن يكون الاهتمام منصباً على كيفية انتقال المعلومات العادية أو الأخبار فقط – يمكن إضافة أبعاد جديدة ، تتعلق بمدى قدرة المتلقي على استيعاب الأخبار ، ومدى الثقة في مصادرها ، وعلاقة كل هذه الأمور بنوع الوسيلة الناقلة (وسيلة اتصال جماهيرية أم شخصية) .

تحديد المشكلة

مكان الدراسة هو بلدة أضم الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة جدة ، وعلى بعد ثلاثمائة وثمانين كيلو مترا منها .

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى انتشار خبر اقتصادي عن أسعار البترول ، وذلك عبر وسائل الاتصال الجماهيري والشخصي ، فقد أذيع في الحادي والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٦ ، أن دول منظمة الأوبيك اتفقت على تخفيض إنتاجها من النفط ضمن حصص محددة ، وقد وُقّع الاتفاق في العشرين من ديسمبر ، وبعد ذلك مباشرة أذاعت محطات الراديو في المملكة العربية السعودية ، نبأ ارتفاع أسعار البترول بواقع خمسة وعشرين سنتاً للبرميل ، ليصل إلى ستة عشر دولارًا للبرميل الواحد ، بعد أن مرت أسعار النفط بفترة طويلة من الركود .

وقد انحصرت الدراسة في البحث عن إجابات للأسئلة الثلاث التالية :

١ – عندما يذاع الخبر (العادي) عن طريق الراديو ، مامدى انتشاره عبر هذه الوسيلة ، مقارنةً بقنوات الاتصال الشخصي ؟ وبالتحديد هل أكثرية المتلقين يستمعون لهذا الخبر مباشرة من الراديو ، باعتبار أنه أصبح وسيلة اتصال جماهيرية حتى في المجتمعات القروية أم عبر الاتصال الشخصي ؟ لأن مجتمع القرية المترابط يسمح بهذا النوع من الاتصال بشكل أكثر بروزاً ؟

٢ – هل يستوعب المستمع الخبر المذاع من الراديو مباشرة بصورة أفضل ، أم أنه يستوعبه أكثر عندما يسمعه من شخص آخر ؟

٣ – مامدى الثقة في مصدر الخبر عندما يكون ذلك المصدر وسيلة اتصال جماهيرية – أو إحدى قنوات الاتصال الشخصي ؟

الدراسات المشابهة

قام عدد من الباحثين بدراسة انتشار المعلومات ، عن طريق الأخبار التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري ، غير أن اهتمامهم كان منحصراً في دراسة الأخبار ، إما في صورتها المفرحة أو في صورتها المفزعة ، معتقدين أن هاتين الصورتين المتناقضتين هما أكثر الصور مقدرة في تنشيط نظام الاتصال الشخصي . ففي دراسة قام بها أدوين هارولدسن Edwin Haroldson و كينيث هارفي Haroldson & Harvey (١٩٧٩) ، حول انتشار الأخبار المفرحة ، وَجَدا أن أكثر من ٥٠٪ من المبحوثين علموا بموافقة إحدى الكنائس على تعيين قسيس أسود من مصادر شخصية ، غير أن هذا دفع بهم إلى اللجوء إلى وسائل الاتصال الجماهيري لتأكيد هذه المعلومات .[٢]

أما جانتر Gantr وزملاؤه (١٩٨٦) فقد كانوا مهتمين بكيفية انتقال الأخبار السيئة ، حيث وجدوا من خلال دراسة أجروها على ٢٩٣ طالباً من جامعة إنديانا حول اشتعال حريق في منزل راح ضحيته أحد الطلاب ، أن ٨٠٪ من هؤلاء الطلبة علموا بالخبر عن طريق الاتصال الشخصي ، ثم أخذوا يبحثون بعد ذلك عن مزيد من التفصيلات ، عبر وسائل الاتصال الجماهيري ، وفي هذا تأكيد على النتائج التي توصل إليها هارولدسن وهارفي ، كما سبقت الإشارة .

ويظهر من هذه الدراسة ، أن هؤلاء الباحثين كانوا مهتمين أكثر بالدور الذي تضطلع به وسائل الاتصال الجماهيري ، كمصادر مؤكدة أو متممة للمعلومات ، التي تنقل عبر قنوات الاتصال الشخصي ، إضافة إلى تركيزهم على الخبر ذي العلاقة الجغرافية والاجتماعية المباشرة ، بين المتلقي وطبيعة أو مكان الحدث[٣] .

وهاتان الدراستان ، تعتبران تأكيدا لما جاء في دراسة جرينبرج Greenberg (١٩٦٤) ، حيث وجد أن معظم الأشخاص الذين شملتهم الدراسة علموا بالأخبار الهامة عبر الاتصال الشخصي[٤] .

وفي محاولة للمزيد من استقصاء العلاقة بين نوعية الخبر المفزع ومدى انتشاره ، عبر وسائل الاتصال الجماهيري أو الشخصي قامت جَروسي Garrocci (١٩٨٥) بدراسة على ٢٢١ طالباً من طلبة الجامعة ، للتعرف على طريقة انتشار خبر تسمم حبوب الصداع المعروفة باسم **(Tylenol)** عام ١٩٨٢ ، حيث وجدت أن ٧٦٪ من المبحوثين علموا بتسمم الحبوب عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري . ويعزي هذا فيما يبدو ، إلى أن حالة التسمم ظهرت في منطقة أخرى غير منطقة البحث ، مما يدعم العلاقة بين الارتباط المكاني للحدث ، وتبوء النظام الاتصالي الشخصي مكانة أهم في نشر الخبر . لكن هذه الدراسة كدراسة جانتر ، ركزت على شريحة واحدة من المجتمع ، وهي المجتمع الطلابي ، علاوة على اهتمامها بتحديد قنوات الاتصال الشخصي الناقلة للخبر ، سواء كانت متمثلة في أفراد الأسرة أو الزمالة أو الصداقة ، ومتخذة من الخبر المفزع نموذجاً للخبر القابل للنقل ، عبر وسائل الاتصال الشخصي[٥] .

ويرى آدمز Adams وزملاؤه (١٩٦٩) أن الخبر كلما كان بارزاً وقريباً من حياة الأفراد ، كلما كانت فرصته للنقل أكبر عبر قنوات الاتصال الشخصي . وهم في هذا يؤكدون على أن الخبر يجب أن يكون غير عادي ، كشرط لانتشاره عبر هذه القنوات[٦] .

وقد تضمنت بعض الدراسات اللاحقة مؤشرات جديدة ، على أن الأخبار ذات الطابع غير العادي تنتقل بصورة أفضل ، عبر الاتصال الشخصي ، كما أوضحت ذلك دراسة قامت بها روبيكا Robecca وزملاؤها (١٩٨٣) ، حيث وجدوا أن حوالي ٤٧٪ من مبحوثيهم قاموا بإبلاغ نبأ محاولة اغتيال الرئيس ريجان ، وكذلك محاولة اغتيال البابا جون بول الثاني إلى غيرهم بطريقة مباشرة ، مؤكدين مرة أخرى ، على أن طابع الخبر هو الذي يحدد مدى انتشاره السريع عبر الاتصال الشخصي[٧] .

وكان شيفي Chaffee (١٩٨٠) قد وجد قبل ذلك ، أن هناك علاقة بين البحث عن المعلومات من وسائل الإتصال الجماهيري ، وتمرير هذه المعلومات عبر قنوات الاتصال الشخصي ، لايمكن تجاهلها – لكون الأشخاص يميلون إلى استخدام المعلومات التي يتلقونها من وسائل الاتصال الجماهيري ، في التأثير الشخصي أو الاجتماعي ، الذي يكسبهم نوعاً من الاحترام[٨] .

وحول مصداقية الخبر ، وجد هارولدسن وهارفي (١٩٧٩) في دراستهما المشار إليها سلفا – أن الخبر في رحلته عبر قنوات الاتصال الشخصي يفقد الكثير من مصداقيته ، التي تكون في أوجها عندما يذاع الخبر من وسائل الاتصال الجماهيري – مرجحين كفة وسائل الاتصال الجماهيري في المصداقية على الاتصال الشخصي .

ويشير هيجمان Higman (١٩٨٠) إلى أن الدراسات التي أُجريت في الولايات المتحدة ، في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن ، تؤكد على أن غالبية المستمعين ، يصدقون الأخبار التي تصلهم عبر الراديو ، لأن الإذاعة تخضع لمعايير متعلقة بالموضوعية والتي تسنها الحكومة[٩] ، وفي هذا ترجيح آخر لوسائل الاتصال الجماهيري ، عندما يتعلق الأمر بالمصداقية .

وهكذا فإن معظم الدراسات السابقة ، (حتى تلك التي لايتسع المجال لسردها) تركز على جوانب معينة أهمها :

١ – دراسة قطاع واحد من قطاعات المجتمع مثل المجتمع الطلابي .

٢ – دراسة الأخبار في صورتها المفرحة أو المفزعة ، مع إعطاء العلاقة الجغرافية ، أو الارتباط الاجتماعي للخبر جل الاهتمام .

٣ – سرعة انتشار الخبر من الناحية الزمنية ، مع إهمال الجوانب المتعلقة باستيعاب الخبر ، وعلاقة نوع الوسيلة بمصداقية الخبر .

وبناء على هذا ، فإن الدراسة الحالية تحاول توسيع القاعدة الديموجرافية لميدان البحث ، وذلك بإشراك فئات تنتمي إلى قطاعات مختلفة من المجتمع ، مع أن هذا لايعني بالضرورة أن العلاقة بين هذه

القطاعات المختلفة ، وظاهرة الدراسة قد درست دراسة مستفيضة ، لأن هذا ليس هدف البحث الرئيس .

وزيادة على هذا ، فالدراسة الحالية تتصدى لخبر اقتصادي عادي ، غير متطرف من الناحية المفرحة أو المفزعة ، وذلك على عكس ماجرى عليه العرف في دراسة الأخبار ، ذات الطبيعة غير العادية ، كما أنها تحاول التعرف على العلاقة بين نوع الوسيلة والقدرة على استيعاب الخبر ، عبر الاتصال الشخصي أو الجماهيري ، مستهدفة إيضاح بعض الجوانب الناقصة في هذا الميدان ، خاصة في مجتمع قروي كمجتمع الدراسة .

مجتمع البحث

أجريت هذه الدراسة في منطقة أضم الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة جدة . وتتبع هذه المنطقة إمارة الليث من الناحية الإدارية . والمنطقة زراعية يقطنها العديد من القبائل مثل آل معافي ، والعصمان ، وآل حسان ، والأحلاف ، إضافة إلى بعض العناصر من العمالة الوافدة ، والتي تشكل نسبة ضئيلة بين السكان .

ويعتمد اقتصاد البلدة على الزراعة في المقام الأول ، تليها التجارة بعد أن شهدت كغيرها من مناطق المملكة ، حركة اقتصادية ملموسة خلال السنوات العشر الماضية .

ومجتمع بلدة أضم تتوافر فيه العديد من سمات المجتمع التقليدي ، كالترابط الأسري ، والأعراف القبلية ، والتمسك بالعادات ، والقيم الريفية . غير أن هذا المجتمع ، وبفضل التعليم ، شهد مرحلة تحول ملموسة ، بعد أن هاجر العديد من أبناء المنطقة إلى المدن ، للالتحاق بمهن جديدة ، كالانخراط في السلك العسكري ، أو الوظائف الحكومية والمدنية ، أو مزاولة التجارة .

ويوجد بالبلدة مدارس للبنين والبنات ، في مختلف مراحل التعليم ، كما توجد مؤسسات حكومية أخرى ، تقدم خدمات عديدة . ولازالت البلدة تفتقر إلى العديد من الخدمات ، كالكهرباء ، والتليفون ، والإرسال التليفزيوني . كما أن الصحف ، والمجلات لاتصل إلى المنطقة ، إلا مايرسل منها إلى الدوائر الحكومية الرسمية ، وذلك بعد الصدور بعدة أيام .

طريقة البحث

أجريت الدراسة ابتداء من يوم الاثنين ٢٢ ديسمبر ١٩٨٦م ، وعلى مدى خمسة أيام ، انتهت بنهاية السادس والعشرين منه ، وذلك بعد مضي ٤٨ ساعة على إعلان اتفاق جنيف ، حول تخفيض الإنتاج البترولي ، وتناقلت وكالات الأنباء خبراً عن ارتفاع طفيف في أسعار البترول ، كنتيجة لذلك الاتفاق . وقد صممت استمارة استبيان لهذا الغرض ، تحتوي على أسئلة محددة ذات أجوبة مغلقة Close Ended ، واستخدمت في معظم الحالات المقابلات الشخصية ، نظراً لأن البعض أميون ممن لايجيدون القراءة والكتابة .

وقد قام الباحث بتوزيع الاستمارات ، وإجراء المقابلات بمساعدة ثلاثة من طلبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

وقد قُسِّمت بلدة أضم ، التي يبلغ تعدادها حوالي ٤٥٠٠ نسمة ، إلى قرى صغيرة يتراوح سكان كل واحدة ما بين مائتين وثلاثمائة وخمسين نسمة ، وقد رُؤي أن يتم تقسيم كل قرية إلى منازل ، بطريقة العينة المساحية أو الحصصية Cluster Sampling ، حيث تم اختيار عشرة منازل من كل قرية بطريقة عشوائية . ونظراً لضيق إمكانيات البحث ، فقد رؤي استجواب شخصين من كل منزل ، على أن يكونا من حيث العمر أكبر شخصين في المنزل ، وعلى ألا يقل عمر أي شخص مشارك عن ثمانية عشر عاماً ، وعلى هذا فقد بلغ أفراد العينة ٢٤٠ شخصاً من ١٢٠ منزلاً ، وذلك لاعتبارات العادات والتقاليد التي تحكم مجتمعات القرية . فلم يكن بالإمكان استجواب النساء فاقتصر البحث على الرجال فقط ، علاوة على أن أسئلة البحث بطبيعتها هي أكثر ملاءمة للرجال .

وقد امتنع ثلاثة عشر شخصاً عن التعاون ، حيث أجاب ٢٢٧ على الأسئلة ، أي بنسبة استجابة تبلغ ٩٤,٥٨٪ . كما استُبعدت خمس استمارات لوجود بعض التناقض في إجاباتها ، إضافة إلى اثنتين وعشرين استمارة استُبعدت في مرحلة لاحقة ، لعدم اكتمال إجاباتها ، ليبلغ عدد أفراد العينة في شكلها النهائي ٢٠٠ شخص (ن = ٢٠٠) .

ويلاحظ أن بلدة أضم قد تم اختيارها ، نظراً لعدم وجود وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى ، كالتليفزيون أو الصحف ، حيث يمكن حصر مصادر المعلومات قدر الإمكان ، إما عن طريق الراديو أو الاتصال الشخصي .

النتائـــــج

يوضح الجدول التالي توزيع أفراد العينة وفق العمر والمهنة .

توزيع أفراد العينة وفق العمر والمهنة

العمـــــر			المهنـــــة		
الفئـــة	العدد	النسبة	الفئـــة	العدد	النسبة
١٨ إلى أقل من ٣٠	١١٨	٥٩	مـــزارعـــون	١٠	٥
٣٠ إلى أقل من ٥٠	٥٦	٢٨	طـــلاب	٥٦	٢٨
٥٠ فأكثـــــر	٢٦	١٣	موظفـــون	٥٢	٢٦
			تجـــار	٤٤	٢٢
			عسكريـــون	٣٨	١٩

وقد جاءت نتيجة البحث النهائية على النحو التالي :

السؤال الأول

هل سمعت خلال الأيام القليلة الماضية أخباراً عن أسعار البترول ؟

(أ) نعم (ب) لا

كانت الإجابة بنعم من كافة المبحوثين أي بنسبة ١٠٠٪ .

السؤال الثاني

من أي مصدر أخذت معلوماتك عن أسعار البترول بشكل مباشر ؟

(أ) من الناس (اتصال شخصي) .

(ب) من الراديو .

(جـ) من مصادر أخرى .

فجاءت النتيجة كمايلي :

قال ٢٨ شخصاً إنهم سمعوا الخبر من الناس (اتصال شخصي) أي بنسبة قدرها ١٤٪ .

١٥٤ شخصاً سمعوا الخبر مباشرة من الراديو وهؤلاء بنسبة قدرها ٧٧٪ .

١٨ شخصاً سمعوا الخبر من مصادر أخرى ، وهؤلاء يمثلون ٩٪ .

وهكذا فإن الاستجابة للسؤال الثاني توضح تفوق الراديو ، كوسيلة نقل الخبر وفي قدرتها على الانتشار ، واعتماد الناس عليها كمصدر للمعلومات .

السؤال الثالث

هل سمعت أن أسعار البترول ؟

(أ) في ازدياد .

(ب) في نقص .

(جـ) كما هي .

(علما بأن الأخبار عن طريق الراديو كانت تؤكد الزيادة في هذه الأسعار ، وإن كانت طفيفة . ويهدف السؤال إلى التعرف على مدى استيعاب المبحوثين للخبر) .

وقد جاءت الاستجابة كالتالي :

٥٠ شخصاً قالوا إن أسعار البترول في ازدياد ، ويشكل هؤلاء نسبة قدرها ٢٥٪ ، وهؤلاء يمثلون الأشخاص الذين فهموا الخبر فهماً جيدا .

٦٦ شخصاً أفادوا بأن أسعار البترول في نقص ، ونسبة هؤلاء ٣٣٪ .

٨٤ شخصاً قالوا إن الأسعار كما هي ، ويشكل هؤلاء نسبة قدرها ٤٢٪ .

وبتحليل استجابتي السؤالين الثاني والثالث تبين مايلي :

أولا : الاتصال الشخصي

كل الذين تلقوا الخبر عن طريق الاتصال الشخصي ، وعددهم ٢٨ شخصاً ، قالوا إن أسعار البترول في ازدياد ، ويشكل هؤلاء نسبة قدرها ١٠٠٪ .

ثانيا : الراديـــــو

أربعة أشخاص فقط من الذين سمعوا الخبر من الراديو ، وعددهم ١٥٤ شخصاً قالوا إن أسعار البترول في ازدياد ، أي بنسبة : ٢,٦٠٪ (أي أن هؤلاء فقط ، هم الذين فهموا الخبر كما أذيع من الراديو) .

بينما قال ٦٦ شخصاً من المجموع الكلي (١٥٤) إن الأسعار في نقص ، ويشكل هؤلاء نسبة ٤٢,٨٦٪ .

وأخيراً قال ٨٤ شخصاً ممن سمعوا الخبر عن طريق الراديو إن الأسعار كما هي ، ويشكل هؤلاء نسبة ٥٤,٥٤٪ .

من هذه النتائج ، يتضح أن القدرة على استيعاب الخبر أثبتت أنها في كِفَّة قنوات الاتصال الشخصي . ويبدو أن الخبر عن طريق الراديو لم يكن واضحاً بالشكل المطلوب في هذا المجتمع القروي ، إذ قد يكون لاستخدام عبارات مثل «شهدت أسواق البترول انخفاضاً في الإنتاج ، وارتفاعاً طفيفاً في الأسعار» بعض الأثر في إحداث ارتباك ، لدى غالبية المستمعين ، مما نجم عنه عدم فهم الخبر رغم

وصوله ، إذ تدل المؤشرات الموضحة أعلاه ، على أن الاستيعاب الكلي للخبر كان عالياً لدى أولئك الذين سمعوه عن طريق الاتصال الشخصي .

السؤال الرابع

هل تثق في المصدر الذي أخذت منه معلوماتك عن أسعار البترول ؟

(أ) أثق

(ب) لا أثق

حيث جاءت الاستجابة على النحو التالي

أولا : الاتصال الشخصي

٢٣ شخصاً من الذين سمعوا الخبر عن طريق الاتصال الشخصي يثقون في المصدر ، وهؤلاء يمثلون نسبة قدرها ٨٢,١٤٪ ، بينما قال ٥ أشخاص : إنهم لايثقون في المصدر ، ويشكل هؤلاء نسبة قدرها ١٧,٨٦٪ .

ثانيا : الراديـــــو

كانت استجابة ١١٢ شخصاً من المجموع الكلي (١٥٤) أنهم لايثقون في المصدر ، بنسبة قدرها ٧٢,٧٣٪ ، وكانت استجابة ٤٢ شخصاً أنهم يثقون في المصدر (أي الراديو) ، وهؤلاء يمثلون نسبة قدرها ٢٧,٢٧٪ .

ويتبين من الاستجابة للسؤال الرابع ، أن الغالبية العظمى من الذين سمعوا الخبر ، عن طريق الاتصال الشخصي يثقون في المصدر ، كما أن الغالبية العظمى ممن سمعوه عن طريق الراديو لايثقون في المصدر .

وعلى هذا ، فإن هذه المؤشرات تعطي بعض الدلائل ، على وجود علاقة بين القدرة على استيعاب الخبر ونوع الوسيلة الناقلة . ويبدو أنه كلما كانت الوسيلة ، شخصية زادت إمكانية شرح أبعاد الخبر وجوانبه المختلفة ، كما توضح إمكانية وجود خلل ، في الصياغة الإخبارية للخبر المذاع ، عن طريق الراديو ، على الأقل في هذا المجتمع الريفي ، الأمر الذي لم يتح فهمه لدى غالبية المستمعين . ويتبين ، علاوة على هذا ، أن اتجاهاً عاماً نحو الثقة في المصادر الشخصية لايمكن تجاهله ، ويبدو أن لذلك علاقة بطبيعة النظام الاجتماعي ، القائم على العلاقات والروابط الشخصية القوية في هذا المجتمع القروي . كما قد يكون هناك بعض الأسباب التي تجعل هؤلاء لايثقون في الراديو ، كوسيلة اتصال ، وهو مالم تستطع هذه الدراسة أن تحدده .

وإذا كانت هذه الدراسة توضح : أن الاستيعاب الجيد للخبر وكذلك الثقة ، هي من نصيب الاتصال الشخصي ، فإنها لاتستطيع أن تجزم بوجود علاقة طردية بين نوع الوسيلة ، واستيعاب الخبر ،

ومدى الثقة في المصدر ، إذ أن الثقة رصيد متراكم ، لايشكل فيه هذا الخبر إلا جزءاً يسيراً ، كما أنه ليس بالضرورة أن يقال إنه كلما ازداد استيعاب الشخص للخبر كلما وثق في المصدر ، فالخبر كما هو معروف ، قد يكون واضحاً وتظل الثقة فيه مهزوزة في حالات كثيرة .

وهكذا فإن هذه الدراسة ، يمكن أن تخلص إلى النتائج التالية :

١ – الخبر عن طريق الراديو ينتشر أكثر ، على عكس ما أثبتته بعض الدراسات .

٢ – على الأقل في هذه الدراسة ، كانت فرصة استيعاب الخبر وفهمه عن طريق الاتصال الشخصي أكبر .

٣ – الثقة في المصادر الشخصية أكبر ، لأسباب تخرج عن دائرة اهتمام هذه الدراسة .

Endnotes

1. **Marvin Smith,** *Radio, T.V. & Cable* (New York. Holt, Rine Harl & Winston Publisher, 1984), 31.
2. **Edwin O. Haroldson** and **Kenneth Harvey,** The Diffusion of Schocking Goods News, *Journalism Quarterly,* **56**(1979): 771-775.
3. **Walter Gantz, Kathy Karendle** and **Susan Robertson,** Diffusion of approximate News Event, *Journalism Quarterly,* **63**(1986): 282-287.
4. **Bradley S. Greenberg,** Person to Person Communication in the Diffusion of News Events, *Journalism Quarterly,* **41**(1964): 489-494.
5. **Noreen M. Garrocci,** Diffusion of Information about Cyanide-laced Tylenol, *Journalism Quarterly,* **62**(1985): 630-633.
6. **John Adams, James Mullenad** and **Harold Wilson,** Diffusion of more News Event, *Journalism Quarterly,* **46**(1969): 545-555.
7. **Robecca Quarles, Leo W. Jefferes, Carlos Sanchez, Illundain** and **Kurt Neuwirth,** New Diffusion of Assasination Attempt of President Reagan and Pope John Paul II, *Journal of Broadcasting,* **27**(1983): 387-395.
8. **Steven H. Chaffee,** Mass Media and Interpersonal Channels: Competitives, Convergents or Complemently? *in:* **Gary Campert** and **Robert Cathcart,** (eds) Inter Media: *Interpersonal Communication in a Media World,* 2*nd* ed. (New York: Oxford University Press, *1980*) 57-77.
9. **Howard Higman,** The Information Society, *in:* **L. Lewin (ed.),** *Telecommunications: An Interdisciplinary Survey,* (MA., U.S.A., Artech House Inc., 1980), 222.

References

Adams, John *et al.,* Dillusion of More News Events, *Journalism Quarterly,* 46, 1969.

Chaffe, Steven H., Mass Media and Interpersonal Channels: Competitives, Convergents or Complemently, in Cary Compert and Robert Cathcart (eds), Inter Media: *Interpersonal Communication in a Media World, 2nd* ed., New York: Oxford University Press, 1980.

Gantz, Walter, Kathy, Karendle and **Susan, Robertson,** Diffusion of approximate News Events, *Journalism Quarterly,* 41, 1964.

Garrocci, Noreen M., Dillusion of Information about Cyanide-laced Tylenol, *Journalism Quarterly,* 46, 1969.

Greenberg, Bradley, Person to Person Communication in the Diffusion of News Events, *Journalism Quarterly,* 41, 1964.

Haroldson, Edwin and **Harvey, Kenneth,** The Diffusion of Schocking Good News, *Journalism Quarterly,* 56, 1979.

Higman, Howard, *The Information Society in Telecommication: An Interdisciplinary Survey, MA., U.S.A.,* Artech House Inc., 1980.

Quarles, Robecca, Leo W. Jefferes *et al.,* New Diffusion of Assassination Attempt of President Reagan and Pope John Paul II, *Journal of Broadcasting,* 27, 1983.

Smith, Marvin, *Radio, TV & Cable,* New York:, Holt Rine Harl & Winston Publisher, 1984.

Diffusion of Economic News Story Through Radio and Interpersonal Channels: A Study of Adam Region in Saudi Arabia

ABDULRAZAK AL-USMANI
Assistant Professor, Department of Mass Communication and Journalism, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. This study about the diffusion of economic radio news in a Saudi village, was aimed to answer four main questions.

First Respondents (N = 200) were asked if they heard a radio news story about oil prices. All respondents answered yes to the question. Second, they were asked about the source from which they heard the news either through radio or interpersonal channels. 28 respondents, 14% said they heard the news through others, while 154 respondents heard the news directly from radio which manifests the power of radio in terms of popularity as a source of information. Yet when it comes to the question of understanding the news story through radio or interpersonal channels all respondents who heard the news story from other people understood the content of the news, while most of those who heard it from radio did not fully understood the news.

Finally, most respondents who heard the news story from radio said they did not trust radio as a source of information while most of those who heard the news through interpersonal channels said they did trust their sources.

In short, this study shows that in terms of popularity and ability to diffuse news, radio has the lead yet understanding news and trust in the sources seem to be more related to interpersonal channels.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٢ ، ص ص ٤٧ - ٦٩ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

الخواتم الإسلامية فى القرنين الأول والثانى الهجريين

محمد بن فارس الجميل
أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض
المملكة العربية السعودية

هذه المقالة محاولة للنظر في تاريخ الخواتم الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين ، وذلك من خلال استعمال المسلمين لها ، ومحاولة تصنيفها حسب ماتحمله من نقوش ورسوم مع إعطاء تفسير لهذه الرسوم . وقد تم تصنيف الخواتم الإسلامية حسبَ نقوشها وكتاباتها في ثلاث مجموعات :

١ - المجموعة الأولى : الخواتم في أبسط صورها وأشكالها ، حيث يكون الخاتم غالباً حلقة بسيطة من حديد أو فضة مكتوبا على فصه الاسم المجرد لحامله أو كنيته .

٢ - المجموعة الثانية : وتتألف نقوشها عادة من موعظة أو حكمة ، بالإضافة إلى نقش اسم صاحب الخاتم أحياناً .

٣ - المجموعة الثالثة : نقوش هذه المجموعة الأخيرة عبارة عن رسوم لصور آدمية أو حيوانية .

وهذه محاولة متواضعة لإعادة النظر في موضوع الخواتم الإسلامية ، وذلك من حيث تاريخ استعمالها وتصنيفها ، كذلك حسب ماتحمله من نقوش . وفي الوقت نفسه فإن الجهد سينصب على محاولة تفسير بعض هذه النقوش والرسوم الموجودة على تلك الخواتم . في حقيقة الأمر إن هذه الدراسة ليست هى الأولى في هذا المجال ، فقد سبق أن نشرت بعض الأبحاث حول هذا الموضوع . فالسيد حكمت شريف مثلاً كتب مقالة بعنوان : «خواتم الخلفاء»[١] ولكنه في مقالته تلك ، اكتفى بسرد أسماء الخلفاء ونقوش خواتمهم ولم يشر إلى مصادره في هذه الدراسة . كما أهمل أيضاً التعليق على مضمون تلك النقوش ، لذلك فقد جاءت مقالته مقتضبة للغاية .

أما أسامة النقشبندي وحياة الحورى ، فقد تطرقا إلى هذا الموضوع في كتابهما «الأختام الإسلامية في المتحف العراقي»[٢] ، وقد أفردا جزءاً من ذلك الكتاب للحديث عن خواتم الخلفاء

الراشدين والأمويين والعباسيين ، وقد اعتمدا في دراستهما هذه على مقالة حكمت الشريف السابقة الذكر وعلى كتابي «مختصر التاريخ» لابن الكازروني و «عنوان المعارف» للصاحب بن عباد ، ومن مراجعة كتابهما يبدو للقارىء أنهما قد اقحما الدراسة الخاصة بأختام الخلفاء إقحاماً في الكتاب المشار إليه آنفاً ، حيث إن هذه الأختام ليست من موجودات المتحف العراقي ! . وهذه الدراسة أيضاً جاءت كسابقتها خالية من أية محاولة لتفسير ماتعنيه نقوش تلك الخواتم .

على كل حال ، يبدو أننا لانزال بحاجة للكثير من المعلومات قبل أن نؤرخ لموضوع الخواتم الإسلامية وبالذات خواتم الخلفاء .

إن لدينا من الأخبار مايفيد بأن الهيثم بن عدي (ت : ٢٠٧هـ/٨٢٢م) قد كتب كتاباً بعنوان : «خواتيم الخلفاء»[٣] ، وكذلك أن علي بن محمد المدائني (ت : ٢٣٥هـ/٨٥٠م) قد ألف كتاباً ربما يكون في هذا الموضوع وما في حكمه وكان عنوانه : «حلي الخلفاء» ، كما كتب كتاباً بعنوان : «الخاتم والرسل» ويبدو أن هذا الكتاب ، خاص بخاتم رسول الله (ﷺ)[٤] .

وفي الواقع ، فإن المعرفة في هذا الموضوع ستظل قاصرة مالم يطلع المرء على تلك الكتب المار ذكرها . لذلك فإن هذه الدراسة ماهي إلا خطوة على الطريق لإلقاء الضوء على ماتيسر جمعه من معلومات شحيحة بهذا الموضوع .

ويجدر بنا قبل الشروع في الحديث عن الخواتم الإسلامية أن نقدم للقارىء معنى كلمة خاتم ، فقد جاء عند ابن منظور (ت : ٧١١هـ/١٣١١م) أن «الخاتم : مايوضع على الطينة ، وهو اسم مثل العالم ، والختام : الطين الذي يختم به على الكتاب . . . والختم والخاتم والخاتام والختيام : من الحلي كأنه أول وهلة ختم به فدخل بذلك في باب الطابع كثر استعماله لذلك وإن أعير الخاتم لغير الطبع ، والجمع خواتم وخواتيم»[٥] .

كما وأن الفيروز آبادي (ت : ٨١٧هـ/١٤١٤م) قد أورد ماهو قريب من التعريف السابق فهو يقول : «الخاتم : مايوضع على الطينة ، وحلي للأصبع كالخاتم والخاتام والختيام و (الختيام) ، والختم ، محركة والخايتام ، والجمع خواتم وخواتيم»[٦] .

وهكذا يتبين للقارىء كثرة اللغات التي جاءت في الخاتم ، لذلك فستكون الإشارة إليه في هذا البحث بـ «الخاتم» في حالة الإفراد ، و «خواتم وخواتيم» في حالة الجمع ، وذلك تجنباً للغموض أو الاختلاف . على كل حال ، يمكن تصنيف الخواتم الإسلامية حسب موضوعاتها ، «نقوشها» في ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : وتتمثل فيها الخواتم في أبسط صورها وأشكالها ، حيث إن الخاتم غالباً مايكون حلقة من فضة أو حديد مكتوباً على فصه الاسم المجرد لحامله أو كنيته .

المجموعة الثانية : وتختلف في موضوعاتها بعض الشيء عن المجموعة الأولى ، حيث إن هذه

الموضوعات تتألف عادة من موعظة أو حكمة ، علاوة على نقش اسم صاحب الخاتم أحياناً .
المجموعة الثالثة : أما هذه المجموعة فهي في واقع الأمر تختلف تماماً عن المجموعتين الأوليين ، حيث إن نقوشها عبارة عن رسوم لصور آدمية أو حيوانية .

هذه المجموعات الثلاث ستكون موضوع بحثنا الحالي ، حيث نتناولها بالدرس والتحليل ، مع إيراد بعض النماذج لتلك الخواتيم على سبيل المثال لا الحصر . فالهدف هنا هو عرض بعض ماكانت تحتويه خواتم المسلمين من مواضيع سواء كانت كتابات أو صوراً .

قبل البدء في هذه الدراسة ، أود التنويه بأن عرض هذه النماذج من الخواتم سيكون طبقاً لمواضيعها ، وذلك من حيث بساطة الموضوع من عدمه ، ولذلك فإن التسلسل التاريخي في هذا العرض لن يكون ذا بال .

ومادمنا بصدد الحديث عن الخواتم الإسلامية ، فإنه يجب أن نبدأ بالحديث أولاً عن خاتم رسول الله ﷺ .

خاتم رسول الله ﷺ*

لدينا أكثر من رواية حول أصل فكرة اتخاذ الرسول ﷺ للخاتم ، فالرواية الأولى تقول :
إن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتباً فقيل : يارسول الله إن الملوك لايقرؤون كتاباً إلا مختوماً ، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتماً وختم به الكتب(٧) .

أما الرواية الثانية فهي توحي بأن فكرة الخاتم فكرة أجنبية جاءت من الحبشة فقد : «دخل عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة على رسول الله ﷺ ، فقال : ماهذا الخاتم في يدك ياعمرو ؟ قال : هذه حلقة يارسول الله ، قال فما نقشها ؟ قال : محمد رسول الله ، قال : فأخذه رسول الله ﷺ فتختمه»(٨) .

أما الرواية الثالثة ، فهي تجعل أصل الفكرة من اليمن وتقرن ذلك بالصحابي الجليل معاذ بن جبل (رضى الله عنه) الذي بعثه رسول الله ﷺ إليها ، فحين قدومه منها «قدم وفي يده خاتم من ورق (أي فضة) ، نقشه «محمد رسول الله» فقال رسول الله ﷺ : ماهذا الخاتم ؟ قال : يارسول الله إني كنت أكتب إلى الناس فأفرق أن يزاد فيها وينقص منها ، فاتخذت خاتماً أختم به ، قال : ومانقشه ؟ قال : محمد رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : آمن كل شيء من معاذ حتى خاتمه ! ثم أخذه رسول الله ﷺ فتختمه(٩) .

من استعراض هذه الروايات يتضح للقارىء أن أقدم رواية حول استخدام الرسول ﷺ للخاتم تعود إلى السنة السادسة للهجرة ، أي بعد انصرافه من الحديبية ، أما الرواية الثانية والمتعلقة

بعودة عمرو بن سعيد بن العاص من الحبشة ، فترجح أن استخدام النبي للخاتم كان في السنة السابعة للهجرة ، أي عام فتح خيبر(١٠) .

والرواية الثالثة ، يبدو أنها تعود إلى أحداث السنة التاسعة من الهجرة ومابعدها ، حيث إن حِميَرَاً أرسلت وفدها بخبر إسلامها إلى المدينة في هذا العام ، أي بعد انصراف الرسول ﷺ من تبوك . وبناءً على ذلك فقد أرسل معاذاً مع بعض الصحابة إلى اليمن ليشرف على شؤونها ويبصر أهلها بالإسلام(١١) . لكن هذه الرواية المتضمنة خبر توجه معاذ إلى اليمن ، تسكت عن خبر عودته منها ، فما ندري متى عاد بالضبط ، حتى يتمكن المرء من تحديد تاريخ اتخاذ النبي ﷺ للخاتم اليمني ، على كل حال ، فإنه من المشكوك فيه أن يكون النبي ﷺ ، قد اتخذ الخاتم اليمني ، لأن معاذاً لم يعد من اليمن إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ على ماتؤكده أوثق الروايات .

من هذا العرض السريع للروايات المتعلقة باتخاذ رسول الله ﷺ ، للخاتم يتبين للقارىء بأن الرواية الأجدر بالقبول ، هي الرواية الأولى والتي ترجع استخدام الرسول ﷺ للخاتم إلى السنة السادسة من الهجرة ، أي بعد موادعة قريش والتفرغ لتبليغ الدعوة فمناسبة اتخاذ الرسول للخاتم هنا مناسبة تاريخية ، وليست صدفة كما توحي به الروايتان الأخيرتان .

ومما يرجح هذا الرأي ماجاء في صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) رواية عن أنس ابن مالك (رضى الله عنه) : أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم (الروم) ، فقيل له إنهم لايقبلون كتاباً إلا عليه خاتم ، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة ، نقشه «محمد رسول الله . .»(١٢) إلا أنه يبدو من خلال الروايات المجتمعة لدينا أن الرسول ﷺ قد اتخذ أكثر من خاتم واحد في البداية ومن مواد شتى ، فتارة من الذهب وتارة من الفضة ثم من الحديد .

وربما أن أول خاتم اتخذه رسول الله ﷺ كان من ذهب ، فقد جاء عند ابن سعد قوله : «اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب ، فكان يجعل فصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى ، فصنع الناس خواتيمهم من ذهب . . . فنزعه وقال : إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من باطن كفي ، فرمى به وقال : والله لا ألبسه أبداً . ونبذ النبي ﷺ الخاتم ، فنبذ الناس خواتيمهم»(١٣) . كما وأن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من حديد ملوي عليه فضه(١٤) . وأخيراً فقد اتخذ (عليه الصلاة والسلام) ، خاتماً من ورق (فضة) حبشي(١٥) . وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ ، اصطنع خاتماً كله من فضة وقال : لايصنع أحد على صفته(١٦) .

أما فيما يتعلق بما نقش على خاتم النبي ، فقد ورد في رواية واحدة أن نقشه كان «بسم الله محمد رسول الله»(١٧) . أما الروايات الأخرى وهى الأشهر ، فتكاد تجمع على أن النبي الكريم اتخذ خاتماً من فضة نقشه ثلاثة أسطر «محمد رسول الله» ، «محمد» في سطر ، و «رسول» في سطر و «الله» في سطر(١٨) .

وفي هذا الصدد يقول أنس بن مالك (رضى الله عنه) : اصطنع النبي ﷺ خاتماً وقال : إنا اصطنعنا خاتماً ونقشنا فيه نقشاً ، فلا ينقش عليه أحد[١٩] .

من الواضح أن النبي ﷺ قد استقر رأيه أخيراً على خاتم الفضة المنقوش عليه بعبارة «محمد رسول الله» ، وبعد وفاته (عليه الصلاة والسلام) استعمل خاتمه أبو بكر ، الخليفة من بعده ثم عمر ابن الخطاب ثم عثمان بن عفان حيث استمر الخاتم في حوزته حتى سقط منه في بئر أريس[٢٠] .

وهكذا يتبين أن رسول الله ﷺ لم يكن في بادىء الأمر قد استقر على استعمال خاتم بعينه ، فهو مرة من ذهب ومرة من حديد وفضة ، وأخيراً صار وفقاً للروايات التاريخية المشهورة يستعمل خاتم فضة نقش عليه اسمه ، وقد طلب من الناس عدم تقليد نقشه إذ قال : «فلاينقشن أحد على نقشه»[٢١] وهذا النهي يعود إلى خشيته ﷺ من التزوير على لسانه .

على كل حال ، فحين اتخذ الرسول ﷺ الخاتم ، تبعه المسلمون اقتداء . وقد ورد في أحد المصادر مايفيد بأن أقدم ماعرف من خواتم المسلمين (وذلك بالطبع بعد خاتم النبي ، ﷺ) كان خاتم عمرو بن العاص ، فاتح مصر وواليها[٢٢] . ويبدو أن هذا الزعم لايخلو من مبالغة ، حيث إنه سيتبين للقارىء بأنه خلال حياة الرسول ﷺ ، كان عدد من الصحابة قد استعمل الخواتم . وقد وصلت صفة خواتمهم إلينا كخواتم الخلفاء الراشدين مثلاً . وهذا يسلمنا إلى دراسة المجموعة الأولى من الخواتم .

المجموعة الأولى

وهى الخواتم ذات المحتوى العادي ، أي التي نقش عليها اسم حاملها أو كنيته فقط ويتلخص أمرها بالآتي :

لقد ورد في أحد المصادر أن الصحابي الجليل ، عبد الله بن عمر بن الخطاب ، (ت :٧٣هـ/٦٩٢م) كان له خاتم وكان نقش خاتمه باسمه «عبد الله بن عمر»[٢٣] وكذلك كان للتابعي المحدث ، سعيد بن جبير ، (ت : ٩٤هـ/٧١٢م) خاتم ، وكان نقشه باسمه «سعيد ابن جبير»[٢٤] . كما وأن التابعي المشهور ، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت : ١٠١هـ/٧١٩م) كان له خاتم من ورق (فضة) فصه منه ، يلبسه في خنصر يده اليسرى وكان نقشه باسمه «القاسم بن محمد»[٢٥] .

أما الخليفة الأموي ، يزيد بن عبد الملك (ت : ١٠٥هـ/٧٢٣م) فقد جاء نقش خاتمه باسمه مجرداً من الألقاب «يزيد بن عبد الملك»[٢٦] . وهذا أيضاً التابعي الورع سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب (ت : ١٠٦هـ/٧٢٤م) كان يتختم بخاتم من ورق في خنصر يده اليسرى وكان نقشه باسمه «سالم بن عبد الله»[٢٧] .

أما المثال الأخير في هذه المجموعة من نقوش الخواتم ، فهو خاتم مفسر الأحلام المشهور ، محمد بن سيرين (ت : ١١٠هـ/٧٢٨م) فكان يتختم بشماله أيضاً ، وكان خاتمه حلقة من فضة منقوش عليها كنيته «أبو بكر»[٢٨] .

على كل حال ، فإن ماتقدم عرضه لنقوش بعض خواتم المسلمين ليس فيه مايثير فضول القارىء ، حيث إن ما نقش على هذه الخواتم هو مجرد أسم حامليها أو كناهم . ومما لاشك فيه أن هذه المجموعة تمثل النمط الأول البسيط من أنماط الخواتم الإسلامية . لهذا فإن المرء لايتوقع أن يرى في هذا النمط البسيط شيئاً غير مألوف من المعلومات .

المجموعة الثانية

أما المجموعة الثانية من الخواتم التي سنتناول طائفة منها هنا ، فهي في الغالب – أختام الذين مارسوا السلطة من الخلفاء والأمراء ، بالإضافة إلى الإشارة إلى طائفة من أختام صالحي الأمة ، الذين تشترك نقوش خواتيمهم في فحواها مع نقوش خواتيم أصحاب السلطة .

إن هذه الخواتم ، أي خواتم النمط الثاني ، غالباً ماتكون مشفوعة ببعض العبارات الدينية ، المختصرة ، وهي على الأغلب تفصح عن الخضوع لله والتسليم إليه[٢٩] . كما إنها أحياناً أخرى تفصح عن الإيمان المطلق بالله وقدرته والخشية من عقابه .

لقد سبقت الإشارة إلى أن خاتم النبي ﷺ قد استخدم من قبل الخلفاء الراشدين ، وظل في الاستعمال الرسمي حتى منتصف خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، حين سقط منه في بئر اريس . وبالطبع فإن استخدام الخلفاء لخاتم الرسول الكريم لم يمنعهم من اقتناء الخواتم الخاصة بهم واستعمالها في الوقت نفسه . فهذا الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) (ت : ١٣هـ/٦٣٤م) ، قد استخدم إلى جانب خاتم رسول الله ، خاتمه الشخصي ، وكان نقشه «نعم القادر الله»[٣٠] وأبو بكر في هذا النقش يؤكد اعترافه المخلص بقدرة الله سبحانه . وكذلك فإن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) (ت : ٢٣هـ/٦٤٣م) ، كان له خاتم واحد أو ربما أكثر من واحد وكان نقشه «كفى بالموت واعظاً ياعمر»[٣١] ، وقيل كان نقشه «آمنت بالذي خلقني»[٣٢] وكأني بعمر في النقش الأول يزجر نفسه ويخوفها ، بل يعظها بالموت ومابعد الموت ، فكأنه هنا يجعل من نقش خاتمه نذيراً دائم الحضور أمام بصره ليكون باعثاً له على العدل والإنصاف خوفاً من سوء المآل . أما النقش الثاني فيتجلى فيه إيمان عمر المطلق بالخالق العظيم .

أما الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) (ت : ٣٥هـ/٦٥٥م) فيبدو أنه اتخذ أكثر من خاتم ، وهذا واضح من النقوش المتعددة التي تنسب إليه . لقد قيل كان نقش خاتمه «آمنت بالله

مخلصاً»[٣٣]، وقيل إنه كان «آمنت بالله العظيم»[٣٤]، وقيل إنه كان «آمنت بالذي خلق فسوى»[٣٥]. كما قيل إن نقشه كان «لتصبرن أو لتندمن»[٣٦].

إنه ليس من السهل على المرء أن يقبل بهذه الروايات المختلفة لقراءة نقش خاتم واحد، لذلك فليس من المستبعد أبداً أن يكون الخليفة عثمان قد اتخذ أكثر من خاتم.

وعلى كل حال، فإن النقوش الثلاثة الأخرى المنسوبة لعثمان، تكاد تدور حول فكرة واحدة، وهى، الإيمان المخلص بالله الخالق العظيم. أما النقش الرابع والأخير، القائل: «لتصبرن أو لتندمن» فإن على المرء أن يكون على حذر في التسليم بمثل وجود هذا النقش، لأن واضع هذا النص حاول بنجاح الإيحاء للقارىء بأن عثمان، كان يعرف مسبقاً المصير المفجع الذي آل إليه فيما بعد.

إنه من الواضح هنا أن جميع نقوش خواتيم عثمان، تدور حول الإيمان بالله والخوف منه، وبالتالي استشعار المسؤولية، وذلك بتحري العدل والإنصاف في الرعية، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لخليفة راشد مثله.

وأخيراً، فإن لدينا أكثر من رواية عن نقش خاتم خليفة الإسلام الرابع، على بن أبي طالب (رضى الله عنه) (ت: ٤٠هـ/٦٦٠م). فقد أورد ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م) عن أبي إسحاق الشيباني، أنه قرأ نقش خاتم على بن أبي طالب في صلح الشام، فكان «محمد رسول الله»[٣٧]. وفي رواية أخرى عند ابن سعد، كان نقش خاتم على «الله الملك»[٣٨].

أما المسعودي (ت: ٣٤٥هـ/٩٥٦م)، فلم يذكر لعلى سوى خاتم واحد، نقشه «الملك لله»[٣٩]. أما السيوطي، وهو مؤلف متأخر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) فقد ورد عنده بأن خاتم على، كان من ورق وكان نقشه «نعم القادر الله»[٤٠]. كما جاء عنده في رواية أخرى نقش «الملك لله»[٤١]. وجاء في مصدر آخر أن نقش خاتم على كان «الله الملك الحق»[٤٢]، أما الرواية الأخيرة لدينا فتقول، أن نقش خاتم على كان «الملك لله الواحد القهار»[٤٣]، أمام هذا العدد الوافر من الروايات وهذا التشابه في محتوى نقوش الخواتم، فإنه يمكن للمرء أن يفترض بأنه كان لدى الخليفة على أكثر من خاتم. وفي الواقع فإن نقوش أربعة من هذه الخواتم تبين بجلاء نظرة على (رضى الله عنه)، إلى الوجود حيث إنه كله لله والله مالكه.

كما أن فحوى هذه النقوش تعكس في الوقت نفسه نظرة عليّ إلى الحكم والحكومة. أما فيما يتعلق بقراءة النقش الأول «محمد رسول الله» الذي شوهد على ختم على في صلح أهل الشام، فإن الأمر لايخلو من غموض، حيث إنه ليس واضحاً ماالمقصود بأهل الشام؟ هل هم فريق معاوية في معركة صفين أم ممثلوه في دومة الجندل؟ أما نص النقش نفسه فلايعدو كونه جزءاً من الشهادة المطالب بها كل مسلم، وفي الوقت ذاته فإنه تيمن بنقش خاتم رسول الله ﷺ.

أما بخصوص النقش القائل «نعم القادر الله» فلا يستبعد أن يكون لعلي (رضى الله عنه) مثل

هذا النقش ، ولو أنه من المحتمل أن يكون السيوطي قد خلط بينه وبين نقش خاتم أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) .

أما بالنسبة لأختام خلفاء بني أمية فإنها لاتختلف كثيراً عن أختام الخلفاء الراشدين وهذه طائفة منها ، فبالنسبة لمعاوية بن أبي سفيان (رحمه الله) (ت : ٦٠هـ/٦٧٩م) فكان المشهور أن نقش خاتمه : «لكل عمل ثواب»(٤٤) ولعل هذه العبارة تعكس مدى اهتمام معاوية بإدارة الدولة ، حيث ورد أيضا أن معاوية كان يختم رسائله بهذه العبارة(٤٥) . كما جاء في رواية أخرى أن نقش خاتم معاوية : «لاقوة إلا بالله»(٤٦) وهذه العبارة الأخيرة تظهر بالطبع اعتراف معاوية وتسليمه المطلق بالقوة الإلهية .

وهذا الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (ت : ٩٦هـ/٧١٤م) كان نقش خاتمه «ياوليد إنك ميت»(٤٧) وفي قول آخر «إنك ميت ومحاسب»(٤٨) وفي رواية ثالثة «لكل أجل كتاب»(٤٩) . أما الرواية الأخيرة فتقول «ربي لا أشرك به شيئاً»(٥٠) .

من الواضح جداً أن النقوش الثلاثة الأولى هى ذات فكرة واحدة تقريباً ، وهي تذكير الإنسان بمآله الأخير وهو الموت ثم الحساب ، والنقش الرابع يتضمن الإيمان بوحدانية الله ونفي الشرك ، لأن الشرك ظلم عظيم . فيما ترى ماذا كان دور هذه النقوش في حياة ذلك الخليفة ، ومامدى تأثيرها في سياسة الرعية ؟ ! .

أما المثال الأموى الأخير في هذا الموضوع ، فهو يتعلق بالخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) (ت : ١٠١هـ/٧١٩م) ولدينا الكثير من الروايات حول نقوش خاتمه . فقد جاء عند المسعودي ، أن نقش خاتم عمر كان «لكل عمل ثواب»(٥١) . وقيل أنه «عمر يؤمن بالله مخلصاً»(٥٢) ، وورد في مصدر آخر أنه «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله»(٥٣) . أما الصاحب ابن عباد (ت : ٣٨٥هـ/٩٩٥م) فينسب نقشين لخاتم عمر بن عبد العزيز هما : «أغز غزوة تجادل عنك يوم القيامة»(٥٤) ونقش يقول : «الوفاء عزيز»(٥٥) .

بصرف النظر عما إذا كان عمر بن عبد العزيز صاحب كل هذه النقوش أو كان لديه أكثر من خاتم ، إلا أن طول عباراتها يجعل المرء أحياناً يتساءل عن حجم هذه الخواتم ومدى إمكانية استيعابها لمثل هذه العبارات الطويلة(*) . اللهم إلا إذا كان البعض من هذه الخواتم مما لايلبس في اليد بل يحمل في الجيب ، أو يترك في المنزل ، أي بمثابة «ختم» كالأختام الرسمية الحديثة ، حيث لاتستعمل إلا عند الحاجة . وذلك كما هو الحال عند عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي اعتاد أن يترك خاتمه عند زوجته صفية ، فإذا أراد أن يختم أرسل بإحضاره(٥٦) .

أقول إذا كان الحال كذلك ، فالأمر مقبول والتساؤل يبقى لامحل له هنا . أما محتوى نقوش هذه الخواتم المنسوبة لعمر ، فهى بلا شك محاولة ناجحة لإعطاء القارىء صورة تنسجم كل

الانسجام مع ماعرف عنه من ورع وتقى وخوف من الآخرة .

بعد هذا الوصف الوجيز لنقوش خواتم بعض خلفاء الإسلام في القرن الأول الهجرى ، يجب التنويه بأن المصادر التاريخية التي حفظت لنا تلك المعلومات لم تبين بوضوح فيما إذا كان اسم الخليفة يأتي مرافقاً للنقش على الخاتم ، أم أن الخاتم لايحمل سوى النقش الذي اختاره الخليفة ؟ ففي مناسبة واحدة فقط يرد اسم الخليفة عمر بن عبد العزيز مع النقش الذي اختاره وهو «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله»(٥٧) وفي مرة أخرى يأتي الاسم الأول للخليفة مرادفاً للنقش ، وذلك كما هو الحال في خاتم الخليفة الوليد بن عبد الملك ، «ياوليد إنك ميت»(٥٨) . أما بقية الخواتم ، فإن الأمر ليس واضحاً بخصوص اقتران الاسم الشخصي لحاملها بالنقش الذي يختاره .

وهناك طائفة أخرى من نقوش الخواتم المنسوبة لبعض صالحي المسلمين وفقهائهم ، وهي على كل حال مثل النقوش التي عرضت آنفاً وهي تعكس فلسفة حامليها في نظرتهم للحياة الدنيا والآخرة . فهذا أبو عبيدة عامر بن الجراح (رضى الله عنه) (ت : ١٨هـ/٦٣٩م) مثلاً كان نقش خاتمه : «الخمس لله»(٥٩) . ومما لاشك فيه أن هذا النقش مستوحى من الآية الكريمة «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . . .» الآية ٤١/الانفال(٦٠) ولايستغرب على أبي عبيدة نقشه لمثل هذا الشعار الكريم وهو «أمين الأمة» كما وصفه الرسول ﷺ فضلاً عن كونه من قادة الفتوح الذين مرت تحت أيديهم غنائم ضخمة تخضع لحكم التخميس وفقاً للآية الكريمة . وأبو عبيدة هذا ، هو الرجل الذي تمنى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أن يكون لديه بيت ممتلىء رجالاً مثل أبي عبيدة(٦١) . وليس من المستبعد أن يكون أبو عبيدة قد نقش هذا الشعار على خاتمه حين كان أميراً على الشام في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا التابعي الجليل مسروق بن الأجدع (ت : ٦٣هـ/٦٨٣م) كان يتختم وكان نقش خاتمه «بسم الله الرحمن الرحيم»(٦٢) . وهذا النقش لايحتاج إلى تعليق ، ولكن الشيء الذي ليس واضحاً هنا هو ما إذا كان الخاتم يحمل البسملة فقط أم أن اسم مسروق مضاف إليه ؟ ، هذا وهناك حالة مشابهة فقد أورد ابن سعد ضمن رواياته المختلفة عن نقوش خاتم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، الذي سبقت الإشارة إليه أن نقش خاتمه كان «لله»(٦٣) . وهذا النقش لايحتاج إلى مزيد من شرح أو تعليق ، فالمرء ومايملك كله لله عز وجل ، ولكن الشيء الذي ليس واضحاً هو ما إذا كان الخاتم لايحمل سوى لفظ الجلالة أم أن اسم عبد الله بن عمر يأتى مصاحباً للنقش وهو مايفترضه المرء . أما سعيد بن جبير ، الذي سبقت الإشارة إليه في موضع آخر من هذا البحث فيقول : كان نقش خاتمي «عز ربي واقتدر»(٦٤) فقرأه ابن عمر فنهاني عنه فمحوته وكتبت : سعيد بن جبير ، والنقش الأول لخاتم سعيد يكشف عن إيمانه بعزة الله واقتداره ، إلا أن سعيداً لم يبين السبب وراء نهى ابن عمر عن ذلك النقش .

وهذا الصحابي الجليل ، خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك (ت : ٩٢هـ/٧١٠م) يقول

عنه الزهري أنه نقش في خاتمه «محمد رسول الله» فكان إذا دخل الخلاء نزعه(٦٥) . ومن الواضح أن أنساً (رضي الله عنه) قد نقش هذا النقش بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وذلك من باب التبرك وليس بغرض الاستخدام ، حيث إنه يستحيل عليه ذلك ، وهو الذي روى عنه البخاري في صحيحه نهي النبي ﷺ الناس من أن ينقشوا على نقش خاتمه(٦٦) .

أما مفتي الكوفة ، إبراهيم النخعي (ت : ٩٦هـ/٧١٤م) فقد لبس خاتماً من حديد ونقش عليه عبارة : «ذباب لله ونحن له»(٦٧) . وفي الواقع أن هذا النقش يعتبر من النقوش الطريفة في هذا الموضوع ، وليس لدى المرء مايقوله عنه سوى أنه يعكس التواضع الجم ونكران الذات لحامله أمام ربه وأمام الناس . ويبقى السؤال قائماً حول ما إذا كانت هذه العبارة تنقش إلى جانب اسم حامل الخاتم أم أن الخاتم لم يحمل سوى تلك العبارة ؟ . كذلك فإن فقيه الشام ومفتيها ، مكحولاً الشامي ، (ت : ١١٢هـ/٧٣٠م) كان يتختم بخاتم من حديد ، نقشه : «رب باعد مكحولاً من النار»(٦٨) . ومثل هذا الدعاء لايحتاج إلى تعليق .

وأخيراً فإن المحدث الثقة ، عبد الله بن عون بن أرطبان (ت : ١٥١هـ/٧٦٨م) كان له خاتم من فضة ، فصه منه ونقشه «خاتم سليمان»(٦٩) من الواضح أن هذا النقش فيه مافيه من الغموض ، فمن هو سليمان هذا ؟ هل هو نبي الله سليمان بن داود (عليه السلام) ؟ أم سليمان آخر ؟ ! . وإذا كان المقصود هنا هو خاتم سليمان النبي ، فما العلاقة بينه وبين ابن أرطبان ؟ وأخيراً هل جاء هذا النقش مصاحباً لاسم ابن عون على الخاتم أم أنه كان بمفرده ؟ ! .

المجموعة الثالثة

أما النموذج الثالث والأخير من خواتم هذه الدراسة فهو يعرض خواتم ذات نقوش تختلف تماماً عن المألوف ، وأعنى بذلك نقوشاً لكائنات حية ، مثل الحيوانات والطيور . ومما يزيد الأمر صعوبة وطرافة في الوقت نفسه ، هو أن بعض حاملي هذه الأختام هم من أجلاء الصحابة أو كبار التابعين أو من المشتغلين بالقضاء .

قبل عرض مادة هذه الخواتم ، لابد من تقديم لمحة موجزة عن الموقف الإسلامي تجاه الصور ، وذلك طبقاً لما هو موجود في كتب الحديث المعتبرة . لقد ورد في الحديث الشريف أن «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»(٧٠) . وجاء في الحديث كذلك «لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة» وفي رواية أخرى «ولاصورة تماثيل»(٧١) . كما جاء عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أنها قالت : «كان لها ستر فيه تمثال طائر . وكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لي رسول الله ﷺ : حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا»(٧٢) وعن عائشة أيضاً أنها قالت :

«كان في بيتي ثوب فيه تصاوير فجعلته إلى سهوة* في البيت فكان رسول الله ﷺ يصلي إليه ، ثم قال : ياعائشة أخريه عني ، فنزعته فجعلته وسائد»(٧٣) .

وفي مناسبة أخرى تقول عائشة (رضى الله عنها) «قدم رسول الله ، ﷺ من سفر وقد سترت على بابي درنوكا(**) ، فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته»(٧٤) . وتعرض لنا عائشة (رضى الله عنها) موقفاً آخر للنبي ﷺ من الصور ، فتقول : «دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا متسترة بقرام(***) فيه صورة ، فتلون وجهه . ثم تناول الستر فهتكه . ثم قال : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، الذين يشبهون بخلق الله»(٧٥) .

أما ابن الأثير المؤرخ (ت : ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) فقد أورد في حديثه عن أسماء سلاح النبي ﷺ أنه كان له ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه ﷺ ، فأصبح وقد أذهبه الله (٧٦) .

ثم يتصاعد الموقف الإسلامي المتشدد تجاه الصور فيبلغ ذروته في الرواية التالية : « . . . عن سعيد بن المسيب عن على قال : صنعت طعاماً فدعوت النبي ﷺ فجاء فدخل فرأى ستراً فيه تصاوير فخرج ، وقال : «إن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه تصاوير»(٧٧) . وحتى يكون موقف الإسلام واضحاً من هذا الأمر ، فقد دخلت التماثيل ضمن دائرة الصور من حيث الكراهية والنفور ، فقد جاء عن الرسول ﷺ ، قوله : «لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل»(٧٨) وفي حديث آخر «لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل»(٧٩) .

وهكذا فقد توفى النبي ﷺ والموقف من الصور والتماثيل يتأرجح كما تصوره الأحاديث السابقة بين الكراهية والنفور وأحياناً يبلغ الموقف مداه حين يترك النبي ﷺ المكان الذي يحوي شيئاً منها . بل يبلغ الموقف أقصى الشدة بقوله ﷺ بامتناع الملائكة عن دخول المنزل الذي يضم أشياء كهذه .

وفي عصر الخلفاء الراشدين ومع حركة الفتح الإسلامي الظافرة ، وسيطرة المسلمين على أجزاء كبيرة من ممتلكات الامبراطوريتين العريقتين الساسانية والبيزنطية ، انتشرت نقود هاتين الدولتين وشاع استعمالها في الحجاز كما في غيرها من أمصار المسلمين أكثر من ذي قبل . ولكن التاريخ لم يسجل للنبي ﷺ ولا للخلفاء الراشدين أي موقف يذكر تجاه تلك النقود على الرغم مما تحمله من صور آدمية ، بل ظل استعمالها شائعاً مع بعض التعديلات الطفيفة التي تتعلق بإضافة اسم الخليفة المسلم أو ذكر مكان الضرب(٨٠) .

ولدينا رواية تفيد أن معاوية بن أبي سفيان (ت : ٦٠هـ/٦٨٠م) ضرب دنانير عليها «تمثال (رجل) متقلد سيفاً»(٨١) وذكر في أخبار معركة صفين ، أن راية قبيلتي غنى وباهلة كانت بيضاء فيها صورة أسد(٨٢) . كما جاء في مصدر آخر أن راية بني قتيبة بيضاء فيها أسد أسود وعذبة سوداء(٨٣) .

أما في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (ت : ٨٦هـ/٧٠٥م) فقد ذكر العش في حديثه عن النقود العربية البيزنطية مايلي :

«القديم منها شبيه بالنقود البيزنطية من حيث تنفيذ الرسم ، أخذت الصور تتميز نتيجة لتطور هذه النقود ، فبينما كانت تحمل صورة الامبراطور البيزنطي بوضوح ، أضحت تبرز صورة الخليفة المسلم قبل عبد الملك بن مروان ، ثم وضحت صورة عبد الملك على الدنانير بين سنتي ٧٤ و ٧٧هـ غاية الوضوح والتميز عن الصور البيزنطية ، وكذا على فلوسه المضروبة بدمشق وحمص وقنسرين . . . أخيراً عرب عبد الملك بن مروان النقود ، فخلت الدنانير والدراهم من الصورة تماماً ، لكن بعض الفلوس النحاسية ظلت تزدان بصور حيوانية ، ونادراً جداً بصورة إنسان رمزية»[٨٤] . هذا ماكانت عليه الحال بالنسبة للصور عند المسلمين إبان القرن الأول الهجري ، أما في القرن الثاني ، فإن الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) يحدثنا عن قبة إيوان قصر أبي جعفر المنصور ببغداد فيقول :

«يذكرون أن القبة الخضراء كان على رأسها صنم على صورة فارس في يده رمح» . وفي رواية أخرى للخطيب يقول « . . وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس»[٨٥] . كما أن لدينا رواية أخرى تفيد بأن أحد مساجد البصرة الذي اعتاد أن يعقد فيه سيبويه (ت : ١٨٠هـ/٧٩٦م) حلقته في النحو ، كان على منارته تمثال فرس من صفر[٨٦] .

على كل حال ، من الملاحظ أن استخدام الصور خلال القرن الأول الهجري لم يبق محصوراً على النقود والرايات أو القصور ، بل إن الأمر تجاوز ذلك بحيث إن هذه الصور قد نقشت على بعض خواتم المشاهير من أبناء الأمة الاسلامية . وسنعرض هنا طائفة منها :

لقد ورد في أحد المصادر أن أقدم هذه الخواتم هو خاتم عمرو بن العاص والي مصر (ت : ٤٢هـ/٦٦٢م) حيث يظهر على هذا الخاتم نقش لثور قابع وفوق رأسه كتب «عهد الله لمن» وتحت رسم الثور مباشرة «تبعه»[٨٧] أما الصحابي الجليل عمران بن الحصين (ت : ٥٢هـ/٦٧٢م) فقد كان نقش خاتمه «تمثال رجل متقلّد السيف» ويقول إبراهيم بن عطاء راوي هذا الخبر : رأيته في خاتم عندنا في طين في بيتنا ، فقال أبي : هذا خاتم عمران بن الحصين[٨٨] .

أما زياد بن أبي سفيان بن حرب (ت : حوالي ٥٣هـ/٦٧٢م) الذي كان والياً لمعاوية على الكوفة والبصرة ، فقد كان نقش خاتمه طاووسا[٨٩] ولعل مايزيد المرء غرابة ودهشة ، نقش خاتم شريح القاضي ، (ت : حوالي)٨هـ/٦٩٩م) حيث كان النقش ، أسدين بينهما شجرة[٩٠] ، وفي مصدر آخر أسد بين شجرتين[٩١] .

أما أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود الهذلي (ت : ٨١هـ/٧٠٠م) ، فقد جاء عن نقش خاتمه : كان في خاتم أبي عبيدة رأس كركيين او نقش كركيين بين أجبل ورخمه صعداً»[٩٢] .

أما أنس بن مالك بن النضر ، خادم رسول الله ﷺ والذي سبق وأن أشرنا إلى نقش أحد خواتمه ، فقد قيل إن نقش خاتمه «ذئب أو ثعلب»(٩٣) . وفي رواية أخرى أن نقشه أسد رابض(٩٤) . وقد قيل إن نقش خاتم قرة بن شريك الوالي الأموي على مصر (ت : ٩٦هـ/٧١٤م) كان عبارة عن «نقش لذئب»(٩٥) .

وأخيراً ، فقد وصل إلينا وصف لنقش خاتم الضحاك بن مزاحم الهلالي (ت: ١٠٥هـ/٧٢٣م) حيث «كان من فضة فيه فص شبه القوارير ، وكان نقشه صورة طائر»(٩٦) .

في ختام هذا السرد الوجيز لتلك الخواتم ، فإن الأسئلة التي يمكن أن تثار هنا هي : لماذا اتخذت الصور على الخواتم ؟ ! . ثم لماذا صور الحيوانات بالذات ؟ ! .(*) إن التعجب يبلغ بالمرء مداه حين يتذكر الموقف الواضح حيال الصور إبان حياة الرسول ﷺ لكن يبقى احتمال واحد لعله يقود إلى الإجابة على هذه التساؤلات وهو مارواه أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ «لاتستضيئوا بنار المشركين ولاتنقشوا على خواتيمكم عربياً»(٩٧) . فهل ياترى أن هذا النهي بعدم الكتابة على الخواتم قد أدى إلى الاستعاضة عنها بالصور ؟ ! .

على كل حال ، فإن شارح هذا الحديث الذي ورد عند النسائي قد وضح في الحاشية بأن المراد بعبارة «لاتنقشوا على خواتيمكم عربياً» أي لاتنقشوا فيها «محمد رسول ا ﷺ» ، لأن ذلك كان نقش خاتم رسول الله ﷺ(٩٨) .

في الحقيقة أن النهي الذي جاء على لسان النبي ﷺ في مناسبة مشابهة كان أوضح من ذلك بكثير ، فقد ورد عند البخاري مانصه « . . . عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه ، محمد رسول الله ، وقال : إني اتخذت خاتماً من ورق ونقشت فيه محمداً رسول الله ، فلا ينقشن أحد على نقشه»(٩٩) .

وفي تطور آخر نرى أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يتدخل هو بدوره بموضوع الخواتم وينهى عن استعمال الكتابة على الخواتيم ، فقد ورد أنه كتب إلى عماله قائلاً : «لاتجدوا خاتماً فيه نقش عربي إلا كسرتموه» . فوجد في خاتم عتبة بن فرقد«عتبة العامل» فكسر»(١٠٠) . هذه الرواية صريحة كل الصراحة ، وواضحة كل الوضوح حيث بينت أن النقش العربي ليس المقصود به اسم «محمد رسول الله» كما ذهب إلى ذلك شارح سنن النسائي ، ولكن المراد بالنقش هنا الكتابة العربية أيما كانت .

فهل هذا يعني أن الخليفة عمر (رضى الله عنه) قد فهم حديث «لاتنقشوا على خواتيمكم عربياً» فهماً حرفياً ، ولذلك وقف بحزم ضد أية كتابة عربية على الخواتم ؟ إذا كان هذا صحيحاً فما القول في نقوش خواتمه هو والتي أشير إليها في مستهل هذه الدراسة ؟ ! يبدو أن في الأمر لَبساً .

على كل حال ، وردت رواية أخرى عن أنس بن مالك نفسه وتبدو هذه المرة وكأنها محاولة للربط بين نهي عمر بن الخطاب عن الكتابة العربية على الخواتم وبين اتخاذ الصور مواضيع جديدة

للخواتم ، فالرواية تقول «عن أنس بن مالك قال : نهى عمر بن الخطاب أن يكتب في الخواتيم شيىء من العربية ، وكان في خاتم أنس ذئب أو ثعلب»(١٠١) .

وأخيراً هل هذه الرواية تعني أن اتخاذ الصور على الخواتيم هو الاستجابة الطبيعية والانسجام المطلوب مع موقف الخليفة عمر من اتخاذ الكتابة على الخواتم بشكل عام ؟ وإذا كانت الكتابة على الخواتم قد بلغت هذا القدر من الحساسية عند عمر (رضى الله عنه) فما القول في كتابه خاتم رسول الله ﷺ ، بل وما القول فيما جاء من كتابات مختلفة على خواتم خلفاء المسلمين وصلحائهم ؟ ان الامر هنا لايخلو من غموض وتضارب في بعض النصوص ، الأمر الذى يستدعى القيام بدراسة شاملة لهذا الموضوع .

واخيرًا ، كما يلاحظ القارىء فإن هذه الدراسة أظهرت ثلاثة نماذج من الخواتم الإسلامية :

النموذج الأول منها عبارة عن خواتم بسيطة نقش عليها اسم حاملها او كنيته فقط . أما **النموذج الثاني** ، فقد بدأت تظهر فيه إلى جانب الاسم بعض العبارات التي تدل على الإيمان بالله أو الخوف من سوء المآل ، أو ربما لايظهر على الخاتم سوى عبارات ذات دلالة دينية بدون ذكر اسم صاحب الخاتم . أما **النموذج الثالث** ، فقد ظهرت فيه بعض الصور الحيوانية مرسومة على فصوص تلك الخواتم . وقد لوحظت هذه الصور على خواتم بعض الشخصيات البارزة والتي كان لها مكانة خاصة في تاريخ المسلمين .

على كل حال ، إن المرء يأمل من هذه الدراسة المختصرة أن تكون دعوة جادة لفتح باب موضوع التصوير في الإسلام لدراسة أعمق وأشمل لتبيان وجه الحق ، والله الهادي إلى سواء السبيل . .

التعليقـــات

(١) حكمت شريف ، **المقتطف** ، المجلد ٢٨ (القاهرة : مكتبة المقتطف للنشر ، ١٩٠٣م) ١٣٧ - ١٤٠ .

(٢) أسامة ناصر النقشبندي وحياة الحوري ، **الأختام الإسلامية في المتحف العراقي** ، إصدار وزارة الإعلام العراقية (بغداد : دار الحرية ، ١٩٧٤م) ٦١ - ٧١ .

(٣) محمد بن إسحاق النديم ، **الفهرست** (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ) ، ١٤٦ .

(٤) ابن النديم ، **الفهرست** ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، وانظر كذلك ، ياقوت الحموي **معجم الأدباء** (بيروت : دار إحياء التراث العربي) (١٣ - ١٤) ١٣١/١٤ .

(٥) محمد بن مكرم بن منظور ، **لسان العرب** (بيروت : دار صادر ، د . ت) ١٦٣/١٢ - ١٦٤ (مادة ختم) .

(٦) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط** (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ) .
★ أوفى ماكتب في هذا الموضوع هو ماجاء في طبقات ابن سعد ، **الطبقات الكبرى** ، ٤٧٠/١ - ٤٧٨ وقد اعتمدنا عليه كثيرا في هذه الدراسة . كما ورد في صحيح البخاري معلومات قيمة عن خاتم النبي ﷺ وقد أشرنا إليها في هذه الدراسة أيضاً ، انظر : محمد بن إسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** (بيروت : عالم الكتب ، د . ت) ٢٨٤/٧ - ٢٨٩ .
(٧) ابن سعد ، ٤٧١/١
(٨) ابن سعد ، ٤٧٤/١
(٩) ابن سعد ، ٤٧٦/١
(١٠) حول عودة المهاجرين من الحبشة إلى المدينة ، انظر : عبد الملك ابن هشام ، **السيرة النبوية** ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د . ت) ٣/٤ - ١٢)
– انظر يوسف بن عبد الله بن عبد البر في : **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، ترجمة : عمرو بن سعيد ابن العاصي بن أمية ، **بهامش الإصابة في تمييز الصحابة** ، لابن حجر العسقلاني ، جـ ٢ (مصر : مطبعة السعادة ١٩٢٣م) ٤٩٣/٢ - ٤٩٥ .
(١١) حول قدوم وفد حمير إلى المدينة وبعث الرسول ﷺ معاذا إلى اليمن انظر : ابن هشام ، ٢٣٦/٤ - ٢٣٧ ، علما بأنه من المعروف أن معاذا لم يعد من اليمن إلا في خلافة أبي بكر الصديق (رضى الله عنه) انظر **ترجمة معاذ** عند : ابن حجر العسقلاني ، ٤٢٧/٣ ، ابن عبد البر ، ٣٥٥/٣ - ٣٦١ .
(١٢) البخاري ، **صحيح البخاري** ، ٢٨٧/٧ . وانظر كذلك أحمد بن علي بن شعيب النسائي **السنن** ، شرح جلال الدين السيوطي (القاهرة : المطبعة المصرية ، د . ت) ١٧٤/٨ . وانظر ابن سعد ، **الطبقات** ، ٤٧١/١ - ٤٧٥ .
(١٣) ابن سعد ، ٤٧٠/١ - ٤٧١ وانظر البخاري ، ٢٨٥/٧ ، النسائي ، ١٧٤/٨ .
(١٤) ابن سعد ، ٤٧٣/١ - ٤٧٤
(١٥) ابن سعد ، ٤٧٢/١
(١٦) ابن سعد ، ٤٧٤/١
(١٧) ابن سعد ، ٤٧٤/١ - ٤٧٥ ، البخاري ، ٤٨٧/٧ ، وانظر : مسلم بن الحجاج القشيري ، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٥هـ) ، ٢٦٥٦/٣ .
(١٨) ابن سعد ، ٤٧٥/١ ، البخاري ، ٢٨٨/٧ .
(١٩) ابن سعد ، ٤٧٥/١ ، البخاري ، ٢٨٧/٧ .
(٢٠) البخاري ، ٢٨٧/٧ ، وانظر ابن سعد ، ٤٧٦/١ - ٤٧٧ .
(٢١) البخاري ، ٢٨٩/٧ ، وانظر ابن سعد ، ٤٧٥/١ .
(٢٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة «الخاتم» ١٧١/٨ - ١٧٨ .
(٢٣) ابن سعد ، ١٧٥/٤ - ١٧٦ .
– انظر **ترجمة عبد الله بن عمر في** : ابن سعد ، ١٤٢/٤ - ١٨٨ ، ابن حجر العسقلاني ، ٣٤٧/٢ - ٣٥٠ ، ابن عبد البر ، ٣٤١/٢ - ٣٤٦ .

(٢٤) ابن سعد ، ٢٥٨/٦ .
– انظر **ترجمة سعيد بن جبير في** : ابن سعد ، ٢٥٦/٦ – ٢٦٧ ، أحمد بن محمد بن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق احسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٠م) ، ٣٧٢/٢ – ٣٧٤ .

(٢٥) ابن سعد ، ١٩٠/٥
– انظر **ترجمة القاسم بن محمد في** : ابن سعد ، ١٨٧/٥ – ١٩٣ ، ابن خلكان ، ٥٩/٤ – ٦٠ .

(٢٦) على بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني ، **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس** ، تحقيق ، مصطفى جواد ، إصدار وزارة الإعلام العراقية (بغداد : مطبعة الحكومة ، ١٣٩٠هـ) . ٩٩ .
– انظر **ترجمة يزيد بن عبد الملك عند** : على بن الحسين المسعودي التنبيه والإشراف ، (بيروت : مكتبة الهلال ، ١٩٨١م) ٢٩٣ – ٢٩٤ . وانظر ابن الكازروني ، ٩٩ .

(٢٧) ابن سعد ، ١٩٦/٥ .
– انظر **ترجمة سالم بن عبد الله في** : ابن سعد ، ١٩٥/٥ – ٢٠١ ، ابن خلكان ، ٣٤٩/٢ – ٣٥٠ .

(٢٨) ابن سعد ، ٢٠٣/٧ .
– انظر **ترجمة ابن سيرين في** : ابن سعد ، ١٩٣/٧ – ٢٠٦ .
ابن خلكان ، ١٨١/٤ – ١٨٣ .

(٢٩) انظر **دائرة المعارف الإسلامية** ، مادة «الخاتم» ١٧٧/٨ .

(٣٠) ابن سعد ، ٢١١/٣ ، المسعودي ، ٢٦٥ .
– انظر **ترجمة أبي بكر في** : ابن سعد ، ١٨١/٣ – ٢١٣ . حيث إن للخلفاء من الشهرة مايغني عن التعريف بهم فسنحيل القارىء إلى مصدر واحد فقط .

(*) بالنسبة لخواتم الخلفاء ، فإن أفضل مرجع يمكن الرجوع إليه هو المسعودي ، في كتابه **التنبيه والإشراف** ، الذي تحدث فيه بصورة منتظمة عن خواتم الخلفاء الراشدين مروراً بخلفاء بني أمية ثم خلفاء بني العباس حتى أيام الخليفة المستكفي بالله والذي خلع في سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) .
كذلك فإن أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، قد أشار في كتابه : العقد الفريد ، إلى طائفة صالحة من خواتم خلفاء بني العباس .
انظر : **العقد الفريد** ، تحقيق عبد المجيد الترجيني ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ) ٣٦٩/٥ – ٣٨٨ .

(٣١) المسعودي ، ٢٦٧ ، ابن الكازروني ، ٧٠ .

(٣٢) المسعودي ، ٢٦٧ .
– انظر **ترجمة عمر بن الخطاب في** : ابن سعد ، ٢٦٥/٣ – ٣٧٦ .

(٣٣) المسعودي ، ٢٧٠ .

(٣٤) المسعودي ، ٢٧٠ .

(٣٥) ابن الكازروني ، ٧٣ ، وانظر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ (القاهرة : مطبعة الفجالة ، ١٣٨٩هـ) ، ١٦٤ .

(٣٦) المسعودي ، ٢٧٠ .

- انظر **ترجمة عثمان بن عفان في** : ابن سعد ، ٥٣/٣ - ٨٤ .

(٣٧) ابن سعد ، ٣٠/٣ - ٣١ .

(٣٨) ابن سعد ، ٣١/٣ .

(٣٩) المسعودي ، ٢٧٤ .

(٤٠) السيوطي ، ١٨٠ .

(٤١) السيوطي ، ١٨٠ .

(٤٢) ابن الكازروني ، ٧٨ .

(٤٣) انظر أسامة ناصر النقشبندي وحياة الحورى ، **الأختام الإسلامية** ، ٦١ .

(٤٤) ابن الكازروني ، ٧٢ ، السيوطي ، ٢٠٠ .

(٤٥) السيوطي ، ٢٠٠ . انظر **ترجمة معاوية أبي سفيان** ، محمد بن أحمد الذهبي **سير أعلام النبلاء** ، ط ٢ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ) ١١٩/٣ - ١٦٢ . وانظر : ابن حجر العسقلاني ٤٣٣/٣ - ٤٣٤ ، ابن عبد البر ، ٣٩٥/٣ - ٤٠٣ .

(٤٦) المسعودي ، ٢٧٢ .

(٤٧) المسعودي ، ٢٩٠ .

(٤٨) ابن الكازروني ، ٩٢ .

(٤٩) ابن الكازروني ، ٩٣ .

(٥٠) حكمت شريف ، **خواتم الخلفاء** ، ١٣٨ .

- انظر ترجمة الوليد بن يزيد عند الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، ٣٤٧/٤ - ٣٤٨ .

(٥١) المسعودي ، ٢٩٢ .

(٥٢) المسعودي ، ٢٩٢ .

(٥٣) ابن الكازروني ، ٩٦ .

(٥٤) - (٥٥) انظر أسامة النقشبندي وحياة الحوري . **الأختام الإسلامية** ، ٦٣

(*) من قبيل العبارات الطويلة ، ماورد في نقش خاتم عمرو بن العلاء (ت : ١٥٤هـ/٧٧٠م) حيث كان نقشه :

وان امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

انظر : محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي . طبقات النحويين واللغويين ، ط ٢ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٢هـ) ، ٣٨ .

(٥٦) انظر ابن سعد ، ١٧٥/٤ - ١٧٦ .

(٥٧) انظر ابن الكازروني ، ٩٦ .

(٥٨) انظر المسعودي ، ٢٩٠ .

(٥٩) ابن سعد ، ٤١٢/٣ .

(٦٠) ابن سعد ، ٤١٢/٣ .

(٦١) ابن سعد ، ٤١٣/٣ .

– انظر **ترجمة أبي عبيدة عامر بن الجراح** عند : ابن سعد ٤٠٩/٣ – ٤١٥ ، ابن حجر العسقلاني ، ٢٥٢/٢ – ٢٥٤ ، ابن عبد البر ، ٢/٣ – ٤ .

(٦٢) ابن سعد ، ٧٧/٦ .

– انظر **ترجمة مسروق بن الأجدع** عند : ابن سعد ، ٧٦/٦ – ٨٤ ، ابن حجر العسقلاني ، ٤٩٢/٣ – ٤٩٣ .

(٦٣) ابن سعد ، ١٧٦/٤ .

(٦٤) ابن سعد ، ٢٥٨/٦ .

(٦٥) ابن سعد ، ٢٢/٧ – ٢٣ .

(٦٦) انظر البخاري ، ٢٨٩/٧ .

– انظر ترجمة **أنس بن مالك عند** : ابن سعد ١٧/٧ – ٢٦ ، الذهبي ٣٩٥/٣ – ٤٠٦ .
ابن حجر العسقلاني ، ٧١/١ – ٧٢ ، ابن عبد البر ، ٧١/١٢ – ٧٣ .

(٦٧) ابن سعد ، ٢٨٣/٦

انظر **ترجمة إبراهيم النخعي** عند ، ابن سعد ، ٢٧٠/٦ – ٢٨٤ ، الذهبي ، ٥٢٠/٤ – ٥٢٩ .

(٦٨) ابن سعد ، ٤٥٣/٧

انظر **ترجمة مكحول الشامي** عند ابن سعد ، ٤٥٣/٧ – ٤٥٤ ، ابن خلكان ، ٢٨٠/٥ – ٢٨٣

(٦٩) ابن سعد ، ٢٦٧/٧

انظر **ترجمة عبد الله بن عون** عند ابن سعد ، ٢٦١/٧ – ٢٦٨ .

(٧٠) النسائي ، ٢١٤/٨

(٧١) النسائي ، ٢١٢/٨

وانظر مسلم ، ١٦٦٦/٣

(٧٢) مسلم ، ١٦٦٦/٣ وانظر أيضا النسائي ، ٢١٣/٨ .

(*) السهوة : هي ، شبيه بالرف او الطاق يوضع فيه الشيء ، انظر **حاشية سنن النسائي** ، ٢١٣/٨ – ٢١٤ .

(٧٣) النسائي ، ٢١٣/٨ – ٢١٤ .

وانظر مسلم ، ١٦٦٨/٣ .

(**) الدرنوك ، بضم الدال وفتحها هو : ستر له خمل وجمعه درانك .

انظر **حاشية صحيح مسلم** ١٦٦٧/٣ .

(٧٤) مسلم ، ١٦٦٧/٣ ، النسائي ٢١٣/٨ .

(***) القرام : هو ، الستر الرقيق ، انظر **حاشية صحيح مسلم** ، ١٦٦٧/٣ .

(٧٥) مسلم ، ١٦٦٧/٣ .

(٧٦) على بن أبي الكرم بن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، جـ ٢ (بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٢هـ) . ٣١٦/٢ .

(٧٧) النسائي ، ٢١٣/٨ .

(٧٨) النسائي ، ٢١٢/٨ .

(٧٩) مسلم ، ١٦٦٦/٣ .

(٨٠) حول هذا الموضوع انظر : ناصر السيد محمود النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، جـ ١ : **الدرهم المضروب على الطراز الساساني** . (بغداد : مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٣٨٩هـ) ٣٨/١ – ٤٨ .

(٨١) الأب انستانس الكرملي ، **النقود العربية وعلم النميات** (القاهرة : المطبعة العصرية ، ١٩٣٩) ٣٣ .

(٨٢) **أخبار صفين** ، لمؤلف مجهول ، مخطوطة امبروزيانا تحت رقم ، Ambroziana 56a, H 129 ، مكتبة الامبروزيانا ، ميلانو ، إيطاليا .

وانظر كذلك : آدم متز – **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ط ٤ ، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريده . (مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الكتاب العربي – بيروت ١٣٨٧هـ) ٢٥٦/٢ ، حيث يذكر المؤلف نقلا عن أبي المحاسن والشابشتي ، أن ألوية الفاطميين كانت بيضاء وعليها أحيانا أهله من ذهب في كل منها صورة سبع من الديباج الأحمر .

(٨٣) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد ، تحقيق أسامة ناصر النقشبندي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية (بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٣م) ، ٧٥ ، وقارن ١١٢ .

(٨٤) محمد أبو الفرج العش ، **النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني** (قطر : وزارة الاعلام ، ١٤٠٤هـ) ١٢ .

انظر كذلك نجدة خماش ، **الإدارة في العصر الأموى** (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٠هـ) ، ٢٣٩ . حيث أشارت في كتابها المذكور إلى دينار يعود إلى سنة ٧٤هـ ، يمثل على الوجه شخص عبد الملك بن مروان واقفاً متقلداً سيفاً ، ٢٣٩ ، نقلا عن :

Miles, The Earliest Arab Gold Coinage, 1967, .212.

(٨٥) انظر أحمد بن على الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت) ٧٣/١ .

وحول اتخاذ الصور الآدمية والحيوانية في قصور خلفاء بني أمية انظر :

Oleg Graber, *The Formation of Islamic Art.* (New Haven and London, Yale Univ. Press. 2nd. ed. 1977)

انظر اللوحات المرفقة من ص ٢٣٥ ومابعدها .

(٨٦) انظر الزبيدي الاندلسي ، **طبقات النحويين** . . . ، ٦٧ .

– انظر **ترجمة سيبويه** ، **عمرو بن عثمان عند** : ياقوت الحموي : **معجم الأدباء** ، (١٥ – ١٦) ١٦ / ١١٥ – ١٢٧ .

(٨٧) قاسم السامرائي ، **مقدمة في الوثائق الإسلامية** (الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٣هـ) ٣٧ – نقلا عن :

Rainer, *Fuhrer durch die Ausstellung.* Vienna. 1894. Nr 556; Grahman. Arabische

Palaography, 1/113; E.I.2 (end. ed.) art "Khatam".

– انظر ترجمة **عمرو بن العاص** عند : ابن سعد ، ٢٥٤/٤ – ٢٦١ ابن حجر العسقلاني ، ٢/٣ – ٣ ، ابن عبد البر ٥٠٨/٢ – ٥١٥ .

(٨٨) ابن سعد ١٠/٧ ، الذهبي ، ٥١٠/٢

– انظر ترجمة **عمران بن الحصين** عند : ابن سعد ، ٩/٧ – ١٢ .

الذهبي ، ٥٠٨/٢ – ٥٢١ ، ابن حجر العسقلاني ، ٢٦/٣ – ٢٧ ،

ابن عبد البر ، ٢٢/٣ – ٢٣ .

(٨٩) ابن سعد ، ٩٩/٧ .

انظر ترجمة زياد بن أبي سفيان عند : محمد بن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** ، تحقيق إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٣م) ٣١/٢ – ٣٣ .

(٩٠) ابن سعد ، ١٣٩/٦ .

(٩١) محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع ، **أخبار القضاة** (بيروت : عالم الكتب ، د . ت) ٢١٩/٢ .

– انظر ترجمة **شريح القاضي** عند : وكيع ، ١٨٩/٢ ومابعدها ، ابن سعد ، ١٣١/٦ – ١٤٥ ، الذهبي ، ١٠٠/٤ – ١٠٦ .

(٩٢) ابن سعد ، ٢١٠/٦ .

انظر **ترجمة أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود** عند : ابن سعد ، ٢١٠/٦ ، الذهبي ، ٣٦٣/٤ .

(٩٣) ابن سعد ، ١٨/٧ ، الذهبي ، ٤٠٣/٣ .

(٩٤) ابن سعد ، ١٨/٧ ، الذهبي ، ٤٠٣/٣ .

(٩٥) السامرائي ، **مقدمة في الوثائق** . . . (الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٣هـ) ٣٧٠ .

نقلا عن : **Rainer**, *Fuhrer durch die*...etc.

– انظر ترجمة **قرة بن شريك** عند : الذهبي ، ٤٠٩/٤ – ٤١٠ .

(٩٦) ابن سعد ، ٣٠١/٦ .

انظر ترجمة : **الضحاك بن مزاحم** عند : ابن سعد ، ٣٠٠/٦ – ٣٠٢ ، محمد بن أحمد الذهبي ، **ميزان الاعتدال** ، تحقيق : محمد البجاوي ، (مصر : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٢هـ) ٣٢٥/٢ – ٣٢٦ .

(*) بغية العثور على تفسير صحيح أو تقريبي لإتخاذ صور هذه الحيوانات على الخواتم ، فقد رجعت إلى كتاب : **حياة الحيوان الكبرى** ، لكمال الدين محمد الدميري (القاهرة : مطبعة الحلبي وأولاده ، ١٣٧٦هـ) ولم أجد فيه مايشفي الغليل ، حيث إن جميع الصفات التي ذكرها لهذه الحيوانات أو الطيور لم يكن فيها مايبرر اتخاذ صورها نقوشاً على الخواتم بالذات .

انظر مثلا المواد التالية :

– الثعلب ، ٢٢١/١ – ٢٢٨ .

– الذئب ، ٤٥٨/١ – ٤٦٥ .

– الأسد ، ٢/١ – ١٦ .

– الطاووس ، ٥٨٤/١ – ٥٨٨ .

بالإضافة إلى ماذكر أعلاه ، فقد رجعت إلى الجاحظ وبحثت في كتابه المشهور «**الحيوان**» ولم أجد فيه أيضا مايجيب على السؤال الآنف الذكر .

(٩٧) النسائي ، ٨/١٧٦ – ١٧٧ .

(٩٨) النسائي ، ٨/حاشية ، ١٧٧ .

(٩٩) انظر البخاري ، ٧/٢٨٩ .

(١٠٠) ابن سعد ، ٦/٤١ .

(١٠١) ابن سعد ، ٧/١٨ .

وانظر كذلك ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ٣/٢٧٠ .

المراجـــع

ابن الأثير ، عز الدين على ، **الكامل في التاريخ** ، بيروت ، دار بيروت ، ١٤٠٢هـ .

ابن جماعة ، بدر الدين محمد ، **مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد** – تحقيق أسامة ناصر النقشبندي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٣م .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ١٩٧٠م .

ابن سعد ، محمد بن منيع ، **الطبقات الكبرى** ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .

ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، **بهامش الإصابة في تمييز الصحابة** ، لابن حجر ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ .

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، **العقد الفريد** ، تحقيق مفيد قمحية وعبد المجيد الترحيني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤هـ .

ابن الكازروني ، على بن محمد البغدادي ، **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس** ، تحقيق مصطفى جواد ، إصدار وزارة الإعلام العراقية ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

ابن منظور ، محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، بيروت ، دار صادر ، د . ت .

ابن هشام ، عبد الملك ، **سيرة ابن هشام** ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

البخاري ، محمد بن اسماعيل ، **صحيح البخاري** ، بيروت ، عالم الكتب ، د . ت .

الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، **معجم الأدباء** ، تحقيق مرجليوت ، القاهرة ، مطبوعات دار المأمون ، ١٩٢٨م .

الخطيب البغدادي ، أحمد بن على ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت .

حماش ، نجدة ، **الإدارة في العصر الأموي** ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ .

الدميري ، كمال الدين محمد ، **حياة الحيوان الكبرى** ، القاهرة ، مطبعة الحلبي وأولاده ، ١٣٧٦هـ .

الذهبي ، محمد بن أحمد ، **سير أعلام النبلاء** ، ط ٢ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ .
ميزان الاعتدال ، تحقيق محمد البجاوي ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٢هـ .
الزبيدي ، محمد بن الحسن الأندلسي ، **طبقات النحويين واللغويين** ، ط ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة دار المعارف ، ١٣٩٢هـ .
السامرائي ، قاسم ، **مقدمة في الوثائق الإسلامية** ، الرياض ، دار العلوم ، ١٤٠٣هـ .
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة الفجالة ، ١٣٨٩هـ .
شريف ، حكمت ، «أختام الخلفاء» ، **مجلة المقتطف** ، ١٩٠٣ ، ١٣٧ .
العسقلاني ، أحمد بن حجر ، **الإصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، لابن عبد البر ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ .
العش ، محمد أبو الفرج ، **النقود العربية الإسلامية المحفوظة في متحف قطر الوطني** ، قطر ، وزارة الإعلام ١٤٠٤هـ .
الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط** ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ .
القشيري ، مسلم بن الحجاج ، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٥هـ .
الكتبي ، محمد شاكر ، **فوات الوفيات** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٣م .
الكرملي ، الأب انستانس ، **النقود العربية وعلم النميات** ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٩م .
متز ، آدم ، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، تعريب محمد عبد الهادي أبوريده ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، د . ت .
المسعودي ، علي بن الحسين ، **التنبيه والإشراف** ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٨١م .
النديم ، محمد بن إسحاق ، **الفهرست** ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ .
النسائي ، أحمد بن علي بن شعيب ، **السنن** ، شرح جلال الدين السيوطي ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، د . ت .
النقشبندي ، أسامة ناصر وحياة الحوري ، **الأختام الإسلامية في المتحف العراقي** ، إصدار وزارة الإعلام العراقية ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٧٤م.
النقشبندي ، ناصر السيد محمود ، **الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني** ، بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٣٨٩ هـ .
وكيع ، محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع ، **أخبار القضاة** ، بيروت ، عالم الكتب ، د . ت .
مؤلف مجهول : **أخبار صفين** ، مخطوطة امبروزيانا ، تحت رقم Ambroziana H129 ، مكتبة الامبروزيانا ، ميلانو ، ايطاليا .
دائرة المعارف الإسلامية ، تعريب أحمد الشنتناوي وآخرين ، ١٥ مجلدا ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٣٣ م .
Graber, Oleg *The Formation of Islamic Art. New Haven and London, Yale Univ. Press, 2nd. ed. 1977.*

Islamic Rings in the First and Second Centuries, A.H.

MOHAMMAD FARIS AL-JAMIL
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia.

ABSTRACT. This paper is an attempt to examine the history and usage of rings (Khawatem) by Muslims during the first and second centuries of Hijrah. It focusses on studying rings according to their subject, e.g. inscriptions, drawings, etc.

A special attempt has been made to interpret the meaning and significance of such inscriptions. For this purpose, the rings have been divided into three groups:

1) Simple rings made of silver or iron, usually bearing the name or nickname of the holder.

2) Rings with inscriptions consisting mainly of an exhortation or a wisdom (sagacity), in addition to the name of the holder.

3) Rings with animal or human drawings.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٢ ، ص ص ٧١ – ١٢٧ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

المؤرخ ابن بسام
(١٢٧٠ – ١٣٤٦هـ)
هويته العلمية وجذورها الأولى في ضوء نصوص جديدة أو منسية

محمد ثنيان الثنيان
أستاذ مساعد – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبد العزيز – جدة
المملكة العربية السعودية

المؤرخ عبد الله بن محمد البسام صاحب دور بارز في كتابة تاريخ الجزيرة العربية . ولكن بالرغم من هذا ، فالانطباع المأخوذ عنه لدى الكثير من الباحثين أن اهتمامه بالتاريخ أتى في فترة متأخرة من حياته ، بل قال البعض إن هذا الاهتمام كان وليدا لعلاقته مع معاصره المؤرخ إبراهيم بن عيسى .

ويبدو أن تبنى مثل هذه الأراء كان سببه عدم الإلمام بحياة ابن بسام الأولى ، واهتماماته العلمية المبكرة ، وذلك نتيجة لعدم توافر أي معلومات لدى هؤلاء الباحثين عن هذه الفترة .

هذه الدراسة بأبرازها لمثل هذه المعلومات – الجديدة أو المنسية – والمتمثلة برواية الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي Charles Doughty وماقاله عن ابن بسام في شبابه ، ستحاول أن تلقى ضوءاً على الهوية العلمية لهذا المؤرخ ، مع التركيز على جذورها الأولى ، والتي لعلها بذلك تصحح صورة ابن بسام العلمية في الأذهان ، وتضعه في مكانه اللائق به .

وبجانب نصوص رواية داوتي هذه ، ستستكمل مسيرة ابن بسام العلمية مما جاء عنها في المصادر الأخرى .

البدايات الأولى لكتابة التاريخ وتدوينه في نجد في العصر الحديث ، كانت في منطقتي سدير والوشم . حيث برز فيهما بعض أصحاب المحاولات الأولى كالشيخ أحمد بن بسام ، والشيخ أحمد المنقور ،

وغيرهما . ولايضاهي هاتين المنطقتين من حيث الأولوية في هذا المجال ، سوى مدينة عنيزة في القصيم . حيث تجمع المصادر على أن النهضة العلمية في هذه المدينة ، وكتابة التاريخ فيها ، بدأت على يد عالمها الكبير ومؤرخها الرائد الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيب ، الذي عاش في الفترة مابين (١٠٧٠ - ١١٦١هـ)[١] . ابن عضيب الذي يرجع الفضل في اكتشافه كمؤرخ إلى علامة الجزيرة حمد الجاسر[٢] كان أحسن حظاً ممن تلاه من مؤرخي مدينته ، الذين فقدت أو غابت تواريخهم ، وبالتالي ظلوا هم ومؤلفاتهم ، مغمورين بل مجهولين إلا من إشارات إليهم ، طفيفة عابرة ، لبعض العلماء والباحثين المتأخرين كالشيخ محمد بن ناصر العبودي ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، وكذلك الشيخ محمد بن عثمان القاضي ، وحتى هذه اللمحات أو الإشارات اقتصرت على حوادث الأوراق والنبذ التاريخية التي خلفها هؤلاء دون الإشارة إلى المؤرخ نفسه .

يطالعنا الشيخ العبودي ، في كل صفحة وأخرى من سفره «المعجم الجغرافي لبلاد القصيم» أحياناً قائلاً : . . . وقد وجدت في بعض الأوراق التاريخية في (عنيزة) شيئاً يتعلق بهذا الموضوع رأيت في نقله هنا فائدة ونصه : . . .»[٣] وقل نصف صفحة من الحوادث المتعلقة بتاريخ عنيزة . وقال مرة أخرى وهو يتحدث عن سيول عنيزة وأمطارها : «. . . إلا أن عبارة ابن عيسى أدق : إذ ذكر أن الذي رأى فيه تاريخ الوقعة هو ورقات في التاريخ لعلها مشابهة لما وصل إلى من أوراق من مدينة عنيزة » .[٤]

وبعد أن أورد حوادث سنة ١١٦٠ من تاريخ ابن بسام «تحفة المشتاق» قال : «أقول هذه السنة ومابعدها تسمى في التاريخ المتعلق بالقصيم «ركدة عنيزة» رأيت في أوراق في مدينة عنيزة مايلي . . .»[٥] وقال بعد أن أورد حادثة في تاريخ عنيزة : «هذا الخبر من أوراق تاريخية في مكتبتي حصلت عليها من عنيزة .»[٦]

دأب العبودي على تكرار مثل هذا القول ، مع إيراد بعض الحوادث المتعلقة بتاريخ عنيزة نفسها أو ماجاورها من البلدان والقرى الأخرى ، والتي شملت أو غطت فترة تاريخية مبكرة واستمرت حتى قبل الوقت الحاضر بزمن قليل .

وكما فعل الشيخ العبودي ، فعل الشيخ البسام ، حيث أشار بشكل مباشر أو غير مباشر في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» إلى توافر ووجود نبذ وأوراق من التاريخ في عنيزة ، عثر عليها أو ورثها عن أسلافه[٧] .

وقال الشيخ محمد العثمان القاضي في هذا الصدد : « . . . وكان لدى من المراجع مالم يتوافر لغيري من تراث الآباء والأجداد ومخطوطات نادرة الوجود في التاريخ والأنساب .»[٨]

ولايدل هذا إلا على توافر مجموعة طيبة لديهم من أوراق ونبذ التاريخ العائدة لعلماء ومؤرخين عنيزيين ضاعوا أو ضاعت أسماؤهم في خضم الماضي ودياجيه .

عبد الوهاب بن محمد بن تركي المتوفي سنة ١٢٣٧هـ واحد من هؤلاء ، وإن نال قسطاً يسيراً من العناية والحظ ، حيث أشار الشيخ البسام إلى تاريخه قائلاً : «تاريخ لبعض حوادث نجد مخطوط يقع في نحو عشرين صحيفة من القطع المتوسط وقد سقط من أوله وآخره وقد اطلعت عليه وفيه نبذة تاريخية لاتوجد في غيره .»(٩)

ويتضح من هذا أن عنيزة كانت أحد المراكز العلمية التي كان لعلمائها دور ريادي في المحاولات الأولى المبكرة في كتابة وتدوين التاريخ في نجد ، مثلها في ذلك مثل الوشم وسدير . ولا أدل على هذا من قول الشيخ العبودي : «بل إن حظ مدينة عنيزة من التاريخ كان أوفر من حظ غيرها من مدن القصيم في ميدان الكتابة عنها إلى ماقبل سنوات قليلة .»(١٠)

وإذا كانت فترة القرنين الحادي عشر والثاني عشر وماقبلهما ، تعد فترة ضياع في عنيزة ، ضياع لما كتب من تاريخ وجهد المؤرخين فيه ، فالقرن الثالث عشر وماتلاه كانت فترة الازدهار لصناعة التاريخ والمؤرخين . هذا الازدهار الذي حدا بعالم ومؤرخ حصيف كالعبودي إلى القول : «. . . وليس بغريب ، ذلك بأن مدينة عنيزة كانت مدينة التاريخ والأدب الفصيح في منطقة القصيم خلال القرن الثالث عشر يؤيد ذلك كثرة الأدباء المؤرخين من أهلها في ذلك الوقت بالنسبة إلى مدن القصيم الأخرى كما ستأتي الإشارة إليه ، في رسم «عنيزة» بإذن الله .»(١١)

من هؤلاء المؤرخين المشار إليهم في النص من لايزال يقبع في عالم النسيان ، أطبق عليهم الدهر فنسيهم الناس كمؤرخين ، وإن ذكروهم كعلماء متمكنين وقضاة معدودين .

قاضي عنيزة الشهير الشيخ صالح العثمان القاضي ألف كتاباً كبيراً في التاريخ بحجم اثنتى عشرة كراسة ، تضمن حوادث نجد والحجاز وماحولهما ، واستمر في تدوين الحوادث حتى سنة ١٣٥٠هـ(١٢) وكان الشيخ صالح العثمان نفسه يعد مرجعاً في التاريخ والانساب .(١٣) ابنه الشيخ عثمان ، جمع تاريخاً لحوادث نجد ووفيات أعيانهم في سبع كراريس(١٤) . وكلا التاريخين شبه مفقود ، وما جادت عليهما المصادر أو ذكرت عنهما سوى بضع أسطر لاتتعدى أصابع اليد .

بالإضافة إلى هذين العالمين المؤرخين ، هناك حفيد أمير عنيزة الشهير زامل ، الأديب عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل السليم الذي كان إطلاعه على التاريخ والأنساب واسعاً ، حتى قيل عنه إنه كان من أبرز المؤرخين والنسابين والأدباء(١٥) .

وغير هؤلاء ، المؤرخ إبراهيم القاضي ، والذي كان أوفر حظا منهم حيث ذكره الشيخ حمد الجاسر فيمن ذكر من مؤرخي نجد(١٦) ، كما أشار إليه المؤرخ مقبل الذكير في تاريخه(١٧) ، وكثيرون غير هؤلاء ممن لايتسع المجال لذكرهم . بل إن أحد أدباء عنيزة صاغ تاريخها شعراً(١٨) ويأتي على قمة مؤرخي عنيزة وفي طليعتهم مقبل بن عبد العزيز الذكير ، وعبد الله بن محمد البسام المعنى بهذه الدراسة .

عبد الله بن محمد البسام ، بالرغم من أنه ساهم في كتابة التاريخ ، وكان ذا دور بارز فيه ، حيث ألف سفراً ضخماً دعاه «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق» قال عنه الشيخ ابن بسام : «. . . والذي يعد بحق أحسن وأوفى وأعدل تواريخ نجد»[١٩] ، وقال عنه الشيخ الجاسر : «. . . يحوي خلاصة ماكتبه مؤرخو نجد عن تاريخ بلادهم . . .»[٢٠] بالرغم من هذا ، إلا أن المؤرخ وكتابه لم ينالا من العناية والدراسة مايستحقان . وإذا كان الكتاب نال قسطاً ضئيلاً من الالتفات إليه بسبب كونه مصدراً هاماً وأساسياً لمعظم الأبحاث والمؤلفات في تاريخ الجزيرة الحديث ، فإن المؤرخ نفسه وسيرته العلمية كانا تقريباً من المهملين المنسيين .

وأهم من كتب عن المؤرخ ابن بسام ، الشيخ حمد الجاسر الذي ذكره في مقالته «مؤرخو نجد» ضمن بقية المؤرخين الآخرين في عدد من الصفحات لايتجاوز الأربع .[٢١] وهذه الكتابة – على قصرها – ركزت على تاريخه «تحفة المشتاق» وعلى مدى تأثره بمعاصره المؤرخ إبراهيم ابن عيسى .

أما ماكتبه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، عن المؤرخ وتاريخه ، وهو في حدود الصفحتين والنصف ، فعلى اختصاره وقصره الذي أتى متفقاً ومنسجماً مع طبيعة كتابه وتقيداته ، وهو ترجمات للعلماء ، على اختصاره ، يعد ، حسب معرفتي ، أهم ماكتب عن هذا المؤرخ حتى الآن ، حيث تضمن معلومات أساسية عن ابن بسام وحياته .[٢٢]

عدا هاتين الكتابتين لم يتهيأ الاطلاع على أي شيء ذا بال كتب عن المؤرخ ابن بسام ، سوى مقالة جيدة للدكتور محمد بن سعد الشويعر ، والذي حاول فيها جاهداً ، أن يضع كثيراً من النقاط على الحروف ، إلا أنه مرة أخرى ، ركز على كتابه «تحفة المشتاق» وعلى علاقة ابن بسام بمعاصره ابن عيسى ، دون التعرض إطلاقاً إلى الجذور الأولى والمبكرة لحياة ابن بسام العلمية . وتعد هذه المقالة أجود ماكتب عن المؤرخ وتاريخه ، خصوصاً فيما يتعلق بعلاقته مع ابن عيسى ، حيث نظر إليه الباحث مدققاً بعين من التجرد والموضوعية والإنصاف .[٢٣] وعندما تطرق إليه لمماً ، بعض الباحثين الآخرين ، كان الأمر منصباً في معظمه على علاقته أو تأثره بابن عيسى[٢٤] حيث ضل الكثير منهم ، ربما لعدم إطلاعهم على الجذور والركائز الأولى لحياة ابن بسام العلمية ، ينظر إليه من خلال علاقته بهذا المؤرخ وفي ظلها ، غير محاولين إبعاده عن خفت هذا الظل إلى ضوء الحقيقة الساطع ، وتسليط هذا الضوء على الرجل ومسيرته العلمية ، لمعرفته أولاً قبل الخوض في مقارنته أو معرفة مدى تأثره بمعاصره ابن عيسى ، وهو الهدف الذي من أجله كانت هذه الدراسة . هذه الدراسة التى ستعنى بتتبع مسيرة ابن بسام العلمية وثقافته منذ نبتت جذورها الأولى حتى سمقت وإلى وفاته . ولقد كان لما قاله الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي Charles Doughty[٢٥] عنه عون كبير في إلقاء الضوء على البراعم الأولى في حياة ابن بسام العلمية عندما كان شاباً . فحديث داوتي عن البسام ، على اختصاره

وقصره ، يعد مصباحاً منيراً لرسم الأسس الأولى لثقافة وعلم هذا المؤرخ . وماقاله عن ثقافة ابن بسام واهتماماته العلمية المبكرة ، تطلب شيئاً من التركيز عليه والتمعن فيه ، لا لأن هذه الدراسة ربما أبرزته لأول مرة ، ولكن لما يعطي من برهان صادق على أصالة ثقافة ابن بسام واهتمامه بالتاريخ منذ أن كان شاباً ، وأن هذا الاهتمام لم يكن وليداً أو نتيجة لعلاقة كانت له مع أي مؤرخ آخر ، كما اعتقد البعض . فمسيرة ابن بسام في الأدب والتاريخ كانت جادة طويلة سلكها منذ فجر شبابه ، وانصهر في بوتقة منحنياتها ، حتى ترعرع وأصبح مؤرخاً مستقلاً بذاته عمن سواه ، له سماته وصفاته الخاصة به .

المؤرخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن بسام ولد ، طبقاً لما أورده الشيخ عبد الله البسام ، في مدينة عنيزة عام ١٢٦٨هـ . وفي صباه تقريباً في العاشرة من عمره ، فقد والده الذي قتل في معركة أو وقعة المطر التي حدثت بين مدينة عنيزة وعبد الله بن فيصل ، وذلك في عام ١٢٧٩هـ(٢٦) . على أن في رواية الشيخ ابن بسام شيئاً من التناقض ، حيث ذكر أن المؤرخ عبد الله البسام كان عمره أربع سنوات عندما قتل والده في هذه الوقعة ، الأمر الذي يتفق فقط مع رواية الأستاذ الشيخ محمد العثمان القاضي الذي أرخ ولادته بعام ١٢٧٥هـ(٢٧) ، ولايتفق أبداً مع رواية الشيخ ابن بسام نفسه كما أرخها في ١٢٦٨هـ . ويبدو أن هناك التباساً في الأمر . على أن الشيخ حمد الجاسر يذكر تاريخاً آخر ، ربما كان حلاً وسطاً ولعله الأقرب إلى الصحيح ، ومن ثم أجدر بالأخذ به ، لا لأن الروايات الأخرى غير موثقة ، ولكن لأن هذه الرواية الأخيرة ربما نقلت أو أخذت عن المؤرخ مباشرة ومن هنا تميزت . قال الشيخ الجاسر : «هذا المؤرخ هو الشيخ عبد الله . . . . – ولد – على ما كتب به إلى الوجيه الكريم الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سليم سنة ١٢٧٠هـ – أي في السنة التي ولد فيها الشيخ ابن عيسى . . .»(٢٨) توفي والده مخلفاً أربعة أبناء هم ، حمد وعبد العزيز ثم مؤرخنا عبد الله فأصغرهم وهو عبد الرحمن . تركهم وما ترك لهم من حطام الدنيا شيئاً يذكر . فنشأ الأشقاء الأربعة نشأة عصامية ، لاشك مشوبة بطابع ذلك الزمن وماتطلبه من كد وصبر جميل .(٢٩) ومن هذا يتضح أن المؤرخ عبد الله ابن بسام بدأ مع أشقائه حياة لاجاه فيها ولامال . وما أن تمضي السنون قليلاً حتى يكتسب الاثنان معاً . لا . بل ويضيف إليهما شيئاً أرفع منهما وأشرف ؛ العلم والأدب(٣٠) .

عبد الله بن بسام ، كغيره من الكثيرين من أبناء مدينته ، كان له نصيب من التجارة والزراعة على حد سواء . على أن اشتغاله بالتجارة كما بدا ، سبق عمله بالزراعة . ولعله بعد أن أسس نفسه وحقق ربحاً وافراً من التجارة ، التفت نحو الزراعة التي لم يكن نجاحه فيها ليقل عن الأولى بحال من الأحوال إن لم يفقه . وكما كان تاجراً ناجحاً ، غدا فلاحاً نشطاً ومبدعاً .

اعتاد المؤرخون النجديون على إعطاء لمحات ، في كتبهم التاريخية ، عن حياتهم الخاصة ، وإن

كانت هذه اللمحات بسيطة ومتواضعة ، إلا أنها بلا شك مفيدة في إلقاء بعض الضوء على نمط حياتهم ومعاشهم . والمؤرخ عبد الله بن بسام ، كواحد من هؤلاء ، فعل نفس الشيء حيث تطرق في مؤلفه «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق» إلى بعض النواحي من حياته المعاشية . ولكنه في حين ذكر بعض النتافات عن أعمال زراعته وفلاحته ، ضرب صفحاً عن أخبار تجارته مهملاً إهمالاً تاماً ذكر أي شيء يتعلق بها أو بشؤونها . ولولا ماذكره عنها الشيخ عبد الله البسام ، لربما كان من الصعب جداً معرفة أي شيء يتعلق بهذا الأمر(٣١) .

وقصة تجارة المؤرخ ابن بسام وأشقائه الثلاثة بدأت بسيطة كأي بداية في هذا المجال ، ثم تطورت وكتب لها النجاح . والقصة كما يوردها الشيخ عبد الله البسام كمايلي :

«فإن حمداً في شبابه قام بعمل تجاري بسيط بين بلدة عنيزة وبين سوق الشيوخ ونحوه من البلدان التي تورد منها البضاعة وجعل إخوته شركاء له في تجارته وهم صغار ، فلما كبروا وصار له منهم مساعد على أعماله فتح له بيت تجارة في جدة . فلما اتسعت أعمالهم نقلوها من جدة إلى البصرة ، فلما زادت فتحوا بيت تجارة آخر في الهند ، فصار حمد وعبد الرحمن يعملان في بيت البصرة بالتناوب ، وعبد العزيز وعبد الله يعملان بالتناوب في بيت الهند . فاتسعت أعمالهم وربحت تجارتهم وصاروا من أثرياء نجد المعدودين»(٣٢) .

فالمؤرخ عبد الله وإخوته لم يكتفوا بمزاولة التجارة داخل عنيزة فقط ، وإنما تعدوها ، مثل الكثير من تجار تلك المدينة في تلك الفترة ، إلى فتح مراكز تجارية في أسواق التجارة العالمية آنذاك جدة ، البصرة ، الهند . . . ، وكانوا يتناوبون في الإقامة هناك ، حيث كان حظ مؤرخنا التناوب مع أخيه عبد العزيز في الإقامة في بيت الهند كما قال الشيخ البسام وغيره .(٣٣) والحالة هذه فإن إقامة المؤرخ عبد الله بن بسام في عنيزة في هذه الفترة كانت إقامة متقطعة ، حيث استمر على هذه الحالة ، في ذهاب وإياب فترة طويلة من الزمن استهلكت جل عمره . قال الشيخ الجاسر نقلا عن عبد الرحمن بن زامل آل سليم : «. . . وكان يشتغل في التجارة في بمبى في الهند ، ويقيم هناك سنتين وثلاثا ، ويزور وطنه عنيزة فيقيم فيها كذلك . . .»(٣٤) وقد استمر على هذه الوتيرة حتى عام ١٣٢٩هـ حيث يذكر الشيخ ابن بسام بأن مؤرخنا ترك السفر والترحال ، وألقى عصا التسيار في عنيزة وذلك بعد أن كبر أبناؤه وأبناء إخوته وكفوهم مؤونة العناية ببيوتاتهم التجارية في الخارج(٣٥) .

ثم يواصل قائلاً : «أما المترجم له (المؤرخ عبد الله بن بسام) فاستقر في عنيزة وفلح بستانهم الكبير في عنيزة المسمى – المهيرية –» .(٣٦)

والمؤرخ عبد الله بن بسام ، في واقع الأمر ، قد بدأ فلاحة هذا البستان قبل هذا التاريخ بكثير ، ولكنه هنا أو بالأحرى الآن على مايبدو تفرغ لفلاحة هذا البستان أو القليب كما سماه في

تاريخه . فقبل هذا التاريخ بأكثر من ثلاثين سنة تعرض لذكر هذا البستان أو القليب في تاريخه ، حيث يقول في أول حدث سجله لسنة ١٢٩٨هـ مايلي : «وفي هذه السنة ابتدأنا نحن آل محمد بن عبد العزيز بن حمد آل بسام في غرس قليبنا المسماه المويهرية المعروفة في بلد عنيزة» .(٣٧)

ويفهم من هذا الخبر أنهم بدأوا في غرس شجر النخيل في هذا البستان . وبعد هذا بأكثر من خمسة عشر عاماً ، يورد خبراً آخر عن بستان المويهرية هذا ، حيث يذكره ضمن حوادث سنة ١٣١٤هـ قائلاً : «وفي ذي القعدة غرسنا أثل قليبنا المعروفة في بلد عنيزة المسماه المويهرية .»(٣٨) وربما زرع الأثل محيطاً بالمزرعة كالسياج لها .

ونخيل السكري ، معروفة ومشهورة في القصيم وبالذات في مدينة عنيزة ، وتعتبر من ذوات القيمة العالية جداً(٣٩) ، ولايفوت مؤرخنا عبد الله بن بسام أن يطعم مزرعته بهذا النوع الكريم من النخل إذ يورد في تاريخه ضمن حوادث عام ١٣٢٣هـ هذه العبارة : «وفيها غرسنا سكري قليبنا المويهرية الشمالي .»(٤٠)

بهذا الشكل المقتضب ، تحدث البسام عن زراعته أو فلاحته ، شأنه في ذلك شأن بعض المؤرخين النجديين الآخرين ، وخصوصاً أحمد المنقور الذي يشابهه في هذا المجال إلى حد كبير(٤١) .

ويبدو أن المؤرخ عبد الله بن بسام ماكان ليذكر أي شيء عن بستانه أو فلاحته ، تماماً مثل تجاهله لذكر تجارته ، لو لم تكن طريقة اتبعها في تاريخه واختطها لنفسه وهي دأبه على ذكر البساتين والفلاحات ، ليس فقط تلك التي كانت تعود له ، وإنما تلك التي كان يملكها الآخرون أيضاً ، ولعله ماذكر إلا البارز والمشهور منها فقط .(٤٢) وهو في تعرضه لها يقتصر على ذكر تأسيسها أو بداية غرسها وفلاحتها . ولعله رأى في ذلك حدثاً يستحق التدوين ، مثله مثل تأسيس القرى والبلدان وبداية عمارتها . وتَعَرُّض المؤرخين النجديين ، عموماً ، لذكر المزارع والفلاحات في مؤلفاتهم التاريخية أمر مفهوم ومقدر جداً إذا ماأخذ في الحسبان ذلك الدور الأساسي والفعال الذي كانت تلعبه تلك المزارع والفلاحات في حياة الناس الاقتصادية والمعاشية في ذلك الزمن ، مما جعل تأسيسها أو بداية غرسها أمراً يستحق الذكر والتنويه ، وهو في واقع الأمر كذلك في أي زمان أو مكان .

وعبد الله بن بسام ، في بستانه المويهرية ، لايكتفي بجلب وغرس شجر النخيل الموجود في منطقته فقط ، وإنما تعداها إلى تلك الأنواع الجيدة خارج الحدود ، مستفيداً بذلك من أسفاره خارج عنيزة ، بل خارج الجزيرة كلها . أجل ، فلقد كان فلاحاً سباقاً ، بل كان رائداً في حقله جلب لأول مرة نوعاً رفيعا من النخل إلى مدينة عنيزة . وعلى عمله هذا لاشك يشكر ويثاب حتى الآن . يورد الأستاذ محمد بن ناصر العبودي نصاً على طرافته يعد عظيماً ، إذ وضع صاحبه في مصف أصحاب البدايات الحميدة التي لازالت تثمر وتفيد وتحفظ ذكرى ابن بسام على مر الأجيال والعهود .

يقول الأستاذ العبودي ، وهو في صدد حديثه عن أنواع النخل والتمور في منطقة القصيم ،

مايلي عن نخلة البرحية : «وكانت في أول الأمر قليلة جداً في القصيم . بل لم تكن معروفة فيه . وأول من أحضرها إليه فيما بلغني هو عبد الله بن محمد البسام أحضر (فرخين) اثنين من البصرة جعلهما في زنبيلين وحملهما على بعير وجعل يسقيهما بالماء طول الطريق يحمل لهما الماء ، فلما غرسهما في نخلة في عنيزة عاش أحدهما ومات الآخر . فكل مافي عنيزة في الأول كان منه وكان ذلك في حدود عام ١٣١٠هـ . إلا أنه بعد أن عرف الناس فائدة البرحية ، ورغبوا في المزيد من غراسها فلم يجدوا مايكفيهم ، أخذوا يجلبون ما يحتاجون إليه من البصرة .

والآن وبعد مضى مايقرب من ٩٠ عاماً على أول غرسة للبرحية في القصيم ، نجدها قد انتشرت في أنحائه ، إلا أنها لاتزال في عنيزة أكثر وأهل عنيزة يقدرون تمرها أكثر من غيرهم»(٤٣) .

وكمعظم أهل هذه المنطقة ، بدا المؤرخ عبد الله بن بسام مهتماً بشؤون الفلاحة والزراعة ، لابل خبيرا بها ، مما جعل هذا الأمر ينعكس على ما دونه من معلومات في تاريخه ، حيث يورد بعض الأخبار المتعلقة بهذا الأمر ضمن حوادث سنة ١٣٣٥هـ . وعلى خلاف عادة غالب المؤرخين النجديين الذين اعتادوا أن يوردوا مثل هذه الأخبار في ذيل تعداد حوادثهم نجد أن ابن بسام ، ربما لاهتمامه بها ، يبدأ بها حوادث ذلك العام قائلاً : «وفيها كثرت الأمطار والسيول وعم الحياء جميع بلدان نجد وأخصبت الأرض وكثرت الكمأة واختلفت ثمرة النخيل بالشيص ، واختلفت زروع بعض البلدان بالصفار ، (وسبب اختلاف ثمرة النخيل أنها من أجل الدفء بادرت بالطلاع ولقح كثيرين في آخر المربعانية وأول الشبط ، وقد عم ذلك جميع نجد والبصرة والأحساء»(٤٤) .

وإذا كانت هذه السنة ، وهى سنة خصب ، بنتائجها الإيجابية والسلبية أيضاً لم يهمل تدوين حوادثها المؤرخ ابن بسام ، فإن سنة أخرى كانت أشد وطأة وإيلاماً على المزارعين والفلاحين ، بل وعموم الناس جميعاً ، إنها سنة جفاف وقحط ضربت نجد وجللت حياة الكثير من الناس برداء من البؤس والكآبة جعلته لايكتفي بتدوين حوادثها فقط ، ولكن يختمها بالتضرع إلى الله بأن يرحم العباد ويحيى البلاد . يقول ابن بسام ضمن حوادث سنة ١٣٣٩هـ : «وفي هذه السنة قلت الأمطار في نجد وأجدبت الأرض واشتد الغلاء : بيعت الحنطة الصاع بريال ، والتمر ثلاث أوزان بريال ، والسمن الوزنة بريالين وثلث ريال ، وقحط الناس واشتدت المؤنة على الفلاحين بسبب غلاء العلف والسواني بحيث إن ناقتين بيع كل واحدة منهما بمائتين وثلاثين ريالاً وبيع القت ثلاثة عشر وزنة بريال والعشب اليابس خمس أوزان بريال ، واستسقوا أهل بلدان نجد فلم يسقوا . ونرجو من الله الكريم أن يلطف بخلقه ، وأن يرحم العباد بمنه وكرمه . »(٤٥)

ومن دعاء المؤرخ الأخير ، قد يستفاد بأنه دون هذه المعلومات أو الحوادث في نفس العام الذي حدثت فيه .

ويمضى الزمن بالمؤرخ ابن بسام وبمزرعته التى لازال يطور فيها ويوسع ويغرسها شجراً ونخلاً

لتتحول إلى مزرعة عظيمة عدت واحدة من مزارع مدينة عنيزة الكبرى ، ففي عام ١٣٤٠هـ ، وطبقاً لما ذكره الشيخ البسام ، يحفر المؤرخ عبد الله بن بسام بئراً عميقاً في بستانه لينهل منها ماءً حلواً عذباً[٤٦] . وتصادف تلك السنة أن يزور مدينة عنيزة فيلسوف العرب ومؤرخهم أمين الريحاني . والمؤرخ عبد الله بن بسام ، كأحد وجهاء المدينة وأدبائها ، ونظراً لهذه الرابطة الأدبية التي لاشك ربطت أو قربت بين الاثنين ، فإن المؤرخ يدعو الفيلسوف إلى بستانه .

وهناك يعطينا أمين الريحاني بأسلوبه السهل العذب وصفاً رائعاً لهذه البئر العذبة . ولكن ، حتى تكتمل القصة والمراد منها ، نبدأ بماقاله عن أمير عنيزة عبد الله السليم وبساتينه .

يقول الريحاني : «والأمير عبد الله مثل عمه عبد العزيز مزارع كبير يشتغل ساعات الفراغ في بساتينه . غير أنه مثل كل عربي لايزال على شغفه بالزراعة ، أسير تقاليدها القديمة . سألنا عن الآلات البخارية لرفع المياه والري ، ثم قال : سمعنا أن السلطان عبد العزيز يبغي استخدامها في الحسا . فمتى فعل نتبعه إن شاء الله . الناس على دين ملوكهم – وعلى طريقتهم في الزراعة أيضاً .

وهذا عبد الله بن محمد آل بسام يثبت ما أقول . فهو على علمه وأدبه وروحه العصرية في كثير من أمور الحياة ، لايتقدم طويل العمر في الرياض . لعبد الله أرض خارج المدينة حفر فيها قليباً عمقه ثمانون قدماً وعرضه خمسة وعشرون بعشرين ، يشتغل في رفع المياه منه عشرة جمال ، وهو مطوي بالحجارة محكم البناء . كلفه أربعمائة ليرة انكليزية ، ويكلفه رفع المياه يومياً ليرة واحدة في الأقل . أما ثمن الآلة البخارية فلايزيد على نصف كلف القليب ، وثمن البترول أقل من أجرة الجمال . وعبد الله البسام الذي ساح في مصر والعراق والهند يدرك مافي الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير والسرعة في العمل ، ولكنه عربي . والعرب في الزراعة على طريقة ملوكهم وأجدادهم .»[٤٧]

فالريحاني يرى أن ابن بسام على علمه وأدبه وروحه العصرية في كثير من أمور الحياة ، إلا أنه عربي ، والعرب كما يقول في الزراعة على طريقة ملوكهم وأجدادهم . الريحاني بطريقته وأسلوبه البديع هذا يتعجب ويتساءل وربما ينتقد لماذا لم يدخل هؤلاء أو يستخدموا الآلات البخارية لرفع المياه والري ، ويجيبه على تساؤله هذا أمير عنيزة عبد الله بن سليم إجابة على بساطتها ربما أقنعته .

وفي الواقع إنه لأمر يدعو إلى الدهشة والعجب ، خصوصاً بالنسبة للمؤرخ عبد الله بن بسام صاحب الأسفار الكثيرة والأفق الواسع والذي عاش فترات من الزمن لايستهان بها في أمصار كانت على جانب كبير جداً من التطور والتحضر آنذاك كالعراق والهند وغيرها . ومع هذا ماعاد إلى مدينته في سفرة من أسفاره وفي معيته آلة من تلك الآلات البخارية التي لايتوقع إلا أن يكون قد رآها في بعض تلك البلدان . ابن بسام ماعاد بآلة بخارية ، وهو الذي عاد مرة وبحوزته فرخي نخل برحي على صعوبة ومشقة حملهما في ذلك الزمن . إن إنساناً فعل مثل هذا الأمر وتجشمه لايشك المرء في أن أمر

الآلة البخارية ورد على ذهنه وفكر فيه وفي إحضارها إلى قلب الجزيرة العربية . ولكنه التاريخ وحقبات الزمن وظروفها . فلعله فكر في الآلة وفي إحضارها ، ولكن قبل ذلك فكر في صيانتها والعناية بها . ومن أين يتأتى صيانة لآلة كتلك في جزيرة ربما كانت لاتملك من التقنية في هذا المجال إلا ذكرها . وبالتأكيد لو تمكن ابن بسام من التغلب على تلك الظروف والعقبات وأحضر هذه الآلة إلى بستانه في عنيزة ، لعدت له سابقة ويد بيضاء على مر الزمن . الزمن الذي يقف الإنسان ، أحياناً عاجزاً أمام حتمياته طبقاً لفتراته ومعطياته . وإلا فإن الآلة البخارية كانت محط تفكير أهل هذه المدينة قبل مجيء الريحاني إليها بخمسة وأربعين عاماً ، حيث طرح العنيزيون على بساط البحث مع الرحالة الإنجليزي داوتي ، أمر هذه الآلة وإمكانية استخدامها والاستفادة منها .(٤٨)

ولكن بالرغم من عدم توافر مثل هذه الآلة البخارية ، فإن مزرعة ابن بسام أو بستانه المويهرية تتطور وتزدهر وتكثر بها فواره الأشجار من الفواكه والنخيل(٤٩) ، ويجري بها الماء العذب النمير الذي يفيض عن استخدام وحاجة هذا البستان ، ليصبح مورداً يستفيد منه الآخرون(٥٠) .

ويقول الدكتور الشويعر عن هذه البئر التي وصفها الريحاني مايلي : «ومن هنا يبدو أن هذا البئر غير البستان المشهور لآل بسام والمعروف بالمهيرية ، والذي ذكر المؤلف في أحداث عام ١٢٩٨هـ . أنهم بدأوا في غرسها عندما قال : في سنة ١٢٩٨هـ ابتدأنا نحن آل محمد بن عبد العزيز بن حمد بن بسام في غرس قليبنا المسماه المويهرية المعروفة في بلد عنيزة . وهذه البئر عرفت فيما بعد عند بعض الناس ، «أم الموبهرية أو أم المهيرية» ولا خلاف في هذا .(٥١)

ولكن الذي يفهم من رواية الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، ومن طبيعة الأشياء ونموها وتطورها ، أن هذه البئر قد حفرت في نفس البستان ، بستان (الموبهرية) ، الذي نما واتسع وكثر غرسه وأصبح بحاجة إلى بئر عظيمة كهذه . ووجود أكثر من بئر في البساتين الكبيرة أمر شائع ومألوف . وكون المؤرخ أشار إلى بداية غرسها في حوادث ١٢٩٨هـ لايمنع حفر بئر جديدة في البستان نفسه فيما بعد . وعلى كل ، فقد ذكر هذا البستان في سنوات لاحقة لعام ١٢٩٨هـ ، كما تقدم .

وقد أجمعت المصادر التاريخية على الإشادة بطباع وسجايا ابن بسام وأثنت عليه ، ونعتته بأوصاف جميلة حميدة . أثنى عليه معاصروه كأمين الريحاني ، وعبد الرحمن السليم ، وبعدهم الشيخ عبد الله البسام ، وقبل هؤلاء جميعاً ، أطراه الرحالة الإنجليزي داوتي ، وأثنى عليه ثناءً عطراً ، كما سيذكر فيما بعد .

وصفه الشيخ البسام بخيار مايتحلى به أي إمرىء شهم من رفيع الصفات وكريمها ، المؤرخ عبد الله بن محمد البسام ذا النفس الطيبة ، والصدر الرحب ، الجليس الأنيس ، تزينه بشاشة في الوجه ، وطلاقة في المحيا .(٥٢) فلا عجب أن نقل الشيخ الجاسر عن معاصر المؤرخ ابن بسام الشيخ

عبد الرحمن الزامل السليم قوله عنه : «نعم الرجل ديناً وعقلاً وأدباً»(٥٣) .

قال الشيخ البسام : «ولم يزل على أحواله الحميدة وصفاته الطيبة حتى توفاه الله في عنيزة في بستانه عام ١٣٤٦هـ»(٥٤) .

وبالرغم من أن الشيخ الجاسر ، نقلاً عن الشيخ السليم ، أرخ وفاته في سنة ١٣٤٨هـ(٥٥) ، إلا أن رواية الشيخ البسام تتفق مع ماجاء على طرة تاريخه المخطوط «تحفة المشتاق» ، والتي نقلت عن بعض أهل المؤرخ أنفسهم . كما قال ناسخ المخطوطة نور الدين شريبه ، مما يرجحها .

وطالما أن الحديث هنا تطرق إلى بعض أهل المؤرخ ، أو ورثته ، وكذلك ناسخ المخطوطة ، فلعل من المستحسن إيراد ماقاله الدكتور الشويعر في هذا الشأن ، ومن ثم مناقشته .

يقول الدكتور الشويعر : «وإذا كان المؤلف رحمه الله ، قد خلف نتاجاً علمياً ، هو ماسوف نتحدث عنه في عرضنا له مجملاً ، فإن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام يذكر بأن أولاده لم يخلفوا إلا حفيدين يقيمان في البصرة ، وله بنات لهن أبناء .

وهذا القول يزيل مايتبادر من لبس لمن يقرأ طرة المخطوطة ؛ بأن له أولاداً في عنيزة ، فالمدرس المصري الذي نسخها : نور الدين شريبة قد قال : نقله عن الأصل الخطي المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، وهو بخط نور الدين شريبة . وقد يكون هؤلاء الورثة أقاربه أو بني عشيرته ، أو أحفاده من بناته ، لكن من الناحية الشرعية لايعتبر الورثة إلا الأولاد الذين أشار إليهم الشيخ عبد الله بن بسام بأنهم في البصرة ، وهذا ليس مقام تحقيق الورثة ، أو مناقشتهم حسب رأي الناسخ . كما أنه أوضح في نهاية المخطوطة عن نفسه ، بأنه كان مدرساً بالمدرسة الثانوية في عنيزة عام ١٣٧٥هـ . والشيخ عبد الله بن بسام ألف كتابه الذي طبع عام ١٣٩٨هـ . بمكة في طبعته الأولى ، مما يدل على أن رأيه أكثر دلالة ، ولعل الناسخ يريد بالورثة البنات إذا كان منهن من هو على قيد الحياة في وقت النسخ ، أو أولادهن ؛ ذلك أن أولاد البنات لايعتبرون ورثة مع وجود الأبناء الذكور . فلعل الناسخ يريد بالورثة غير من عنى الشيخ عبد الله ، وأنهم ليسوا ورثة مباشرين ، أو يريد بذلك الأقرباء ، أو لأنه تصور أن أبناء البنات إذا قالوا له هذا تأليف جدنا ، أنهم أحفاده وورثته .»(٥٦)

في واقع الأمر أن نور الدين شريبة ، ناسخ المخطوطة ، لم يشر إلى هؤلاء الورثة بشكل عام ومطلق فقط ، وإنما حددهم وعينهم حيث قال في آخر المخطوطة : «هذا آخر ماوجد من المخطوطة الوحيدة المحفوظة لدى ابن المؤلف في بلدة عنيزة من منطقة القصيم في نجد من المملكة العربية السعودية . فرغت من نقلها مساء السبت في الثامن عشر من شهر شعبان في سنة خمس وسبعين وثلثمائة وألف من الهجرة . . . وذلك حين كنت منتدباً من قبل وزارة المعارف للتدريس بالمملكة العربية السعودية ، وكان مقري يومئذ عنيزة حيث كنت مدرساً بالمدرسة الثانوية .

وقد استعنت في الحصول على هذا الأصل المخطوط بالشيخ العالم العلامة عبد الرحمن آل سعدي . . .» .(٥٧)

هذا النص يثبت بما لايدع مجالا للشك . بأن الناسخ نور الدين قد حصل على أصل المخطوطة من ابن المؤرخ مباشرة وبمساعدة سماحة الشيخ ابن سعدي ، وابن المؤرخ هذا ، عند نسخ المخطوطة ، كان حياً يرزق ، ويقيم في مدينة عنيزة ، وهو الأمر الذي أكده الناسخ مرة أخرى حيث قال ضمن دراسة المخطوطة المختصر : «المخطوطة التي نقلت عنها هذا التاريخ محفوظة لدى ابن المؤلف – وهو لايزال على قيد الحياة – في بلده وبلد أبيه عنيزة حتى سنة ١٩٥٥م = ١٣٧٥هـ . من بلاد منطقة القصيم إحدى مناطق نجد في المملكة العربية السعودية»[٥٨] .

ومن هذين النصين يتضح أن الورثة الذين عناهم الناسخ كانوا هم فعلاً الورثة الشرعيين ، حيث نص على أحد أبناء المؤرخ بعينه . ونور الدين شريبة كان نسخه للمخطوطة في سنة ١٣٧٥هـ . والشيخ عبد الله البسام كان نشره لكتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» في سنة ١٣٩٨هـ . وبين هذين التاريخين حقبة من الزمن ، تقارب ربع قرن يموت فيه فئام من الناس ويحيا آخرون ، ويكون فيه من الأسفار والانتقال ماشاء الله أن يكون . ومن هذا يتضح أن كلام كلا الرجلين صحيح وليس فيه أي تناقض . فلعل الانتقال إلى البصرة ، والحالة هذه ، كان بعد فترة النسخ . ولايتوقع من عالم أزهري كالناسخ نور الدين شريبة أن يخلط في علم المواريث ، لاسيما وقد أشار صراحة إلى واحد من هؤلاء وهو ابن المؤلف .

وعلى كل ، فمثل هذا الأمر الجانبي لايقلل من بحث رفيع كهذا .

إنه ليتراءى للمهتم أو الدارس لتاريخ الجزيرة العربية وبالذات لتاريخ وسطها أو قلبها نجد ، يتراءى له ثلاث مجموعات أو فئات من المؤرخين النجديين الذين عكفوا على كتابة هذا التاريخ وتدوينه ، كل على طريقته وحسب طاقتة . هذه المجموعات الثلاث أتت في فترات شبه متتالية ، لعلها بدأت في النصف الآخر من القرن العاشر الهجري واستمرت حتى منتصف القرن الرابع عشر أو بعده بقليل ، أي إنها غطت فترة زمنية امتدت حتى قبل قيام الدولة السعودية الأولى بزمن غير قصير ، واستمرت إلى مابعد تأسيس الملك عبد العزيز للمملكة العربية السعودية ، أيضاً بزمن غير قصير . بدأت سلسلة المؤرخين هذه بصاحب السبق الأول في هذا المجال المؤرخ الشيخ أحمد بن بسام من أشيقر في الوشم وأختتمت أو توجت بالمؤرخ الناقد الأستاذ مقبل الذكير من عنيزة في القصيم ، وبين هذا وذاك برز من هؤلاء كبارهم كابن بشر وابن غنام .

وأبرز مؤرخي المجموعة الأولى ، بالإضافة إلى ابن بسام الشيخ أحمد المنقور من حوطة سدير ، والشيخ محمد بن ربيعة العوسجي من ثادق والشيخ عبد الله بن عضيب من عنيزه .[٥٩] هؤلاء هم أصحاب البدايات الأولى الرائدة في كتابة وتدوين تاريخ وسط الجزيرة في عصرها الحديث . هذه البدايات على بساطتها وضآلة حجمها ، كانت ولاشك اللبنات الأولى والتراث المنير الذي اقتفى أثره من تلاهم من المؤرخين . ولعل بساطة مؤلفاتهم في التاريخ وقلة محتواها تعكس ، أو ربما كانت نتيجة

حتمية لما تميزت به فتراتهم من رتابة في الحياة وبساطة ، وخلوها من أي أحداث جسام . تلك الأحداث التي كانت من نصيب مؤرخين آخرين تلوهم كابن بشر وابن غنام . وتستمر سلسلة المؤرخين لتأتي الفئة الثالثة منهم والتي يتربع على قمتها ولاشك العالم الورع والمؤرخ القدير الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى الذي قال عنه البسام : «لاأعرف أحداً من علماء نجد خدم تاريخ نجد مثله وتعب في تقييد أخباره وتسجيل حوادثه وضبط أنسابه حتى عد - بلا مراء - مرجعاً فيه ...»(٦٠) . كما يشاركه في هذه الصدارة مؤرخنا ، المعنى بهذه الدراسة ، عبد الله بن بسام ومعاصره المؤرخ مقبل الذكير(٦١) .

وفترة هؤلاء المؤرخين هامة كفترة سابقيهم ابن بشر وابن غنام ، بل إن هذه الفترة حفلت بالحوادث العظام . إنها فترة الملك عبد العزيز . فترة التوحيد والتأسيس . توحيد معظم أقاليم الجزيرة الهامة وتأسيس صرح المملكة العربية السعودية ، وهذه الأهمية ولاشك انعكست على مؤلفاتهم في التاريخ والتي أصبحت هامة بما احتوته من معلومات وأحداث مصيرية كبرى .

وهؤلاء المؤرخون ومن سبقهم ، لم يكتفوا بتدوين ماتهيأ لهم من أحداث عصرهم ، بل تعدوها إلى كتابة ماتوافر لهم من أعمال سابقيهم ، على أنهم أحياناً لايذكرون المصدر بشكل صريح ، وفي أغلب الحالات يضيفون هذه المعلومات ويضمنونها كتبهم دونما نقد أو تصحيح . وإن كان أبدى ابن بشر من النقد شيئاً فيما يتعلق بعمل المؤرخين السابقين له ، وذلك فيما يختص بنقص وخلل في بعض الحوادث التاريخية(٦٢) . كما أن إضافات المؤرخ ابن عيسى فيما يتعلق بالأنساب تعد ولاشك فائدة ذات جدوى في معرفة الرجال وأصولهم . على أن أميز هؤلاء وأبينهم من ناحية النقد ، بما فيه من جرح وتعديل أو شرح وتحليل هو المؤرخ مقبل الذكير(٦٣) .

بعد هذه التوطئة العاجلة لهؤلاء المؤرخين ، تجدر الإشارة هنا بشكل سريع إلى خلفياتهم الثقافية ، وبمعنى أدق إلى أي من العلماء ينتمون . هل كانوا مثلاً ، بجانب التاريخ ، علماء في علوم الشريعة ، أم كانوا أدباء مؤرخين فقط ؟ أم جمعوا بين الحسنيين ؟ وثقافة هؤلاء وعلومهم ليست مجال هذا البحث ، ولكن سيطرق هذا المجال فقط إلى القدر الذي يمكن من معرفة أو تلمس أين يقف المؤرخ عبد الله بن محمد بن بسام ثقافياً وعلمياً بين هؤلاء المؤرخين جميعاً . لا من حيث المقارنة والمفاضلة ، وإنما من ناحية التخصص فقط ، ومعرفة إلى أي من العلوم ينتمي .

فالمؤرخون النجديون القدامى كأحمد بن بسام وابن عضيب والمنقور والعوسجي كانوا علماء فقهاء ، وكان لهم مايمكن أن يسمى بهوايات في تدوين بعض حوادث التاريخ(٦٤) . وقيل هنا هوايات ، لأنهم ربما أرادوا بهذه التدوينات مذكرات خاصة بهم ولهم ، فأتت مؤلفاتهم صغيرة بسيطة يصح عليها وصف الشيخ البسام وينطبق «. . . نبذاً تاريخية وترسيمات إخبارية لعلماء نجد لاتعطي صورة كاملة لما أشارت إليه من الأخبار وإنما هي فقرات وإشارات أمليت لتذكر كاتبها ولاتكفي قارئها .»(٦٥)

فهم علماء فقهاء قبل التاريخ . على أن تاريخ الشيخ أحمد المنقور أشتهر الآن ربما أكثر من كتابه الفقهي(٦٦) . ولعل مرد هذه الشهرة كونه عملاً فريداً رائداً في هذا الحقل .

أما فيما يتعلق بالمؤرخين الكبيرين ابن غنام وابن بشر ، فالأول يعد ولاشك عالماً من علماء الشريعة ، كما كان واحداً من علماء وأساتذة اللغة والنحو المعتبرين(٦٧) . ولكن بالرغم من هذا وذاك ، اشتهر وعرف كواحد من المؤرخين الكبار . أما ابن بشر فبالرغم من أن دراساته ، وتتبع أسماء مشايخه توحي كلها بأن اتجاهاته كانت نحو دراسة الشرع الشريف واللغة العربية(٦٨) ، إلا أن إنتاجه العلمي ومؤلفاته كانت في علوم أخرى يأتي التاريخ على رأسها . فهو أحد كبار مؤرخي قلب الجزيرة إن لم يكن أكبرهم جميعاً . ويرتبط اسمه بتاريخ نجد ارتباطاً ، وثيقا ، فما من ذاكر لتاريخ نجد ، إلا ويتبادر إلى ذهنه اسم المؤرخ ابن بشر ومؤلفه «عنوان المجد» . الأمر الذي جعله مؤهلا لأن يعد عمدة المؤرخين النجديين وشيخهم .

أما ثالث هؤلاء ، فهو المؤرخ محمد بن عمر الفاخرى الذي قيل عنه أنه أحد أدباء نجد في زمانه ، وأن له معرفة بالشعر(٦٩) كما جاء في مقدمة إحدى نسخ تاريخه المخطوط : «فهذه الورقات وجدت في كتب الأديب الفاضل محمد بن عمر الفاخري . . .»(٧٠) . وقوله «كتب الأديب» ربما أوحت بأنها كتب أدبية كما لو قيل «كتب الفقيه» والذي قد يفهم منه أنها كتب فقهية . فعسى أن يكون أديبا وهذه مكتبته . وحيث إنه لم يعثر على أي نص يثبت صلته بتأليف أي من العلوم الشرعية سوى ماذكر عن أنه «جمع كتاباً من الأدعية النبوية ، ولكنه تلف بسبب الأرضة ولم يبق منه إلا ورقات قليلة . . .»(٧١) فالفاخرى ، والحالة هذه يعد أديباً مؤرخاً .

أما المؤرخ ابن عيسى ، فقد كان أحد علماء الشريعة الفطاحل . يشهد بذلك تسلسل مشايخه الذين أخذ عنهم العلم وتلامذته الذين تعلموا على يديه ، وما اتصف به هؤلاء جميعاً ، وماكانوا عليه من علم واسع في علوم الشرع الشريف وفروعه(٧٢) . وكما كان بارعاً ومتميزاً في العلوم الشرعية ، كان كذلك في علم التاريخ والأنساب وفي الشعر أيضاً ، حتى عد بحق «أديب الفقهاء وفقيه الأدباء»(٧٣) .

أما الخلفية الثقافية أو العلمية لآخر مؤرخي هذه الفئة وهو الأستاذ مقبل بن عبد العزيز الذكير ، فإنه بعد أن تعلم مبادىء القراءة والكتابة والحساب في بلدته عنيزة ، سافر إلى الكويت ليكمل تعليمه في الخط والحساب(٧٤) . ويقول الشيخ البسام عنه مايلي : «كما أكثر المطالعة والقراءة لاسيما في كتب التاريخ والأنساب والعلوم السياسية حتى عد من المثقفين قبل أن يعرف الناس في نجد الثقافة .»(٧٥)

ولعل البسام هنا قصد أن مقبل الذكير تثقف بثقافة سبق بها زمنه وعصره كعادة بعض النابهين البارزين من الأدباء والعلماء في كل أمة وزمن ، وهذه الصفات التى اتصف بها هذا المؤرخ ، هي

صفات تنطبق على صفوة أدباء ومثقفي الوقت الحاضر ، ولا غرابة في ذلك حيث إن هذا المؤرخ هو أقرب المؤرخين إلى فترتنا .

والآن أين يقف المؤرخ عبد الله بن محمد بن بسام بين هؤلاء المؤرخين ؟ وماهي خلفيته الثقافية ؟ هل كان واحداً من بين هؤلاء المؤرخين ذوي الخلفية الفقهية أو الشرعية بوجه عام ؟ . أم كان ، كالبعض الآخر منهم ، مؤرخاً يرتكز إلى خلفية من الأدب والشعر ؟ أم جمع بين الحسنيين كالمؤرخ الشيخ إبراهيم بن عيسى . أم كان ذا ثقافة عصرية كمعاصره وابن بلدته المؤرخ الأستاذ مقبل الذكير ؟

هنا سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة بقدر الإمكان وبقدر ماتسعف به المعلومات القليلة المتوافرة عنه في هذا المجال . ثم سنحاول استقراء مؤلفه التاريخي «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق» عله ينبئنا ببعض ماقد يمكن من رسم أو محاولة رسم صورة ثقافية لهذا المؤرخ وإلقاء ضوء على هويته العلمية .

إذن بما جاء في مؤلفه هذا أو كتابه وما تهيأ من النتف القليلة المكتوبة عنه هنا وهناك وفي ضوءيهما واستنتاجاً منهما ، ستحاول هذه الدراسة تحديد الخلفية العلمية لهذا المؤرخ ورسم صورة واضحة عنه قدر الإمكان . على أن هذه الصورة لن تكون تامة الوضوح ، فلربما اعتراها أو حف بها بعض القصور وذلك لفقدان بعض مؤلفات ابن بسام[٧٦] .

ونبدأ رحلتنا مع المؤرخ عبد الله بن محمد بن بسام ، وقد أوصلته السنون إلى خريف العمر . من هذا الخريف قد نطل أو نشرف على ماضي مؤرخنا لنستطلع أيام الربيع أو الشباب وماكان عليه من ثقافة وعلم آنذاك .

مضت السنون بالمؤرخ الشيخ ابن بسام حثيثة كما تفعل مع جميع أبناء البشر وسائر المخلوقات . وهاهو العام ١٣٤١هـ يطل وقد بلغ مؤرخنا من العمر عتيا . هو ذا الفيلسوف والرحالة أمين الريحاني يقبل على ذلول طاويا بساط الصحاري والفيافي حثيثا ليصل إلى مدينة عنيزة التي يطيب له فيها المقام لما لاقاه من ود وإكرام ، وبالذات من مثقفيها وعلمائها الكثر في ذلك الزمن .

لقد كان من بين هؤلاء المرحبين المكرمين لهذا الفيلسوف ، المؤرخ الشيخ عبد الله بن محمد بن بسام . وهاهو ذا في جلسة مع الريحاني ربما في «قهوته» في داخل مدينة عنيزة أو في مزرعته «المويهرية» خارج المدينة . لقد دق هذا الفيلسوف لمؤرخنا ابن بسام ناقوس الذكرى . ذكرى الماضي البعيد . زمن الشباب وأيامه العذبة ، فأثار شجونه وأباح مكنون صباه . لقد ذكر أمين الريحاني المؤرخ عبد الله بن بسام بالرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي Charles Doughty ، أو خليل كما سمى نفسه وعرفه الناس ، ذكره به وبفترة زيارته لمدينة عنيزة . ذكره أيضاً بصديقه في تلك الأيام ؛ أيام الشباب والتفتح بالأديب عبد الله الخنيني والذي كان الساعد الأيمن لذاك الرحالة الغريب . فماذا

قال ابن بسام ؟ قال ، وماظني أن قالها إلا بصوت التأثر والشجن . قال ابن بسام مخاطباً الريحاني : «كنت شاباً يوم جاء (خليل) إلى عنيزة . . »[٧٧] . أجل لقد صدق ابن بسام إذ كان شاباً في شرخ الشباب لم يتجاوز عمره عند ذاك الخمسة والعشرين ربيعاً .[٧٨]

وإذا كان الريحاني أحب المدينة وأحبه أهل المدينة . أعجب بأدبهم وذوقهم الرفيع ، وبادلوه نفس الإعجاب . شغف فيلسوف الفريكة بعنيزة وبأهل عنيزة . وانبهر بما تحلى به القوم من علم عظيم وأدب رفيع ، وفوق هذا وذاك سماحة في الخلق وتواضع جم . تأثر بهذا كله إلى الدرجة التي جعلته يودع مدينة عنيزة بكلمات مؤثرة معبرة لاتوحي بغير ألم الفراق ووحشته . قال الريحاني : «. . . مليكة القصيم . عنيزة حصن الحرية ومحط رحال أبناء الأمصار . عنيزة قطب الذوق والأدب ، باريس نجد . . . . وفي عنيزة أسر قديمة عريقة بالنسب والفضل وقد ساح آباؤها في البلدان القصية والأمصار شرقاً وغرباً فزادتهم السياحة لطفاً واتضاعاً ، فرفعوا الضيافة إلى مقام تنفتح عنده أبواب البيوت والقلوب معاً . أجل ، إن الغريب لينسى في هذه المدينة كونه غريباً ، فسواء أكان مسلماً أم كافراً ، موحداً أم مشركاً ، فهو يشعرها ههنا أنه بين أناس ألفوا مثله وألفوا فوق ذلك إكرام الضيف أياً كان ، فيستأنس أيما استئناس ويلبي دعواتهم مسروراً شاكراً»[٧٩] .

وإذا كانت هذه هي علاقة أمين الريحاني بهذه المدينة ، علاقة بل رابطة تجللها الألفة والمودة ، ويعبق منها البشر والحبور ، فإن الرحالة الإنجليزي داوتي Doughty أو «خليل» لطبع فيه ماكان بالكاد كذلك إذ لم تنسجم علاقته بهذه المدينة كل الانسجام كما كانت بالنسبة للريحاني أو غيره من الزوار الأجانب كهاملتون مثلاً .[٨٠] حيث سيطر على بعض جوانبها شيء من الشك والريبة على الأقل من جانب هذا الرحالة[٨١] . ولعل في تعصبه ، وتعصبه الشديد[٨٢] وعدم مبالاته[٨٣] أحياناً العامل الأساسي في ذلك . على أن هذه العلاقة في مجملها لم تكن كذلك دائماً . ففي معظم جوانبها كانت هناك روابط حميمة شيمتها التسامح والإكرام . فبالرغم مما جبل عليه داوتي من غرابة في الطبع ، وتعصب في الرأي ، بالإضافة إلى قصور واضح في التعامل مع المجتمع حوله حتى في بلده الأصلي[٨٤] . بالرغم من هذا كله ، والبون الشاسع بينه وبين الريحاني الذي سمت سجاياه ورقت به إلى سمات وسجايا رجال البلدة الكرام . أقول بالرغم من هذا كله ، فقد استقبله أهل البلدة وأكرموه ، والوه ونصروه[٨٥] . بل وأكثر من هذا ، فقد أمدوه بالمال[٨٦] ، وتكفلوا بحمايته وإيصاله آمناً إلى أي جهة داخل أو خارج الجزيرة أراد[٨٧] . وقد بر الرجال بوعدهم . فلقد انطلق تشارلز داوتي أو خليل ميمماً شطر عنيزة ، مطروداً أو هارباً من غيرها . وصل هذه المدينة ودخلها طريداً حافياً لايملك من حطام الدنيا شيئاً[٨٨] . وخرج منها وبيده كل شيء . غادرها كريم الوفادة ، مزوداً بالمال والزاد[٨٩] ، وعلى مطية عمانية منتقاة ، تحف به عيون شقيق أو قريب وكذلك ابن أصدق أصدقائه في هذه البلدة المضياف[٩٠] .

طبقاً لما ذكره داوتي نفسه في كتابه : "Travels In Arabia Deserta" .

فقد أكرم في عنيزة الكثير الكثير من الناس خليلاً ودعوه إلى منازلهم . لقد ذكر داوتي هؤلاء أحياناً بأسمائهم ، وأشار إليهم مرات أخرى دون ذكر الأسماء . ويأتي في مقدمة من ذكر ، بعض وجهاء البلدة من تجار وأدباء ، بجانب أميرها الذائع الصيت زامل العبد الله السليم .

إن المتمعن فيما كتبه داوتي في مؤلفه هذا ، يستطيع أن يتبين بالإضافة إلى هذا الأمير أربع شخصيات ، بالذات ، أثرت في هذا الرحالة الإنجليزي وقربته وأكرمته . كان هؤلاء هم صفوة جلسائه ومضيفيه أثناء إقامته في هذه المدينة . هؤلاء هم عبد الله الخنيني(٩١) ، وحمد العسافي(٩٢) ، وعبد الله العبد الرحمن البسام(٩٣) ومؤرخنا عبد الله البسام الذي كان يومها شاباً يافعاً .

التطرق لأخبار الرحالة تشارلز داوتي في زيارته لعنيزة ليس مهماً ، بحد ذاته ، لأغراض هذا البحث مثله تماماً مثل هذه الشخصيات التي تحدث عنها داوتي في كتابه ، وإنما لأن هذا المُؤَلف ، Travels In Arabia Deserta يعتبر المصدر الوحيد ، تقريباً ، الذي تضمن بعض النتف والعجالات عن مؤرخنا عبد الله بن بسام في فجر شبابه ، فقد كان لزاماً التعرض له واستقراء مافيه من لمحات . وحيث إن داوتي ماتحدث كثيراً عن ابن بسام منفرداً بذاته ، وإنما ضمن هذه المجموعة من الشخصيات ، فقد كان لزاماً ، مرة أخرى ، ذكر هؤلاء والتعرض لأخبارهم ، ولكن فقط ، بقدر مايكفي أو يمكن من تسليط الضوء على ابن بسام نفسه ، ومن ثم اصطفاء صفاته .

على مقربة من النفود ، خارج عنيزة ، وبالتحديد في مزرعة عبد الله الخنيني ، الصديق الصدوق ، لداوتي ، تقابل لأول مرة المؤرخ عبد الله بن بسام مع هذا الرحالة حيث يقول داوتي بأنه قابل هنا بعض الأصدقاء الشبان للخنيني . وهؤلاء كما ذكرهم وعددهم هم حمد العسافي وعبد الله البسام(٩٤) ، الأصغر أو الشاب كما دعاه داوتي تمييزاً له عن البسام الأكبر منه عبد الله بن عبد الرحمن التاجر المعروف والذي تعرف عليه داوتي قبل ذلك(٩٥) . كما قابل معهم أيضاً شيخاً جليلاً هو ابن عائض(٩٦) .

وهنا ، وقبل التعرف على ماذكره داوتي عن ابن بسام يجدر التوقف قليلاً للتطمن أولاً والتأكد من أمر - على بساطته - هام . إذ إن عبارة داوتي التي قدم بها عبد الله بن بسام في كتابه ، تسترعي الانتباه والتأمل . فقد دأب على ذكره دائماً قائلاً : الشاب أو الأصغر عبد الله البسام ، أو عبد الله البسام ، الشاب (أو الأصغر) . وقال الأصغر تمييزاً له عن البسام . عبد الله العبد الرحمن الأكبر منه سناً ، كما تقدم ، وهو أمر مفهوم وواضح . ولكن داوتي اكتفى بذكر الاسم واللقب دون اسم الأب .

ونظراً لأن داوتي قابل ابن بسام في فترة مبكرة من عمره ، مع قلة المعلومات المتوافرة عنه وندرتها ، خصوصاً فيما يتعلق بتلك الفترة ، فإن المرء ليأخذ جانب الحيطة في التحقق والتأكد من

أن من قابله داوتي كان فعلاً هو المؤرخ عبد الله بن محمد بن بسام المعنى بهذه الدراسة . وتوثيق أمر كهذا ، لابد أن يكون مستحباً أو ربما ضرورياً لدرء أي شك كان أو تساؤل قد يثار .

في واقع الأمر ، أن الشاب عبد الله البسام الذي قابله داوتي وتحدث عنه ، هو نفسه المؤرخ ، فيما بعد ، عبد الله بن محمد البسام . ويبرهن على هذا اليقين أربعة أمور :

الأول : قول داوتي أن عبد الله البسام الذي قابله كان شاباً أمر ينسجم مع تاريخ ولادة المؤرخ عبد الله بن بسام الذي ولد كما مر وعلى أرجح الأقوال ، في عام ١٢٧٠هـ ، أخذاً بعين الاعتبار أن فترة زيارة داوتي لعنيزة كانت في حدود عام (١٢٩٥هـ) وبذا يكون عمره لايتجاوز الـ ٢٥ سنة كما مر ، وهو الأمر الذي ينطبق تماماً على وصف داوتي لذلك الشاب من ناحية العمر أو السن .

الثاني : الصفات العلمية الأدبية القليلة التي قالها داوتي عن الشاب البسام تأكدت فيما بعد أو بالأحرى ، انطبقت على المؤرخ عبد الله البسام .

الثالث : أنه بالاطلاع على الكثير من المصادر والمؤلفات التي تعني بعلماء وأدباء نجد ومؤرخيها ، وباستقراء ماحوته من نصوص وترجمات لهؤلاء ، اتضح جلياً أنه يوجد من أسرة آل بسام ، سواء في فترة مؤرخنا ، أو ماقبلها أو بعدها ، شخصان ذكرتهما هذه المصادر تحت اسم عبد الله هما : التاجر المعروف آنذاك عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، الذي أشار إليه داوتي فيما تقدم ، والمؤرخ عبد الله بن محمد بن بسام نفسه . ويأتي كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» في مقدمة المصادر التي عول عليها في هذا الشأن . ونظراً لما يتمتع به مؤلفه الشيخ القاضي عبد الله بن عبد الرحمن البسام من علم واسع وسعة إطلاع وتعمق في تاريخ نجد وعلمائها ، ناهيك عن معرفة دقيقة بكل مايتعلق بأخبار أسرته أو عشيرته آل بسام ، نظراً لهذا ، مع العوامل الأخرى ، فإن المرء ليقول مطمئنا أن من قابله داوتي وذكره في كتابه هو المؤرخ عبد الله بن بسام بعينه .

الرابع : المحادثة التي جرت بين أمين الريحاني والمؤرخ عبد الله ابن بسام ، والتي خاطب فيها الريحاني المؤرخ ابن بسام وتحدث معه بصفته واحدا من أصدقاء داوتي أو خليل في عنيزة ، وكان الرد ينم عن المصادقة التامة لهذا القول ، بل ذهب ابن بسام إلى أبعد من ذلك حيث تطرق إلى بعض الأخبار المتعلقة بعبد الله الخنيني وعلاقته مع داوتي حيث احتضن هذا الرحالة وكان أقرب الناس إليه في عنيزة[٩٧] .

ومن هذا يتضح أن توكيد هذا الأمر وتأكيده يأتي هذه المرة من المؤرخ ابن بسام نفسه .

وفي منطقة وفترة ندر الطب فيهما يهتبل الثلاثة الفرصة لعرض أنفسهم على الحكيم السائح . وهي أيضاً فرصة ينتهزها الحكيم المتطبب[٩٨] ليعطي لمحة خاطفة عن انطباعه لأول وهلة عن هؤلاء . وبغض النظر عن العبارات التي استخدمها ، فإن ماقاله داوتي عن الشيخ الفاضل ابن عائض ينبىء عن قوة في البنية وسلامة في الصحة . أما عن الشابين حمد العسافي وعبد الله البسام ، فقد قال الحكيم

أنهما على خلاف مايتمتعان به من كفاءة في النفس وعلو في الروح ، كانا نحيلين أو ضئيلي النمو . وعلل هذا بهواء الحواضر والمدن العظيمة التي أثرت على حياتهما(٩٩) . مشيراً بذلك إلى تلك المدن التي كان هؤلاء وآباؤهم يتاجرون معها ويسافرون إليها مثل بغداد والبصرة وبومبي ، والتي كانوا أحياناً ، يقيمون فيها فترات من الزمن طويلة ، قد تصل إلى الثلاثين عاماً أو تطول كما فعل والد حمد العسافي وذلك طبقا لرواية داوتي(١٠٠) .

ويعطي داوتي وصفاً مجملاً للمظهر الشخصي للمؤرخ أو الشاب ابن بسام كما رآه حينذاك . ويرى هذا الرحالة أن مؤرخنا عبد الله البسام بدا له ككاتب أكثر من كونه تاجراً معتبراً(١٠١) . مستعملاً هنا في وصفه له ، الكلمة الإنجليزية ''Clerk'' والتي تعني فيما تعنيه «كاتب في محل تجاري أو مكتب حكومي» وفي أغلب الحالات تعني كاتباً بسيطاً . ويلاحظ هنا أن داوتي أطلق مثل هذه الصفة على ابن بسام فقط دون رفيقه حمد العسافي ، ولعل لحداثة سنه في مثل هذه الصفة التي أطلقها عليه شأناً عظيماً وعلاقة مباشرة ، وهي من ناحية أخرى قد لاتدل إلا على جبلة كريمة من اتضاع في الخلق وبساطة في النفس إلى أصالة في الطبع والفطرة ، أبعدته عن زهو المال وكبريائه ، حتى بدا بهذا المظهر البسيط . وكلمة «كاتب» في الفصحى ، أو المحرفة عنها في اللهجة الدارجة «كيتب» قد تدل فيما تدل على الإنسان المتعلم أو المثقف أو توازيهما في المعنى .

ولعل ابن بسام انطلاقاً من هذه الصفة أو السمة ، مال إلى العلم والأدب بالرغم من تعدد اشغاله وأعماله . وهو الأمر الذي ألمح إليه كل من الشيخ عبد الله البسام والشيخ عبد الرحمن الزامل(١٠٢) السماحة والتواضع سمات كريمة طالما اتصف بها الكثير من العلماء والأدباء وارتبطت بشخصياتهم ، وها قد توافرت تلك الفضيلة لمؤرخنا في فجر شبابه .

ويواصل داوتي حديثه ، وفي هذه المرة عن الشابين معاً ، العسافي والبسام ، ويفهم مما قاله عنهما أنهما كانا على جانب من المعرفة والتحصيل المدرسي مكنهما من الكتابة ببراعة وإتقان(١٠٣) . وإذا كان هذان الشابان لازالا في بداية درب التحصيل والمعرفة ، فثالثهما الشيخ ابن عائض ، كان ، كما وصفه داوتي واحداً من العلماء أو الفقهاء البارزين(١٠٤) ، كما كان ملماً بالأدب والتاريخ أيضاً ، وهو الأمر الذي سيشار إليه فيما بعد ، لتعلقه بشيء من مجال هذه الدراسة .

من تسلسل الأحداث يتضح أن داوتي أو خليلاً ، كما عرفه الشاب ابن بسام ، لم يلتق به في الوهلة الأولى من قدومه لعنيزة ، ولكنه بالتأكيد قابله وتعرف عليه في الأيام القليلة الأولى من إقامته في تلك المدينة . وكان قبل ذلك قد التقى ببعض أدباء ووجهاء البلد وتعرف عليهم ، مثل الخنيني ، والبسام الكبير ، كما دعاه داوتي ، وغيرهم . دعا هؤلاء الغريب الإنجليزي إلى منازلهم وجالسوه في قهواتهم(١٠٥) وتبادلوا وإياه أحاديث الأدب والتاريخ والعصر وأحداثه . إلا أن هذه الجلسات على مابدا ، ماكانت لتعمر وتزهو وتصبح زاخرة بالنقاش إلا بعد اكتمال عقد تعرفه على أدباء البلدة

ومعرفته التامة بهم . أجل ، فبعد أن تعرف على الشابين ابن بسام والعسافي ، أكثر داوتي من ذكر الدعوات والجلسات ومادار فيها من نقاش وحوار ، مما قد يشير أو يوحي بما كان لهما من أثر وتأثير في هذا .

قابلت عنيزة ذلك الرحالة الغريب بكل كرم العرب وأصالتهم . فقد حفلت أيام إقامته فيها بدعوات كريمة من وجهاء المدينة وكبارها ومن عداهم على حد سواء . سنحت الفرصة لخليل بالجلوس في كثير من قهوات القوم والاستئناس بأهلها . ولكن على مايبدو طاب المقام له أكثر ، في أربع أو خمس منها ، هي قهوة أمير البلدة زامل ، وتاجرها الكبير عبد الله بن عبد الرحمن بن بسام ، وقهوتا التاجرين الشابين والأديبين الخنيني والعسافي ، وأخيراً قهوة المؤرخ أو الشاب بن بسام والتي كان لها ولجرنها جرس ووقع خاص لدى ذلك الرحالة . وباستثناء الأولى منها ، حيث كانت تعني مشغولة بحكم المدينة وتصريف أمورها فالأربع الباقيات كن المقر لكل حوار ونقاش دار بين ذلك الزائر ومضيفيه .

وقبل الدخول في هذا النقاش أو الحوار تجدر الإيماءة أولاً إلى المقر أو المكان الذي جرى فيه .

تثقف الأدباء في ركن من الدار عريق . إنها قاعة الاستقبال ، أو ماكان يعرف قديما بـ «القهوة» والتي لعبت على مايبدو دوراً بارزاً في الثقافة والأدب في عنيزة . القاعة هذه ، وجلساتها الأدبية سحرت لب الزائرين من الرحالة وغيرهم . أكثر من ذكرها داوتي ، وبعده الريحاني ، وفلبي ، وهاملتون وغيرهم[١٠٦] . ونظراً لما لهذه القاعة من أهمية قد ترق إلى سمة النادي الأدبي في الشكل والعطاء ، بالإضافة إلى ارتباطها ببعض معطيات هذا البحث ، فقد يكون من اللائق بمكان الاستئناس بما قاله الريحاني عنها وعن إحدى جلساتها .

قال يصف قاعة القهوة : «إن قاعة الاستقبال عندهم تدعى القهوة ، وهى عادة طويلة فسيحة عالية سقفها ، وقد سقف بخشب الأثل ، قائم على أعمدة من الحجر مطلية بالجص ، لها نوافذ مزدوجة ، النافذة فوق الأخرى ، العالية للدخان يخرج منها والواطئة للهواء ، وعلى جدرانها رسوم هندسية نقشت بالجص فوق أرضية من الطين ، فتبدو في لونيها الأبيض والحنطي ، كأنها خرج فرنسي على قميص عربية . وفي الصدر مجوف مستطيل لايزيد إذا كبر على الثلاثة الأذرع هو الموقد يجلس عنده رب البيت ويجلس إلى جنبه ابنه أو أخوه أو أحد من أهله ، فينشيء الواحد يعمل القهوة والآخر يدق البن فى جرن الحجر كبير . . . وعند رأس الموقد خزانتان واحدة للحطب والأخرى للمواعين[١٠٧] هما قيد يد الجالس هناك ، فلايضطر أن يقف ليتناول شيئاً منهما وأهم من كل ماذكر الأباريق ، وهى محور الدعوة وركن الضيافة المادي ، أباريق النحاس الوهاجة كأنها وصلت تلك الساعة من المعمل في دمشق ، وقد صفت أمام المضيف صفاً متناسقاً من الأول الصغير الذي يكفي ضيفين إلى العاشر الذي يسقي مئة ضيف ويزيد . هذه هي القهوة عندهم . . .»[١٠٨]

ويقول عن واحدة من جلساتها : «تفضل نقهويك . هى دعوة شبيهة بدعوة الانكليز للشاي . وفي الضيافتين شيء غير القهوة وغير الشاي جميل ، فيهما ميل إلى الحديث والتعارف ، ورغبة في الألفة والوداد . .»[١٠٩] ويواصل قائلاً : «وهم في الضيافة لايسرعون ولايلحون ، اللهم إذا كانت الدعوة للقهوة فقط ، أما إذا دعيت للغداء أو العشاء فبعد الأكل الآية : «.... فإذا طعمتم فانتشروا» . ولا استثناء . لذلك كنت أفضل الدعوات للقهوة رغبة في الحديث ، وما أكثر الفوائد والدهشات فيه .

هذا سيدي عبد العزيز بن عبد الله آل سليم ، وقد أضافنا مرات بين الصلاتين وبعدها أصيلاً ومساءً ، لاليسمعنا حديثه ، وما أحلاه ، بل ليسمع حديثنا . وكنت من باب حب الذات والاستفادة أباريه في السؤالات ، فننتقل من الجغرافية إلى الزراعة ، ومن «أمريكه» كما كان يلفظها إلى بلاد طي ، ومن الأطباء إلى الشعراء .»[١١٠]

وهاهو داوتي كالريحاني ، بشيء من الغبطة والسرور ، يصور لنا أمسية من هذه الأمسيات الجميلة في تلك «القهوات» أو القاعات الحافلة العامرة قائلاً : «لقد أمضيت بعض الأمسيات السارة في قهوتي الصديقين والجارين الشابين حمد وعبد الله ، ودعيا ابن عائض ، الذي حدثني حديثاً مسلياً عن الأدب العربي . . . . وأعد لنا عبد الله شراباً بارداً من التمر الهندي المحلي بالسكر . بالنسبة لقهوة عبد الله ، في وقت النهار ، فقد كانت منتجعاً لخير الصحبة في المدينة ، - وهكذا كانت شهرة البسام الشاب المحترم ، وأخلاقه المرحة الحميدة . جرنه يرن كجرس يدعو للضيافة عندما يعد القهوة . جرن عنيزة عبارة عن مجوف صغير كالصحن في كتلة من الرخام الضخمة . . . والجرن الرنان يقيم كثيراً لديهم ، وكتل (الكتل الرخامية) أجران قهواتهم العظيمة تقطع من مكان على بعد ساعات قليلة من المدينة ، إلى الشرق منها ، (قرب المذنب ، نحو جبل طويق) . وكلما زاد طول يد الجرن الرخامية ، كلما دل ذلك على كرم صاحبها في عنيزة : إنها تدق بايقاع (وهذا هو حقاً ماسمعنا به مطلقاً عن مواقد قهوة العرب) . وكان هؤلاء هم خير الشباب النشطين من بيوتات أهل التجارة الخارجية في المدينة .»[١١١]

إذن كان داوتي ، أو خليل ، في أمسية أدبية مع الشابين عبد الله البسام وحمد العسافي ، والعالم الأديب ابن عائض ، وكدت أن أقول أستاذهما أو شيخهما ابن عائض . ابن عائض الذي قال لداوتي عندما رآه أول مرة ، لو كنت ياهذا معي في رحلتي بين مكة المكرمة وعنيزة لأخبرتك عن جميع الأماكن التاريخية[١١٢] ، حقق شيئاً من وعده هذا الآن ، فأتحفه بحديث الأدب والتاريخ .

لقد أشاد داوتي بالمؤرخ أو الشاب عبد الله بن بسام وبصاحبه حمد العسافي ، ولم ينس هذا العالم الأديب ابن عائض من الذكر الجميل . عبر عن سعادته الغامرة بلقيا هؤلاء والتعرف عليهم ، وقال ، كما تقدم في النص ، إنه قضى وقتاً جميلاً بصحبتهم .

وبالرغم من تحفظ هذا الرحالة في نعت العرب بما يليق بهم من صفات محمودة هم أهل لها وجديرون بها ، إلا أنه ، على مايبدو ، في تصويره لابن بسام وقهوته هنا ، كان موضوعياً . بل كان رومانسياً على خلاف عادته . ولابد أن شخصية البسام الفذة بخصالها الحميدة ، كما وصفها داوتي نفسه ، هي التى أوحت أو أملت عليه مثل هذا القول .

وإذا كان ابن بسام ، في قهوته ، لبقاً ورائعاً مع ضيوفه وزائريه ، فقد كان أروع فيما اعتاد أن يفعل بعد خروج هؤلاء ومغادرتهم . فبعد أن ينفرط عقد هذا الجمع أو المجلس وتنفض الندوة ، يخلد مؤرخنا ، الشاب آنذاك ، لا إلى الراحة والبهجة ، وقد توافرت له ، ولكن إلى كتبه لينهل من ينبوع العلم والعرفان ، ويطفىء ظمأ روحه المتعطشة لهذا المعين الذي لاينضب .

قال داوتي : «عبد الله ، بعد انصراف آخر أصدقائه في الأمسية ، كان يجلس على مصباح الكيروسين ، ناسياً زوجة شبابه ، منكباً على كتبه ، يغذي روحه الرقيقة حتى طلوع النهار تقريباً .»[١١٣]

ماقاله داوتي في هذا النص ، على قصره ، يعد ضوءاً منيراً لسبر غور الجذور الأولى لحياة ابن بسام الثقافية المبكرة . فعمل الشاب البسام هنا ، لايعدو إلا أن يكون حجر الزاوية والقاعدة الأساسية الصلبة التي شيد عليها صرح ثقافته وعلمه حتى ترعرع ونضج ، وهو في نفس الوقت ، برهان ساطع قاطع لايدلل إلا على اهتمام البسام بالعلم والثقافة منذ أن كان في ريعان الشباب . وأن هذا الاهتمام ماأتى في سن متأخرة ، ولا كان وليداً لمؤثرات معينة استجدت عليه فيما بعد ، ولم يكن كذلك أبداً .

والآن تجدر الإشارة إلى ملاحظة عابرة ، ألمح إليها فيما تقدم . ألا وهى علاقة العالم الشيخ ابن عائض بالمؤرخ أو الأديب الشاب ، آنذاك ، ابن بسام . بمعنى آخر هل استفاد ابن بسام من هذا العالم الأديب ؟ وهل يمكن أن يعد شيخاً له أو تتلمذ على يده ؟ ويرد مثل هذا الهاجس لما لوحظ من قرب هذا العالم والتصاقه به . فهذه المرة الثانية التي يورد ذكرهما ، داوتي ، متلازمين مترافقين . حيث اصطفى ابن بسام هنا هذا العالم دون غيره ليكون جليساً آخر مع صديقه العسافي بحضرة هذا الرحالة الزائر . والمرة الأولى كانت عندما قابل داوتي ابن بسام لأول مرة[١١٤] . وكانوا هم نفس الثلاثة . أو ربما صح القول الشيخ وتلميذاه .

بالإضافة إلى هاتين المرتين ، فقد ذكر داوتي أيضاً أن هناك علاقة متينة ووثيقة كانت تربط الشيخ ابن عائض بالبسام الكبير عبد الله ابن عبد الرحمن إلى درجة أن وصف داوتي ابن عائض ككاتب عمومي لذلك الرجل الطيب كما قال[١٥] . وماذكره داوتي من علاقة لهذا العالم الجليل بأسرة آل بسام ، عموماً ، تؤيده المصادر التاريخية الأخرى .[١١٦] بل تذهب هذه المصادر إلى أبعد من ذلك ، حيث تذكر العديد من علماء هذه الأسرة ؛ أسرة آل بسام الذين درسوا وتتلمذوا على يد الشيخ عبد الله بن عائض ،[١١٧] مما قد يرجح افتراضاً كهذا .

وأمام هذه الصلة والتلازم الوثيق بين ابن بسام والشيخ ابن عائض ، مع ماعرف من طول باع لهذا العالم في العلم والأدب والتاريخ ، وماقيل عن ابن بسام الشاب وروحه الدؤوب الطموحة للتعلم وطلب المعرفة ، فإن المرء قد لايجافي الحقيقة والصواب لو توخي علاقة علمية ما ربما كانت قائمة بين الاثنين ، علاقة الشيخ والتلميذ . لعل رابطة كهذه كانت موجودة على أي شكل أو نمط كان ، وبالتالي لعل ابن عائض ، كان واحداً من الروافد التي نهل منها ابن بسام .

ويقول داوتي عن ابن بسام ورفاقه الأدباء الشبان أنهم قراء الموسوعة : «. . . لقد كانوا ممن يقرؤون في الموسوعة»(١١٨) .

ولمعرفة قصة هذه الموسوعة يحسن الرجوع قليلاً إلى الوراء ، فكما مر ، قبل أن يقابل داوتي ابن بسام ، كان قد تعرف على تاجر أو بالأحرى أديب آخر هو عبد الله الخنيني ، وكان هذا قد دعاه إلى قهوته وتوثقت أواصر الصلة والمحبة بين الاثنين إلى الدرجة التي جعلت داوتي يقول عما بينهما من ألفة وود : «لكن من وقف هنا كان ابناً مهذباً من تميم ، والذي لازمني فأله الحسن منذ ذلك اليوم حتى نهاية رحلتي في بلاد العرب ! وأخذ يدى في يده ، دالاً بذلك على خلقه الكريم كما هو الحال عند العرب . . . . كان هذا هو عبد الله الخنيني(١١٩)» .

والذي عامل داوتي وكأنه عربي مثله ، وبادله هذا الرحالة نفس المعاملة ، حيث يقول : «. . . بالنسبة لعبد الله الخنينى كنت كأني عربي ، وكان بالنسبة لي كأنه أوروبي(١٢٠)» .

وفي واحدة من المرات التي دعا فيها الخنيني داوتي إلى منزله ، استعرض هذا الرحالة كتب أو مكتبة مضيفه ، فوجد من بينها كتاباً ضخماً كان «موسوعة البستاني»(١٢١) . وقول داوتي بأن هؤلاء الأدباء الشبان من قراء هذه الموسوعة يعطي الانطباع بوجود مثل هذه الموسوعة وتداولها عند معظمهم . ولعله ماعمم هنا وأجمل في وصفهم بقراء الموسوعة ، على ماعرف به من دقة وتفصيل ، إلا بعد أن عثر عليها لدى الكثير منهم كابن بسام وغيره . ووجود كتاب كهذا في حوزة أدباء ومثقفي البلدة في فترة كتلك ، لاشك أمر يستحق التوقف والتأمل . فقد اعتاد المرء أن تكون قائمة كتب أو مكتبات علماء وسط الجزيرة في ذلك الزمن مقتصرة على كتب العلوم الشرعية واللغوية والفلك والتاريخ الإسلامي وبعض كتب التراث كالشعر ونحوه ، مع بعض المخطوطات المتعلقة غالباً بالتاريخ المحلي(١٢٢) . أما هذه الموسوعة ووجودها في هذا الصقع من الجزيرة ، وهو أمر على غرابته مدرك ومفهوم ، كما سيأتي ، أقول إن وجودها هنا يعد لوناً من الثقافة بعيداً جديداً على مااعتاده جمهرة العلماء والمتأدبين في منطقة وحقبة كتلك .

ويتضح أيضاً من حديث داوتي ، أن أدباء هذه المدينة لم يقفوا عند حد هذه الموسوعة ونكهتها الثقافية الفريدة والمميزة ، بل تعدوها إلى اللغات الأجنبية . فهذا عبد الله الخنيني ، كما قال داوتي كان يجيد اللغة الهندوستانية ، وأحد أبناء البسام الكبير ، كان ملماً بالإنجليزية قراءة وكتابة ، ومثله كثير(١٢٣) . قد يعجب البعض لمثل هذا الأمر ، لاسيما في مدينة تقع في قلب جزيرة العرب ، وفي

زمن كذاك . وفي الحقيقة لايعد هذا الأمر من العجب في شيء ، إذا ماعرف مالأبناء هذه البلدة من نشاط تجاري واتصال مستمر بحواضر ومدن ذلك الزمن . إنه لأمر أدعى إلى الإعجاب منه إلى التعجب . هذه الأمور مجتمعة من سفر إلى تلك الحواضر وإقامة فيها ، وماصاحب هذا من صلات واتصالات ، جعلت عنيزة تأخذ طابعاً أو سمة من سمات تلك الحواضر والمدن . إن لمسات اللغات الأجنبية لم تقتصر على مثقفي البلدة وأدبائها أو تجارها الكبار ، بل تعدتهم إلى سوقها فأضفت عليه شيئاً من لكناتها . يقول أمين الريحاني «. . ولكن هناك سوقاً للتجارة كبيرة منيرة تدهشك بما فيها من الأشكال والألوان . فتذكرك بأميركا وبلاد الإنجليز ، وتنقلك إلى الهند واليابان ، وتسمعك اللغات الانكليزية والفرنسية والهندوستانية ، ولهجات من العربية متعددة .»[١٢٤]

بالإضافة إلى ماقاله داوتي ، هنا ، عن اللغات ، وماقاله الريحاني فيما تقدم ، عن سفر أبناء هذه البلدة إلى البلدان القصية شرقاً وغرباً[١٢٥] ، فإن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الشرح والتوضيح . فكما مر في أول هذا البحث ، قول الشيخ البسام أن مؤرخنا كان يعمل بالتناوب مع أحد إخوانه في رعاية بيتهم التجاري في الهند . وهذا يعني الإقامة في مثل هذا البلد مدداً غالباً ماتتراوح بين السنتين والثلاث كما يقول السليم . وعلى شاكلة ابن بسام وأخيه كان الأمر كذلك بالنسبة للكثير من تجار عنيزة . ولاشك أن هذه المدد المتكررة تتيح لكل طموح أن يتعلم لغة البلد الذي يقيم فيه . وأكثر من هذا ، فقد أقام بعض هؤلاء في بلدان أجنبية فترات طويلة وتنقلوا فيما بينها ، فهذا مثلاً الخنيني الذي ذكر داوتي أنه يجيد اللغة الهندوستانية ، قد أقام في الهند وتزوج هناك وأنجب طفلاً .[١٢٦] وكان قد أبحر إلى جزيرة موريشوس Mauritius ، وسافر إلى زنجبار ،[١٢٧] وغيرها من البلدان . وطبقاً لرواية داوتي أيضاً ، فإن البعض أبعد في أسفاره حتى وصل أوربا[١٢٨] .

ولكن هذا لايعني ، بالضرورة ، أن المؤرخ عبد الله بن بسام قد أجاد لغة ما أو ألم بها ، حيث لايتوافر نص يثبت مثل هذا الأمر أو ينفيه . على أن المرء قد يتصور أن ابن بسام ، في الفترات التي أقامها في الهند ، حاول أن يتعلم اللغة الإنجليزية مثلاً أو لغة أهل البلاد ، على أي مستوى كان . ولعل من الحصافة بمكان القول ، ولو ظناً وتخميناً ، أن إبن بسام ربما أحاط بلغة ما ، وذلك طبقاً لملاحظات وهواجس عابرة منها :

١ – في فترات متكررة ، تناوب ابن بسام مع أحد إخوانه الإقامة في الهند لتسيير أمور بيتهم التجاري هناك . وهنا قد يتسائل المرء كيف يستطيع القيام بمثل هذا العمل في بلد لايجيد لغته أو على الأقل يلم بشيء منها .

٢ – اختياره ، من قبل أخوته للتناوب مع أخيه الآخر في إدارة هذا البيت التجاري ، قد يوحي بشيء ما . هل كان مثلاً ملماً بمبادىء لغة ما أهلته لمثل هذا العمل ؟

٣ – يتوقع حدساً أنه ألم في الهند بمبادىء الإنجليزية أو الهندوستانية ، لاسيما أنه ثبت أن إبن

بسام ، كما كان في عنيزة ، كان في الهند لديه رغبة وميل إلى الفكر والأدب . فقد بدأ في تأليف وكتابة تاريخه «تحفة المشتاق» عندما كان في الهند(١٢٩) .

وإنسان كهذا نوه عن شغفه وولعه بالعلم والمعرفة ، أينما كان ، لابد أن يكون تواقاً إلى تعلم لغة إذا ماسنحت له الفرصة . فلعله وقد سنحت هنا ، انتهزها وسها المؤرخون عن تدوينها . وكيف لاينتهز فرصة كهذه ، وهو الذي حاول من قبل الاستفادة من فرصة مماثلة سنحت له بالرغم من أنها ، من حيث الأهمية ، لاتقارن بهذه أبداً . أجل لقد حاول البسام ، فيما يتعلق باللغة ، انتهاز فرصة وجود الإنجليزي داوتي في عنيزة وتعلم بعض مبادىء الإنجليزية .

قال داوتي متحدثاً عن ابن بسام وصديقه العسافي : «هذان التاجران الشابان . . . وسيتعلمون مني بعض الكلمات الأفرنجية ، وأبجديتنا»(١٣٠) ، والسبب لرغبتهم في تعلم هذه اللغة ، كما يصفه داوتي ، هو حاجتهم إليها في أعمالهم التجارية(١٣١) . ألا يحتمل أن يكون البسام الذي قابله داوتي آنذاك ، بعد ، لم يفتح بيتاً تجارياً في الهند وبالتالي ماتعلم لغة مكنت داوتي من ذكرها .

وعلى كل فكل ماذكر هنا هو مما يعن للإنسان ويرد على الذهن ، ولكن يظل هجساً عبر الخاطر ، لايرقي إلى القول الأكيد بدون برهان يثبته أو ينفيه .

وتراث الجزيرة العربية القديم ، خصوصاً الشعر منه ، هو الأساس المتين الذي يتركز إليه ويستند كل مفكر وأديب عربي . وابن بسام وأقرانه من أدباء عنيزة الشبان ، ماخرجوا عن هذا النطاق ولاغفلوا عن مورد هام كهذا .

قال داوتي : «لقد كانوا ممن يقرؤون . . . ولشعراء الجزيرة العربية الروحانيين في العصور القديمة»(١٣٢) .

وداوتي ، لاشك ، عنى هنا شعراء الجزيرة العربية القدامى ، سواء في العصر الجاهلي ، أو في العصور الإسلامية ، ويأتي على قمة هؤلاء جميعاً أصحاب المعلقات .

كما أمضى داوتي أمسيات جميلة في قهوة ابن بسام المؤرخ أو الأديب الشاب ، فقد أمضى أمسيات ربما أجمل في قهوات كل من ابن بسام الكبير ، وصديقه الحميم عبد الله الخنيني وغيرهما . وكما حفلت تلك بحديث الأدب والتاريخ ، فقد حفلت أمسياته هذه بهذا وبما هو أكثر حساسية منه . حفلت بحديث السياسة والعصر ، واللغات والدين ، كما وتطرقت إلى بعض المخترعات الحديثة آنذاك من برق إلى آلات أو مضخات رفع المياه(١٣٣) .

ونظراً لعدم نص داوتي صراحة على حضور ابن بسام المؤرخ لهذه الأمسيات ، والذي لاينفي بالضرورة ، تواجده فيها أو في بعضها ، لاسيما تلك التي كانت لدى البسام الكبير ، أو الخنيني ، لما للأول من صلة القربى ، وما للثاني من معرفة وصداقة ، ولكن نظراً لعدم التأكد التام من حضور مؤرخنا لهذه الأمسيات ، فقد رؤى الاكتفاء فقط بالإشارة إليها .

كانت أحاديث السياسة تزخر بمواضيع كالدولة العثمانية وإدارتها وولاتها في العراق ، كما وتطرق الحديث أيضاً إلى فرنسا وبروسيا وبالذات بسمارك Bismark ، وعن بعض وزراء بريطانيا في ذلك العهد ، وتعجب داوتي من معرفة ابن بسام الكبير ليس فقط لهؤلاء الوزراء وسياستهم ، وإنما تمكنه من اللفظ بشكل صحيح لأسماء وزراء كبالمرستون Palmerston ، ودزرائيلي Disraeli . كما وأخبره هؤلاء السياسيون ، كما وصفهم ، عن الحرب التركية مع روسيا ، والتي بدأت وانتهت أثناء فترة تجواله في مجاهل جزيرة العرب كما قال . وقال داوتي أنه أعجب بهذه المعرفة الواسعة لهؤلاء السياسيين في الجزيرة العربية(١٣٤) .

وداوتي في أمسياته مع العنيزيين ، وبالذات مع علمائهم وأدبائهم ، لم ينس موضوعاً مهماً ، وهاماً جداً لدى أمثاله من الرحالة . الآثار ومايتعلق بها من أماكن تاريخية ، صيد ثمين يلهث خلفه هؤلاء وغيرهم . ولعل الآثار ومحاولة التعرف عليها سببٌ من الأسباب التي قذفت بداوتي أصلاً إلى الجزيرة العربية(١٣٥) . فمرة يسأل أدباء البلدة وعلماءها عن تحديد موقع أثري يضطرون معه لإعطاء إجابة دقيقة وموثقة ، إلى الرجوع للمصادر من كتب ونحوها(١٣٦) . ومرة أخرى يأخذونه ، في رحلة على الجياد ، لمشاهدة بعض الآثار خارج البلدة ، كما حدث في آثار العيارية(١٣٧) .

ويهم هذا البحث ماقاله داوتي ، مقتضباً ، بعد عودته من هذه الرحلة حيث قال : «ذهبت مع حمد إلى بيته ، وهناك أتى إلينا الشاب عبد الله البسام . وتحدثا عن شعوب التاريخ القديم المتمدينة ، وبصفتهم متعلمين أو أدباء ، فقد حكموا بفساد رأي العامة القائل بوجود عمالقة في الأزمان السابقة : ومع ذلك ، اعتقدا معتمدين على ماتظهره الكتابات القديمة ، أن الرجال في أزمان أسلافهم كانوا أقوى مما هم عليه الآن»(١٣٨) .

إذن يعود داوتي من رحلة الآثار ، ويذهب مع حمد العسافي إلى بيته ، وما أن يصلا إلى هناك ، حتى ينضم إليهما الشاب عبد الله البسام . وهذه هي المرة الثالثة التي يذكر فيها داوتي هذين الصديقين معاً(١٣٩) ، وأنه قابلهما سوياً ، مما يوحي بعلاقة وثيقة بينهما . ومن البدهيّ جداً بعد رحلة كتلك ، أن يكون الحديث حول الآثار أو التاريخ القديم وكل ماهو قديم بصفة عامة . التاريخ القديم أو الآثار والحديث عنهما ليس مهماً بحد ذاته لهذه الدراسة ، وإنما المهم هو إشارة داوتي إلى كل من البسام والعسافي : «كأديبين أو متعلمين» فهذه الصفة أو التمييز من قبل هذا الرحالة ، وقد قابل البسام في فجر شبابه وعرفه معرفة وثيقة ، مهمة جداً في تحديد الشخصية والهوية العلمية أو الثقافية لهذا المؤرخ في هذه الفترة المبكرة من حياته .

ومن رواية داوتي يتضح أنه كان لهذين الأديبين إطلاع على المؤلفات والكتب التاريخية القديمة ، مكنهما من نقد الآراء الخرافية للعامة نحو العصور السابقة . وهذه بلا شك سمة أو صفة قربت الأديب عبد الله البسام إلى التاريخ ومجاله . وإشارة كهذه إلى أديب شاب كابن بسام ، لاشك تلقي ضوءاً عليه وعلى اتجاهاته الأدبية المبكرة ، وهي هنا لاتعني إلا ميلاً إلى التاريخ ومجاله . وكون

ابن بسام يبدى اهتماماً نحو التاريخ وبالذات في هذه السن المبكرة من حياته بحد ذاته ، يعد أمراً له أهمية خصوى ، في هذه الدراسة حيث ينفي الرأي القائل بأن اهتمام هذا المؤرخ بالتاريخ كان متأخر(١٤٠) .

ويختتم داوتي هذا الفصل من كتابه قائلاً : «أصدقائي الطيبين ، قراء الصحف ، مع كونهم سياسيين نابهين محبين للإطلاع ، إلا أنهم لم يعيروا الجغرافيا أي انتباه : لذلك تناولت ورقة كبيرة ورسمت عليها خريطة أوربا ، واستدعى البسام خطاطه ابن عائض ؛ الذي كتب أسماء العواصم كما نطقتها . وعندما تم عملنا ، مررها بين أصدقائه . ومع أن الساميين - جوابون بشكل واسع للبلدان التي يمرون بها على ظهور جمالهم ، إلا أن فهمهم قليل للمقاطعات التي ، بسهولة نتخيلها ونضعها على الخرائط . ولم أجد أيًّا ، حتى بين خريجي الكليات الحديثين في سوريا ، من لديه أكثر من فهم طفولي (أولى) في الجغرافيا . هذه ليست فنوناً سامية»(١٤١) .

وقبل مناقشة ماورد في هذا النص ، يجدر التنويه إلى أن إيراده هنا أصلاً ، مع كونه لايحتوي على إشارة مباشرة إلى المؤرخ ابن بسام ، كان لعوامل ثلاثة هي :

١ - أن داوتي ضمن هذا النص ، الذي ختم به هذا الفصل من كتابه ، بعض الصفات التي أطلقها على أصدقائه في عنيزة ، بشكل عام ، ودونما تخصيص . والمؤرخ أو الشاب ابن بسام كان ولاريب واحداً من هؤلاء ، بل كان واحداً من أبرزهم .

٢ - اتضح من السياق أن موضوع النص كان حديثاً جرى أثناء جلسة في قهوة البسام الكبير عبد الله العبد الرحمن ، وأنه كان هناك عددٌ من الحضور لابأس به ، بدليل الخريطة التي مررت أو تناقلتها الأيدي فيما بينهم . أفلا يحتمل أن يكون البسام الشاب أحد هؤلاء الحضور ؟

وفي ظل أواصر القربى(١٤٢) التي كانت تربطه بهذا القريب المضيف ، وماعرف عن الناس من عادة متأصلة في التزاور مساء لتجاذب أطراف الحديث والتسلية - وحديث الأدباء والمثقفين لاشك يعبق بشذا الأدب والتاريخ - في ظل هذا كله ، وضيف غريب كان حديث الناس ، له به معرفة وصداقة ، فإن المرء لايتوقع من الشاب ابن بسام أن يفرط بجلسة مغرية كهذه تهيأت له فيها كل أسباب الحضور ودواعيه .

٣ - مناقشة ماقاله داوتي في النص عن الجغرافيا ، ولو مختصراً ، لما سيذكر من سبب عام وخاص .

قول داوتي عن أصدقائه الطيبين بما فيهم بالطبع ابن بسام الشاب ، بأنهم ساسة مطلعون ، أمر لايعد غريباً ، إذا عرف ماهؤلاء من اتصال واحتكاك بالعالم الخارجي بوسائل عدة ، كالسفر والترحال والإقامة في الخارج لسنوات طويلة كما مر ، مما مكن هؤلاء من الاطلاع على مجريات الأمور والأحداث سواء أكانوا مقيمين في بلدتهم أو في بلاد الغربة . وكانت إحدى ثمار هذا الاتصال ،

الاطلاع على الجرائد والصحف ، كما في النص ، والتي لعلها كانت الوسيلة الإعلامية الوحيدة آنذاك . الاطلاع على هذه الجرائد ليس في بلاد الغربة فقط ، وإنما أيضاً في قلب مدينتهم ، حيث ثبت اعتيادهم على جلب مثل هذه الصحف إلى عنيزة بشكل منتظم ، وهاهو ذا داوتي يقول وقد أتاه نصيبه من هذه الجرائد : «كما أعارني صالح رزمة من صحيفة الشجاعة العربية ؛ والتي مضى على صدورها عدة شهور ، لكنها تعد جديدة في هذه البقاع من العالم ، حيث أحضرت عن طريق القوافل»(١٤٣) .

والحالة هذه فمن البدهيّ أن تكون الصحف والجرائد متداولة بين مثقفي هذه المدينة يتابعون ، من خلالها ، أحداث العالم وأخباره . وقد ذكر داوتي بعضاً من أسماء هذه الصحف كجريدة «الشجاعة» و «الممتاز»(١٤٤) متابعة الجرائد مع السفر والترحال كانت غاية الاطلاع في ذلك الزمن وهو ماتوافر لجل هؤلاء . وخير مثال على ذلك البسام الكبير الذي حدث داوتي عن ثروات اليهود وتبرعاتهم لبني جنسهم ومعاملاتهم الربوية ، وهو ماعرفه من جريدته ، كما قال داوتي ، ومن إقامته في الخارج(١٤٥) .

أما فيما يتعلق بالمؤرخ عبد الله ابن بسام ، فنظرة شاملة على تاريخه المخطوط توحي بأنه كان متابعاً ومطلعاً جيداً على الصحف والجرائد ، حيث دون بعض الحوادث والأخبار في هذا التاريخ ، نقلاً من تلك الجرائد والصحف(١٤٦) .

والآن ، وباختصار شديد ، سيناقش ماقاله داوتي بشأن علم الجغرافيا ، لا لأنه نفاه تقريباً عن أدباء وعلماء هذا الجزء من الجزيرة العربية وسوريا فحسب ، وإنما لأنه سلخ العرب والمسلمين منه بحجة أنه ليس من علوم الساميين أساساً كما قال . وهو أمر مرفوض لأنه يناقض الواقع والتاريخ ، ولايدل إلا على جهل هذا الرحالة المطبق بعلم الجغرافيا ، ليس فقط عند العرب والمسلمين ، بل بهذا العلم عموماً . ونحن لاندعي هنا ، خصوصاً في فترة من التاريخ كانت حالكة مظلمة ، أن المعلومات الجغرافية سواء لدى أدباء وعلماء عنيزة أو خريجي الكليات في سوريا ، كما قال ، قد بلغت شأوا أو قدرا يضارع مابلغه أو وصل إليه أسلافهم الأوائل من العرب والمسلمين في العصور الزاهرة . ولكن كما كانوا على مقدار ومستوى مقبول ، مهما كان متدنياً ، في العلوم الأخرى ، كالأدب والتاريخ ، فإن المرء لايتوقع إلا أن يكونوا كذلك في علم ورثوه عن أسلافهم العظام ، مثله تماماً مثل العلوم والآداب الأخرى . علماً بأن سوريا(١٤٧) كانت في تلك الفترة ، مهما كان المستوى الثقافي والعلمي للعرب والمسلمين متواضعاً آنذاك ، كانت تعد مع مصر والعراق مراكز التقدم والحضارة في العالم العربي والإسلامي . كما أنه ثبت ، وبشهادة واحد من هؤلاء الرحالة أنفسهم ، وجود مدارس في نجد ، في تلك الفترة ، تدرس علوماً من بينها الجغرافيا(١٤٨) . كما ثبت أن المؤرخ ابن بسام كان له معرفة بالجغرافيا وإلمام ، حيث استفاد منه آخرون في هذا المجال بالذات ، كما سيأتي .

ونظرة خاطفة على علم الجغرافيا لدى العرب والمسلمين ، وما حققوه في هذا الحقل من تقدم علمي رائع من اختراعات ، وكشوفات عظيمة لها أسبقيتها الأولى بين الأمم قاطبة ، تدحض هذا القول وتنفيه من أساسه وتلبس صاحبه ثوب الجهل والتعصب .

فمؤلفات مثل «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» لابن حوقل ، أو «المسالك والممالك» لأبن خرداذبه ، أو «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للأدريسى ، أو «عجائب المخلوقات (في الجغرافيا والطبيعة والفلك)» للقزويني ، كتب عظيمة كهذه لاتنبئك إلا بتقدم علمي رائد للعرب والمسلمين في الجغرافيا ، بل وتفردهم الريادي في هذا العلم ، وأسبقيتهم إلى الكثير من اختراعاته ونظرياته . فهم الذين فطنوا مثلاً إلى كروية الأرض ودورانها حول نفسها مرة في اليوم ، وحول الشمس مرة في كل عام . وهم الذين قاسوا محيط الأرض ، وجاذبية الأرض[١٤٩] . والعرب والمسلمون كأمة قوية ، في عصرها الزاهر ، لم تلتصق بالأرض وتخلد إلى الراحة والسكون ، بل قامت بالرحلات العظيمة براً وبحراً والتي تعد بلاشك عنصراً أساسياً يرتكز عليه علم الجغرافيا ، حتى قيل إن مسلمي الأندلس قد وصلوا إلى شواطىء أمريكا[١٥٠] . كل هذا كان ، وأكثر منه ، والغرب يغط في سبات عميق . وعندما استيقظ هب يترجم هذا التراث الثمين ويستفيد منه[١٥١] . ووجود الكثير من كلمات العرب ومصطلحاتهم الجغرافية في لغات الغرب ، دليل صارخ على تقدم العرب والمسلمين ، وفرض مسميات مخترعاتهم بقوة التفرد بالسبق والريادة .

ومن النص يتضح أن السبب الذي جعله يتحدث عن الجغرافيا هو إدعاؤه بأن العرب لايعرفون إلا قليلاً عن المناطق التي تبدو بديهية للغربيين ، وهي المناطق الأوروبية . والسؤال الذي يتبادر في اللحظة والتو مامقدار معرفة الغربيين عن الجزيرة العربية ومناطقها في تلك الأيام ؟

الجزيرة العربية ، التي كانت بالنسبة لأدباء الغرب ومثقفيه سراً دفيناً لايكتشفه ويلم بشىء من خفاياه إلا الرحالة الجسور المغامر . أما مضيفوه أدباء عنيزة ومثقفوها ، ومن بينهم بالطبع المؤرخ ابن بسام ، فيبدو أنهم كانوا على نقيض قوله تماما . حيث إن الكثير منهم كان له علاقات تجارية مع شركات في عواصم أوربا نفسها وغيرها[١٥٢] . كما أن معظمهم قد شرق وغرب إلى العديد من البلدان ، بل إن بعضهم بشهادة داوتي نفسه ، كما مر ، قد أبعد في سفره حتى وصل إلى عواصم الغرب كفينا ولندن وباريس وشاهد هذه العواصم وألم بمعرفتها عياناً لا على الخريطة فقط . كما اتضح ، وبرواية داوتي نفسه مرة أخرى أن بعضهم كان على جانب من الدراية بشؤون الغرب تعدت معرفة أسماء المدن وما إليها إلى الإلمام بما هو أدق من ذلك ، كمعرفة أسماء الوزراء ولفظها بشكل صحيح ، الأمر الذي أدهش هذا الرحالة نفسه . ويذكر داوتي أنه تلقى مراسلات من بعض هؤلاء وذلك بعد مغادرته للجزيرة العربية مما يدعم إدراكهم الأكيد ومعرفتهم الكبيرة بأسماء بلدان ومدن أوروبا[١٥٣] تلك المعرفة التي نفاها داوتي تقريباً ، مما جعله في موقف متناقض لعل مرده التحامل على

الحضارة العربية والإسلامية من الأساس ، وهو الأمر الذي سيطر على الكثير مما قاله في كتابه عن العرب والمسلمين إجمالاً .

وقبل طي الكتابة عن حديث داوتي وماقاله عن ابن بسام منفرداً لوحده ، وحديثه عنه ضمن أدباء عنيزة مجملاً ، تجدر الإشارة إلى خطأ طفيف وقع به المؤرخ أمين الريحاني ومن نقل عنه من العلماء والمؤرخين والباحثين كعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ، والدكتور محمد الشويعر .

يقول تشارلز داوتي : «بعد يوم أو يومين من وصولي لعنيزة ، جاء شاب من الوجهاء ليدعوني على العشاء نيابة عن والده : الذي كان ذلك الرجل الطيب عبد الله عبد الرحمن البسام ، تاجر في جدة وكبير بيت البسام في عنيزة . عبد الله البسام وعبد الله الخنينى كانا صديقين حميمين ، يفطران ويتعشيان معاً ، ويذهبان كل يوم للقهوة في بيتي كل منهما : وهما ، مع زامل ، كانوا فلاسفة .»[١٥٤]

وضمن أو وسط حديثه عن المؤرخ عبد الله بن محمد البسام يقول أمين الريحاني : «. . . الذين اضطهدوا «النصراني الكافر» هنرى دوطي وطردوه من البلد . لم يجد الرحالة الإنكليزي يومئذ غير بضعة رجال والوه ، وأضافوه ، وساعدوه في محنته ، أهمهم ثلاثة هم أمير عنيزة يومئذ وعبد الله القنيني وعبد الله البسام . وقد ذكرهم دوطي في كتابه بالخير . نعتهم بالفلاسفة واثنى عليهم ثناء طيباً»[١٥٥] .

من يقرأ النص الأول ، نص داوتي لايخامره الشك في أن من عناه بالفيلسوف كان شخصاً آخر غير المؤرخ عبد الله بن محمد البسام ، الذي كان آنذاك لاعمراً ولا علماً مؤهلاً لصفة كهذه ، إنه عبد الله بن عبد الرحمن البسام الذي ذكره في أول النص ، البسام الكبير أو الطيب كما دعاه داوتي . ولكن من يطالع النص الثاني نص الريحاني ، وقد أورده في معرض حديثه عن المؤرخ عبد الله بن محمد البسام ، لايتبادر إلى ذهنه أبداً أي شخص آخر غير هذا المؤرخ . ومن يدري فلعل الريحاني قصد البسام الكبير . لكن وهو يتحدث عن بسام آخر هو المؤرخ ، كان يتوجب عليه أن يوضح ذلك ويشير إليه كأن يذكر الاسم ثلاثياً مثلاً ، وحيث إنه لم يفعل ذلك ولم يشر إلى البسام الكبير لا من قريب ولا من بعيد ، فالأرجح أن الريحاني كان يعني المؤرخ البسام الذي كان يتحدث عنه . ولايفهم من نصه غير هذا ، ويلاحظ أيضاً بالإضافة إلى هذا ، أن الريحاني أخطأ في اسم داوتي ، حيث كتبه «هنري دوطي» بينما هو تشارلز وليس هنري . كما أخطأ في كتابه اسم الخنيني ، حيث كتبه «القنيني» ، وقد يكون خطؤه هذا بسبب نقله من داوتي الذي كتبه هكذا **el-Kenneyny** . وعدا هذين الخطأين الأخيرين ، فهكذا كان بالنسبة للعلامة الشيخ حمد الجاسر الذي اعتمد على الريحاني حيث يقول في معرض كلامه عن المؤرخ عبد الله البسام : «. . . وكان ثالث ثلاثة ساعدوا دوتي وأضافوه فنعتهم بالفلاسفة وأثنى عليهم ثناءً طيباً»[١٥٦] ومن النص يتضح مدى التأثر بالريحاني أسلوباً وقصداً .

وقال الدكتور الشويعر مكرراً كل أخطاء الريحاني : «هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد نقل عن هنري دوتي الذي زار نجداً ، وسموه النصراني الكافر قد أثنى على ثلاثة هم : أمير عنيزة وعبد الله القنيني وعبد الله بن بسام الذي قال عن نفسه بأنه يومها كان شاباً : فقد ذكرهم بالخير ونعتهم بالفلاسفة وأثنى عليهم ثناءً طيباً»(١٥٧) .

وكنت أتوقع من الدكتور الشويعر أن يصحح اسم الخنيني على الأقل . والجاسر والشويعر لايؤاخذان على هذا الخطأ أو اللبس إطلاقاً ، وإنما تقع جريرته على الناقل من المصدر الأصلي أمين الريحاني نفسه ، الذي قد يكون في تشابه الاسمين سبب لخطئه . علماً بأن داوتي نعت هؤلاء الثلاثة بالفلاسفة حتى قبل أن يقابل المؤرخ عبد الله البسام ويتعرف عليه ، وبالتالي قبل أن يأتي على ذكره ، في كتابه ، أساساً .

إذن ، وطبقاً لما قاله داوتي عن ابن بسام بشكل مباشر وغير مباشر ، فقد كان في فجر شبابه أديباً له ميل إلى التاريخ ، وكتب التاريخ ونحوها من الأسفار كالموسوعات أو مايتعلق بها كالدوريات مثلاً . فهل كان في بقية سني حياته كذلك ؟ أو بالأحرى ماذا أصبح بعد ذلك ؟

الرحالة الإنجليزي داوتي ، قص شيئاً من قصة البسام في أول حياته ، قصها كمعاصر ومشاهد ، لا ، بل قصها كجليس ومؤانس . وإذا كان داوتي روى بداية البسام ، عن معاشرة وقرب ، فإن عالماً آخر ، وإن كان متأخراً ، وأقل منه بالتأكيد معاصرة ، إلا أنه بسام لصيق بعشيرته قوي الصلة بها ، وفوق هذا عالم ضليع مطلع على تراثها وتاريخها . الشيخ عبد الله البسام يكمل مابدأه داوتي ، بل ويدعمه حيث يقول في ترجمة المؤرخ ابن بسام : «والقصد أن المترجم له مع أعماله التجارية كانت هوايته ورغبته في القراءة والمطالعة وجمع الكتب وأغلب ميوله إلى التاريخ والأدب والسياسة ومعرفة أحوال البلدان والرحلات ، فصارت لديه ثقافة ومعلومات واسعة في هذا الباب . فتحصيل المترجم له للعلم هو من المطالعات ومجالسة العلماء والأدباء والمفكرين ، وليس من دراسة منظمة في حلقات العلم فحسب . لذا فإن مشاركته في العلوم الشرعية والعلوم اللسانية ليست كبيرة .»(١٥٨)

قول البسام «فتحصيل المترجم له للعلم هو من المطالعات ، وليس من دراسة منظمة في حلقات العلم فحسب» . كلمة «فحسب» هنا تعني «فقط» ومجمل معنى الجملة قد يعني بأنه على الرغم من أن المؤرخ ابن بسام سلك درب التعلم لا التعليم ، إلا أنه كان له نصيب من الاحتكاك ببعض العلماء وحلقاتهم ، ولكن على مايبدو كان هذا بشكل محدود ، إذ إن مشاركته في العلوم الشرعية واللسانية لم تكن كبيرة ، كما قال الشيخ البسام . ورواية البسام هذه توحي إن لم تثبت مشاركة المؤرخ ابن بسام وإن كان قليلاً جداً في حلقات بعض علماء عصره على أي شكل كان ، الأمر الذي ينسجم مع ماقيل في أول هذه الدراسة ، من توقع استفادته من الشيخ ابن عائض الذي

ثبتت صلته القوية به . والشيخ إبراهيم بن عيسى عالم آخر ربطته صلة وثيقة حميمة بأسرة البسام ككل في عنيزة[١٥٩] . وابن عيسى كان معاصراً للمؤرخ ابن بسام[١٦٠] ، ولعله والحالة هذه ، كان معاصراً قريباً منه . ومع جميع المؤشرات التي توحي بعلاقة ابن بسام بهذا العالم واستفادته منه ، فإن المرء قد لايعدو الحقيقة بالقول إن كان المؤرخ ابن بسام قد استفاد من ابن عايض في أول حياته ، فقد توجها ، بفائدة عظمى من هذا العالم الجليل . لعل ابن عيسى كان رافداً هاماً نهل منه المؤرخ ابن بسام واستفاد .

وكلمة «فحسب» التي أوردها الشيخ ابن بسام في النص تدفع المرء لأن يبحث في كتب التراجم وغيرها ، عله يعثر على اسم شيخ قد يكون المؤرخ ابن بسام تتلمذ على يديه أو أخذ عنه شيئاً من العلم . ولكن باء البحث بلا شيء ، مما يؤكد محدوديته القصوى في هذا المجال ، وانصرافه ، معتمداً على نفسه ، نحو الأدب وفنونه كالتاريخ وخلافه . ولهذا السبب يقول الشيخ البسام بأن أغلب ميوله كانت إلى التاريخ والأدب والسياسة .

الميل إلى الأدب والتاريخ والسياسة بالنسبة للمؤرخ ابن بسام لم يأت عن فراغ إن هذه الرواية تذكر بما قاله داوتي عنه في أول حياته تذكر بما قاله عن اطلاعات ابن بسام على كتب التاريخ والموسوعات ونحوها ، كما تذكر أيضاً بنعت داوتي له وصديقه «بالأدباء» وتذكر مرة ثالثة ، عندما وصف داوتي جلساءه ومن بينهم البسام بالساسة المطلعين . تذكر بكل هذا وتؤكد استمرارية الميل العلمي لابن بسام . تذكر وتؤكد مواصلته لطريق الأدب والتاريخ ، ذلك النهج الذي اختطه لنفسه منذ أن كان شاباً يافعاً .

المؤرخ ابن بسام ، كما في النص ، يجمع الكتب ، والنتيجة الحتمية والسليمة أو المتوقعة لهذا الجمع هى قراءة هذه الكتب ومعرفة مافي بطونها . وهي بالنسبة لهذا المؤرخ قراءة ومطالعة ، بل مطالعات . وتكرار كلمات كمطالعة ومطالعات ورديفتهما القراءة ، في هذا النص ، لاتعنى سوى شيء واحد ، هو التأكيد أو الترسيخ لهذا الاطلاع أو المطالعة ، والذي لايعني عند الرحالة داوتي ، بالنسبة لهذا المؤرخ ، سوى «الانكباب» على الكتب والمطالعة حتى الفجر[١٦١] . فنهج المؤرخ في التعلم ، لم يحد عنه قيد أنملة ، كما كان في فجر حياته ، كان في ضحاها ، وعصرها ، بل وحتى عند غروبها ، نهج في القراءة والاطلاع مكين .

وهو يعب من معين القراءة الزاخر ، لم ينس المؤرخ ابن بسام رافداً آخر . على جانب من الأهمية في العلم والمعرفة يذكر ، إنها مجالسة العلماء والأدباء والمفكرين ، كما قال الشيخ البسام . فقد حفلت حياته بمجالسة هذه الصفوة المختارة من الناس ، وكان لصفاء طبعه الأثر الكبير في ذلك . وعند ترجمة هذا إلى لغة الواقع والتطبيق ، فإنه بالإضافة إلى العلماء المشار إليهم آنفاً ، فقد حظى ابن بسام بمجالسة الكثير من الأدباء والمفكرين ، سواء من أهل بلدته أو أولئك الرحالة الزوار . جالس

هؤلاء طوال حياته دون انقطاع . في ريعان شبابه ، دعا الرحالة الإنجليزي داوتي إلى قهوته في عنيزة ، وكان الحديث في الأدب والتاريخ[١٦٢] . وإذا كان هذا الرحالة قد رسم صورة لابن بسام الشاب وقهوته التي كان يستقبل فيها ضيوفه من الأدباء وغيرهم ، فإن الشيخ البسام بعد ذلك بفترة طويلة رسم صورة مماثلة لهذا المجلس ، ولكنه هنا في مزرعته «المويهرية» حيث يقول : «والمترجم له من الأعيان الوجهاء في بلده وغيرها ويحرص الأمراء والعلماء والأعيان على مجالسته ومنادمته والاستفادة منه ، فبستانه الغني بالماء العذب وأشجار النخيل والفاكهة مزار لمحبيه ومجالسيه ويجدون الصدر الرحب والنفس الطيبة والبشاشة والطلاقة . كما يجدون عنده حسن المجالسة والمؤانسة .»[١٦٣] وبعد أن أثقلت كاهله السنون ، في خريف العمر ، أنس ابن بسام ، أو أنس به ضيف أو رحالة آخر في هذه المرة كان عربياً مثله ، انه المفكر والفيلسوف أمين الريحاني . دعاه في هذه المزرعة ، وكان الحديث بينهما ذا شجون تخطى الأدب والتاريخ وسمت به طيبة روحيهما فحلق في جو من الألفة والود العميق[١٦٤] .

وإذا كان ابن بسام استفاد من مجالسة الكثير من الأدباء والمفكرين ، فإن في الرحلات والسفر فوائد معروفة ، وقد أصاب الشيخ البسام حينما عدها واحدة من الطرق التي تعلم بها مؤرخنا وتثقف[١٦٥] . سافر المؤرخ ابن بسام إلى بلدان كثيرة كالعراق ومصر والهند[١٦٦] ، بالإضافة إلى الأماكن المقدسة . وفي بعض هذه البلدان كالهند مثلاً ، أقام فترات متقطعة ليست بالقصيرة استمرت وقتاً طويلاً من حياته .

هذه إذن مجتمعة هي الروافد التي غذت ثقافة المؤرخ ابن بسام وصقلت روحه واكسبته علماً وتجربة عد لأجلها ، واحداً من علماء الجزيرة ومؤرخيها البارزين .

والصورة أو الصفة التي تؤخذ مما أورده الشيخ ابن بسام في نصه عن البسام المعني بهذه الدراسة هي صفة أو شخصية «الأديب المؤرخ» . وقد قال بهذا معظم العلماء الذين تعرضوا لابن بسام أو لتاريخه . وحتى الشيخ البسام نفسه ، عندما لقبه «بالشيخ» ودعاه بهذا اللقب الذي عادة مايطلق على علماء الشرع الشريف ، أردفه بكلمة «المؤرخ» . قال : «الشيخ المؤرخ»[١٦٧] ولعله فعل هذا توضيحاً وتمييزاً له ولثقافته التي تختلف عن هؤلاء .

ويروى العلامة الشيخ حمد الجاسر ، نقلاً عن أحد علماء عنيزة ووجهائها وهو الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سليم قوله عن المؤرخ ابن بسام : «. . . ويظهر أنه لم يشتغل بطلب العلم متجرداً له ، ولكنه أديب مثقف . . .»[١٦٨] .

وهذا النص على اختصاره ، ربما أوحى بكل ماعناه الشيخ البسام في نصه السابق . على أن المهم فيه هنا هو تحديد شخصيته أوهويته العلمية بأديب مثقف ، الأمر الذي يتفق أيضاً مع ماجاء في قول الشيخ البسام وما قاله عنه أمين الريحاني حيث وصفه بالعلم والأدب[١٦٩] . وهكذا قال بعض

العلماء والباحثين الآخرين كالشيخ محمد بن عثمان القاضي الذي قال عن المؤرخ ابن بسام ، وهو في صدد تعداد العلماء والأدباء والمؤرخين من أسرة آل بسام : «وعبد الله المحمد العبد العزيز البسام أديب بارع ومؤرخ شهير وشاعر . . .»(١٧٠) وقال أيضاً في ترجمته لأحد العلماء القضاة : «. . . تولى قضاء عنيزة نقلاً عن تاريخ الأديب عبد الله المحمد البسام نزهة المشتاق فقد قال : . . .»(١٧١)

إذن الشخصية أو الهوية العلمية ، لعبد الله بن محمد البسام ، في نظر هؤلاء العلماء كالشيخ ابن بسام والسليم والقاضي وربما غيرهم ، هي «الأديب المؤرخ» ورأى الرحالة داوتي قبلهم في الشاب ابن بسام ، عن قولهم هذا ليس ببعيد . فقبل هؤلاء بما يربو على القرن والربع من الزمن ، قال داوتي بهذا الرأى تصريحا مرة ، وتلميحاً أخرى . وهذا لايعني سوى شيء واحد ، وهي الاستمرارية لمسيرة ابن بسام الثقافية أو العلمية منذ جذورها الأولى ، حيث كان شاباً أديباً منكباً على كتب التاريخ ونحوها كما روى داوتي ، إلى أن كبر ونضج وأثمرت هذه الجذور «أديباً مؤرخاً .»

هذا الأديب المؤرخ ، كعادة بعض علماء عصره ، لم يقتصر على مجال من العلم أو الأدب واحد ، بل كان له ، بجانب التاريخ ، حظ من المعرفة في علوم وفنون أخر .

ماخاب ظن الإنجليزي داوتي عندما قال عن الشاب ابن بسام ، إنه قارىء ومطلع على شعر العرب وشعرائهم(١٧٢) . قراءاته للشعر صقلت حسه ، فتذوق الشعر وقرضه حتى عده البعض شاعراً . فبالإضافة إلى ماقاله القاضي في النص أعلاه ، هناك إشارات أخرى توحي بمشاركة ابن بسام في ميدان الشعر ، وإن لم يعد بالضرورة شاعراً .

وربما هزت عاطفته المناسبات ، فجادت قريحته فيها بشيء من الشعر ، كوفاة عزيز ربطته به مودة وصداقة . قال في تاريخه «تحفة المشتاق» : «وفي سنة ١٣٢٨هـ يوم الخميس ١٨ ربيع آخر توفى الشيخ عبد العزيز بن على بن محمد بن إبراهيم رحمه الله ، وكانت وفاته في سورة من بلاد الهند . وقد قلت فيه أبياتاً بعد وفاته ، بيت التاريخ منها :

وقـــد قلت في هذا ختامـــاً مؤرخـــاً   لعبـد العزيـز الفـوز مذحـم نقلـه(١٧٣)

فهذه كما يبدو قصيدة رثاء وتأبين تحتوى على العديد من الأبيات الشعرية ، ولكنه اكتفى كما قال بذكر بيت التاريخ منها ، والذي يوضح سنة الوفاة فقط .

وكما تؤثر عليه المآسي ، تهزه المناسبات السعيدة فيقول الشعر فرحاً مستبشراً كما حدث في عام ١٣٤١هـ ، عندما تدفق الماء غزيراً عذباً من بئر بستانه «المويهرية» فطرب لهذه المناسبة السارة ، وأرخها بأبيات من الشعر قال فيها :

«رجوت رحيماً واستعنت بعونه   كمستمطر يرجو المنى من غمامه
على حفر بئر فاق ماكان قبله   فجاء نميراً يستقي من جمامه
ولما استتم البئر قلت مؤرخاً   حمدت كريماً من لي بتمامـــــه»(١٧٤)

والمؤرخ ابن بسام ، كما تواتر عنه ، على جانب كبير من اللطف وحسن الخلق ، وحب المجالسة والمؤانسة وصبغت شخصيته بروح الدعابة . الدعابة التي ربما ترجمها أحياناً شعراً . قال الجاسر نقلاً عن عبد الرحمن الزامل السليم : «. . . وربما نظم بعض المقاطيع الشعرية الفكاهية التي لها صلة ببعض أصدقائه .»(١٧٥)

ورواية عبد الرحمن الزامل السليم هذه تنسجم مع ماقاله داوتي عن عبد الله البسام الشاب صاحب الروح المرحة المخلوقة .

ولعل ابن بسام قال شعراً كثيراً ، ولكن هذا هو كل ماعرف من شعره وماقيل فيه ، وهو من القلة بمكان لايتمكن معه الباحث من الحكم عليه إلا بشيء واحد فقط هو القول بمقدرته على قرض الشعر ونظمه . قرض الشعر ونظمه فقط دون تحديد المستوى والنوع . ولولا ذكر ابن سليم لشعر له روح الفكاهة نظمه البسام لبدا شعره ربما كشعر بعض الفقهاء والنحويين يفتقر إلى روح الحلاوة والطلاوة .

وابن بسام ، كشاعر ، لم يكتف بقرض الشعر فقط ، وإنما جمع وانتقى مااستطاب منه ومن غيره من مواعظ الأدب وحكمه . قال الشيخ البسام : «كما ألف مجموعا في الأدب والحكم والأشعار وسماه (الدليل المفيد لمن هو للدين والدنيا مريد) . قال عن تاريخ ابتداء تصنيفه هذا الكتاب (قد اعتنى بجمعه لنفسه أحقر الأنام عبد الله بن محمد العبد العزيز البسام مبتدأ به سنة خمس وثمانين بعد اثنى عشرة من المئين من هجرة من له الفضل والشرف»(١٧٦) .

ماورد في هذا النص هو كل ماهو معروف ومتوافر عن هذا الكتاب ومحتواه . ولعله بجانب ماجمع ، ضمنه بعض شعره هو نفسه وربما نثره أيضا . على أن قوله «قد اعتنى بجمعه لنفسه» تجعل المرء قد يستبعد مثل هذا الاحتمال . إذ توحي هذه العبارة بأن الكتاب يحتوى على مجموعة مختارة من الحكم الأدبية والأشعار النادرة الثمينة ذات المعنى البليغ والأسلوب الرفيع ، والتي شدت انتباهه فانتخبها لنفسه وانتقاها واحتفظ بها كقطع من الأدب الراقي الفريد .

ويبدو أن ابن بسام في الشعر ، قد تعدى القرض والجمع إلى الحفظ وخصوصاً النبطي منه ، إذ يعج تاريخه «تحفة المشتاق» ويزخر بما استشهد به من هذا الشعر . وإذا كان المؤرخ عثمان بن بشر أحجم عن إيراد مثل هذا النوع من الشعر في كتابه «عنوان المجد» متقيداً بقواعد اللغة وفصيحها من الشعر(١٧٧) ، فإن ابن بسام التزم جانب المؤرخ والتأريخ فقط في هذا المجال وفضله . ولم ير بأساً من إيراد شعر كهذا دعماً وبرهاناً لبعض ماكتب من حوادث وأخبار . رأى فيه الخبر والحدث أو الحكمة ، ولم يأبه لموقعه من الفصحى . طعم تاريخه بأبيات لشعراء النبط الكبار ، وعلى رأسهم أميرهم حميدان الشويعر ، والشاعر محمد بن لعبون وغيرهم كراكان بن حثلين وراجح الشنبري وأحمد أبو عنقا(١٧٨) . كل هؤلاء ذكر لهم شعراً مستشهداً به ، ولعله أول مؤرخ نجدي فعل هذا(١٧٩) .

الجغرافيا مجال آخر كان على مايبدو ، للمؤرخ ابن بسام أيضاً باع فيه . فقد عد الشيخ البسام «معرفة أحوال البلدان»[١٨٠] كواحدة من المعارف التي كان لدى هذا المؤرخ ميل إليها . و «معرفة أحوال البلدان» في معناها البسيط أو القريب قد لاتعني في معظم الحالات وأعمها سوى «معرفة أحوال البلدان الجغرافية» وقريباً كانت تدعى أو تسمى بعض مؤلفات الجغرافيا وكتبه بـ «تقويم البلدان» وموقع هذه العبارة من نص البسام ، بين الصفات الأخرى ، لاتوحي بأنه قصد غير هذا المعنى .

إنه لمن غرائب المصادفات أن يكون المؤرخ ابن بسام واحداً ممن نفيت عنهم صفة مهمة كالعلم بالجغرافيا أو معرفته . ففي أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، حوالي عام ١٢٩٥هـ أتى الرحالة الإنجليزي داوتي ، كما تقدم ، وقال بأنهم لايعرفون الجغرافيا تقريباً ، لافي عنيزة ولا في سوريا ، مدعيا بأنها أصلاً ليست من العلوم السامية . وبعد خمس وأربعين سنة من زيارة هذا الرحالة ، يأتي رحالة آخر لالينفي فقط ما ادعاه سابقه ويثبت عكسه ، بل لينهل أيضاً ويستفيد في الجغرافيا من أحد أولئك الموصومين ظلماً بجهل هذا العلم .

قال الرحالة أمين الريحاني متحدثاً عن مصادره والعقبات التي واجهته في هذا الشأن : « . . . في النبذة الأولى : نواحي نجد ، وهي لاتخلو من صعوبة إذا تحرينا التدقيق في ضبط الأسماء ، أسماء البلدان ، فكتب السياح المستشرقين تضلل غالباً في اعلامها ، وكتب الأقدمين العرب تروي أسماء بلدان دثرت ، وأسماء للبلدان التي لاتزال في عالم الوجود غير المصطلح عليها لفظاً ومبنى . لابد إذن من الاستعانة بأحد علماء نجد المعاصرين»[١٨١] .

ويجد الريحاني ضالته هذه في المؤرخ عبد الله بن بسام ، حيث يواصل قائلاً : «وكنت قد استعنت عندما مررت بعنيزة بالشيخ عبد الله بن محمد العبد العزيز البسام ، فكتب لي لائحة بأسماء بلدان القصيم وسدير والعارض ، وبت انتظر وصول المعلومات الأخرى»[١٨٢] .

ويؤكد الريحاني مرة أخرى على فقه المؤرخ ابن بسام ، وفهمه في الجغرافيا قائلاً : «فإنك ترى مما تقدم أن أهم مصادر النبذات الثلاث هي نجدية ، أي إن ابن بشر هو ركن النبذة الثالثة ، وابن غنام وابن تيمية ركنا النبذة الثانية ، والسلطان عبد العزيز ، الملقب بجغرافية البلاد العربية ، والشيخ عبد الله البسام الذي قال فيه عظمة السلطان أنه من العارفين المدققين ، هما[١٨٣] مرجعي في النبذة الأولى»[١٨٤] .

ومن هذا يتضح ان ابن بسام كان ثاني اثنين استفاد منهما الريحاني واعتمد عليهما فيما يتعلق بالجغرافيا . وماجاء في هذا النص لايحتاج إلى مزيد من القول بأنه كان على دراية ومعرفة بهذا العلم .

وقبل استعراض ماقد يلقى الضوء على ثقافته وعلمه ، مما جاء في صلب كتابه «تحفة المشتاق» الذي يعد في واقع الأمر المجال أو الصرح الأساسي لابن بسام حيث اشتهر وعرف به ، تجدر الإشارة

إلى الأنساب أو علم الأنساب الذي على مايبدو كان له حظ وافر فيه . فقد ذيل تاريخه «تحفة المشتاق» بملحقين أو تذييلين صغيرين عنها . الملحق الثاني عنوانه «تذييل ثان عن أنساب بعض البطون من قبائل تميم»[١٨٥] وهو لم يقتصر على قبيلة تميم كما في العنوان ، وإنما تعداها إلى ذكر بعض القبائل الأخرى . وابن بسام بالإضافة إلى قصر ملحقه هذا واختصاره ، لم يأت فيه بجديد عما جاء في معاجم القبائل وكتب الأنساب الأخرى . أما الملحق الأول فعنوانه : «تذييل عن عنيزة والبطون التي تنزلها - زمن المؤلف - من بنى تميم ، متصلة بالكتاب»[١٨٦] ، ومرة أخرى على الرغم من أن العنوان يوحي بأنه سيقتصر فقط ، على ذكر الأسر أو البطون التي تنتمي إلى هذه القبيلة أو تنحدر منها ، إلا أنه بجانبها ذكر كثيراً من الأسر التي ترجع إلى قبائل أخرى .

وابتدأ هذا الملحق قائلاً : «عنيزة قاعدة بلاد القصيم ، والرياسة فيها الآن لآل سليم من بني ثور من سبيع . وآل سليم هم من أولاد سليمان بن يحى بن على بن عبد الله بن زامل ، وسليمان هو الملقب سليم .»[١٨٧] ثم استمر في سرد بقية الأسر . ومن المؤكد أن ابن بسام لم يذكر أو يحصي كل الأسر التي كانت تسكن عنيزة آنذاك ، ولايتوقع منه ذلك لاسيما في مدينة واسعة كعنيزة . فنظرة على بعض المؤلفات الأخرى في الأنساب ، ككتاب «منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب» للمؤرخ الشيخ محمد بن عثمان القاضي تثبت ذلك . على أن هذا الذيل أو الملحق مهما كان مختصراً ومحدوداً ، يشير إلى ميل ابن بسام واهتمامه بالأنساب ومجالها . كما يشير من ناحية أخرى بالإضافة إلى ماذكره في مقدمة كتابه[١٨٨] . إلى مصدر من مصادره وهى الرواية الشفوية التي استفاد منها . فهى والحالة هذه والمهم هنا تعد واحداً من روافده الثقافية . لقد دأب ابن بسام ، عند إشكال نسب ماعليه ، على السؤال والتحري ، وأحياناً يسأل المعنيين بالأمر أنفسهم . قال : «وسألت ابن سحيم عن نسبهم فقال : إننا من الوهبة من تميم ، وإن جدنا سحيم انتقل من بلد أشيقر وسكن في وادي عنيزة ، وإننا من آل يوسف المعروفين في أشيقر وفي عيون القصيم .

وسألت فوزان القريشي عن نسبه فقال : إننا من الوهبة من تميم . . .»[١٨٩] .

واهتمامه بالأنساب أمر واضح وملاحظ في ثنايا تاريخه «تحفة المشتاق» ، فعند ذكره لعلم من الأعلام كعالم أو قاض ، أو أمير أو تاجر ونحوه ، غالباً ماينسبه إلى قبيلته أو عشيرته التي ينتمي إليها . وهو بهذا يبّز المؤرخ ابن بشر ولكنه بحال من الأحوال ، لايضارع المؤرخ النسابة ابن عيسى .

وبعد استعراض هذه التذييلات أو الملاحق ، تجدر العودة إلى التاريخ نفسه «تحفة المشتاق» في محاولة لتطبيق ثقافة مؤلفه عليه ، أو بالأحرى معرفة عما إذا كان هذا الكتاب ومحتواه يعكس ثقافة وعلم هذا المؤلف ؟ وإلى أي حد كان هذا ؟

الأسلوب واللغة التي كتب بها ابن بسام تاريخه «تحفة المشتاق» تتفاوت من مكان إلى آخر من حيث القوة والضعف ، أو الاختصار والإسهاب . يختصر غالباً ، عندما يكتب عن حوادث

تاريخ نجد ربما لأن المصادر لاتسعفه بمادة تاريخية ثرية . ويسهب وأحياناً بشكل ممل ، عندما تجود عليه المصادر ، كما في الحوادث التي دونها عن الحجاز . ولغته وأسلوبه فيما ينقل ، يكون تبعاً للمصدر الأصلي من حيث القوة والضعف ، مع بعض التعديلات الطفيفة . أما فيما يكتبه هو بنفسه فيتسم بالاختصار ، وأحياناً الاختصار الشديد ، ولكن ليس الاختصار المخل كما في تاريخ الفاخري . أما لغته فهي بسيطة سهلة العبارات ، مفهومة المدلول والمعنى ، إلا من كلمات نجدية قد تصعب على البعض الذي يرى فيها كلمات عامية محرفة عن الفصحى ، وهو أمر على مايبدو غير صحيح ، إذ يرى بعض اللغويين غير ذلك . يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي : «. . . عندما نزل القرآن الكريم بلغة قريش التي هى أفصح لغات العرب كلها كانت هناك عدة لهجات في سائر أنحاء الجزيرة العربية مخالفة بعض المخالفة للغة قريش ، منها لهجة أهالي نجد بل لهجات أهالي نجد ، فقد كانت للقبائل النجدية لهجات خاصة بها .»[١٩٠]

ويواصل قائلاً : «إن اللغة النجدية المحلية الآن هي سليلة لغة عربية فصيحة كانت شقيقة للغة الفصحى لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم وبخاصة مايتعلق بمفردات اللغة . مع تكرار القول بأننا نريد باللغة هنا مايسمى الآن باللهجة . وأن البعد الذي يلاحظه المرء فيما بين تلك اللهجة وبين اللغة الفصحى القرشية ناشىء عن عدة عوامل : . . .»[١٩١] .

بالإضافة إلى هذا ، فالبسام كابن بشر يستعمل لغة «أكلوني البراغيث» ، ومع كون هذه اللغة ضعيفة فهى فصيحة . ولغة ابن بسام في مجملها ، لولا اختصار عباراتها ، وكثرة الكلمات النجدية لعدت موازية للغة ابن بشر .

وكان يتوقع أن تكون اللغة التي كتب بها تاريخه ، أرفع مما هي عليه وأتقن ، وذلك لما قيل عن ثقافة ابن بسام الواسعة وما تمتع به من إدراك ونضج أدبي عال أهله لأن ينظم شعراً لاغبار عليه من ناحية القافية واللغة ، كما بدا بالسجع ملماً ، إذ سمى كتابيه سجعاً[١٩٢] . والحالة هذه ، فإن المرء كان يتصور أن تأتي لغته منسجمة مع مستواه الأدبي لا أن تكون دونه ، الأمر الذي يدعو إلى الحيرة والتساؤل . وفي محاولة لفهم هذا الغموض ، فإن معاصره المؤرخ ابن عيسى قد يفيد في هذا الشأن . ابن عيسى ألف كتابين في التاريخ ، الأول «تاريخ بعض الحوادث» والثاني «كتاب عقد الدرر»[١٩٣] .

وفيما يتعلق باللغة والأسلوب فالبون بين هذين الكتابين شاسع واسع . فبينما كتب الأول بلغة وأسلوب بسيط على السجية ، كتب الآخر بعبارات ولغة فصحى مجودة ، وأسلوب راق رفيع . واستشهد بكثير من القصائد الفصحى الطوال . عبارات «تاريخ بعض الحوادث» تشبه بل تماثل وتطابق تلك التي في ابن بسام ، خصوصاً فيما يتعلق بتاريخ نجد ، تماثلها من حيث الأسلوب واللغة ، واستعمال الكلمات النجدية ، بالإضافة إلى الأخطاء النحوية ، والاختصار ، ومن يقرأ هذا

الكتاب سيحكم بلا شك على أسلوب ولغة ابن عيسى بهذا الواقع المتواضع ، وسيعتقد بأن هذا هو مستوى لغة المؤلف الحقيقي وأن أسلوبه هذا ، هو غاية إبداعه واستطاعته . غير أن لغة ابن عيسى التي تعكس مستواه العلمي واللغوي الصحيح ، هي تلك التي كتب بها «عقد الدرر» ذلك الكتاب الذي ألفه بإيعاز من الملك عبد العزيز[١٩٤] فاهتم بصناعة لغته وحسنها ، فأتى مخالفاً لكتابه «بعض الحوادث» الذي كتبه على السليقة والسجية ، متأثراً ، ربما بمن سبقه من بعض المؤرخين النجديين الذين اعتادوا هذا النوع من الكتابة .

على تمكن ابن عيسى من اللغة وسيطرته على قواعدها فعل هذا ، فهل فعل ابن بسام نفس الشيء ؟ هل تباسط في لغته وأسلوبه مع مقدرته على الاتقان والإجادة ؟ في حالة ابن عيسى ، وجد كتاب آخر له فحسم الأمر ، أما بالنسبة للبسام فلا زال السؤال قائماً . ويزيد في تلجلج هذا السؤال وبروزه بالإضافة إلى ماقيل عن الشعر والسجع ، تلك الومضات في تناسق الجمل والعبارات ، أحياناً ، مما يرجح مقدرته على صناعة اللغة والأسلوب المتقن لو رغب فيهما .

وطالما أن الحديث حول لغة وأسلوب المؤرخ ابن بسام ، فتجدر الإشارة هنا إلى بعض قدراته الأخرى المرتبطة بهما .

فالخط الغالب لهذا المؤرخ ، على مايبدو ، كان خط النسخ الذي امتاز بالوضوح والترتيب ، كما قال نور الدين شريبة ، والذي يعني أن خطه كان حسناً متقناً ، هذا مع إجادته لبعض الخطوط الأخرى كالخط الفارسي ، وربما الثلث أيضاً[١٩٥] .

وأول مايواجه القارىء لتاريخ ابن بسام المخطوط «تحفة المشتاق» تلك القائمة من الحوادث – جعلها في مقدمة تاريخه – والتي قال في أولها : «وقد جعلت الابتداء به في ذكر بعض الحوادث التي ابتداؤها من أول الهجرة على سبيل الإيجاز لأنها مما يرغب الوقوف على حدوثها»[١٩٦] .

وعبارته الأخيرة : «لأنها مما يرغب الوقوف على حدوثها» توحي بانتقائه واختياره لتلك الحادثة أو الخبر مفضلاً إياها عما عداها من أحداث ذلك العام ، ولعلها كانت أهم ماحدث فيه ، لهذا اختارها . حيث قام بذكر السنوات الهجرية ، وإن كانت متدرجة فهي غير متصلة ببعضها ، وذكر حدث واحد فقط أمام كل منها .

ففي السنة الأولى من الهجرة مثلاً ، ذكر تأسيس مسجد قباء ، وفي السنة العاشرة سجل حجة الوداع . وفي سنة ١٤٥هـ أرخ ابتداء المنصور في بناء بغداد . وقال في عام ٣٥٩هـ «بناء الجامع الأزهر والانتهاء سنة ٣٦١هـ» وأورد حدثاً ثانياً أمام نفس العام «إدخال العرب أرقام الحساب في أوربا» وقال أمام سنة ٤٩٣هـ «استيلاء الصليبيين على بيت المقدس» . وفي سنة ٥٨٩هـ أرخ وفاة أحد مشاهير قادة المسلمين : «وفاة صلاح الدين الأيوبي الكردي» . وفي سنة ٦١٦هـ أرخ «دخول الفلك والجغرافيا في أوربا» . أما في عام ٦٥٦هـ ، فقد أرخ سقوط الدولة العباسية ببغداد ، أو انتهاءها كما قال . وفي سنة ٧٣٩هـ قال : «أول استعمال الانقليز للمدافع» ثم

ذكر في سنوات لاحقة عدة اختراعات منها على سبيل المثال «اختراع المطابع للكتب في أوربا» ذكر هذا أمام عام ٨١٩ . ولم ينس أن يذكر أمام عام ١٢٠٤ «اختراع المطابع للكتب العربية» كما قال . وحول الكتب والمطابع قال أمام سنة ١٢٣٨هـ «إنشاء مطبعة بولاق بمصر» . وفي عام ٨٧١هـ شده ذلك الحدث العظيم «اكتشاف الكهرباء بأوربا» . وأمام هذا الاختراع الضخم لم يهمل حدثاً آخر على ضآلته يعد ضرورياً كاختراع عيدان الكبريت في باريس سنة ١٢٣٤هـ كما قال . وعن الإنجليز كتب أمام عام ١١٥٣هـ «انشاء أول معمل للحديد عند الانقليز» ولم ينس أن يسجل تلك الحوادث المؤلمة في تاريخ العرب والمسلمين قال أمام عام ٨٨٥هـ» حرب أسبانيا مع عرب الأندلس . ثم قال في عام ٨٩٧هـ «خروج العرب من الأندلس» كما ذكر الحملة الفرنسية على مصر قال أمام عام ١٢١٢هـ «قيام تجريدة فرنسا على مصر» . كما دون بعض الاكتشافات الطبية . قال أمام عام ١١٩٠هـ «اكتشاف تطعيم الجدري» . وهذه أمثلة فقط تعطي صورة عامة لهذه القائمة من الأحداث التي ذكرها هكذا أشبه بالعناوين دونما شرح أو تفصيل . استمر فيها حتى سنة ١٢٩٤هـ . وهى فترة حياة المؤلف المبكرة . وتتفاوت هذه الأخبار أو العناوين بين حوادث التاريخ سواء العربي والإسلامي أو الأوربي والأمريكي . وتشتمل على الكثير من الأحداث الحضارية كالمخترعات العلمية أو الاكتشافات الطبية . كما لم ينس أن تتضمن هذه القائمة وفيات بعض العلماء الهامين كأبي حنيفة والشافعي . على أن أحداث مسيرة الحضارة كالمخترعات العلمية ، من صغيرها كالكبريت ، إلى أهم مافيها كالكهرباء ، هى الطابع المسيطر على هذه القائمة .

التفات المؤرخ واهتمامه بتدوين أمور عظيمة كهذه ، قد لايوحي إلا بحس حضاري رفيع ، وذوق عصري وفهم لطبيعة الأشياء وإدراك ، تميز به هذا المؤرخ في فترة كانت تعد مخترعات كهذه لدى بعض الناس ، مساً من الجان ، أو ضرباً من السحر والشيطان .

وتعكس هذه القائمة ، في تنوع أحداثها ، جانباً كبيراً مما أحرزه ابن بسام في درب العلم والمعرفة . هذا الدرب الذي بدأه مبكراً بخطوات ثابتة من الاطلاع العميق ، والانكباب على الأسفار والكتب ، حتى تباشير الصباح ، واستمر فيه إلى أن وصل إلى بوابة المعرفة الواسعة ، فدخلها كواحد من مؤرخي نجد ، بل جزيرة العرب البارزين . مسيرة البسام الطويلة على جادة العلم والمعرفة كانت مشرقة وبراقة بهرت معاصريه المجالسين له وغيرهم ، فأدوا بصدق شهادة الحق والعرفان . شهد الريحاني بعلمه وأدبه وروحه العصرية . ويبدو أن سمعة ابن بسام العلمية كان لها شيء من الصدى في آفاق الجزيرة ، إلى الدرجة التي جعلت الملك عبد العزيز ، على كثرة أشغاله وإنشغاله ، يقول عنه : «إنه من العارفين المدققين» . وقبل هؤلاء بزمن طويل شهد له الأباعد كالرحالة الإنجليزي داوتي الذي شهد بجده واجتهاده في التحصيل وطلب العلم والمعرفة منذ أن كان شاباً يافعاً . وفي حين أنصفه هؤلاء وأثنوا عليه ، قسا عليه بعض الباحثين ، فلم يروا من مسيرته المشرقة

هذه سوى ذلك الظل الخافت الذي يجمعه بمعاصره ، وربما صديقه ابن عيسى . نسي بعض الباحثين علم ابن بسام ، وذكروا فقط هذا الركن الضئيل الباهت ، ذكروه وكأنه كل شيء عن هذا المؤرخ ، إلى درجة أن رجع بعضهم اهتمام البسام بالتاريخ أصلاً إلى هذه العلاقة . يقول الشيخ حمد الجاسر : «سبقت الإشارة إلى صلة المؤرخ ابن عيسى بالأسرة البسامية الكريمة في مدينة عنيزة ، وكان من أثر تلك الصلة ، أن وجدنا أحد أفراد هذه الأسرة يعني بالتاريخ ، فيجمع فيه كتاباً يصح القول بأنه يحوي خلاصة ماكتبه مؤرخو نجد عن تاريخ بلادهم . . . ومن ثم يدعوه كتاب : «تحفة المشتاق من[١٩٧] أخبار نجد والحجاز والعراق» .

هذا المؤرخ هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز . . . بن بسام . . .»[١٩٨] فالشيخ الجاسر يرى أن اهتمام وعناية البسام بالتاريخ كان نتيجة لصلته بالمؤرخ الشيخ إبراهيم ابن عيسى . ولا يتوافر الآن تاريخ دقيق يحدد بداية هذه الصلة . ولعلها بدأت في مرحلة متأخرة من حياة ابن عيسى ، حيث كان يتردد على مدينة عنيزة ثم سكنها واستقر بها وتوفى رحمه الله بها فعده البعض محقاً ، واحدا من أهلها ومؤرخيها .

وابن عيسى ، كما تقدم ، ربما عد رافداً استفاد منه ابن بسام ، ولكن ليس أبداً إلى الدرجة التي قد يعزي أن اهتمامه بالتاريخ أصلاً كان نتيجة لصلة كهذه . حيث ثبت من خلال هذه الدراسة أنه كان لابن بسام اهتمام بالعلم وبالذات التاريخ ، اهتمام مبكر سبق صلته بأبن عيسى بعقود من الزمن عديدة . ولا أدل على هذا الاهتمام المبكر من قول تشارلز داوتي ، المتقدم الذكر ، عن انكباب ابن بسام الشاب وسهره حتى الصباح على مطالعات كتب الأدب والتاريخ ، ووصفه أيضاً لابن بسام في رواية أخرى ، بالشاب المتعلم أو الأديب . هذا بالإضافة إلى رواية داوتي الثالثة التي توحي بتحصيل ابن بسام في التاريخ ، وأنه كان على جانب ومستوى من العلم في هذا الحقل مكنه من نقد آراء العامة في بعض مسائله كما تقدم . كل هذا قاله داوتي عن الشاب ابن بسام الذي لم يتجاوز حينذاك الخامسة والعشرين من عمره .

وعند استعراض آراء المعاصرين لابن بسام ، بعد أن شب عوده ونضج وأصبح أديباً مؤرخاً ، نجدهم يجمعون على علمه وأدبه ، فالملك عبد العزيز ، وأمين الريحاني ، وعبد الرحمن الزامل ، وكل منهم كان معاصراً للبسام ومجالساً له ، وصفوه بصفات قوية ، كالعلم والأدب ، وبالأديب المثقف ، وعدوه واحداً من العلماء العارفين المدققين . تلكم صفات ، من ثقات عاصروه وخبروه ، لاتنم إلا عن عالم لم يأت اشتغاله بالأدب والتاريخ من فراغ ، ولا كان من أثر صلة لمعاصره المؤرخ ابن عيسى ، وإنما كان نتيجة وحصاداً لمشواره الطويل في درب التعلم والمعرفة .

وفي محاولة لمعرفة متى بدأ ابن بسام تأليف تاريخه «تحفة المشتاق» ومتى انتهى ؟ ، فإن الشيخ عبد الله البسام يقول في هذا الأمر : «في أثناء إقامته الأخيرة في عنيزة أكمل تاريخه الذي ابتدأ تأليفه

في الهند والذي سماه «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»[١٩٩] وإقامته الأخيرة هذه في عنيزة ابتدأت من عام ١٣٢٩هـ[٢٠٠] والمؤرخ ابن بسام نفسه حدد تاريخ إنهاء عمله هذا في عام ١٣٣٥هـ[٢٠١] ومن هذا يتضح جلياً أن ابن بسام قد بدأ في تأليف تاريخه قبل عام ١٣٢٩هـ ، وقد تصل هذه البداية حتى عام ١٣٢٠هـ أو حتى قبلها بكثير ، وهو أمر وارد جداً وذلك لما عرف عن ابن بسام من اهتمام مبكر في التاريخ والأدب عموماً .

وابن عيسى ، كما هو معروف ، توفى رحمه الله في عام ١٣٤٣هـ وبذا يكون ابن بسام قد بدأ في تأليف تاريخ «تحفة المشتاق» بما يقارب العقدين من الزمن أو تزيد قبل وفاة معاصره ابن عيسى ، كما وأنهى هذا العمل مبيضاً بما لايقل عن العقد من الزمن قبل وفاة ابن عيسى أيضاً ، الأمر الذي يثبت أن ابن بسام قد أتم كتابة تاريخه على حياة ابن عيسى وقبل وفاته بزمن طويل . وبذا يكون تأثره بمعاصره ابن عيسى لايعدو أن يكون تعاوناً أو أمراً شبيهاً بذلك ، كاستفادة عالم من عالم آخر معاصر له ومزامن . وهنا يصدق فقط تصور الدكتور الشويعر الذي قال : «وابن عيسى لو عرفنا أشياء عن حياته الخاصة ، ومتى توقف عن كتابة التاريخ ، لأدركنا بعض القرائن في الحكم له أو عليه ، إذ قد يكون توقف عن الكتابة ، واكتفى بما دون ، مما يجعل ابن بسام وغيره يستقى منه مشافهة ، أو يستقى من المصادر التي يستقي منها ، وهي في الغالب بالنسبة للأحداث المعاصرة : المجلس وحديث الناس المتكرر .»[٢٠٢] ولكن هذا التأثر لايتوقع أبداً أن يصل إلى الدرجة التي تصورها علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر . لاسيما وأن للرجل مثله مثل ابن عيسى مسيرة علمية ، كما وألف كتاباً آخر بجانب التاريخ ، وشهد بعلمه وأدبه رجال ثقات . فهل يستكثر عليه بعد هذا كله تأليف كتاب في التاريخ ، أو أن يقال بأنه كان نتيجة لصلته مع معاصره الشيخ ابن عيسى ؟ .

ويقول الدكتور الشويعر : «وفي هذا الموقف ومايشاكله نجعل للأقدم والأكثر اهتماما الأولوية والريادة ، ولاشك أن فكرة التجميع تاريخياً ، والاهتمام بالأنساب كانت لدى ابن عيسى من السنوات الأولى في حياته ، حيث عرف بذلك في وقت مبكر وتواتر هذا عنه ، حتى أن الملك عبد العزيز رحمه الله قد كتب للسبيعي في شقراء ، أثناء رحلة الريحاني ؛ بالاهتمام به وتمكينه من الإطلاع على تاريخ ابن عيسى كما قال الريحاني .

أما ابن بسام ، فلم تبدأ الفكرة عنده إلا متأخرة ، وبعد أن استقر ابن عيسى في عنيزة ، وتلازما فترة من الزمن ، فقد نقل الناسخ عن المؤلف قوله في صفحة العنوان : (قد تحرر هذا التاريخ في سنة خمس وثلاثين وألف وثلاث من المئين ، وسميته تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق) ، كما ذكر المؤلف في حوادث عام ١٣٤٣هـ وفاة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى» .

قول الدكتور الشويعر هنا ذو شقين :

الأول : التأكيد على أقدمية ابن عيسى ، وهو أمر صريح صحيح .

الثاني : القول بتأخر فكرة التدوين التاريخي لدى ابن بسام ، الأمر الذي يتناقض تماماً مع ماتثبته المصادر التاريخية .

فأقدمية المؤرخ ابن عيسى وريادته في هذا المجال أمر مسلم به ولايمكن أن يطعن به أبداً . فلقد كان واحداً من مؤرخي الجزيرة العربية الفطاحل . وأقدمية ابن عيسى أو أولويته لايمكن أن تحجب أقدمية أو أسبقية معاصره ابن بسام أو أن تؤثر عليها . فكلاهما ذو سبق وذو أولوية في تدوين التاريخ . ولكن الدليل الذي أورده الدكتور الشويعر كبرهان على أولوية ابن عيسى وريادته ، وهو قول الملك عبد العزيز بشأن تاريخ ابن عيسى أثناء رحلة الريحاني ، هو في نفس الوقت يعد دليلاً على أقدمية ابن بسام وريادته هو أيضاً في هذا المجال ، مثله تماماً مثل معاصره ابن عيسى . ألم يقل الملك عبد العزيز للريحاني في نفس المناسبة عن البسام ، إنه من العارفين المدققين ؟ فهذه العبارة بحد ذاتها شهادة له بالسبق المبكر بالعلم والمعرفة بشكل موازٍ زمنياً مع معاصره ابن عيسى . ولايضير البسام أن تاريخه لم يذكر بالنص ، فالتأليف جزء يدخل ضمن نطاق العلم والمعرفة الواسع . وعدم ذكر هذا التاريخ أثناء رحلة الريحاني ، لايعني أبداً عدم وجوده ، مع توافر براهين أكيدة تثبت أنه كان موجوداً ومكتوباً .

إلى جانب هذا ، فقد أشار الريحاني إلى البسام المؤرخ كمصدر شفوي أساسي لمعلوماته التاريخية – بجانب استفادته منه في الجغرافيا – وذلك ضمن فهرس مراجعه وأسانيده الذي ذكر فيه تاريخ ابن عيسى ، حيث أثبت ابن بسام قائلاً . «عبد الله بن محمد العبد العزيز البسام – ٥٠ سنة من الرواية .»[٢٠٤] وقول الريحاني ٥٠ سنة من الرواية تتفق مع أقدم رواية تشير إلى بداية مسيرة ابن بسام العلمية المبكرة ، وهي رواية داوتي كما تقدم .

وقول الملك عبد العزيز مع قول الريحاني هنا وداوتي قبلهما ، بالإضافة إلى توافر الأدلة الأكيدة بوجود مؤلف البسام في التاريخ «تحفة المشتاق» حتى قبل رحلة الريحاني بفترة طويلة لايوحي إلا بأسبقية لابن بسام وأقدمية تجلعه نداً لابن عيسى وإن بزه الأخير من الناحية العلمية وتقدم عليه كثيراً .

أما القول بأن ابن بسام لم تبدأ الفكرة عنده إلا متأخرة ، وبعد أن استقر ابن عيسى في عنيزة ، وتلازما فترة من الزمن . . . فهو قول يتعارض مع ماتثبته المصادر التاريخية كما مر .

فابن عيسى وإن تردد على عنيزة ، إلا أنه لم يستقر ويتخذها سكناً له إلا في عام ١٣٤٢هـ[٢٠٥] والدكتور الشويعر يورد قول ابن بسام نفسه عن تاريخه بأنه تحرر في عام ١٣٣٥هـ كدليل على تأخر فكرة التأريخ لدى ابن بسام . ويتضح هنا أن هذه السنة التي حدد فيها البسام انتهاءه من كتابة تاريخه ، تسبق السنة التي استقر فيها ابن عيسى في عنيزة بما يقارب الثماني سنوات ، مما يجعل هذا دليلاً لابن بسام لا عليه ولا على تأخر الفكرة لديه .

وقد تطرق لمناقشة آراء الشيخ الجاسر والدكتور الشويعر في شأن العلاقة هذه ، لأن الأمر يهم الجذور المبكرة لمسيرة ابن بسام العلمية ، وحقه في المساواة في الأقدمية والأسبقية ، طبقاً لماتثبته المصادر التاريخية ، ولم يهدف من هذه المناقشة دراسة علاقته مع ابن عيسى بحد ذاتها ، والتي هى موضوع مختلف محتاج إلى بحث منفصل .

ولعل هذه الدراسة بتسليطها الضوء خصوصاً على الجذور الأولى والمبكرة لحياة ابن بسام الثقافية ، أو مسيرته العلمية ، ومتابعة هذه المسيرة وتعداد روافدها بعد ذلك ، أعطت هذاالمؤرخ بعض حقه في البروز أو العرض للباحثين والقراء علة يتبوأ مكانه اللائق به بين جمهرة المؤرخين فيعرف أولاً ، ومن ثم يتمهد السبيل لدراسة علاقته مع أي مؤرخ كان .

التعليقــات

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، **علماء نجد خلال ستة قرون** ، (مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٩٨هـ) ، جـ ١ ٢٥٥ ، جـ ٢ ، ٥١٨ - ٥١٩ ، حمد الجاسر ، «**مؤرخو نجد من أهلها**» **العرب** ، ربيع الأول ١٣٩١هـ ، جـ ٩ ، ٧٩١ - ٧٩٢ ، **عن ابن عضيب** انظر : محمد بن عبد الله بن حميد ، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، نسخة مصورة لهذه المخطوطة ، جامعة الملك سعود ، عمادة المكتبات رقم ١٢٨٧ الورقات ١٣٦ - ١٣٩ .

(٢) **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ٩ ، ٧٩١ - ٧٩٢ .

(٣) محمد بن ناصر العبودي ، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم)** ، (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٩هـ) ، جـ ٤ ، ١٦٨٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ١٦٩١ .

(٥) المرجع نفسه ، ١٦٩٣ - ١٦٩٤ .

(٦) المرجع نفسه ، ١٦٩٧ .

(٧) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ١ ، ٢٢ ، جـ ٢ ، ٢٧٤ ، جـ ٣ ، ٦٧٤ .

(٨) محمد بن عثمان القاضي ، **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين** ، (القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، جـ ١ ، ٩ .

(٩) **علماء نجد** ، جـ ٣ ، ٦٧٤ .

(١٠) العبودي ، **المعجم الجغرافي** ، جـ ٤ ، ١٦٤٠ .

(١١) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ٤٦٤ .

(١٢) القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ١٦٢ ، ويقول الشيخ عبد الله البسام بأن هذا التاريخ يتكون من اثنتى عشرة كراسة . **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٣٧٤ .

(١٣) القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ١٦٢ .
(١٤) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ٧٧ .
(١٥) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٤٥٧ .
(١٦) الجاسر ، **مؤرخو نجد ، العرب** ، ربيع الثاني ١٣٩١هـ ، جـ ١٠ ، ٨٩٢ – ٨٩٣ .
(١٧) مقبل بن عبد العزيز الذكير ، مسودة لتاريخ مخطوط لم تمهل المنية مؤلفه الذكير من اختيار واحد من العناوين التي اقترحها . وهذه النسخة موجودة في جامعة بغداد تحت رقم ٥٦٩ – ٥٧١ ، الورقات ٧٨ ، ٩٣.
(١٨) الأديب هو عبد العزيز بن محمد القاضي ، واسم كتابه : **العنيزية «قصيدة تضم مختصر تاريخ عنيزة منذ تأسيسها حتى وقتنا الحاضر»** ، (بغداد : مطبعة الصباح ، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٧م) .
(١٩) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٥ .
(٢٠) **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .
(٢١) المرجع نفسه ، ٨٨٨ – ٨٩٢ .
(٢٢) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ – ٦١٥ .
(٢٣) محمد بن سعد الشويعر «**من المخطوطات التاريخية لبلادنا : تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق للشيخ عبد الله بن محمد بن بسام**» ، الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع ، ٣٣ – ٦٤ .
(٢٤) انظر مثلاً ، عبد الفتاح حسن أبو علية ، **دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر** (مصادر تاريخ البلاد السعودية) ، (الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) ، ٣٦٨ ؛ دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، (الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) ، ١٥٦ .
(٢٥) عن تشارلز داوتي انظر :

Robin Bidwell, *Travellers in Arabia,* (London: The Hamlyn Publishing Group Limited, 1976), 84-95.

(٢٦) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ .
(٢٧) منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب ، (القاهرة : مطبعة الحلبي ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) ، ٢٢ .
(٢٨) **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ . وعن العالم الأديب الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سليم انظر : البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٤٥٧ ؛ العبودي ، **المعجم الجغرافي** ، جـ ٤ ، ١٦٥٠ – ١٦٥١ .
(٢٩) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ .
(٣٠) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ .
(٣١) على أن الجاسر ذكر معلومة تتعلق بتجارة المؤرخ ابن بسام سيشار إليها فيما بعد .
(٣٢) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ .
(٣٣) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ٦١٣ ؛ الجاسر ، **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .
(٣٤) المرجع نفسه .

(٣٥) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٤ .

(٣٦) المرجع نفسه . ويلاحظ هنا أنه سمى البستان ، «المهيرية» بينما المؤرخ ابن بسام ، في «تحفة المشتاق» سماه «الموبهرية» كما سيأتي .

(٣٧) **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، نور الدين شربية عام ١٣٧٥هـ ، ورقة ١٥٧ .

(٣٨) المرجع نفسه ، ورقة ١٦٦ .

(٣٩) عن نخيل السكري أو السكرية انظر ، العبودي ، **المعجم الجغرافي** ، جـ ١ ، ١١٤ — ١١٥ .

(٤٠) **تحفة المشتاق** ، ورقة ١٧٥ .

(٤١) أحمد بن محمد المنقور ، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور** ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، (الرياض : ١٣٩٠هـ) ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ .

ايضا انظر :

Mohammed T. Al-Thenayan, *History-Writing In Najd,* Ph.D. Thesis, University of Exeter, 1976, 112-113.

(٤٢) البسام ، **تحفة المشتاق** ، انظر مثلاً الأوراق : ٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ .

(٤٣) **المعجم الجغرافي** ، جـ ١ ، ص ١١٧ ، وعن البرحى أو البرحية انظر أيضاً المرجع نفسه ، ص ١١٦ .

(٤٤) **تحفة المشتاق** ، ورقة ١٨٣ .

(٤٥) المرجع نفسه ، ورقة ١٨٥ .

(٤٦) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ص ٦١٤ .

(٤٧) أمين الريحاني ، **ملوك العرب** ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٦م) ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٤٨) **Charles M. Doughty,** *Travels In Arabia Deserta* (New York: Dover Publications, Inc., 1979), **Vo1.II,** 379

(٤٩) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ص ٦١٥ .

(٥٠) المرجع نفسه ، ص ٦١٤ .

(٥١) الشويعر ، **من المخطوطات التاريخية** ، الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع ، ٤٠ .

(٥٢) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٥ .

(٥٣) **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .

(٥٤) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٥ .

(٥٥) **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .

(٥٦) **من المخطوطات التاريخية** ، الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع ، ٤١ .

(٥٧) ابن بسام ، **تحفة المشتاق** ، ورقة ١٩٠ .

(٥٨) المرجع نفسه ، دراسة عن المخطوطة التي نقل عنها هذا التاريخ (آخر ورقة من المخطوطة) . والدكتور الشويعر

مطلع على هذين النصين ، حيث أشار إلى الأول ، كما في النص ، وأثبت الآخر ضمن دراسة الناسخ للمخطوطة والتي اقتبسها الدكتور الشويعر في مقاله . انظر ، **من المخطوطات التاريخية** ، الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع ، ٤٦ .

(٥٩) عن مؤرخي المجموعة الأولى أحمد بن بسام ، وأحمد المنقور ، وعبد الله بن عضيب ، انظر : الجاسر ، مؤرخو نجد ، العرب ، جـ ٩ ، ٧٨٨ – ٧٩٢ ، انظر أيضا :

Al-Thenayan, *History-Writing In Najd*, 60-79, 89-101, 109-158.

أما محمد بن ربيعة العوسجي ، فقد درس كمؤرخ لأول مرة في رسالة الدكتوراه هذه . عنه انظر : 172-229 .

(٦٠) **علماء نجد** ، جـ ١ ، ١٢٢ .

(٦١) عن مقبل بن عبد العزيز الذكير ، انظر : الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٩٥ – ٨٩٨ ، محمد سعد الشويعر ، **مخطوطة مقبل الذكير التاريخية عن المملكة العربية السعودية** ، محاضرة القيت بفرع جمعية الفنون والثقافة بالاحساء بتاريخ ١٣٩٨/٦/٩هـ .

(٦٢) عبد العزيز العبد الله الخويطر ، **عثمان بن بشر « منهجه ومصادره »** الرياض : مطابع اليمامة ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ٢٠ – ٢٣ .

(٦٣) **تاريخ مقبل الذكير المخطوط** ، الورقات ٧٥ – ٧٦ ، ٨٩ ، ١٠٣ .
الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٩٦ .
الشويعر ، **مخطوطة الذكير** ، ٣٢ ، أبو علية ، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية** ، ١٦٥ .

(٦٤) هذه الدراسة ، نفس الهامش (٥٩) .

(٦٥) **علماء نجد** ، جـ ١ ، ١٢ – ١٣ .

(٦٦) واسم الكتاب كاملاً : «**الفواكه العديدة في المسائل المفيدة**» .

(٦٧) الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ٩ ، ٧٩٢ – ٧٩٣ .

(٦٨) الخويطر ، **عثمان بن بشر** ، ١٥ – ١٦ .

(٦٩) القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ٢ ، ٢٠٧ – ٢٠٨ ، محمد بن عمر الفاخري ، **الأخبار النجدية** ، تحقيق عبد الله بن يوسف الشبل ، (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود «لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر د . ت .) ، ٣٠ ، البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٣ ، ٩٢٣ .

(٧٠) الفاخري ، **الأخبار النجدية** ، هامش (١) ٥٩ .

(٧١) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٣ ، ٩٢٣ ، الفاخري ، **الأخبار النجدية** ، ٣٠ .

(٧٢) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ١ ، ١١٩ ، ١٢١ – ١٢٢ ، القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ٤٤ – ٤٥ .

(٧٣) هذا الوصف أتى ضمن رسالة مطولة أرسلها إليه علامة الكويت عبد الله بن خلف الدحيان الكويتي يعزيه فيها بوفاة العالم المؤرخ محمود شكري الألوسي والتي جاء فيها «فقيه الأدباء وأديب الفقهاء سيدي شيخنا إبراهيم بن صالح بن عيسى . . . وذكرت أدام الله لك الذكر الجميل أنك اتخذت عنيزة دار إقامة أحسن الله لك العاقبة بلا ندامة وإنها لنعم الدار وأن جوار أهلها لمن أحسن الجوار بارك الله لك في منزلها وقرت عيناك

بملاحظة أهلها فلك الهناء بقوم يكرمون ولا يمكرون ويحسنون ولا يخزنون ويسرون ولايسيئون كان الله لك ولهم وأحسن إليك وإليهم» **البسام** ، **علماء نجد** ، جـ ١ ، ١٢٠ – ١٢١ .

(٧٤) المرجع نفسه ، جـ ٣ ، ٩٥١ – ٩٥٢ ، الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٩٥ .

(٧٥) **علماء نجد** ، جـ ٣ ، ٩٥٢ .

(٧٦) كمجموعه الذي ألفه في الأدب والحكم والأشعار وعنونه بـ **الدليل المفيد لمن هو للدين والدنيا مريد»** والذي لايعرف عنه شيئا حتى الآن . المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ٦١٥ .

(٧٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٧ .

(٧٨) هذا إذا أخذ في الحسبان أن المؤرخ ولد سنة ١٢٧٠هـ ، وأن زيارة داوتي لعنيزة كانت في حدود عام ١٢٩٥هـ حيث يقول داوتي : "This warfare, which they call harb al-awwal, the former war, was in the years 1269-70 after the Hejra (twenty-five years before my coming to Aneyza). *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 459.

ويحدد بدول سنة زيارته لعنيزة بـ :

١٨٧٨م . انظر : *Travellers In Arabia,* 92-93

(٧٩) **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٢ – ١٢٣ .

(٨٠) عصام ضياء الدين السيد علي ، «يوميات هاملتون عن رحلته إلى نجد» (١٣٣٥هـ – ١٩١٧م) **الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسة الخليج العربي والجزيرة العربية** ، (الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م) ١٠٨ – ١١٠ .

(٨١) **Doughty,** *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 424-24, 429-432.

(٨٢) عن تعصبه انظر : محمود السمرة ، **غربيون في بلادنا** ، (بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٩م) ٦٠ ، ويقول بدول Bidwell عنه : "However he was himself hardly less fanatical" **Travellers In Arabia,** 94.

وقد نصحه صديقه عبد الله الخنيني أن يتخلى عن هذا التعصب ، وكذلك فعل أمير المدينة زامل .
Doughty, *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 364-368.

(٨٣) السمرة ، **غربيون في بلادنا** ، ٥٤ .

(٨٤) المرجع نفسه .

(٨٥) رحب به أمير المدينة زامل وحماه ، كما اعتاد أن يرسل إليه رجْلا من لحم الضأن الجيد .
Doughty, *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 364, 365, 371.

(٨٦) قال داوتي :

"Kenneyny Said to me on a morrow, when we were alone (and for the more kindness finding a Frankish word), "Mussu Khalil, if you lack moneywere it an hundred or two hundred reals, you may have this here of me." *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 386.

(٨٧) Ibid.

(٨٨) Ibid., 350, 361

وبالمناسبة ، فعندما رأى المؤرخ عبد الله بن بسام الرحالة داوتي حافياً ، أرسل إليه نعلاً لينتعل بها قال داوتي :

"My friends saw me a barefoot hakim, in rent clothing, as I was come-in from the Khala, and had escaped out of Boreyda. The younger Abdullah Bessam sent me sandals,...." Ibid., 386.

(٨٩) عن تزويده بالزاد انظر : .Ibid., 484

(٩٠) عبد الله الخنيني ، وعبد الله العبد الرحمن البسام ، إشتريا له الذلول ، وسافر مع القافلة بمعية ورعاية أخي الخنيني أو قريبه «سليمان» وابن البسام «عبد الرحمن» .Ibid., 483, 486, 488

(٩١) هو عبد الله المحمد الخنيني ، ويعتبر عميد أو كبير اسرة الخنيني أو الخنانا كما يروى الشيخ محمد بن عثمان القاضي حيث يقول : «(الخنانا بعنيزة والزلفي وقد جاؤا من قفار إلى عنيزة والزلفي ونزح بعضهم إلى بغداد ، ومن أشهرهم الحاج عبد الله المحمد الخنيني .»

ويؤرخ وفاته في عام ١٢٩٨هـ والذي يتفق مع تاريخ داوتي ، حيث قال إنه توفى بعد زيارته لعنيزة بثلاث سنوات طبقا للخطاب الذي تلقاه من سليمان بن عبد الله البسام في جدة والذي قال فيه ان الخنيني حج وسافر بحرا إلى البصرة وهناك توفي . وقد قدر داوتي سن الخنيني أثناء زيارته لعنيزة بأربعين سنة فيكون والحالة هذه توفي عن ثلاثة وأربعين عاما .

القاضي ، منهاج الطلب ، ٣٥ - ٣٦ .

Doughty, *Arabia Deserta*, **Vol.** II, 369, 487.

أيضا عن الخنيني انظر : .Ibid., 367-370, 388-390

(٩٢) العسافي من تميم . ابن بسام ، **تحفة المشتاق** ، ورقة ١٨٩ . وعن حمد العسافي .

انظر : .**Doughty**, *Arabia Deserta*, **Vol**, II. 386

(٩٣) عن هذا البسام ، الطيب ، كما دعاه داوتي انظر : ;Ibid., 376-377, 390-391

ويقول عنه البسام : «له معرفة واطلاع واسع في التاريخ والأنساب وانساب الخيل والبلدان . **علماء نجد** ، جـ ٢ ، هامش (١) ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٩٤) **Doughty**, *Arabia Deserta*, **Vol.** II, 383-384.

(٩٥) **Ibid.** 376.

(٩٦) **Ibid.**, 383-384.

(٩٧) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٧ .

(٩٨) داوتي لم يكن طبيباً أبداً ، وقد أخبر صديقه الخنيني بهذا ، كما أن تحصيله الدراسي لايشير إلى ذلك .

Doyghty Travels In Arabia Desenta, **Vol. II**, p. 370; **Bidwell** Travellers In Arabia, 84.

(٩٩) **Doughty**, *Travels in Arabia Deserta*, **Vol.** II, 383.

(١٠٠) حيث كان مقيماً في بغداد منذ ثلاثين سنة . .Ibid., 386

(١٠١) Ibid., 383-384.

(١٠٢) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ ، الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ - ٨٨٩ .

(١٠٣) *Travels In Arabia Deserta*, **Vol.** II, 384.

(١٠٤) وعن الشيخ ابن عائض انظر : القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ٣٤٥ – ٣٥٠ . **Ibid.**, 383.

(١٠٥) القهوة : اسم قديم كان يطلق على قاعة الاستقبال في عنيزة وفي القصيم كله ، بل في كل أنحاء نجد ، وربما في مناطق أخرى . وسيشار إليها لاحقاً .

(١٠٦) انظر وصف هاملتون «للقهوة» السيد على ، يوميات هاملتون ، **الكتاب السنوي** ، ص ١١٠ .

(١٠٧) المواعين : هي أواني الطبخ ، والكلمة الصحيحة ، التي كان يتوجب استعمالها هنا هي «المعاميل» وهي أواني القهوة والشاي ، والريحاني يعرف هذه الكلمة ، واستعملها في مواضع وكتب أخرى ، قال : «جاء دور راعي المعاميل القهوجي سالم» **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٤٤ ؛ وقال في كتاب آخر : «وقد استأنست أنا بالمعاميل بين يدي القهوجي . . .» أمين الريحاني ، **قلب لبنان** ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م) ، ٣١٠ .

(١٠٨) **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٤ .

(١٠٩) المرجع نفسه ، ١٢٣ .

(١١٠) المرجع نفسه ، ١٢٥ .

(١١١) *Travels In Arabia Deserta*, **Vol.** II, 385-386.

(١١٢) Ibid., 383.

(١١٣) Ibid., 386.

(١١٤) Ibid., 383.

(١١٥) Ibid.

(١١٦) إلى درجة أن عزله ابن رشيد عن قضاء عنيزة بسبب هذه العلاقة . القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ٣٤٦ ، البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٥٦٢ .

(١١٧) المرجع نفسه ، ٥٦٢ – ٥٦٣ ، القاضي ، **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ٣٤٧ .

(١١٨) *Arabia Deserta*, **Vol. II**, 386.

(١١٩) Ibid., 367.

(١٢٠) Ibid., 397.

(١٢١) Ibid., 370.

(١٢٢) قيل هذا اعتماداً على الإنتاج العلمي لهؤلاء العلماء ، والذي غطى هذه العلوم .

(١٢٣) *Arabia Deserta*, **Vol.** II, 386.

(١٢٤) **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٣ .

(١٢٥) المرجع نفسه .

(١٢٦) **Doughty**, *Arabia Deserta*, **Vol.** II, 368,389.

(١٢٧) Ibid., 389.

(١٢٨) Ibid., 448,451.

(١٢٩) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٤ – ٦١٥ .

(١٣٠) *Arabia Deserta*, **Vol.** II, 386.

(١٣١) Ibid.

(١٣٢) Ibid.

(١٣٣) **Doughty,** *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 370.

(١٣٤) Ibid., 397-398.

(١٣٥) انظر : السمرة ، **غربيون في بلادنا** ، ٥٩ .
Bidwell, *Travellers In Arabia, 84-85.*

(١٣٦) **Doughty,** *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 387-388.

(١٣٧) Ibid., 416-422.
عن آثار العيارية انظر : العبودي ، **المعجم الجغرافي** ، جـ ٤ ، ١٧٦٣ - ١٧٦٨ .

(١٣٨) *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 422.

(١٣٩) المرة الأولى كانت عندما قابلهما في بستان الخنيني ، والثانية كانت في قهوة البسام .
Ibid., 383-385.

(١٤٠) انظر مثلاً ماقاله الشيخ حمد الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .

(١٤١) **Doughty,** *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 425-426.

(١٤٢) يقول داوتي : "Abdullah Bessam, the younger (nephew of the elder Abdullah el-Bessam)"
ومن تتبع نسب آل بسام يتضح أن محمدا والد المؤرخ ، وعبد الله البسام هذا يكونان أبناء عم بالنفس . وكلمة "Nephew" في اللغة الإنجليزية كما هو معروف تعني ابن أخت او ابن أخ . وفي الحالة هذه يكون ابن اخته ، إلا أن يكون داوتي قصد قرابته من ناحية الأب وأخطأ في ذلك .
Ibid., 383;
البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٣٤١ - ٣٤٢ ، ٣٧٦ ، ٦١٣ .

(١٤٣) *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 472

(١٤٤) Ibid., 398,472.

(١٤٥) Ibid., 402.

(١٤٦) انظر **تحفة المشتاق** ، مثلا ورقة ١٧٥ .

(١٤٧) أقصد سوريا الكبرى ، وهي الشام كله ، لبنان وفلسطين وسوريا اليوم .

(١٤٨) هذا الرحالة هو «البارون ادوارد نولد Baron Edward Nolde والذي زار مدارس حائل وكتب عنها . أبو عليه ، **دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، ٤١٦ - ٤١٧ .

(١٤٩) انظر مثلا : مختار القاضي ، **أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية** ، (القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية «لجنة التعريف بالإسلام» ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م) ، ٢٢٥ .

(١٥٠) المرجع نفسه .

(١٥١) المرجع نفسه ، ٢٢٦ .

(١٥٢) **Doughty,** *Arabia Deserta,* **Vol.** II, 386.

(١٥٣) Ibid., 487.

(١٥٤) Ibid., 376.

(١٥٥) **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٧ .

(١٥٦) **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٩ .

(١٥٧) **من المخطوطات التاريخية** ، الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع ، ٤٠ .

(١٥٨) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ – ٦١٤ .

(١٥٩) يقول الشيخ محمد بن عثمان القاضي : «وله ارتباط بآل بسام بعنيزة في صداقة متينة .» **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ٤٦ .

(١٦٠) ولد في نفس السنة التي ولد فيها ابن بسام . الجاسر ، **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .

(١٦١) **Doughty**, *Arabia Deserta*, **Vol.** II, 386.

(١٦٢) Ibid., 385-386.

(١٦٣) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٥ .

(١٦٤) أمين الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٦ – ١٢٧ .

(١٦٥) وهذا مما دفع باحثاً كالدكتور أبو عليه إلى القول : «والشيخ عبد الله بن محمد البسام يسجل الأحداث التاريخية بطريقة تجعل الإنسان ينظر إليها نظرة معينة منشؤها أن هذا المؤرخ كان كثير الأسفار وعاش في بلاد مختلفة ، مما أكسبه ثقافة عالية وأفقاً واسعاً . . .» **دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، ٣٦٩ .

(١٦٦) الريحاني ، **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٦ .

(١٦٧) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٣ .

(١٦٨) **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ – ٨٨٩ .

(١٦٩) **ملوك العرب** ، جـ ٢ ، ١٢٦ .

(١٧٠) **منهاج الطلب** ، ٢٢ .

(١٧١) **روضة الناظرين** ، جـ ١ ، ١٦٧ .

(١٧٢) *Arabia Deserta*, **Vol. II**, 386.

(١٧٣) **تحفة المشتاق** ، ورقة ١٨١ .

(١٧٤) البسام ، **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٤ ، والغريب أنه لم يشر إلى حفر هذه البئر في كتابه «تحفة المشتاق» ولا إلى هذه الأبيات .

(١٧٥) **مؤرخو نجد ، العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٩ .

(١٧٦) علماء نجد ، جـ٢ ، ٦١٥

(١٧٧) قال ابن بشر عند وفاة الإمام تركي : «وقد رثاه رحمه الله عدد كثير من الشعراء ، ولكن ليست على اللفظ العربي ، فلا تليق بهذا الكتاب ، . . .» على أنه كسر هذا الالتزام في سوابقه مرة عندما أورد شعراً نبطياً لحميدان الشويعر . عثمان بن عبد الله بن بشر ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، تحقيق : الشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، (الرياض : مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) جـ ٢ ، ١١٨ ، ٣٥٠ .

(١٧٨) البسام ، **تحفة المشتاق** ، الورقات ٦٠ ، ٧١ – ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٢ – ٩٣ ، ٩٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

(١٧٩) ولعل الدكتور عبد الله الصالح العثيمين أول من درس ، بشكل أكاديمي ، الشعر النبطي كمصدر من مصادر التاريخ . عبد الله العثيمين ، «الشعر النبطي مصدراً لتاريخ نجد» بحث ضمن الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية في ٥ - ١٠ جماد الاولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ ابريل ١٩٧٧م قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض (الملك سعود) المملكة العربية السعودية . **الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية** (الرياض : مطبوعات جامعة الرياض (الملك سعود) ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) جـ ١ ، ٣٧٧ - ٣٩٦ .

(١٨٠) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٤ .

(١٨١) **تاريخ نجد الحديث** ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م) ، ١٥ .

(١٨٢) المرجع نفسه .

(١٨٣) لدى الشيخ البسام «هو» بدلاً من «هما» . علماء نجد ، جـ ٢ ، ٦١٤ ، وكتبها الشويعر هكذا «هو من مراجعي في النبذة الأولى» من المخطوطات التاريخية الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ، ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع ، ٤٠ ، ولعل السبب ناتج عن اختلاف في طبعات كتاب الريحاني .

(١٨٤) **تاريخ نجد** ، ١٧ .

(١٨٥) **تحفة المشتاق** ، ورقة ١٩٠ .

(١٨٦) المرجع نفسه ، ورقة ١٨٨ .

(١٨٧) المرجع نفسه .

(١٨٨) المرجع نفسه ، ورقة ٣ .

(١٨٩) المرجع نفسه ، ورقة ١٨٨ .

(١٩٠) المعجم الجغرافي ، جـ ١ ، ٧٦ .

(١٩١) المرجع نفسه ، ٧٧ .

(١٩٢) هما **تحفة المشتاق ، والدليل المفيد** .

(١٩٣) الأول : «**تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ)**.»

والثاني : «**كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر** .»

(١٩٤) إبراهيم بن صالح بن عيسى ، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر** ، تحقيق : الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، (الرياض : طبع بالمطابع الوطنية الحديثة على نفقة وزارة المعارف ، د . ت) ، ٦ .

(١٩٥) ابن بسام ، **تحفة المشتاق** ، «دراسة عن المخطوطة» آخر ورقة .

(١٩٦) تحفة المشتاق ، ورقة ٣ ، وعن هذه القائمة ومحتواها انظر الورقات ٣ - ٥ .

(١٩٧) الصحيح في وليس من .

(١٩٨) **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٨ .

(١٩٩) **علماء نجد** ، جـ ٢ ، ٦١٤ - ٦١٥ .

(٢٠٠) المرجع نفسه ، ٦١٤ .
(٢٠١) **تحفة المشتاق** ، الورقة الأخيرة (دراسة عن المخطوطة) .
(٢٠٢) من المخطوطات التاريخية ، الدارة ، العدد الرابع ، السنة التاسعة ١٤٠٤هـ ، ٥٧ .
(٢٠٣) المرجع نفسه ، ٥٥ - ٥٦ .
(٢٠٤) **تاريخ نجد** ، ٤٩٣ .
(٢٠٥) الجاسر ، **مؤرخو نجد** ، **العرب** ، جـ ١٠ ، ٨٨٦ .

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية

البسام ، عبد الله بن عبد الرحمن ، **علماء نجد خلال ستة قرون** ، ثلاثة أجزاء ، مكة المكرمة ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٩٨هـ .

البسام ، عبد الله بن محمد ، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** ، نسخة خطية ، نقلها عن الأصل المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، نور الدين شربة عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

ابن بشر ، عثمان بن عبد الله ، **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، ط ٤ ، جزءان ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبد الله آل الشيخ ، الرياض ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، (الجزء الأول : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الجزء الثاني : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

الجاسر ، حمد . «**مؤرخو نجد من أهلها**» ، **العرب** ، الجزء التاسع ، السنة الخامسة ، ربيع الأول ١٣٩١هـ - مايو ١٩٧١م ، الجزء العاشر ، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ١٣٩١هـ - يونيو ١٩٧١م ، الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

ابن حميد ، محمد بن عبد الله . **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة** ، نسخة مصورة لهذه المخطوطة ، جامعة الملك سعود ، عمادة المكتبات ، رقم ١٢٨٧ .

الخويطر ، عبد العزيز العبد الله . **عثمان بن بشر** «**منهجه ومصادره**» ، ط ٢ ، الرياض ، مطابع اليمامة ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

الذكير ، مقبل بن عبد العزيز . مسودة لتاريخ مخطوط لم تمهل المنية مؤلفه الذكير من اختيار أحد العناوين التي فكر بها واقترحها داخل الكتاب المخطوط ، وهذه النسخة موجودة في جامعة بغداد تحت رقم ٥٦٩ - ٥٧١ .

الريحاني ، أمين . **تاريخ نجد الحديث** ، الطبعة الأولى للأعمال العربية الكاملة (المجموعة) ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ .

الريحاني ، أمين ، **قلب لبنان** ، الطبعة الأولى للأعمال العربية الكاملة (المجموعة) ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠م .

الريحاني ، أمين ، **ملوك العرب** ، جزءان ، الطبعة الثانية للأعمال العربية الكاملة (المجموعة) ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٦م .
السمرة ، محمود ، **غربيون في بلادنا** ، بيروت ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٩م .
السيد على ، عصام ضياء الدين ، «يوميات هاملتون عن رحلته إلى نجد (١٣٣٥هـ - ١٩١٧م)» **الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسة الخليج العربي والجزيرة العربية** ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
الشويعر ، محمد بن سعد ، «**من المخطوطات التاريخية لبلادنا : تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، للشيخ عبد الله بن محمد بن بسام**» ، الدارة ، السنة التاسعة ، رجب ١٤٠٤هـ ، العدد الرابع .
مخطوطة مقبل الذكير التاريخية من المملكة العربية السعودية ، **محاضرة القيت بفرع جمعية الفنون والثقافة بالإحساء** ، بتاريخ ١٣٩٨/٦/٩هـ .
العبودي ، محمد بن ناصر ، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم)** ستة أجزاء ، الرياض ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
العثيمين ، عبد الله الصالح ، «الشعر النبطي مصدرا لتاريخ نجد» بحث ضمن الأبحاث المقدمة **للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية** في ٥ - ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ ابريل ١٩٧٧م ، قسم التاريخ ، كلية الآداب جامعة الرياض (الملك سعود) ، المملكة العربية السعودية . الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، الرياض ، مطبوعات جامعة الرياض (الملك سعود) ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
أبو عليه ، عبد الفتاح حسن . **دراسة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر (مصادر تاريخ البلاد السعودية)** ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، الرياض ، دار المريخ للنشر ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح ، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر** ، تحقيق **الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ** ، الرياض ، طبع بالمطابع الوطنية الحديثة على نفقة وزارة المعارف ، د . ت .
الفاخري ، محمد بن عمر ، **الأخبار النجدية** ، تحقيق ، عبد الله بن يوسف الشبل ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود «لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر» ، د . ت .
القاضي ، عبد العزيز بن محمد ، **العنيزية «قصيدة تضم مختصر تاريخ عنيزة منذ تأسيسها حتى وقتنا الحاضر»** ، بغداد ، مطبعة الصباح ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م .
القاضي ، محمد بن عثمان ، **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين** ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
القاضي ، محمد بن عثمان ، **منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب** ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
القاضي ، مختار ، **أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية** ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية «لجنة التعريف بالإسلام» ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م .
المنقور ، أحمد بن محمد ، **تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور** ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٣٩٠م .

ثانياً : المراجع الأجنبية

Al-Thenayan, Mohammed Thenayan, *History-Writing In Najd,* Ph.D. Thesis, University of Exeter, England, 1976.

Bidwell, Robin, *Travellers In Arabia,* London, The Hamlyn Publishing Group Limited, 1976.

Doughty, Charles M., *Travels In Arabia Deserta,* **Vol. II,** New York, Dover Publication, Inc., 1979.

The Historian Ibn Bassam (1270-1346 A.H.) His Scholarly Identity and Its Early Roots in the Light of a New or Overlooked Data

MOHAMMED THENAYAN AL-THENAYAN
Assistant Professor, Department of History,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. Abdullah Ibn Mohammed Ibn Bassam played an essential role in the history-writing of Arabia. He showed, in his early life, a firm sign of an interest of studying and learning history and literature in general.

In spite of his keen interest in history and literature, most researchers and scholars, perhaps, it was due to their lacking of information concerning the early cultural life of Ibn Bassam, have mostly been under the impression that such interest was merely the offspring of a late stage in his life. Some of those scholars and researchers, however, go even further to the extent of claiming that Ibn Bassam's participation in the writing of history was simply a result of his relation and contact with the contemporary historian Ibn Isa.

This study is an attempt to prove that such attitude is entirely incorrect. Our conclusion is built upon several factors among which are the overlooked statements of the English traveller Charles Doughty, supported at the same time, by some other original sources.

In the light of the above mentioned resources, this study will trace Ibn Bassam's early cultural life in a way as to prove his status as being an eminent scholar and historian.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م$_2$ ، ص ص ١٢٩ - ١٧٧ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

النطاقات الجغرافية لدرجتى الحرارة القصوى والدنيا فى المملكة العربية السعودية : تطبيق للتحليل التجميعى (طريقة وورد «التباين الأدنى»)

محمد العبد الله الجراش

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - جدة المملكة العربية السعودية

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد المكانية للتفاوت في مستوى درجتي الحرارة القصوى والدنيا في المملكة العربية السعودية ، وذلك بتحليل قالب من المتوسطات الشهرية لدرجتي الحرارة بلغ حجمه ٤٩٩٢ قراءة تمثل ثمانية متغيرات لاثنتين وخمسين محطة مناخية لاثنى عشر شهرا .

وقد تم الكشف عن عشرة نطاقات مكانية تتميز عن بعضها البعض في مستويات درجتي الحرارة القصوى والدنيا ، وذلك من خلال تطبيق إحدى طرق التحليل التجميعي المعروفة بـ «طريقة وورد : التباين الأدنى» ، والتي يختزنها الحاسب الآلي في جامعة الملك عبد العزيز ضمن المجموعة الإحصائية المعروفة باسم «ساس» .

ترنو هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد الجغرافية للاختلافات في قيم متوسطات درجتي الحرارة القصوى والدنيا في المملكة العربية السعودية ، ومن ثم تجميع تفصيلات هذه الأبعاد في شكل نطاقات مكانية جزئية ليتسنى تحليل الاختلافات الشهرية وعلاقتها بالضوابط الجغرافية على مستوى تقسيمات فرعية متميزة .

ومع أن الباحث يرى أن أهمية البحث في التوزيعات المكانية لهذا العنصر المناخي الأساسي ترتكز على ندرة الأبحاث المناخية التطبيقية على المملكة إلا أن لوسون وآخرين (Lawson., Balling & Peters. 1981) يذكرون أن «الأبحاث الموجهة لتحقيق التجميع الإقليمي للاختلافات المكانية لتوزيع حرارة السطح قليلة نسبيا ، مقارنة مثلا بتلك الأبحاث التي أنجزت للكشف عن الأبعاد المكانية للتغيرات المناخية» . هذه الحقيقة تسبغ أهمية إضافية على هذا البحث ، تتمثل في تغطيته لجزء مساحي معين من سطح الكرة الأرضية لم تتناوله أبحاث التجميع الإقليمي لعنصر الحرارة .

ولتحقيق تقسيم مساحة المملكة ، باستثناء الجزء الذي تغطيه صحراء الربع الخالي ، إلى نطاقات مكانية متميزة حراريا ، تم اختيار «طريقة وورد» في التحليل التجميعي المعروفة بـ «طريقة التباين الأدنى» ، والتي تمثل إحدى الطرق الثلاث للتحليل التجميعي التي تشملها مجموعة البرامج الاحصائية المعروفة باسم «ساس SAS»(*) ، التي يختزنها الحاسب الآلي في جامعة الملك عبد العزيز . وقد تم اختيار «طريقة وورد» من بين تلك الطرق ، لأنها كما يذكر جونسون (Johnston 1976) أكثر طرق التحليل التجميعي «شيوعا وتفضيلا لدى الجغرافيين» . ويبدو أن ما أشار إليه روميزبرج (Romesburg 1984) بأن طريقة وورد تتميز ، مقارنة بالطرق الأخرى ، بأنها «تتمخض عن هيكل تجميع يتميز بمفردات متميزة ومستقلة بشكل واضح» دفع الجغرافيين وغيرهم من المشتغلين بعلوم الأرض إلى تفضيل هذه الطريقة . على أية حال ، يبدو أن هناك عاملا آخر لعب دورا في انتشار تطبيق طريقة وورد أكثر من غيرها من طرق التحليل التجميعي الا وهو كونها أولى طرق التحليل التجميعي التي صيغت في برنامج رياضي ينفذه الحاسب الآلي هذا البرنامج كتبه ونشره فلدمان (Veldman 1967) في سنة ١٩٦٧ باسم "Hgroup" وهي فترة تعتبر متقدمة نسبيا بالنسبة لتوافر البرامج الرياضية الجاهزة للتطبيق من خلال الحاسب الآلي . إضافة إلى هذا فإن موخينا (Mojena 1977) اكتشف في دراسته التطبيقية سبع طرق من طرق التحليل الطبقي ، من التي تشكل جزءا من التحليل التجميعي ، على مجموعات من الاحصاءات الموضوعة بشكل مصطنع يمثل توزيعها تقسيمات طبقية واضحة ، بأن طريقة وورد أفرزت أقرب التقسيمات إلى التقسيمات الطبقية المتوقعة . ولعله من الملائم أن نشير هنا إلى أن بيفوجلين ونوردجراد (Byfuglien & Nordgrad 1974) توصلا ، في دراستهما لفحص مدى انسجامية التواصل المكاني لتقسيم الجزء الجنوبي الشرقي من النرويج إلى مناطق زراعية متميزة ، وذلك بتطبيق ثلاث طرق للتحليل التجميعي من بينها طريقة وورد ، إلى أن طريقة وورد نجم عنها أفضل النتائج المتوقعة .

على أية حال ، لعله من المناسب عند هذه النقطة أن نتعرض بإيجاز بالغ لمفهوم التحليل التجميعي ، الذي ظهر وتطور على أيدى علماء النفس التطبيقي . ونشير إلى أن إيفرت (Everitt 1986) يرى بأن مصطلح التحليل التجميعي يدلل على «مجموعة من الطرق التي ينجم عنها تصنيف

لمجموعة من المعلومات ، التي هي أصلا غير مصنفة» ويضيف إيفرت وآخرون (Everitt, *et al.* 1971) أن مصطلح التحليل التجميعي ، هو «اصطلاح شامل يستخدم لوصف عدد من الطرق ، التي يمكن تطبيقها على معلومات مصاغة في شكل قيم للوحدات العددية على المتغيرات ، على أمل فصل هذه الوحدات العددية إلى مجموعات أو تجميعات ، تكون مفرداتها متشابهة قدر الإمكان في خصائص محددة ، وتختلف عن مفردات التجميعات الأخرى» . هذا التعريف يجسم بشكل مبسط الخاصيتين الأساسيتين اللتين أشار إليهما كورماك (Cormack 1971) ، على أنهما الأساس لتعريف ماهية مصطلح «التجميع ، ألا وهما «التماسك الداخلي» و «العزلة الخارجية» .

على أية حال ، يتم استخلاص هذه التجميعات من خلال تحليل قيم متغيرات الوحدات العددية ، بعد تحويلها إلى قوالب للتشابه في شكل قالب للمسافات الإحصائية ، أو قالب التغاير بين قيم متغيرات الوحدات العددية لمجموعة المعلومات . ويصنف كورماك طرق التحليل التجميعي في ثلاث مجموعات هي :

١ – الطرق التجميعية وتستند على سلسلة من الدمج المتوالي لعدد من الوحدات العددية في تجميعات معينة .

٢ – الطرق التجزيئية وتستند على التقسيم المتوالي لمجموعة كاملة من الوحدات العددية إلى تجميعات أصغر .

٣ – الطرق العنقودية وتستند على النقل المتوالي للوحدات العددية بين مجموعة محددة من التقسيمات المفترضة مسبقا .

ويضيف كورماك (Cormack 1971) بأن الطرق التجميعية والطرق التجزيئية تتبلور بتمثيل المعلومات في «شكل تقسيم شجري ، منه يتم الحصول على التجميعات بالقطع عند أي مستوى في التقسيم ، أما الطرق العنقودية فهي تبحث بشكل مباشر عن تجزئة مجموعة المعلومات إلى مجموعات ذات خصائص مشابهة لخصائص محددة مسبقا . ويرى اندربرج (Anderberg 1973) أن طرق التحليل التجميعي «تنضوي على خليط من فرض بناء ما على المعلومات والكشف عن ذلك البناء الذي يوجد فعلا في المعلومات» .

ومن المنظور الجغرافي يمكننا أن نضيف هنا ، بأن التحليل التجميعي يهدف إلى إبراز الاختلافات المكانية من خلال الاختلافات في قيم متغيرات الوحدات العددية . وفي نفس الوقت المحافظة على المستوى الأقل في الاختلافات بين المواقع التي تمثلها الوحدات العددية للتجميع الرامز للحيز المكاني المعين . وهكذا فإن الهدف من تطبيق طريقة وورد في دراستنا هذه يكمن في الكشف عن هيكل الأبعاد المكانية لمعلومات الحرارة (المتغيرات) ، كما تمثلها المحطات المناخية (الوحدات العددية) ، وبالتالي تشكيل نطاقات (تجميعات) جغرافية متشابهة في قيمها العددية الممثلة لمستويات قياس درجة الحرارة .

وتندرج طريقة وورد (Ward 1963) في مجموعة الطرق التجميعية ، لأنها تلتزم بمبدأ كون كل وحدة عددية في مجموعة المعلومات تمثل في بداية التحليل تجميعا مستقلا . ويحدد وورد هدف طريقته بأنه «تشكيل مجموعات طبقية ذات تقسيمات فرعية مقتصرة ومتنافية ، وكل تقسيم ينضوي على عناصر يربطها الحد الأقصى من التشابه في خصائص معينة» هذا التشكيل يستند على مبدأ دمج الوحدات العددية على أساس أن قيمة التباين تكون الأقل من بين قيم التباين الأخرى في قالب التحليل ، وذلك لحصر الخسارة في القيمة الناجمة عن الدمج في حدها الأدنى . وتشكل الوحدات العددية المدمجة في أي مرحلة وحدة عددية واحدة في مرحلة الدمج التالية ، بحيث يتسنى تقليص عددها بشكل متوالٍ بقيمة واحد إلى أن يصل عدد الوحدات إلى قيمة واحد ممثلٍ تجميعا واحدا يشمل كل الوحدات العددية ، وتمثل ، في نفس الوقت ، التقليصات السابقة للطبقات التجميعية الفرعية له . ويشير وورد إلى أن «الخسارة في قيمة المعلومة الناجمة عن اعتبار وحدات عددية معينة كمجموعة واحدة ذات متوسط معروف يمكن الإشارة إليها بعدد عاكس للقيمة (المفقودة) ، أي مجموع تربيعات الأخطاء» . وتحسب قيمة مجموع تربيعات الأخطاء بعلاقة دالية تأخذ الشكل الحسابي التالي :

$$\text{د} = \overset{\text{ع}}{\underset{\text{١}=i}{\text{مج}}} \ \text{م}\, i^{\text{٢}} - \frac{\text{١}}{\text{ع}} \left(\overset{\text{ع}}{\underset{\text{١}=i}{\text{مج}}} \ \text{م}\, i \right)^{\text{٢}}$$

وفيها نجد أن :

مج = مجموع

ع = عدد الوحدات العددية

م i = قيم متغيرات الوحدات العددية في قالب التشابه

وهكذا ، فإن عملية تجميع الوحدات العددية بتطبيق هذه العلاقة الدالية تبدأ ، كما أشرنا سابقا ، باعتبار الوحدات العددية تحت المعالجة كل منها تجميع واحد . وتتمثل الخطوة الأولى بفحص قيم قالب التشابه واختيار الوحدتين العدديتين اللتين تفصل بين قيم متغيراتها أقل مجاميع الفروق واللتين بدمجهما يتقلص عدد الوحدات العددية بقيمة واحد وينجم ، في نفس الوقت ، عن هذا الدمج أقل زيادة في قيمة العلاقة الدالية التي تكون صفرا عند مستوى كون كل وحدة عددية تجميعا واحدا بحد ذاته . وتأتي بعد ذلك الخطوة الثانية وهي اعادة حساب العلاقة الدالية على الوحدات العددية التي أصبح عددها ناقصا واحدا ، على اعتبار أن الوحدتين المدمجتين أصبحتا وحدة عددية واحدة ضمن المجموع الإجمالي للوحدات العددية ، لتحديد أي وحدتين سيتم دمجهما في هذه المرحلة التزاما بمبدأ

القيمة الأقل في مجموع تربيعات الأخطاء . وهكذا يتم تكرار العملية وفي كل مرة ينقص عدد الوحدات العددية وحدة عددية واحدة ، إلى أن نصل في نهاية المطاف إلى تجميع واحد يشمل كل الوحدات العددية ، ويتمخض عن هذا النهج التجميعي «تجميع طبقي» يتمثل في تجميعات مقتصرة ومتنافية تعتبر أساسا جيدا لتصنيف الوحدات العددية في مجموعات متميزة .

ويمثل الوحدات العددية في دراستنا هذه اثنتان وخمسون محطة مناخية تم اختيارها من بين عدد أكبر من المحطات المناخية المتناثرة في أرجاء المملكة على أساس :

(أ) الانتشار المكاني . (الخريطة رقم ١) .

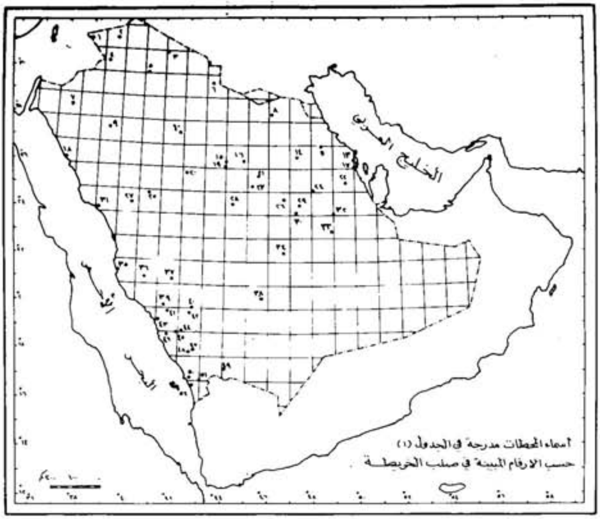
(ب) الاستمرارية في سجلات الرصد لفترة عشر سنوات ، كحد أدنى ، حتى سنة ١٩٨٦ (الجدول رقم ١) .

ومن المتوسطات الشهرية لدرجة الحرارة القصوى ودرجة الحرارة الدنيا تم استخراج قراءات ستة متغيرات أخرى ليصبح تمثيل كل محطة مناخية (وحدة عددية) بثمانية متغيرات هي :

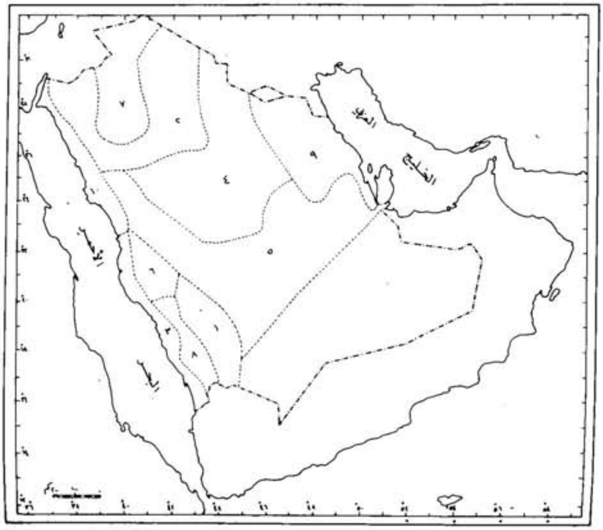
١ – المتوسط الشهري لدرجة الحرارة القصوى .
٢ – المتوسط الشهري لدرجة الحرارة الدنيا .
٣ – المتوسط الشهري للحد الأعلى لدرجة الحرارة القصوى .
٤ – المتوسط الشهري للحد الأدنى لدرجة الحرارة القصوى .
٥ – المتوسط الشهري للحد الأعلى لدرجة الحرارة الدنيا .
٦ – المتوسط الشهري للحد الأدنى لدرجة الحرارة الدنيا .
٧ – المتوسط الشهري لمدى درجات الحرارة القصوى .
٨ – المتوسط الشهري لمدى درجات الحرارة الدنيا .

وهكذا ، فقد تم تطبيق البرنامج المنفذ لطريقة وورد على قالب من القراءات حجمه ٤٩٩٢ قراءة (٨ × ١٢ × ٥٢) تمثل ٩٦ قراءة لكل وحدة عددية . وقد تم اختيار أساس المسافة الاحصائية لتحويل هذه القراءات إلى قالب للتشابه بين الوحدات العددية كمدخل لتنفيذ خلوات العلاقة الدالية .

وبالحصول على مستخرج نتائج التطبيق المتمثلة في سلسلة من التجميعات تبدأ باثنين وخمسين وتنتهي بتجميع واحد نصل إلى المرحلة الصعبة الحرجة في التحليل ، ألا وهي تحديد مستوى القطع في البناء الطبقي للوحدات العددية . هذا التحديد يعني اختيار العدد الأفضل من بين أعداد التجميعات التي يفرزها التحليل ، والتي تتراوح هنا بين تجميع واحد واثنين وخمسين تجميعا ، والذي بدوره يمثل عدد النطاقات الجغرافية والتي يتحدد انتشار كل منها بمواقع المحطات المناخية التي يشملها . ويرى الدندرفر وبلاشفيلد (Aldenderfer & Blahfield 1986) أن أهم الأسباب التي مابرحت تعيق الوصول إلى حل هذه المسألة يتمثل في :



خريطة رقم (١) المحطات المناخية



خريطة رقم (٢) النطاقات الجغرافية

جدول رقم (١) المعلومات الأساسية للمحطات المناخية

الرقم على الخريطة	الاســـم	النطاق الجغرافي	خط العرض (ش) دقيقة	خط العرض (ش) درجة	خط الطول (ش) دقيقة	خط الطول (ش) درجة	الارتفاع (م)	ســنة الأساس	الجهة القائمة على الرصد
١	مطار طريف	٧	٤١	٣١	٤٠	٣٨	٨١٨	١٩٧٣	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٢	القريات	٧	٢٥	٣١	١٦	٣٧	٥٤٩	١٩٧١	وزارة الزراعة والمياه
٣	مطار بدنه	٢	٥٤	٣٠	٠٨	٤١	٥٢٥	١٩٧٣	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٤	طبرجل	٧	٣١	٣٠	١٧	٣٨	٥٦٦	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٥	سكاكه	٢	٥٨	٢٩	١٢	٤٠	٥٧٤	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٦	مطار رفحه	٤	٣٨	٢٩	٢٩	٤٣	٤٤٧	١٩٧٧	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٧	تبوك	٢	٢٢	٢٨	٣٥	٣٦	٧٧١	١٩٧١	وزارة الزراعة والمياه
٨	مطار حفر الباطن	٩	٢٠	٢٨	٠٧	٤٦	٣٥٦	١٩٧٢	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٩	تيماء	٧	٣٨	٢٧	٢٩	٣٨	٨٢٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
١٠	مطار حائل	٢	٣١	٢٧	٤٤	٤١	٩٨٨	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
١١	الصرار	٩	٥٩	٢٦	٢٣	٤٨	٠٧٥	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
١٢	رأس تنورة	٩	٤٢	٢٦	٠٥	٥٠	٠١٠	١٩٧٠	أرامكو
١٣	القطيف	٩	٣٠	٢٦	٠٠	٥٠	٠٠٥	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
١٤	أم عقلا	٩	٢٢	٢٦	٢٢	٤٧	٤٥٠	١٩٧١	وزارة الزراعة والمياه
١٥	مطار القصيم	٤	١٨	٢٦	٥٨	٤٣	٦٤٨	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
١٦	الزلفي	٤	١٨	٢٦	٤٨	٤٤	٦٠٥	١٩٧١	وزارة الزراعة والمياه
١٧	مطار الظهران	٩	١٦	٢٦	١٠	٥٠	٠١٧	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
١٨	مطار الوجه	١٠	١٤	٢٦	٢٦	٣٦	٠٢١	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
١٩	عنيزة	٤	٠٤	٢٦	٥٩	٤٣	٧٤٢	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٢٠	عقلة الصقور	٤	٥٠	٢٥	١١	٤٢	٧٤٠	١٩٧٤	وزارة الزراعة والمياه
٢١	حوطة سدير	٤	٣٢	٢٥	٣٧	٤٥	٦٦٥	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٢٢	المفوف	٥	٣٠	٢٥	١٤	٤٩	١٦٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٢٣	شقراء	٤	١٥	٢٥	١٥	٤٥	٧٣٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٢٤	خريص	٩	٠٥	٢٥	٠٨	٤٨	٤٣٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٢٥	الحناكية	٤	٥٠	٢٤	٣١	٤٠	٨٤٩	١٩٧٤	وزارة الزراعة والمياه
٢٦	الرياض	٥	٣٤	٢٤	٤٣	٤٦	٥٦٤	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه

تابع جدول رقم (١) المعلومات الأساسية للمحطات المناخية

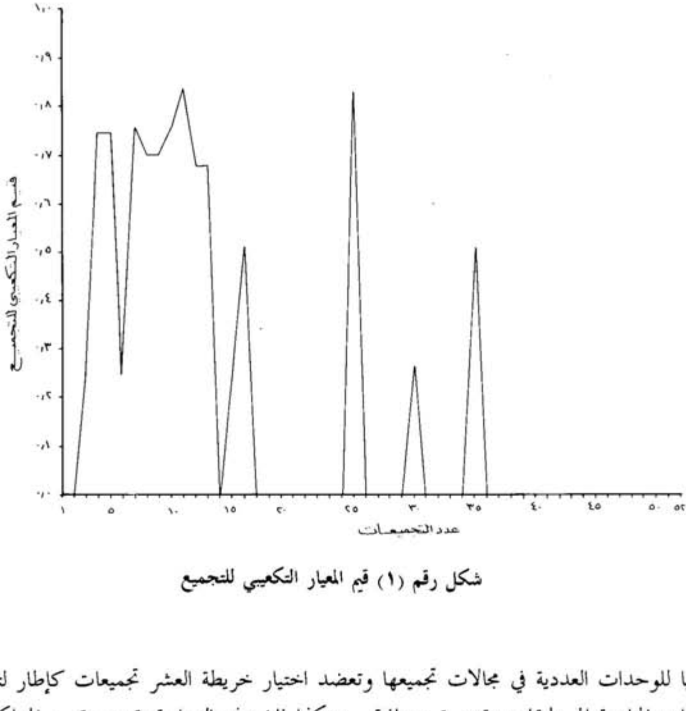
الرقم على الخريطة	الاســم	النطاق الجغرافي	خط العرض (ش)		خط الطول (ش)		الارتفاع (م)	سنة الأساس	الجهة القائمة على الرصد
			دقيقة	درجة	دقيقة	درجة			
٢٧	المدينـة	٥	٣١	٢٤	٣٥	٣٩	٥٩٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٢٨	الدوادمـي	٤	٢٩	٢٤	٢٢	٤٤	٩٤٠	١٩٧٤	وزارة الزراعة والمياه
٢٩	ديـراب	٥	٢٥	٢٤	٣٤	٤٦	٦٠٠	١٩٧٥	وزارة الزراعة والمياه
٣٠	الخـرج	٥	١٠	٢٤	٢٤	٤٧	٤٣٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٣١	مطـار ينبع	١٠	٠٧	٢٤	٠٣	٣٨	٠٠٦	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٣٢	حـرض	٥	٠٤	٢٤	٠١	٤٩	٣٠٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٣٣	يبرين	٥	١٩	٢٣	٥٧	٤٨	٢٠٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٣٤	الأفـلاج	٥	١٧	٢٢	٤٤	٤٦	٥٣٩	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٣٥	مطـار جـدة	٣	٣٠	٢١	١٢	٣٩	٠١٧	١٩٧٠	مصحلة والأرصاد وحماية البيئة
٣٦	الطائـف	٦	٢٤	٢١	٢٧	٤٠	١٥٣٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٣٧	تربـه	٦	١١	٢١	٤٠	٤١	١٢٢٦	١٩٧٣	وزارة الزراعة والمياه
٣٨	السليـل	٥	٢٨	٢٠	٣٤	٤٥	٦٠٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٣٩	المنـدق	٨	٠٦	٢٠	١٧	٤١	٢٤٠٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٠	بيشـه	١	٠١	٢٠	٣٦	٤٢	١٠٢٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤١	بلجرشـي	٨	٥٢	١٩	٣٣	٤١	٢٤٠٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٢	الحيفـه	١	٥٢	١٩	٣٢	٤٢	١٠٩٠	١٩٧٤	وزارة الزراعة والمياه
٤٣	المظيلـف	٣	٣٢	١٩	٠٣	٤١	٠٠٥٣	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٤	النمـاص	٨	٠٦	١٩	٠٩	٤٢	٢٦٠٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٥	خـوش	٣	٠٠	١٩	٥٣	٤١	٠٣٥٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٦	كيـاد	٣	٤٤	١٨	٤٢	٤١	٠٠٢٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٧	مطار خميس مشيط	٨	١٨	١٨	٤٨	٤٢	٢٠٦٠	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٤٨	أبهـا	٨	١٢	١٨	٢٩	٤٢	٢١٩٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٤٩	مطـار نجـران	١	٣٧	١٧	٢٦	٤٤	١٢١٠	١٩٧٤	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة
٥٠	صبيـا	٣	١٠	١٧	٣٧	٤٢	٠٤٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٥١	ملاكـي	٣	٠٣	١٧	٥٧	٤٢	١٩٠	١٩٧٠	وزارة الزراعة والمياه
٥٢	مطـار جيـزان	٣	٥٢	١٦	٣٥	٤٢	٠٠٥	١٩٧٠	مصلحة الأرصاد وحماية البيئة

(أ) عدم توافر فرضية نفي مناسبة .
(ب) الطبيعة المعقدة للتوزيعات العينية المتعددة المتغيرات .

وعلى أية حال فإن أول من حاول وضع معيار لاختيار العدد المناسب من التجميعات هو ثورندايك (Thorndike 1953) حين نشر في سنة ١٩٥٣ نتائج محاولته للربط بالرسم البياني بين قيم متوسط الوصل بين التجميعات على المحور الرأسي وبين عدد التجميعات على المحور الأفقي واعتبار النقطة التي يبدأ عندها المنحنى في الاستواء ممثلة للعدد المناسب للتجميعات . وقد شملت دراسته تلك تطبيقاً على ثلاث مجموعات من الاحصاءات الموضوعة لتجميعات متميزة ، إلا أنه لم يتوصل إلى نتائج تعضد دقة هذا المعيار .

ويسرد ألدندرفر وبلاشفيلد (Aldenderfer & Blashfield 1986) معايير عدة لتحديد العدد الأفضل للتجميعات إلا أنهما في النهاية ينوهان إلى أن المعايير المطروحة إلى الآن لم تستكمل دراستها بعد . ولذا فهي إما أن تكون «ليست واضحة بشكل متكامل ، أو أنها ذات طبيعة مدخلية» .

ويعزو إيفرت (Everitt 1979) هذا الوضع إلى «عدم وجود تعريف مقبول لدى الجميع لمصطلح «تجميع»» . هذا الوضع الغير مكتمل التبلور في حسم مسألة تحديد عدد التجميعات يبرر في دراستنا هذه حيث إننا برسم قيم المعيار التكعيبي ، التي يشملها مستخرج نتائج التحليل ، عكس القيم الممثلة لأعداد التجميعات ، نجد أن قيمة المعيار التكعيبي للتجميع ترتفع بشكل حاد عند العددين الحادي عشر والخامس والعشرين للتجميع (الشكل رقم ١) . وهذا معناه أننا يمكن أن نتبنى كلا المستويين كأساس لتوزيع المحطات المناخية على تجميعات مستقلة . هذه الإزدواجية ألغت فرصة الاختيار على أساس هذا المعيار لصعوبة صياغة حدود المفاضلة بينها . هذا الوضع دفع الباحث إلى أن يركن إلى مبدأ البداهة في استقراء التجميعات المحتملة . ولأن طبيعة هذا البحث وهدفه مرتبطان بالسعي لإبراز تركيب الأبعاد المكانية للاختلافات في مستويات الحرارة كما تمثلها المحطات المناخية ، فقد تم تفريغ عناصر التجميعات ابتداء من التجميع الثاني حتى التجميع الخامس والعشرين في خرائط منفصلة . وبمقارنة تشكيلات النطاقات الجغرافية التي تجسمها تلك الخرائط ، اتضح أن الخريطة الممثلة لتجميع المحطات المناخية في عشرة تجميعات هى الأفضل بينها في تحقيق تجميعات تتسم بسمة التواصل المكاني المنسجم . هذه السمة تكتسب أهمية بالغة في دراستنا هذه ، لأن متغيرات الوحدات العددية التي عالجها التحليل لم تشتمل على أية متغيرات تدلل على المواقع الجغرافية للمحطات المناخية . وإضافة إلى هذه النقطة الهامة فإنه بتفحص نتائج مستخرجات التحليل نجد أن متوسط المسافة الاحصائية بين عناصر كل تجميع من التجميعات العشر هو ٠,٢٨٦٥ ، وهي القيمة الثانية من حيث الترتيب التصاعدي لقيم متوسط المسافة بين عناصر التجميعات المتدرجة من تجميع واحد إلى اثنين وخمسين تجميعا والتي تتراوح بين ٠,٢٨٥١ و ١,٢٤٨ . هذه الحقيقة تعكس تكتلا متميزا



شكل رقم (١) قيم المعيار التكعيبي للتجميع

نسبيا للوحدات العددية في مجالات تجميعها وتعضد اختيار خريطة العشر تجميعات كإطار لتقسيم المحطات المناخية إلى طبقات مقتصرة ومتنافية . وهكذا فإن هذه الدراسة تقترح تقسيم المملكة إلى عشرة نطاقات جغرافية متميزة على أساس متوسطات الدرجة القصوى والدرجة الدنيا لحرارة السطح (خريطة رقم ٢) .

ويوضح الشكل رقم (٢) هيكل تجميع المحطات المناخية في التجميعات العشرة المقترحة ، كما يوضح الجدول رقم (٢) النقاط التالية :

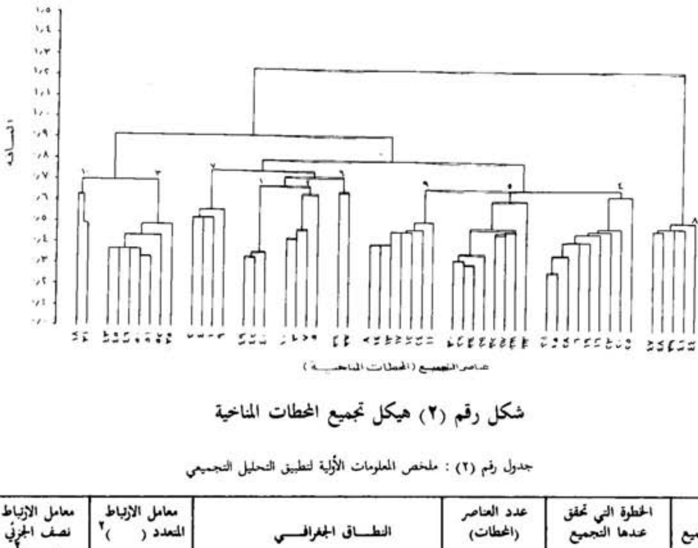
(أ) ترتيب هذه التجميعات على أساس المراحل التي تبلورت فيها ، وذلك من خلال العمليات المتوالية لحساب العلاقة الدالية والدمج كما ذكرنا سابقا .

(ب) عدد الوحدات العددية (المحطات المناخية التي يشملها كل تجميع) .

(جـ) الاسم المقترح للنطاق الجغرافي الذي يضم مواقع الوحدات العددية لكل تجميع .

(د) قيم معامل الارتباط المتعدد والنصف جزئي الذي يربط بين عناصر كل تجميع .

ولعله من المناسب قبل الخوض في تفصيلات مستويات درجات الحرارة في هذه النطاقات الجغرافية ، أن نستعرض هنا بعض الخصائص الإحصائية البسيطة لتوزيع درجات حرارة السطح على مستوى المملكة . وهنا نجد أن قيمة تناسق توزيع (التواء) متوسطات درجة الحرارة القصوى هي بالناقص لكل الأشهر ، أي أن معظم المحطات المناخية تكون قيم متوسطاتها أكبر من قيم المتوسط العام على مستوى المملكة (شكل رقم ٣) . ويبرز هذا الشكل خاصيتين لدرجة الحرارة القصوى في المملكة العربية السعودية وهي :



شكل رقم (٢) هيكل تجميع المحطات المناخية

جدول رقم (٢) : ملخص المعلومات الأولية لتطبيق التحليل التجميعي

التجميع	الخطوة التي تحقق عندها التجميع	عدد العناصر (المحطات)	النطـــاق الجغرافـــي	معامل الارتباط المتعدد ( )²	معامل الارتباط نصف الجزئي ( )²
١	١٥	٣	السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٠,٩٥٠	٠,٠٠٤
٢	٢٠	٤	الشمال والشمال الغربي	٠,٩٢٦	٠,٠٠٥
٣	٢٦	٧	الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣°	٠,٨٩٠	٠,٠٠٦
٤	٣١	٩	سدير – القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٠,٨٥٣	٠,٠٠٧
٥	٣٣	٩	نجد والسهول الغربية	٠,٨٣٧	٠,٠٠٨
٦	٣٥	٢	المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	٠,٨٢٠	٠,٠٠٨
٧	٣٦	٤	الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	٠,٨١٠	٠,٠٠٩
٨	٣٧	٥	المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١°ش	٠,٨٠١	٠,٠٠٩
٩	٣٩	٧	الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٠,٧٨٠	٠,٠١٠
١٠	٤٠	٢	الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣(°) ش	٠,٧٦٩	٠,٠١٠

جذر متوسط تربيع المسافة بين العناصر	١٥,٢
جذر متوسط تربيع الانحراف المعياري لجميع العناصر	١

١ – إن أشهر الشتاء تتميز بكون قيمة الالتواء السالب ضعيفة جدا نسبيا وبالذات في ديسمبر ويناير . مما يعني أن متوسطات المحطات لهذه الشهور تكون أقرب إلى التناسق ومن ثم الاستقرارية في توزيعها حول قيمة المتوسط العام .

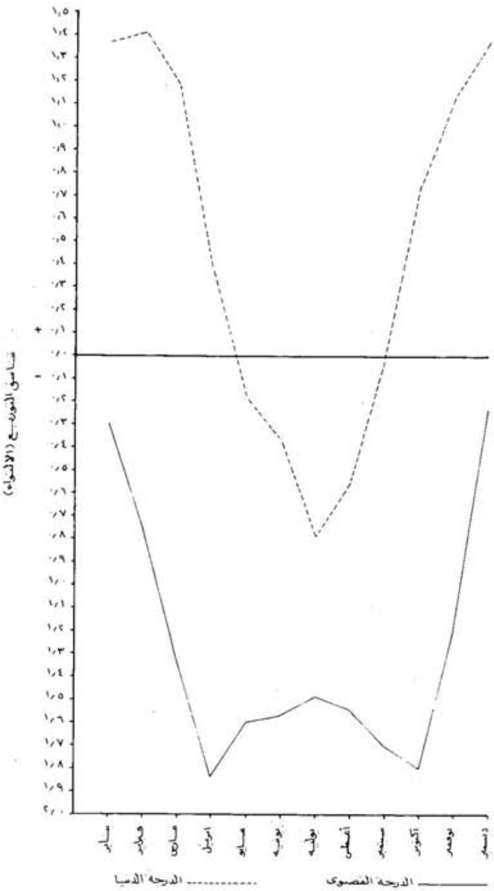
٢ – إن قيم الالتواء لشهري أبريل وأكتوبر تمثل القيم المتطرفة مدللة بذلك على أن أكبر الفروق بين المتوسط العام ومتوسطات المحطات المناخية تظهر في هذين الشهرين ، أي في منتصف الاعتدالين الربيعي والخريفي .

أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإننا نجد أن التواء قيم المتوسطات الشهرية يأخذ الشكل السالب الضعيف نسبيا لفترة خمسة شهور (مايو ← سبتمبر) ، مما يدل على أن معظم المحطات تكون قيم متوسطاتها أكبر من المتوسط العام ، الا أنها قريبة جداً من قيمته ، في حين أن الالتواء لبقية الشهور يأخذ الشكل الموجب الذي يدلل على أن معظم متوسطات المحطات المناخية أقل من قيمة المتوسط العام . وتأخذ قيمة الالتواء لمتوسطات درجة الحرارة الدنيا وضعا معكوسا بالنسبة لحدود التطرف ، حيث نجد أن أشهر الشتاء (ديسمبر ← فبراير) يمثلها أعلى القيم ، في حين أن أقل القيم تمثل شهري مايو وسبتمبر .

وإذا تفحصنا القيم الممثلة لنمط تركز توزيع (تفرطح) قيم المتوسطات الشهرية لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا ، نجد أن قيم جميع الأشهر لكليهما ، باستثناء متوسط إبريل للدرجة القصوى تكون أقل من قيمة ٣ (شكل رقم ٤) مما يعني استواء النمط وانعدام ظاهرة تركز المتوسطات الشهرية لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في جزء من مجال التوزيع التكراري لها . وتبرز خاصية الاستواء هذه بمستوى أفضل في توزيع قيم متوسطات الدرجة الدنيا ، ويأخذ تذبذبها ، بشكل عام ، وضعا معاكسا لتذبذب قيم متوسطات الدرجة القصوى .

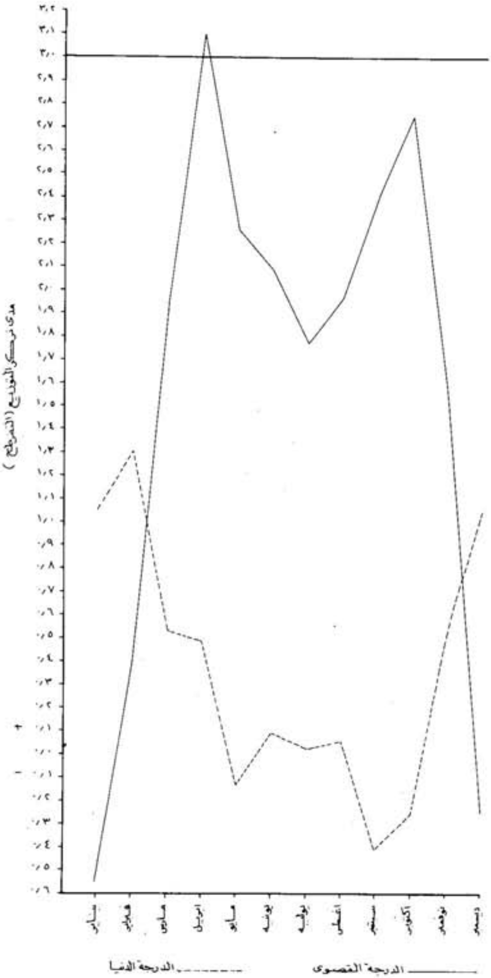
على أية حال ، لعل قيم معامل التباين تكون ذات أهمية متميزة في دراستنا هذه لأنها تكرس التباين في نمط توزيع درجتي الحرارة القصوى والدنيا في المحطات المناخية خلال شهور السنة . ويلخص الشكل رقم (٥) تلك القيم . وفيه نجد أن التباين بين قيم المتوسطات الشهرية يتضح بشكل متميز في نطاق درجة الحرارة الدنيا ويتركز بشكل حاد خلال أشهر الشتاء (ديسمبر ← فبراير) ، في حين يكون في أقل مستوياته خلال الشهور الأدفأ من السنة وبالذات في أشهر الصيف . وبالمقابل نجد أن معامل التباين في متوسطات درجة الحرارة القصوى يمثله قيم ضئيلة نسبيا ومتقاربة في توزيعها على مدار السنة حيث إن المدى لهذه القيم يمثله ٤,٥ مقابل ١٧٦,٤ لدرجة الحرارة الدنيا .

من هذا الاستعراض الموجز للخصائص الإحصائية البسيطة لمتوسطات درجتي الحرارة القصوى والدنيا ، نستطيع أن نخلص إلى القول بأن متوسطات درجات الحرارة الدنيا للمحطات المناخية تحت الدرس هنا هى ذات الثقل الأكبر في التدليل على النطاقات الجغرافية لتوزيع درجتي الحرارة القصوى والدنيا للسطح والتي تهدف إليها هذه الدراسة .

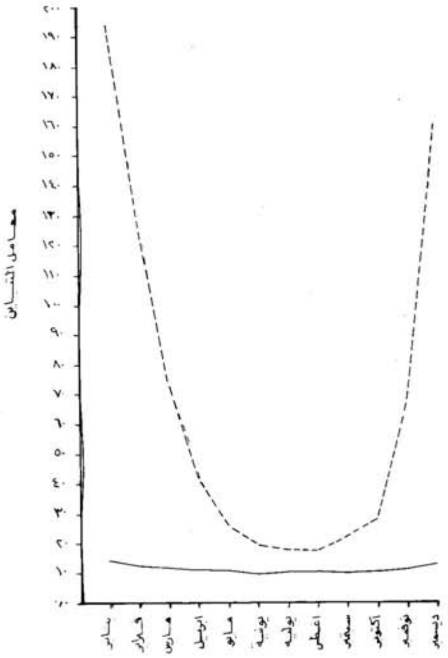


شكل رقم (٣) تناسق توزيع (التواء) قيم المتوسطات الشهرية لدرجة الحرارة القصوى ودرجة الحرارة الدنيا

وإذا انتقلنا إلى مسألة الارتباط بين الإحداثيات الجغرافية والارتفاعات الطبوغرافية وبين المتوسطات الشهرية لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا ، نجد أن حساب معامل الارتباط (بيرسون) لقالب المعلومات الأساسية إضافة إليه القراءات الممثلة لخط العرض ، وخط الطول ، والارتفاع التضاريسي لكل محطة مناخية يميط اللثام عن الحقائق التالية :



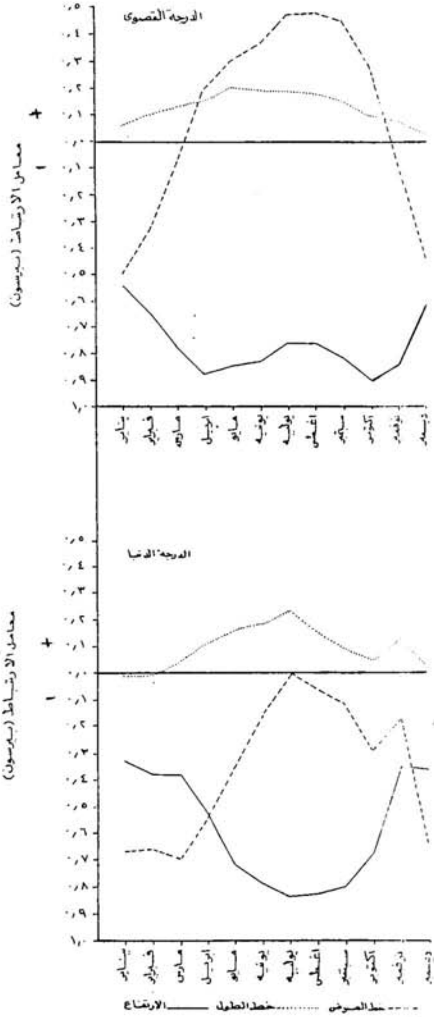
شكل رقم (٤) مدى تركز توزيع (تفرطح) قيم متوسطات درجات الحرارة القصوى والدنيا



شكل رقم (٥) معامل التباين في قيم المتوسطات الشهرية لدرجة الحرارة القصوى والدنيا

١ – إن أقوى ارتباط ، وبالتالي تأثير في الاختلافات المكانية لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا ، هو عاملُ الارتفاع التضاريسي . هذا الارتباط يظهر بشكله السالب ، مما يعني أن أي زيادة في الارتفاع يقابلها نقص في متوسط درجتي الحرارة القصوى والدنيا . ويكون هذا الارتباط أقوى بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى حيث نجده يتراوح بين ٠,٥٤ و –٠,٩٠ ، مقابل – ٠,٣٣ و – ٠,٨٤ بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا . كما نجد أن الشهور الباردة (ديسمبر ← فبراير) يمثلها أدنى قيم معامل الارتباط بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى أو الدنيا (شكل رقم ٦) .

٢ – إن الارتباط بين درجتي الحرارة القصوى والدنيا وبين خط العرض تكون دون المتوسط بالنسبة لمعظم أشهر السنة وأقصى قيمة حققها هى – ٠,٧٠ . ويتميز الارتباط هنا بأنه موجب في الفترة من إبريل ← اكتوبر بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى ، مما يعني تخفيف حدة التأثير السالب لعامل الارتفاع خلال هذه الفترة من السنة . ويكون الارتباط سالبا لكل الأشهر بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا والتي تتميز بأن القيم الكبيرة تمثل الأشهر الباردة .



شكل رقم (٦) الارتباط بين متوسطات درجة الحرارة القصوى ودرجة الحرارة الدنيا وبين خط العرض وخط الطول والارتفاع

٣ - إن الارتباط بين درجتي الحرارة القصوى والدنيا وبين خط الطول تأخذ الشكل الموجب في جميع الأشهر بالنسبة لكلا الدرجتين ، إلا أن قيمته تكون ضئيلة جدا ، وبالتالي فإن تأثيره غير ذي بال حيث لاتتخطى أقصى قيمة ٠,٢٣ .

وبتفحص قيم معامل الارتباط بين القيم الشهرية بعضها البعض ، فإننا نجدها بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى موجبة بين الشهور الباردة (ديسمبر ← فبراير) وبين بقية أشهر السنة وتتراوح بين المتوسطة (٠,٦٧ فبراير - أغسطس) ودون المتوسطة (٠,٣٥ يناير - يولية) . أما بالنسبة للارتباط بين الشهور الحارة وبقية شهور السنة ، فتتراوح قيمته بين المتوسط (٠,٥٧ ديسمبر - مايو) والمرتفع جدا (٠,٩٤ فبراير - مارس) . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإن معامل الارتباط بين الأشهر الباردة وبين بقية الأشهر يكون ضعيفا جدا . إضافة إلى أنه يأخذ الوضع السلبي الضعيف بالنسبة لأشهر يوليو ، أغسطس وسبتمبر ، مما يعني أن هناك نقصا طفيفا في درجة الحرارة الدنيا في الأشهر الحارة مقابل زيادة البرودة في الأشهر الباردة .

وسنتناول فيما يلي بحث الخصائص العامة لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في كل من النطاقات الجغرافية التي تقترحها هذه الدراسة . وتوضح الخرائط من (٣ - ١٤) الأنماط الممثلة للحدود القصوى والدنيا للمتوسطات الشهرية لدرجة الحرارة القصوى ، كما توضح الخرائط من ١٥ - ٢٦ أنماط درجة الحرارة الدنيا ، وتلخص الجداول من ٣ ← ٦ المتوسطات الشهرية لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في النطاقات الجغرافية . وعلى أية حال ، فإن أعلى وأدنى قراءة سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا على مستوى المملكة في الفترة ١٩٧٠ ← ١٩٨٦ كانت كالتالي :

		الدرجة(م)°	الموقع	النطاق	الشهر	السنة
الدرجة القصوى	أعلى قراءة	٤٩,٧	السرار (١١)	التاسع	يوليه	١٩٨٠
	أدنى قراءة	٢٢,٤	طريف (١)	السابع	يناير	١٩٧٨
الدرجة الدنيا	أعلى قراءة	٢٤,٢	جيزان (٥٢)	الثالث	أغسطس	١٩٧٧
	أدنى قراءة	-١٣,٣	طبرجل (٤)	السابع	ديسمبر	١٩٧٢

١ - نطاق السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية

ويتمثل بقطاع شبه مستطيل منتظم يغطي السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية والتي يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ م و ١٢٥٠ م وتقع إلى الغرب من خط الطول ٤٥° ش وإلى الجنوب من خط العرض ٢٠° ش (خريطة رقم ٢) ويمثل هذا النطاق المحطات المناخية في بيشة (٤٠) ، الحيفة (٤٢) ونجران (٤٩) .

جدول رقم (٣) المتوسطات الشهرية لدرجات الحرارة القصوى والدنيا (م°)

مستوى القياس	النطاق الجغرافي	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونية	يولية	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
العظمى (م°)	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٣١ر٤	٣٣ر٣	٣٥ر٨	٣٧ر٠	٣٨ر٩	٤٠ر٢	٤٠ر٦	٤٠ر٣	٣٨ر٧	٣٥ر١	٣٢ر٣	٣١ر٠	٤١ر١
	٢- الشمال والشمال الغربي	٢٣ر٨	٢٧ر٦	٣١ر٩	٣٧ر٠	٣٩ر٩	٤١ر٤	٤٣ر١	٤٢ر٨	٤١ر٥	٣٧ر٣	٣٠ر٨	٢٥ر٦	٤٣ر٨
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	٣٣ر١	٣٤ر٤	٣٧ر٤	٤٠ر٢	٤٢ر٠	٤٣ر٠	٤١ر٩	٤١ر٤	٤١ر١	٤٠ر٣	٣٦ر٧	٣٤ر٢	٤٣ر٨
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٢٦ر٨	٢٩ر٧	٣٤ر٠	٣٨ر٢	٤٢ر٣	٤٣ر٧	٤٤ر٧	٤٤ر٣	٤٢ر٦	٣٨ر٧	٣٢ر٤	٢٧ر٦	٤٥ر٣
	٥- نجد والسهول الغربية	٢٩ر٦	٣٢ر٣	٣٧ر١	٤٠ر٧	٤٤ر٣	٤٥ر٦	٤٦ر١	٤٥ر٨	٤٣ر٩	٣٩ر٣	٣٤ر١	٢٩ر٩	٤٦ر٧
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	٢٩ر١	٣٠ر٣	٣٢ر٦	٣٤ر١	٣٦ر٩	٣٨ر٣	٣٨ر٢	٣٧ر٧	٣٧ر٠	٣٤ر٢	٣٠ر٨	٢٩ر١	٣٩ر٠
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	٢٢ر٥	٢٥ر٧	٣١ر٢	٣٦ر٠	٣٨ر٩	٤١ر٠	٤٢ر٢	٤١ر٠	٤٠ر٧	٣٦ر٣	٢٩ر٣	٢٤ر٢	٤٣ر٣
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	٢١ر٣	٢٢ر٥	٢٤ر٧	٢٦ر٦	٢٩ر٩	٣١ر٦	٣١ر٧	٣١ر٢	٣٠ر٣	٢٧ر٥	٢٤ر٠	٢٢ر٣	٣٢ر٤
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٢٥ر٨	٢٩ر٣	٣٤ر٢	٣٩ر٤	٤٣ر٩	٤٥ر٢	٤٥ر٩	٤٥ر٢	٤٣ر٦	٣٩ر٤	٣٣ر٢	٢٧ر٥	٤٦ر٦
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٣٠ر٠	٣٠ر٩	٣٤ر٢	٣٧ر٠	٣٩ر٩	٤٠ر٩	٣٩ر٣	٣٩ر٣	٣٩ر١	٣٨ر١	٣٤ر٢	٣١ر٢	٤٣ر٦
الدنيا (م°)	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٢ر٦	٥ر٥	٩ر٢	١٢ر٤	١٦ر٢	١٧ر٢	١٨ر٩	١٨ر٨	١٤ر٥	٩ر٣	٦ر٢	٣ر٤	٢ر٣
	٢- الشمال والشمال الغربي	– ٢ر٠	– ٠ر٣	٢ر١	٧ر٨	١٢ر٥	١٦ر٨	١٩ر٢	١٨ر٢	١٥ر٦	٩ر٢	٣ر٣	– ١ر٧	– ٥ر٣
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	١٧ر١	١٧ر٢	١٨ر٢	٢٠ر٢	٢٢ر٠	٢٣ر٦	٢٣ر٤	٢٣ر٧	٢٢ر٨	٢٠ر٥	١٩ر٥	١٧ر٩	١٥ر٦
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٠ر٤	٢ر٢	٤ر٩	٩ر٧	١٥ر٨	١٨ر٩	١٩ر٩	١٩ر٧	١٧ر٣	١١ر٤	٦ر٩	١ر٣	–٧ر٠
	٥- نجد والسهول الغربية	١ر١	٢ر٩	٦ر٤	١٢ر٣	١٦ر٩	١٩ر٢	٢٠ر٩	٢٠ر٠	١٧ر٠	١١ر٥	١٤ر٧	٢ر٠	٠ر٢
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	١ر٣	٢ر٢	٥ر٢	٨ر٦	١٢ر٢	١٥ر٠	١٥ر٦	١٦ر٤	١٣ر٣	٧ر٩	٥ر٠	٢ر٢	٠ر٣
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	– ٤ر٤	– ٢ر٢	٠ر٠	٤ر٥	٩ر١	١٣ر٣	١٥ر٢	١٥ر٣	١٢ر٦	٧ر١	٣ر٠	– ٣ر٤	– ٤ر٥
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	٢ر٥	٢ر٨	٥ر٥	٧ر٠	٩ر٢	١١ر٩	١٢ر٦	١٢ر٦	١٠ر٩	٦ر٩	٤ر٣	٢ر٧	١ر٠
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٢ر٠	٣ر٣	٦ر٨	١٢ر٤	١٧ر٥	٢١ر٣	٢٣ر١	٢٢ر٣	١٩ر٩	١٤ر١	٨ر٧	٣ر٠	١ر٠
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٩ر٦	١٠ر٢	١١ر٤	١٤ر٨	١٧ر٧	٢٠ر١	٢١ر٩	٢٢ر٧	٢٠ر٨	١٨ر٨	١٤ر٠	١٠ر٤	٨ر٧

جدول رقم (٤) المتوسطات الشهرية لأعلى قيم درجات الحرارة القصوى والدنيا (م°)

مستوى القياس	النطاق الجغرافي	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونيه	يولية	اغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
الدرجة العظمى	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٣٤ر٥	٣٦ر٣	٣٨ر٥	٣٨ر٩	٤٠ر٦	٤١ر٩	٤٢ر٤	٤١ر٧	٤٠ر٢	٣٧ر٨	٣٦ر٠	٣٢ر٩	٤٢ر٥
	٢- الشمال والشمال الغربي	٢٨ر٩	٣٢ر٠	٣٥ر٩	٤٠ر٦	٤٢ر٧	٤٣ر٥	٤٦ر٠	٤٥ر٤	٤٥ر٢	٣٩ر٧	٣٤ر٦	٣٠ر٣	٤٥ر٢
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	٣٦ر١	٣٦ر٧	٣٩ر٨	٤٣ر٣	٤٦ر٠	٤٦ر١	٤٣ر٩	٤٤ر٠	٤٥ر٠	٤٣ر٥	٣٩ر٩	٣٦ر٣	٤٦ر٩
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٣١ر٢	٣٤ر٣	٣٧ر٨	٤١ر٢	٤٥ر١	٤٦ر١	٤٧ر٦	٤٧ر١	٤٤ر٩	٤١ر٣	٣٥ر٧	٣١ر٤	٤٨ر٠
	٥- نجد والسهول الغربية	٣٣ر٨	٣٧ر٤	٤١ر٧	٤٣ر٩	٤٦ر٩	٤٧ر٩	٤٧ر٩	٤٧ر٦	٤٦ر٠	٤٢ر٣	٣٧ر٣	٣٤ر١	٤٨ر٢
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	٣٢ر٧	٣٥ر١	٣٥ر٩	٣٨ر٥	٤١ر١	٤٤ر٤	٤٤ر٧	٤٠ر٥	٣٨ر٩	٣٦ر٨	٣٥ر٠	٣٢ر٧	٤٤ر٧
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الاوسط من الشمال	٢٥ر٥	٣٠ر٦	٣٥ر١	٣٩ر٩	٤٢ر٩	٤٥ر٦	٤٧ر٠	٤٥ر٦	٤٣ر٦	٤٠ر٠	٣٤ر٦	٢٨ر٣	٤٧ر٣
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	٢٤ر٦	٢٧ر١	٢٩ر٣	٢٩ر٣	٣٢ر٦	٣٣ر٦	٣٥ر٤	٣٣ر٥	٣٢ر٥	٢٩ر٩	٢٦ر٨	٢٦ر٣	٣٥ر٤
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٢٩ر٨	٣٦ر١	٣٩ر٠	٤٣ر٧	٤٥ر٣	٤٧ر٩	٤٨ر٦	٤٨ر٠	٤٦ر١	٤٣ر٦	٣٧ر٤	٣١ر٢	٤٨ر١
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٣٣ر٨	٣٥ر٤	٣٦ر٧	٤٠ر١	٤٦ر٠	٤٦ر٢	٤٣ر٠	٤٣ر٩	٤٧ر١	٤٢ر٥	٣٨ر٧	٣٣ر٤	٤٧ر٤
الدرجة الدنيا	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٦ر٣	٩ر٧	١٢ر٢	١٥ر٥	١٨ر٧	١٩ر٥	٢٤ر١	٢١ر٢	١٧ر١	١٢ر٦	٩ر٣	٦ر٨	٤ر٧
	٢- الشمال والشمال الغربي	٣ر٣	٤ر١	٧ر٧	١٢ر٥	١٧ر٠	٢٠ر٤	٢٣ر٥	٢١ر٦	١٩ر٣	١٤ر٢	٨ر٥	٢ر١	٠ر٥
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	٢٠ر٢	١٩ر٨	٢١ر٤	٢٣ر١	٢٥ر٤	٢٧ر٠	٢٦ر٧	٢٦ر٤	٢٦ر٢	٢٣ر٣	٢٢ر٥	٢٠ر٥	١٨ر٤
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٤ر٦	٦ر٥	٩ر٥	١٤ر٥	١٨ر٥	٢٢ر٢	٢٢ر٩	٢٣ر٨	٢١ر٢	١٥ر٥	١٢ر١	٥ر٧	٢ر٣
	٥- نجد والسهول الغربية	٥ر٧	٦ر٨	١٠ر٦	١٥ر٦	٢٠ر٠	٢٢ر٨	٢٣ر٦	٢٣ر٧	٢٠ر٨	١٦ر٦	١١ر٤	٥ر٤	٣ر٢
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	٧ر٨	٦ر١	٩ر٢	١٣ر٣	١٦ر٩	١٧ر٦	١٨ر٦	١٩ر٩	١٥ر٠	١١ر٩	٨ر٢	٤ر٤	٣ر٩
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الاوسط من الشمال	٠ر٢	١ر٣	٤ر٩	٨ر٥	١٣ر٤	١٨ر٠	١٩ر٤	١٩ر١	١٧ر٥	١١ر٤	٦ر٢	١ر٣	- ٢ر٢
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	٥ر٩	٦ر٧	٩ر٧	١١ر٥	١٣ر٨	١٦ر٢	١٧ر٢	١٥ر٩	١٥ر٧	١٠ر٨	٨ر٣	٨ر١	٣ر٩
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٥ر٣	٧ر٧	١٣ر٩	١٦ر٩	٢١ر٧	٢٥ر٣	٢٦ر٢	٢٥ر٧	٢٥ر٧	١٩ر٦	١٣ر٧	٧ر٤	٣ر٣
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	١٢ر٠	١٢ر٢	١٤ر١	١٧ر٧	٢٠ر٢	٢٢ر٤	٢٣ر٥	٢٦ر١	٢٣ر٥	٢٥ر١	١٦ر٢	١٣ر٥	١٠ر٢

جدول رقم (٥) المتوسطات الشهرية لأدنى قيم درجات الحرارة القصوى والدنيا (م°)

مستوى القياس	النطـاق الجغرافـي	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونية	يولية	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
الدرجة العظمى	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٢٨ر٨	٣٠ر٢	٣٢ر٩	٣٤ر٩	٣٧ر١	٣٨ر٤	٣٩ر٣	٣٨ر٤	٣٥ر٩	٣٢ر٣	٢٩ر٥	٢٨ر٦	٣٩ر٩
	٢- الشمال والشمال الغربي	١٨ر٦	٢٢ر٥	٢٧ر١	٣٣ر١	٣٥ر٤	٣٨ر٧	٤٠ر٧	٣٩ر٩	٣٨ر٨	٣٤ر٧	٢٦ر١	٢٢ر٣	٤١ر٦
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	٣١ر٢	٣٢ر٥	٣٤ر٨	٣٧ر٩	٣٩ر٢	٤٠ر٥	٤٠ر٣	٣٩ر٤	٣٨ر١	٣٧ر٧	٣٤ر٧	٣٢ر٤	٤٠ر٤
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٢٢ر٨	٢٦ر٥	٣٠ر٣	٣٤ر٨	٣٩ر٦	٤١ر٦	٤٢ر١	٤١ر٦	٤٠ر٨	٣٦ر٨	٢٨ر٥	٢٣ر٠	٣٩ر٣
	٥- نجد والسهول الغربية	٢٦ر٠	٢٨ر٢	٣٢ر٩	٣٧ر٣	٤١ر٧	٤٣ر٠	٤٣ر٩	٤٢ر٨	٤١ر٣	٣٦ر٧	٣١ر٤	٢٦ر١	٤٥ر٤
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	٢٤ر٤	٢٥ر٧	٢٩ر٠	٣٠ر٠	٣٥ر٣	٣٦ر٠	٣٥ر٤	٣٥ر٣	٣٨ر٤	٣١ر٩	٢٧ر٧	٢٤ر٠	٣٦ر٧
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	١٨ر٣	٢٢ر٤	٢٧ر٥	٣٢ر٧	٣٦ر٠	٣٨ر٣	٣٩ر٢	٣٨ر٢	٣٨ر٠	٣٢ر٦	٢٤ر٠	٢١ر٠	٤٠ر٣
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	١٧ر٣	١٨ر٢	٢١ر٢	٢٣ر٥	٢٧ر٣	٢٩ر٥	٢٨ر٩	٢٩ر٧	٢٧ر٧	٢٤ر٩	٢٠ر٨	١٩ر١	٣٠ر٥
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٢١ر٤	٢٥ر٣	٢٨ر٨	٣٤ر٢	٤١ر٧	٤٢ر٥	٤٣ر١	٤٢ر١	٤٠ر٥	٣٥ر٧	٢٨ر٩	٢٤ر١	٤٤ر٧
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٢٧ر٠	٢٧ر٤	٣٠ر٨	٣٣ر٥	٣٦ر٠	٣٥ر٩	٣٦ر٢	٣٦ر٠	٣٥ر٥	٣٤ر٥	٣١ر٦	٢٨ر٧	٣٩ر٧
الدرجة الدنيا	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	-١ر٠	١ر٤	٧ر٤	٩ر٦	١٢ر٤	١٥ر٢	١٣ر٧	١٦ر٩	١١ر١	٤ر٦	١ر٩	٠ر٥	-٠ر١
	٢- الشمال والشمال الغربي	-٦ر٣	-٤ر٠	-٢ر٨	٣ر١	٩ر٨	١٢ر٥	١٦ر٢	١٤ر٦	١٠ر٦	٢ر٧	-١ر٤	-٦ر٠	-٦ر٨
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	١٢ر٧	١٣ر٩	١٥ر٤	١٧ر١	١٨ر٣	١٩ر٠	١٩ر٦	٢٠ر٩	١٨ر٩	١٦ر١	١٦ر٥	١٣ر٠	١٢ر٢
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	-٣ر٢	-١ر٧	٠ر٢	٦ر٩	١١ر٩	١٥ر٩	١٦ر١	١٥ر٦	١٢ر٦	٧ر٧	٢ر٥	-٣ر٧	-٤ر٤
	٥- نجد والسهول الغربية	-٢ر٢	-٠ر٣	١ر٩	٨ر٨	١٢ر٩	١٥ر٨	١٧ر٣	١٦ر١	١٢ر٦	٧ر٣	٢ر٧	-٢ر٢	-٢ر٩
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	-٥ر٥	-٢ر٨	٢ر٣	٤ر٧	٧ر٧	١٢ر٢	١١ر٨	١٤ر٤	١٠ر١	٢ر٧	١ر١	-١ر٥	-٥ر٥
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	-٩ر٨	-٥ر٥	-٦ر٥	٠ر٥	٦ر٢	١٠ر١	١٢ر٢	١١ر٥	٩ر٣	٢ر٧	-٤ر٨	-١٠ر٠	-١١ر٧
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	-١ر٠	-٢ر٣	١ر٧	٣ر٣	٥ر٥	٧ر٢	٨ر٧	٨ر٤	٧ر٦	٣ر٧	٠ر٣	-١ر٦	٣ر١
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	-١ر٥	-٠ر٨	٣ر١	٩ر١	١١ر٩	١٦ر٩	١٩ر٨	١٩ر٢	١٥ر٣	٩ر٠	٣ر٩	-٠ر٩	-١ر٧
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٦ر٥	٧ر٩	٨ر٧	١٢ر٤	١٤ر٢	١٧ر٧	٢٠ر٥	٢٠ر٢	١٧ر٨	١٣ر٥	١١ر٢	٦ر٨	٦ر٠

جدول رقم (٦) المتوسطات الشهرية لمدى درجات الحرارة القصوى والدنيا (م°)

مستوى القياس	النطاق الجغرافي	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
الدرجة العظمى	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٥ر٧	٦ر١	٥ر٥	٣ر٩	٣ر٥	٣ر٥	٣ر١	٣ر٦	٤ر٣	٥ر٥	٦ر٥	٤ر٣	٢ر٥
	٢- الشمال والشمال الغربي	١٠ر٣	٩ر٥	٨ر٤	٧ر٥	٧ر٣	٤ر٨	٤ر٧	٥ر٦	٦ر٤	٥ر٠	٨ر٥	٨ر٠	٥ر٣
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	٤ر٤	٤ر١	٥ر٠	٥ر٥	٦ر٨	٥ر٦	٣ر٥	٤ر٦	٥ر٤	٥ر٧	٥ر٢	٣ر٧	٥ر٤
	٤- سدير القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٨ر٤	٧ر٨	٧ر٦	٦ر٢	٥ر٦	٤ر٤	٥ر٨	٥ر٥	٤ر٠	٥ر٠	٦ر٩	٨ر٠	٤ر٩
	٥- نجد والسهول الغربية	٧ر٨	٨ر٥	٨ر٧	٦ر٦	٥ر٢	٤ر٩	٤ر٠	٤ر٧	٤ر٧	٥ر٨	٥ر٩	٨ر٠	٢ر٨
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	٩ر٣	٩ر٤	٦ر٩	٨ر٥	٥ر٧	٨ر٤	٩ر٣	٥ر١	٤ر١	٤ر٩	٧ر٣	٨ر٧	٧ر٩
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	٧ر١	٩ر٠	٧ر٥	٧ر٢	٦ر٩	٧ر٢	٧ر٨	٧ر٣	٤ر٥	٧ر٤	١٠ر٦	٧ر٢	٦ر٩
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	٧ر٣	٨ر٩	٨ر١	٥ر٨	٥ر٣	٤ر١	٦ر٤	٣ر٩	٤ر٧	٤ر٩	٥ر٧	٧ر٢	٤ر٩
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٨ر٤	١٠ر٦	١٠ر٢	٩ر٥	٥ر٣	٥ر٤	٥ر٥	٥ر٩	٥ر٦	٧ر٨	٨ر٤	٦ر١	٤ر٠
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٥ر٣	٨ر٠	٥ر٨	٦ر٦	١٠ر٠	١٠ر٣	٦ر٨	٦ر٩	١١ر١	٨ر٠	٧ر٤	٤ر٢	٧ر٦
الدرجة الدنيا	١- السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية	٦ر٥	٨ر٣	٤ر٨	٥ر٩	٥ر٣	٤ر٣	١٠ر٤	٤ر٣	٦ر٢	٨ر٠	٧ر٣	٦ر٣	٤ر٩
	٢- الشمال والشمال الغربي	٩ر٦	٨ر١	١٠ر٥	٩ر٤	٦ر٢	٨ر٠	٧ر٣	٧ر٠	٨ر٧	١١ر٥	١٠ر٠	٨ر١	٧ر٥
	٣- الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش	٦ر٥	٥ر٩	٥ر٨	٥ر٦	٧ر٠	٧ر٩	٧ر١	٥ر٥	٧ر٢	٧ر٢	٥ر٩	٧ر٧	٦ر١
	٤- سدير - القصيم والسهول الشمالية الشرقية	٧ر٨	٨ر٥	٩ر١	٦ر٧	٦ر٣	٥ر٩	٦ر٢	٨ر١	٧ر٧	٧ر٤	٩ر٣	٨ر٨	٦ر٧
	٥- نجد والسهول الغربية	٧ر٩	٧ر٢	٨ر٦	٦ر٧	٧ر٠	٧ر٠	٦ر٣	٧ر٥	٨ر١	٩ر٢	٨ر٦	٧ر٧	٦ر٣
	٦- المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش	١٢ر٣	٨ر٩	٧ر١	٨ر٦	٨ر٣	٥ر٤	٦ر٧	٥ر٥	٥ر٣	٩ر١	٧ر١	٥ر٩	٦ر٨
	٧- الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال	١٠ر١	٦ر٨	١١ر٤	٨ر٠	٧ر١	٧ر٥	٧ر٢	٧ر٥	٨ر٧	٨ر٨	١٠ر٢	١١ر٥	١١ر٢
	٨- المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١° ش	٧ر٠	٩ر٠	٧ر٥	٨ر٢	٨ر٣	٨ر٩	٨ر٥	٧ر٥	٨ر٠	٧ر٠	٨ر٠	٩ر٨	٧ر٠
	٩- الساحل الشرقي والسهول الشرقية	٦ر٩	٨ر٥	١٠ر٧	٧ر٧	٩ر٧	٨ر٤	٦ر٣	٨ر١	١٠ر٣	١٠ر٥	٩ر٨	٨ر٣	٥ر٠
	١٠- الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣° ش	٣ر٠	٤ر٣	٥ر٤	٥ر٢	٦ر٠	٤ر٥	٣ر٠	٥ر٩	٥ر٧	١١ر٦	٥ر٠	٦ر٦	٤ر٢

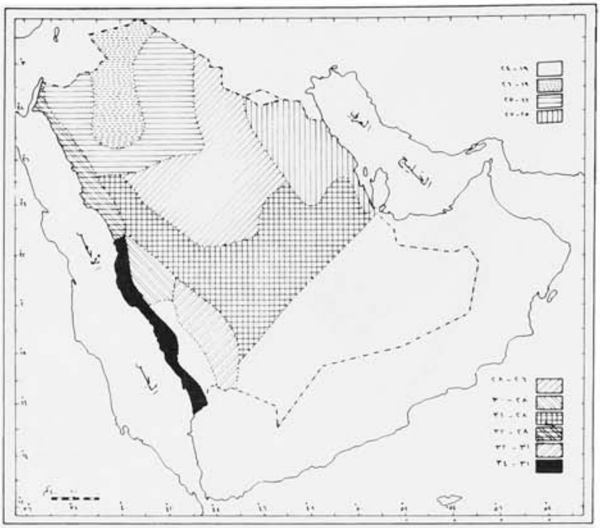
وتبين الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هذا القطاع :

		الدرجة(م)°	الموقـــــع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٣,٠	بيشة	يولية	١٩٨٦
	أدنى قراءة	٣٢,٩	نجران	ديسمبر	١٩٨٦
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٢,٢	نجران	أغسطس	١٩٨٥
	أدنى قراءة	-٠,٦	بيشة	يناير	١٩٨٦

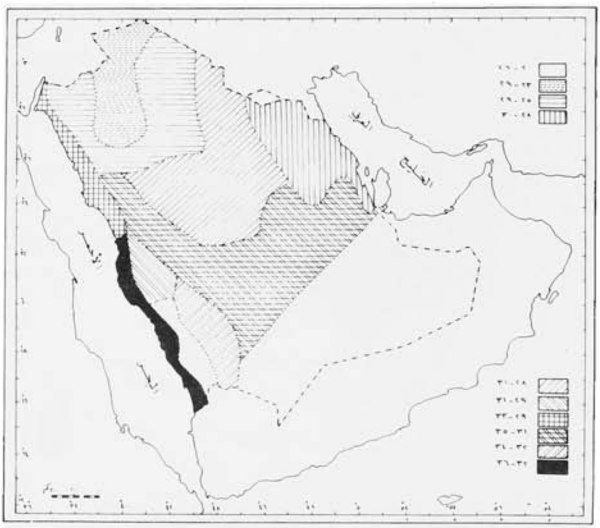
على أية حال ، نجد أن المتوسط العام لدرجة الحرارة يتراوح بين ٣٠,٩°م (الحيفه ، يناير) و ٤١,٠°م (بيشة ، يولية) لدرجة الحرارة القصوى وبين ٢,٨°م (الحيفه - ديسمبر) و ٢٠,٣°م (نجران - يولية) لدرجة الحرارة الدنيا .

وبتفحص الأنماط التي تمثل هذا النطاق في الخرائط من ٣ - ٢٦ ، نجد أن هذا القطاع يحتل المرتبة التاسعة في الترتيب التصاعدي للمتوسطات الشهرية الممثلة لدرجة الحرارة القصوى والمرتبة الثامنة بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا في شهري ديسمبر ويناير . هذا الترتيب المرتفع لكلا الدرجتين يعكس استقرارية السمة العامة لدرجة حرارة السطح في هذا النطاق خلال هذه الفترة الباردة من السنة الا وهى الارتفاع النسبي لدرجات الحرارة والتي تتراوح بين ٣١°م و ٣٧°م لدرجة الحرارة القصوى وبين ٣°م و ١٠°م لدرجة الحرارة الدنيا . ويبدو أن هذا الدفء النسبي يعود إلى التأثير العكسي للإحداثي العرضي ، حيث نجد أن معامل الارتباط يتراوح بين - ٠,٨٨ (مارس) و - ٠,٤٣ (يناير) لدرجة الحرارة القصوى . كما نلاحظ أيضا أن هناك تطابقا في الترتيب التصاعدي لدرجتي الحرارة في الفترة من يونية إلى سبتمبر ، حيث يحتل هذا النطاق المرتبة الرابعة مدللة بذلك على اعتدال نسبي لدرجات الحرارة خلال هذه الفترة من السنة حيث تتراوح درجة الحرارة القصوى بين ٣٧°م و ٤١°م لدرجة الحرارة القصوى وبين ١٤°م ٢٠°م لدرجة الحرارة الدنيا .

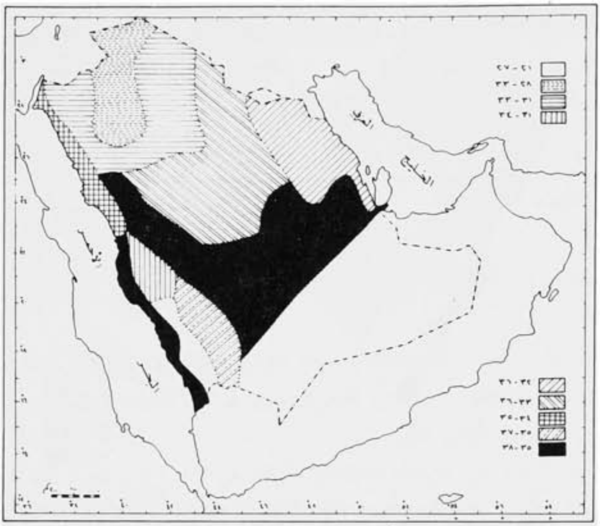
ويبرز هنا تأثير عامل الارتفاع التضاريسي الذي يلعب دوراً كبيراً في تحديد درجات الحرارة خلال الفصل الحار من السنة ، حيث نجد أن قيمة معامل الارتباط تأخذ الوضع السلبي بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى وتتراوح بين - ٠,٩٦ (أغسطس) و - ٠,٩٩ (يوليه) ، وتأخذ الوضع الموجب بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا وتتراوح بين ٠,٥٧ (سبتمبر) و ٠,٦٥ (يوليه) . ويتركز ، على أية حال ، تأثير عاملي خط العرض والارتفاع التضاريسي في الفترة من مايو إلى نوفمبر (أي فصلي الصيف والخريف) بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى حيث لاتقل قيم معامل الارتباط عن ٠,٦٨ ، ويأخذ الوضع العكسي بالنسبة لعاملي خط الطول والارتفاع التضاريسي . أما بالنسبة لدرجة الحرارة



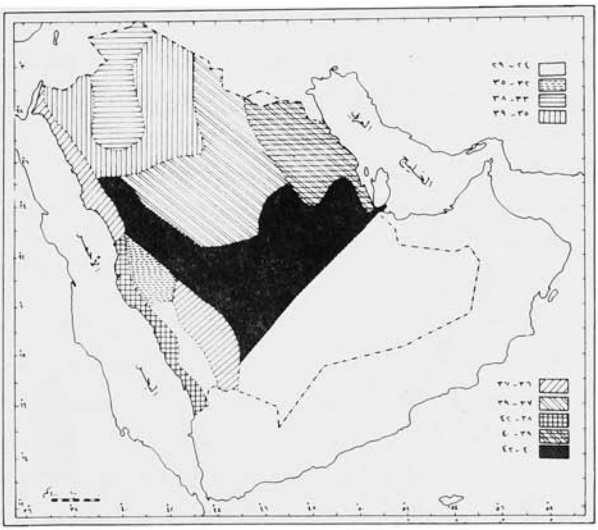
خريطة رقم (٣) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر يناير (م°)



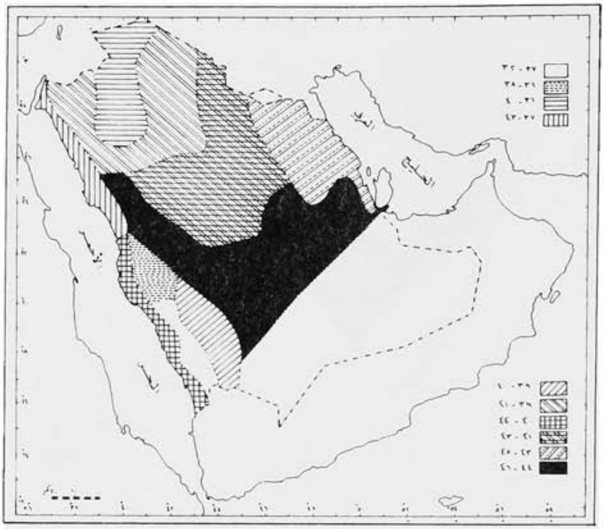
خريطة رقم (٤) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر فبراير (م°)



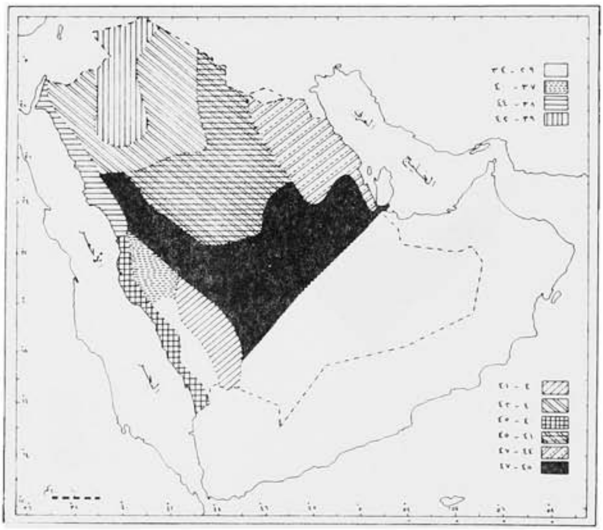
خريطة رقم (٥) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر مارس (م°)



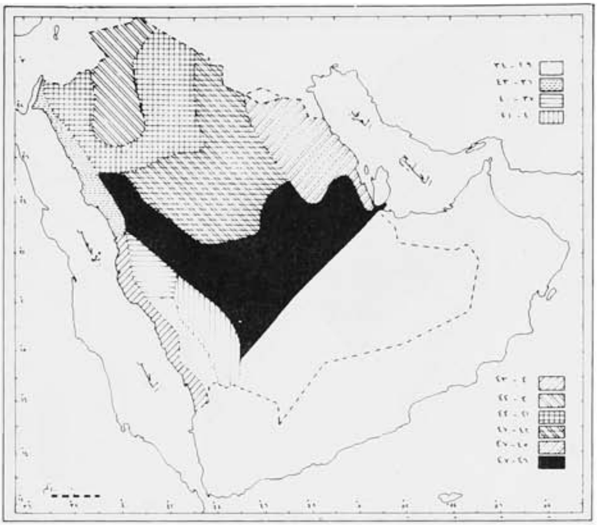
خريطة رقم (٦) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر ابريل (م°)



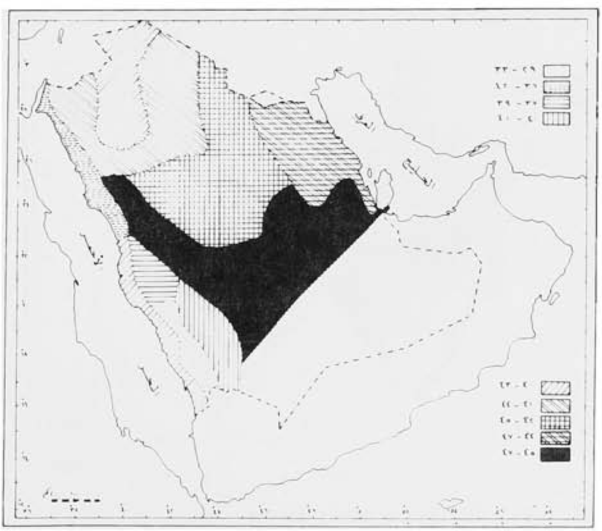
خريطة رقم (٧) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر مايو (م°)



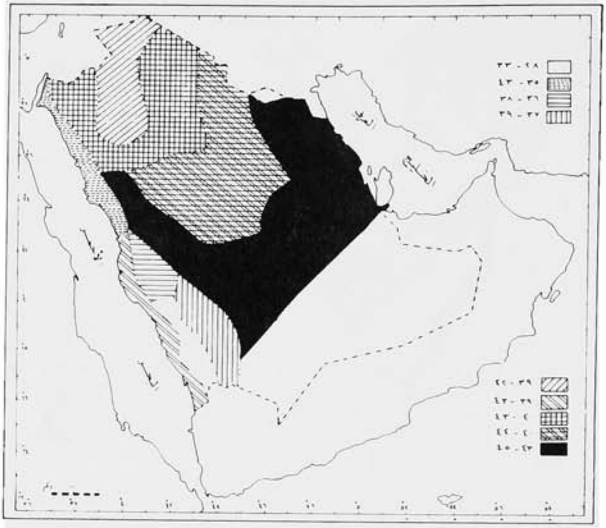
خريطة رقم (٨) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر يونيه (م°)



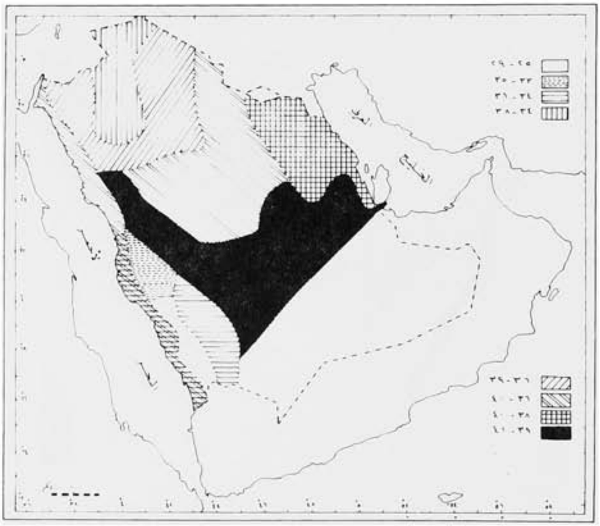
خريطة رقم (٩) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر يوليو (م°)



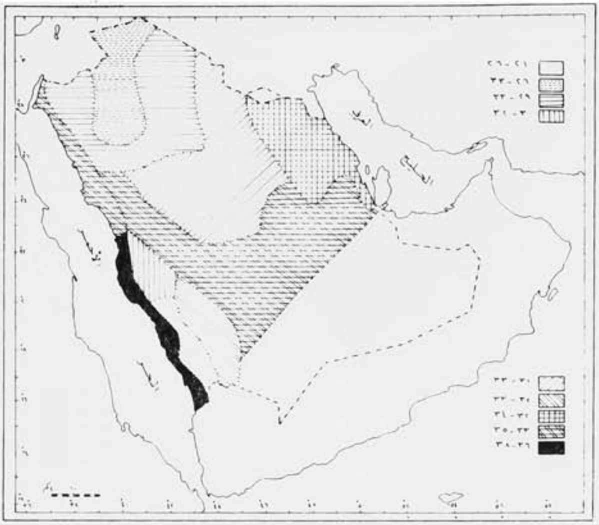
خريطة رقم (١٠) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر اغسطس (م°)



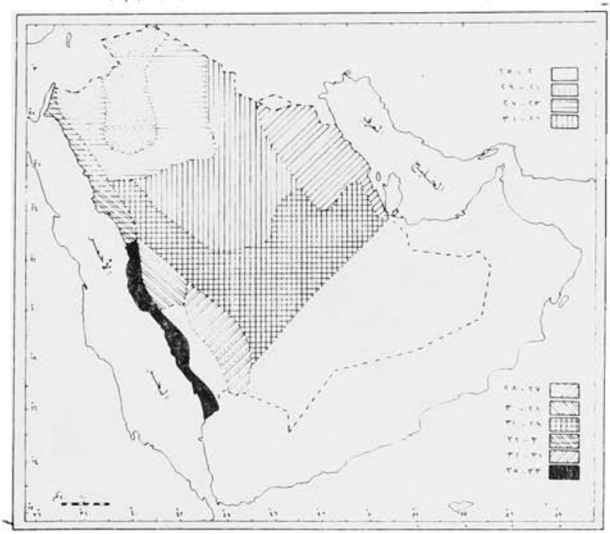
خريطة رقم (١١) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر سبتمبر (م°)



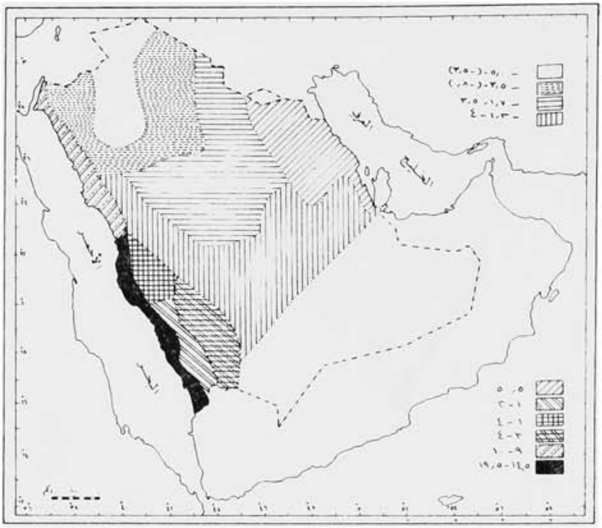
خريطة رقم (١٢) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر اكتوبر (م°)



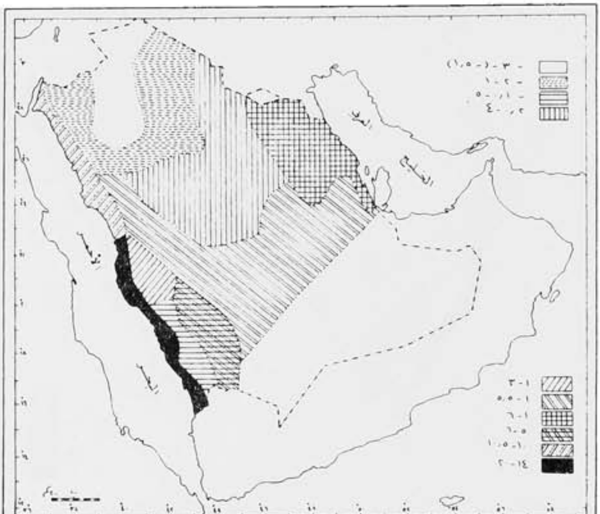
خريطة رقم (١٣) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر نوفمبر(م°)



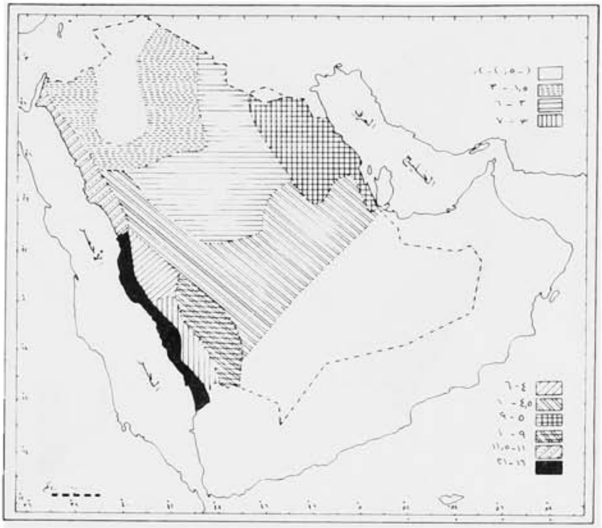
خريطة رقم (١٤) حدود متوسط درجة الحرارة القصوى لشهر ديسمبر (م°)



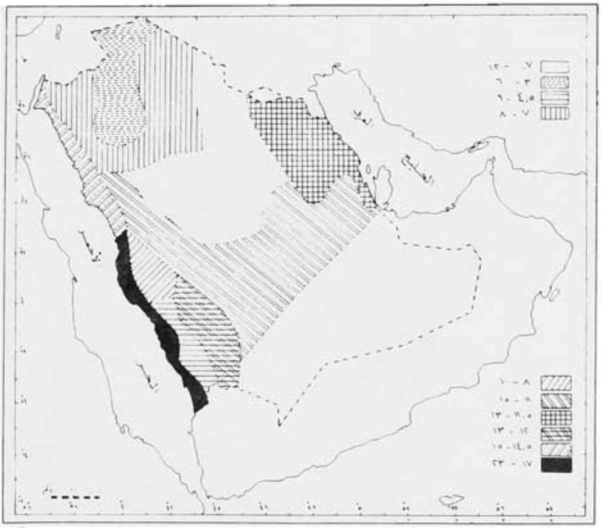
خريطة رقم (١٥) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر يناير (م°)



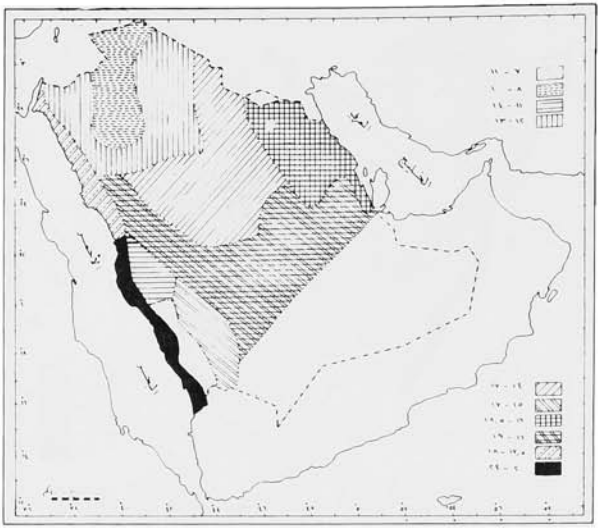
خريطة رقم (١٦) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر فبراير (م°)



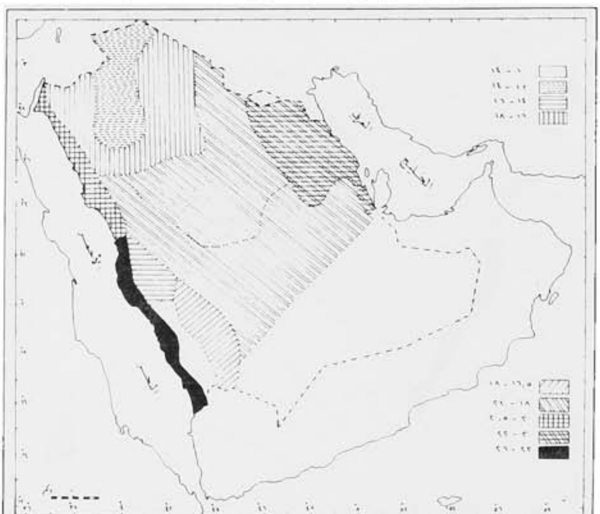
خريطة رقم (١٧) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر مارس (م°)



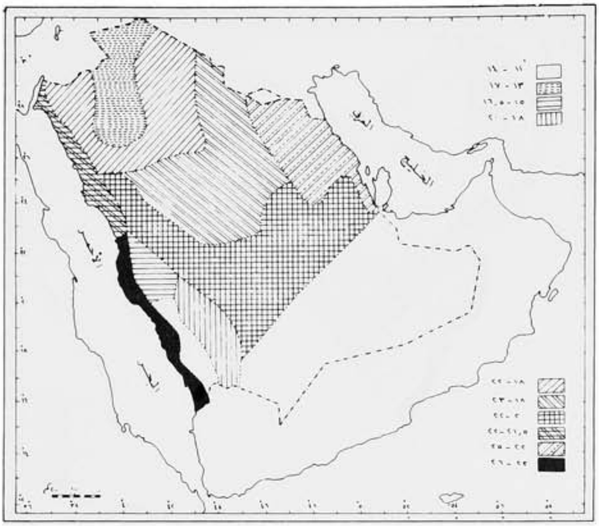
خريطة رقم (١٨) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر ابريل (م°)



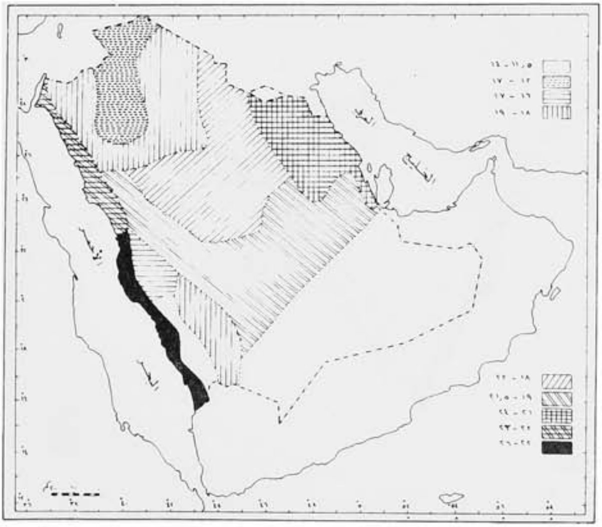
خريطة رقم (١٩) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر مايو (م°)



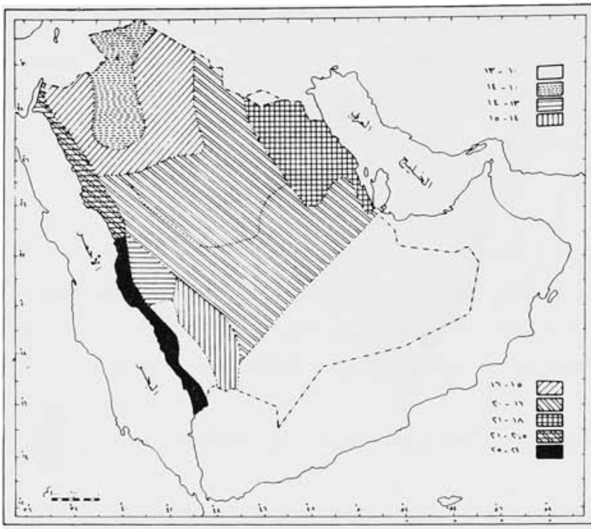
خريطة رقم (٢٠) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر يونية (م°)



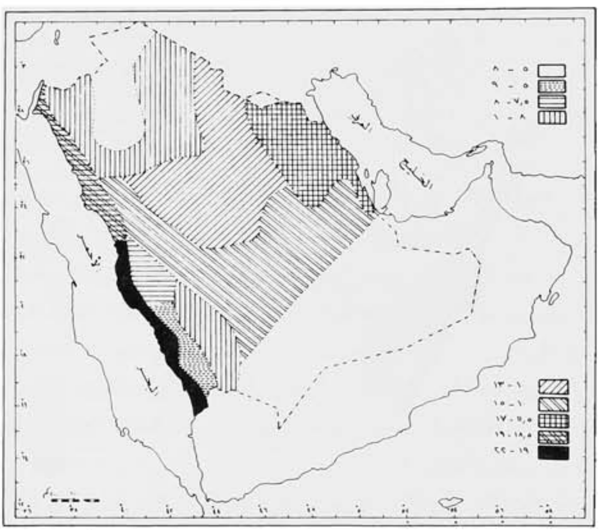
خريطة رقم (٢١) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر يوليه (م°)



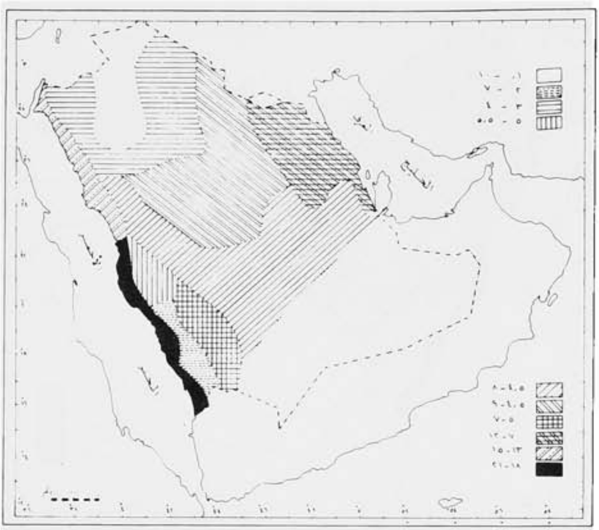
خريطة رقم (٢٢) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر اغسطس (م°)



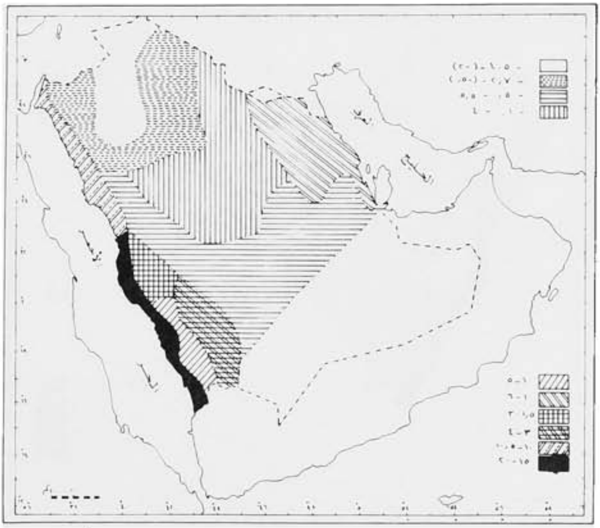
خريطة رقم (٢٣) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر سبتمبر (م°)



خريطة رقم (٢٤) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر اكتوبر (م°)



خريطة رقم (٢٥) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر نوفمبر (م°)



خريطة رقم (٢٦) حدود متوسط درجة الحرارة الدنيا لشهر ديسمبر (م°)

الدنيا فيقتصر التركز على الفترة الحارة الصيف (يونيه – سبتمبر) ويكون شكل الارتباط نقيضاً لما هو عليه بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى ، حيث نجد أن الوضع العكسي يمثل الارتباط بخط العرض فقط .

٢ – نطاق الشمال والشمال الغربي

ويمثله قطاع نصف دائري يبدأ عند القطاع الأوسط للحدود الشمالية بين خطي طول ٣٠ ٤٢° و ٤٤° ش وينتهي عند القطاع الشمالي الغربي لتلك الحدود بين خطي طول ٣٨° و ٣٠ و ٣٩°س ، بحيث ينحصر نطاقه الأوسط بين خطى عرض ٢٤° و ٢٥°ش . وتتراوح ارتفاعات أراضي هذا النطاق بين ٥٢٠ م و ٩٩٠ م ويمثله المحطات المناخية في بدنة (٣) ، سكاكة (٥) ، تبوك (٧) ، وحائل (١٠) .

وتوضح الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هذا النطاق .

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٩,٠	سكاكة	يوليه	١٩٧٨
	أدنى قراءة	٢٦,٢	حائل	يناير	١٩٨٠
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٨,٠	بدنه	يوليه	١٩٧٦
	أدنى قراءة	−٧,٠	تبوك	يناير	١٩٧٣

ويتراوح المتوسط العام لدرجة الحرارة القصوى بين ٢١,٦° م (بدنة ، يناير) و ٤٤,١° م (سكاكة ، يوليه) وللدرجة الدنيا بين – ٣,٤° م (حائل ، يناير) و ٢١,٨° (بدنة ، يولية) .

ويتميز هذا النطاق بإنخفاض نسبي في مستويات درجات الحرارة في الفترة الباردة من السنة والممتدة من نوفمبر إلى مارس ، حيث نجد أن ترتيبه الثالث والثاني تصاعديا بالنسبة للدرجة القصوى والدرجة الدنيا على التوالي . أما بالنسبة لبقية السنة والتي تشتمل على الفترات الدافئة والحارة ، فإننا نجد أن هذا الترتيب يتصاعد بين المرتبتين الرابعة والسابعة بالنسبة للدرجة القصوى ، والثالثة والخامسة بالنسبة للدرجة الدنيا . وهي مرتبات تضفي على هذا النطاق اعتدالاً حرارياً نسبياً في الفترة الممتدة بين إبريل وأكتوبر .

وبتفحص قيم معامل الارتباط بين درجات الحرارة والعوامل الجغرافية في هذا النطاق ، نجد أن الارتباط القوى بالنسبة للدرجة القصوى (< ٠,٨١) يظهر بشكله السالب في الفترة من مارس إلى

مايو (الربيع) وفي الفترة من سبتمبر إلى نوفمبر (الخريف) بينها وبين خط الطول ، ويظهر هذا الارتباط القوى بين درجة الحرارة القصوى وعامل الارتفاع التضاريسي في الفترة من يونيه إلى سبتمبر (الصيف) . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإن خط العرض يحل محل خط الطول بقيم موجبة ذات مستوى فوق المتوسط (< ٠,٦٣) في الفترة من إبريل إلى يوليه ، أما عامل الارتفاع التضاريسي فيكون ارتباطه قوياً وسلبياً (< - ٠,٨٥) في الفترة من سبتمبر إلى فبراير (الخريف والشتاء) .

٣ - نطاق الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° ش

يغطي هذا النطاق السهول الساحلية المتاخمة للساحل الشرقي للبحر الأحمر جنوب خط العرض ٢٣° ش والتي يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ٥ م و ٣٥٠ م ويمثله المحطات المناخية في جدة (٣٥) ، المظيلف (٤٣) ، خوش (٤٥) ، كياد (٤٦) ، صبيا (٥٠) ، ملاكي (٥١) ، وجيزان (٥٢) .

وتبين الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هذا النطاق :

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٩,٠	جدة	يونية	١٩٧٩
	أدنى قراءة	٣٠,٠	جيزان	يناير	١٩٧٢
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٩,٠	ملاكي	يونية	١٩٨٤
	أدنى قراءة	٨,٢	جدة	أكتوبر	١٩٧٨

ويتراوح المتوسط العام في هذا الجزء من البلاد بين ٣١,٤° م (جيزان ، يناير) و ٤٥,٢° م (خوش ، يونيه) لدرجة الحرارة القصوى وبين ١٤,٤° م (جدة ، يناير) و ٢٦,١° م (جيزان ، يونية) للدرجة الدنيا .

وتبرز الخرائط الموضحة لأنماط حدود درجات الحرارة هذا النطاق بشكل متميز حيث نجد أن مستوى درجة الحرارة الدنيا يظل الأعلى على مدار السنة مقارنة بالنطاقات الأخرى ، كما أن مستوى الدرجة القصوى يمثله المرتبة العاشرة ، الأخيرة تصاعديا ، في الفترة الباردة من نوفمبر إلى مارس . وهذا يعني أن هذا النطاق هو الأدفأ في البلاد خلال الفترة الباردة من السنة . هذا الوضع يأخذ في الاعتدال النسبي في الفترة الحارة من السنة وذلك من إبريل إلى سبتمبر ، حيث تتراوح

المرتبة التصاعدية لدرجة الحرارة القصوى بين الخامسة والثامنة ، وحيث تبرز خلال هذه الفترة النطاقات التي تقع في مستوى الخطوط العرضية وإلى الشرق من المرتفعات الغربية كنطاقات التطرف الأقصى لدرجة الحرارة القصوى على مستوى المملكة .

وبتفحص قيم معامل الارتباط لدرجة الحرارة القصوى هنا نجد أن عامل الارتفاع التضاريسي هو العامل الجغرافي الوحيد الذي يمثله قيم موجبة ذات بال (> ٠,٦٥) وذلك خلال الفترة من يونيه إلى سبتمبر . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإن خطي العرض والطول يمثلهما قيم عالية نسبيا وتكون سالبة لخط العرض (> − ٠,٨٣) وموجبة لخط الطول (> ٠,٨١) ، وذلك على مدار السنة باستثناء الفترة من يوليه إلى سبتمبر . هذا الوضع يدلل بوضوح على أن الاختلافات المكانية لدرجات الحرارة على السهول الساحلية الغربية جنوب خط ٢٣° ترتبط بشكل أساسي بدرجة الحرارة الدنيا وذلك تحت تأثير التفاوت في قيم الإحداثيات الجغرافية .

٤ – نطاق سدير – القصيم والسهول الشمالية الشرقية

يغطي هذا النطاق مناطق سدير ، القصيم ، والسهول الشمالية المنحصرة بين خطي طول ٣٠ ٤٣° و ٤٦° ش ، ويمتد جنوبا إلى خط عرض ٣٠ ٢١° ش . ويتراوح ارتفاع أراضي هذا النطاق بين ٦٠٠ م و ٩٥٠ م ويمثله المحطات المناخية في رفحة (٦) ، مطار القصيم (١٥) ، الزلفي (١٦) ، عنيزة (١٩) ، عقلة الصقور (٢٠) ، حوطة سدير (٢١) ، شقراء (٢٣) ، الحناكية (٢٥) ، والدوادمي (٢٨) .

وتوضح الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت في هذا النطاق لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا .

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٩,٥	الحناكية	مايو	١٩٧٧
	أدنى قراءة	١٨,٨	الزلفي	ديسمبر	١٩٧١
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٣٢,٠	الحناكية	أغسطس	١٩٧٩
	أدنى قراءة	−٦,٦	رفحة	يناير	١٩٧٧

ويتراوح المتوسط العام في هذا الجزء من البلاد بين ٢٥,٥° م (رفحة ، ديسمبر) و ٤٦,٦° م (رفحة ، يوليه) لدرجةالحرارة القصوى وبين − ١,٧°م (رفحة ، يناير) و ٢٣,٠° م (مطار القصيم ، يوليه) للدرجة الدنيا .

وبمقارنة الخرائط الموضحة لحدود الترتيب التصاعدي لدرجات الحرارة (خرائط من ٣ - ٢٦) نجد أن هذا النطاق يحتل ترتيبا وسطا متأرجحا بين الثالث والسادس لدرجة الحرارة الدنيا وذلك على مدار السنة ، ومتذبذبا بين الرابع والسادس للدرجة القصوى ، باستثناء الفترة الحارة من السنة والتي تمتد من مايو إلى سبتمبر ، حيث يكون مستوى درجة الحرارة القصوى ثابتا على المرتبة الثامنة تصاعديا ، مما يجعل هذا النطاق في المرتبة الثالثة من حيث الارتفاع النسبي لدرجة الحرارة القصوى في الفترة الحارة من السنة .

وعلى أية حال ، نجد أن هناك ارتباطاً واضحاً بين درجة الحرارة القصوى وبين خط العرض (≦ ٠,٥٤) والارتفاع التضاريسي (≦ - ٠,٧١) وذلك في أشهر الفترة الحارة من يونيه إلى سبتمبر . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا فيأخذ الارتباط وضعا معكوسا بحيث نجده سالباً بينها وبين خط العرض (≤ - ٠,٦١) وموجبا بينها وبين الارتفاع التضاريسي (≤ ٠,٦٨) وذلك في الفترة الباردة نسبيا من نوفمبر إلى ابريل .

٥ - نطاق نجد والسهول الغربية

يغطي هذا النطاق المناطق الواقعة إلى الجنوب من نطاق سدير - القصيم (٤) حتى الحدود الشمالية للربع الخالي ممتد إلى الشرق ليشمل واحة الاحساء وإلى الغرب ليتاخم حدود النطاقين الأول والسادس ، ثم يمتد شمالا في شكل ممر ضيق ذى اتجاه شمال غربي حتى يتاخم حدود النطاق الثاني . ويتراوح ارتفاع ربوع هذا النطاق بين ١٥٠ م و ٦٠٠ م ويمثله المحطات المناخية في الهفوف (٢٢) ، الرياض (٢٦) ، المدينة (٢٧) ، ديراب (٢٩) ، الخرج (٣٠) ، حرض (٣٢) ، يبرين (٣٣) ، الافلاج (٣٤) ، والسليل (٣٨) .

وتوضح الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت في هذا النطاق لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا .

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٩,٤	يبرين	يوليه	١٩٨٠
	أدنى قراءة	٢٤,٠	حرض	ديسمبر	١٩٨٠
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٣٢,٩	يبرين	سبتمبر	١٩٨٥
	أدنى قراءة	-٦,٣	الخرج	ديسمبر	١٩٧١

ويتراوح المتوسط العام في هذا النطاق بين ٢٧,٦° م (الهفوف ، يناير) و ٤٦,٨° م (يبرين ، يوليه) لدرجة الحرارة القصوى وبين - ١,٢ (الخرج ، يناير) و ٢٢,١° م (يبرين ، يولية) لدرجة الحرارة الدنيا .

وعلى أية حال ، بمقارنة خرائط مستويات حدود درجات الحرارة خرائط من ٣ - ٢٦ نجد أن هذا النطاق يحتل المرتبة الأخيرة تصاعديا بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى في الفترة من مارس إلى اكتوبر ، ويأتي في المرتبة قبل الأخيرة في الفترة من نوفمبر إلى فبراير . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإنه يحتل وضعا أقل تطرفا في الترتيب حيث نجد أن أقرب مرتبة له صوب التطرف هى المرتبة الثالثة تنازليا ، وذلك في شهر ديسمبر وتتصاعد تدريجيا عبر أشهر الشتاء لتتذبذب بين المرتبة السادسة والثامنة في بقية أشهر السنة .

وإذا تفحصنا النتائج التي تمت إلى مسألة ارتباط درجة الحرارة بالضوابط الجغرافية في هذا النطاق ، فإننا نجد أن الارتباط موجب وقوى إلى حد مابين عامل الارتفاع التضاريسي ودرجة الحرارة القصوى في أشهر الفترة الباردة من السنة (٠,٥٧ ← ٠,٨٦) ، في حين يكون الارتباط سالباً وضعيفاً في أشهر الصيف . ويأخذ الارتباط بالموقع العرضي الوضع العكسي ذا المستوى فوق المتوسط في الفترة من يناير إلى أبريل (- ٠,٥٨ ← - ٠,٨٤) وضعيفاً في بقية أشهر السنة . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإن الارتباط بخط العرض يكون فوق المتوسط في الفترة من مارس إلى مايو (٠,٦٠ ← - ٠,٧٦) وضعيفاً في بقية أشهر السنة ، في حين يكون الارتباط بعامل الارتفاع التضاريسي دون المتوسط وسلبيا في الفترة من يونيه إلى نوفمبر .

٦ - نطاق المرتفعات الغربية شمال خط عرض ٢١° ش

يمتد هذا النطاق على المرتفعات الغربية المنحصرة بين ارتفاعي ١٠٠٠ م و ١٦٠٠ م والممتدة بين خطي العرض ٢٣° و ٢١° ش ، وهو بذلك يكون أصغر النطاقات مساحيا وتمثله محطتان مناخيتان في الطائف (٣٦) ، وتربة (٣٧) .

وتبين الأرقام التالية أعلى وأدنى قراءة سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هذا النطاق .

		الدرجة(م)°	الموقـــــع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٨,٩	تربة	يونيه	١٩٧٩
	أدنى قراءة	٢١,٠	الطائف	ديسمبر	١٩٧٥
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢١,١	تربة	أغسطس	١٩٧٣
	أدنى قراءة	-٦,٧	الطائف	يناير	١٩٧٢

ويتراوح المتوسط العام بين ٢٧,٩° (الطائف ، ديسمبر) و ٣٩,٥° م (تربة ، يونيه) وذلك لدرجة الحرارة القصوى وبين ١,٠° م (الطائف ، يناير) و ١٦,٩° م (تربة ، أغسطس) لدرجة الحرارة الدنيا .

وبمقارنة الخرائط من ٣ – ٢٦ يتضح أن هذا النطاق يأخذ وضعا دون المتوسط متأرجحا بين المرتبتين الثانية والرابعة بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى وبين المرتبتين الثالثة والخامسة بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، وذلك خلال الفترة من مارس إلى نوفمبر . وخلال أشهر الشتاء يقفز هذا النطاق إلى المرتبة السادسة بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى والمرتبة السابعة للدرجة الدنيا ، أي ينضم إلى شريحة النطاقات الدافئة نسبيا خلال هذه الفترة الباردة .

ولأن هذا النطاق يمثله ، بالضرورة ، محطتان مناخيتان فقط ، فإن الفوارق بين القراءات الممثلة لضوابطهما الجغرافية تكون ضئيلة جدا نسبيا . لذا فإننا لن نتعرض إلى مناقشة مسألة الارتباط بين درجات الحرارة والضوابط الجغرافية في هذا النطاق .

٧ – نطاق الحدود الشمالية والقطاع الأوسط من الشمال

يمثل هذا النطاق الحدود الشمالية للمملكة والمنحصرة بين خطي طول ٤٠° و ٤٢°ش والتي تمتد جنوبا حتى خط عرض ٢٥°ش ممثلا بذلك الحدود الخارجية لنطاق الشمال والشمال الغربي . وتقع أجزاء هذا النطاق على ارتفاعات تتراوح بين ٥٥٠ م و ٨٢٠ م ويمثله المحطات المناخية في طريف (١) ، القريات (٢) ، طبرجل (٤) ، وتيماء (٩) .

وتشمل الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هذا النطاق :

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٨,٥	القريات	يولية	١٩٧٨
	أدنى قراءة	١٥,٠	طريف	يناير	١٩٧٤
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٣,٤	طريف	أغسطس	١٩٧٣
	أدنى قراءة	١٣,٣	طبرجل	ديسمبر	١٩٧٢

ويشير تحليل الإحصاءات الممثلة لهذا النطاق بأن المتوسط العام يتراوح بين ١٨,٩°م (طريف ، يناير) و ٤٢,٨°م (القريات ، يولية) لدرجة الحرارة القصوى وبين – ٥,٠ (تيماء ، يناير) و ١٧,٠°م (طريف ، أغسطس) لدرجة الحرارة الدنيا .

وبتفحص خرائط حدود متوسطات درجتي الحرارة القصوى والدنيا ، نلاحظ أن هذا النطاق يمثله أقل المستويات على الإطلاق بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا في الفترة من نوفمبر إلى مارس ، ويكون ترتيبه الثاني تصاعدياً في بقية الأشهر . أما بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى فإن متوسطاتها الشهرية تتدرج في مستواها من المرتبة الثانية تصاعديا خلال الفترة من نوفمبر إلى مارس إلى الثالثة في شهري إبريل ومايو ، فالرابعة في يونية ، فالخامسة في بقية الأشهر حتى نوفمبر واضعة بذلك هذا النطاق في وضع وسط نسبي بالنسبة لمتوسط درجة الحرارة القصوى في الفترة الحارة من السنة من يونيه إلى سبتمبر . ولاشك في أن موقع هذا النطاق إلى الشمال من خط العرض ٣٨⁻ ٢٧° وعلى ارتفاع ٥٥٠م يكمن خلف هذا الاعتدال النسبي لدرجة الحرارة القصوى في الفترة الحارة والانخفاض الأكبر لدرجة الحرارة الدنيا في الفترة الباردة على مستوى المملكة .

وتشير نتائج حساب معامل الارتباط إلى أن أقوى مستويات الارتباط بين درجتي الحرارة القصوى والدنيا ومجموعة الضوابط الجغرافية تكون بينها وبين خط العرض . ويكون الارتباط قوياً وسالباً بين خط العرض ودرجة الحرارة القصوى في فصلي الخريف والشتاء (-٠,٧١ ← -٠,٩٦) ويتراوح بين الوسط ودون الوسط في بقية الأشهر (-٠,٣٠ ← -٠,٥٩) ويكون الارتباط موجبا بين خط العرض ودرجة الحرارة الدنيا ويتراوح بين متوسط ٠,٥١ إلى قوى جدا ٠,٩٩ . كما نلاحظ أن الارتباط بين الحرارة وعامل الارتفاع في هذا النطاق هو ارتباط وسط إلى ضعيف ، ويأخذ الشكل الموجب في الفترة الأبرد من ديسمبر إلى فبراير ، والشكل السالب في بقية الأشهر التي تجسم الاعتدال والدفء النسبيين .

٨ – نطاق المرتفعات الجنوبية الغربية جنوب خط عرض ٢١°ش

يغطي هذا النطاق المرتفعات الجنوبية الغربية الواقعة على ارتفاعات > ٢٠٠٠م والتي تمتد من خط العرض ١٩°ش حتى الحدود اليمنية السعودية . ويمثله المحطات المناخية في المندق (٣٩) ، بلجرشي (٤١) ، النماص (٤٤) ، خميس مشيط (٤٧) ، وأبها (٤٨) .

وتوضح الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هذا الجزء من المملكة خلال فترة الدراسة ١٩٧٠ – ١٩٨٦ :

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٣٩,٠	المندق	يولية	١٩٨٣
	أدنى قراءة	١٢,٦	النماص	يناير	١٩٧١
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٠,٢	أبها	يوليه	١٩٨٦
	أدنى قراءة	-٦,٠	النماص	ديسمبر	١٩٧٠

ويدلل تحليل البيانات الخاصة بالمحطات الممثلة لهذا النطاق بأن المتوسط العام يتراوح بين ١٨,٦°م (الثماص ، يناير) و ٣٣,٨° (بلجرشي ، يونيه) لدرجة الحرارة القصوى وبين −٠,١ (المندق ، فبراير) و ١٤,١° (بلجرشي ، يوليه) للدرجة الدنيا .

وبتفحص الخرائط من ٣ – ١٤ نلاحظ أن هذا النطاق يتميز عن أقرانه بكونه النطاق الذي يمثله أدنى المتوسطات لدرجة الحرارة القصوى على مدار السنة .

فعلى الرغم من كونه يقع في أقصى الجنوب الا أن شدة الارتفاع التضاريسي لأراضيه > ٢٠٠٠م ألغت فعالية تأثير القرب النسبي لخط الاستواء وحصرت درجة الحرارة القصوى على ربوعه عند حدها الأدنى على مستوى المملكة .

وبمعاينة الخرائط الممثلة لدرجة الحرارة الدنيا (١٥ – ٢٦) نجد أن هذا النطاق يحافظ على المرتبة الأولى تصاعديا في الفترة من مايو إلى اكتوبر (باستثناء سبتمبر) ، مما يعني استحواذ هذا الجزء من البلاد على أقل مستويات درجات الحرارة القصوى والدنيا في الفترة الحارة من السنة ، أي تفرده بالخاصية الطبيعية الأساس التي تجعله الخيار المكاني الأول لاستقطاب السياحة الصيفية . كما نلاحظ أيضا أن هذا النطاق يحتل ترتيبا تصاعديا يتراوح بين دون الوسط وفوق الوسط (المراتب ٣ – ٦) بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا وذلك خلال الفترات الباردة والمعتدلة من ديسمبر إلى ابريل مما يجعله نطاقا مناسبا لإنتاج فصائل معينة من المحاصيل في هذه الفترة الباردة نسبيا ، خاصة وأن هذا الجزء من البلاد هو «أغزرها أمطار على مدار السنة (≤ ٥٠٠مم)» (Al-Jerash, 1985) .

وتشير نتائج حساب معامل الارتباط البسيط بأن عامل الارتفاع التضاريسي يمثله ارتباط ذو مستوى أكبر نسبيا ويأخذ الشكل السلبي على مدار السنة بالنسبة لكلا الدرجتين القصوى والدنيا . ويلاحظ أن هذا الارتباط الذي يتأرجح بين المستوى الوسط والقوى إلى حد ما (−٠,٥٦ ← ٠,٨٦) يتركز في الفترة الباردة الممتدة من نوفمبر إلى مارس وذلك بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى وفي الفترة من يناير إلى إبريل بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا . ويأتي مستوى الارتباط بين خط العرض ودرجة الحرارة في هذا النطاق في المرتبة الثانية ويكون ضعيفا بشكل عام وموجبا في جميع شهور السنة باستثناء شهور الشتاء من ديسمبر إلى فبراير حيث يأخذ الشكل السلبي الضعيف جدا بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا نجد أن الارتباط مع خط العرض يأخذ السمة السالبة ويتحسن مستواه حيث يرتفع بشكل ملحوظ في الفترة من فبراير إلى مايو بحيث تتراوح قيمته بين −٠,٦٧ و − ٠,٨١ .

٩ – نطاق الساحل الشرقي والسهول الشرقية

يغطي هذا النطاق الساحل الشرقي والسهول المتاخمة له إلى الشمال من خط عرض ٢٥°ش ، وإلى الشرق من خط الطول ٤٦°ش عند الحدود الشمالية إلى خط الطول ٤٨°ش عند الأطراف

الجنوبية لهذا النطاق والمتاخمة للنطاق الخامس . وتقع أراضي هذا الجزء في البلاد على ارتفاعات تنحصر بين ٥ م و ٤٥٠ م ويمثله المحطات المناخية في حفر الباطن (٨) ، الصرار (١١) ، رأس تنورة (١٢) ، القطيف (١٣) ، أم عقلا (١٤) ، الظهران (١٧) ، وخريص (٢٤) .

وتبرز البيانات التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٦ في هذا النطاق :

		الدرجة(م)°	الموقـــــــع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٩,٧	الصرار	يولية	١٩٧٩
	أدنى قراءة	١٩,٠	حفر الباطن	يناير	١٩٧٤
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٩,٠	الصرار	سبتمبر	١٩٧٢
	أدنى قراءة	-٤,١	حفر الباطن	يناير	١٩٧٨

وعلى أية حال فإن المتوسط العام يتراوح بين ٢٤,٨°م (حفر الباطن ، يناير) و ٤٧,٤°م (الصرار ، يوليه) لدرجة الحرارة القصوى وبين ٠,٣°م (ام عقلا ، يناير) و ٢٤,٨°م (الظهران ، يوليه) لدرجة الحرارة الدنيا .

وبتفحص خرائط مستويات درجة الحرارة القصوى من ٣ - ١٤ نلاحظ أن هذا النطاق يتبوأ ترتيبا تصاعديا مرتفعا في الفترة من إبريل إلى نوفمبر حيث يتأرجح بين الترتيبين الثامن والتاسع . هذا التطرف النسبي في مستوى درجة الحرارة القصوى يقابله تطرف مماثل ، تكشفه الخرائط من ١٥ - ٢٦ في مستوى درجة الحرارة الدنيا لنفس الفترة ، مما يعنى أن هذا النطاق يمثل امتداداً شرقياً لنطاق نجد والسهول الغربية الذي يمثل بؤرة التركز الحراري في الفترتين الدافئة والحارة من السنة . وبالمقابل نلاحظ أنه خلال الفترة الأبرد يتقلص التطرف الحراري حيث يصبح الموقع الترتيبي لهذا النطاق هو المرتبة الرابعة أو الخامسة تصاعديا وذلك في الفترة من ديسمبر إلى مارس للدرجة القصوى ، والسادسة لشهر ديسمبر والخامسة لشهر يناير بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا .

وبالنظر في نتائج حساب معامل الارتباط البسيط بين درجتي الحرارة القصوى والدنيا والضوابط الجغرافية الثلاثة ، نجد أن أقوى ارتباط يظهر بشكله الموجب بين خط الطول ودرجة الحرارة الدنيا (٠,٦٧ ← ٠,٩٦) ، وذلك في الفترة من أكتوبر إلى إبريل ، مما يعنى أن نقص المسافة صوب الساحل الشرقي يقابله إنخفاض في سقف الحرارة الدنيا . هذا الوضع ينعكس بالنسبة للارتباط مع الارتفاع التضاريسي حيث نجد أنه ارتباط سلبي لنفس الفترة ، مما يعني أن ارتفاع مستوى درجة الحرارة الدنيا مقابل النقص في مستوى الارتفاع التضاريسي هذه العلاقة العكسية تظهر أيضا بين درجة الحرارة القصوى والارتفاع في الفترة من إبريل إلى نوفمبر . أما بالنسبة لخط العرض ، فإن

أقوى مستوى للارتباط ظهر بينه وبين درجة الحرارة القصوى (٠,٦٨ ← ٠,٧٤) وذلك في الفترة من أغسطس إلى أكتوبر ، وأخذ الشكل السالب في الفترة الباردة من السنة . أما بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، فإنه يظل سالباً على مدار السنة وبقيمة متواضعة (< ٠,٥٨) .

١٠ – نطاق الساحل الغربي شمال خط عرض ٢٣°ش

يشمل هذا النطاق السهول الساحلية المتاخمة للساحل الشرقي للبحر الأحمر والممتدة إلى الشمال من خط عرض ٢٣°ش إلى الحدود السعودية – الأردنية على خليج العقبة . وتقع أراضي هذه السهول الساحلية على ارتفاعات تتراوح بين ١٠° و ٢٠٠°م ويمثله محطتان مناخيتان في الوجه (١٨) وينبع (٣١) .

وتوضح الأرقام التالية أعلى وأدنى القراءات التي سجلت لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا في هاتين المحطتين خلال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة والممتدة من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٦ .

		الدرجة(م)°	الموقع	الشهر	السنة
درجة الحرارة القصوى	أعلى قراءة	٤٨,٦	ينبع	مايو	١٩٧٠
	أدنى قراءة	٢٥,٠	الوجه	يناير	١٩٧٥
درجة الحرارة الدنيا	أعلى قراءة	٢٨,٣	الوجه	أغسطس	١٩٨٦
	أدنى قراءة	٧,٠	ينبع	ديسمبر	١٩٧٠

وبتحليل البيانات الممثلة لهذا النطاق ، نجد أن المتوسط العام يتراوح بين ٢٨,٤°م (الوجه ، يناير) و ٤٤°م (ينبع ، يوليه) لدرجة الحرارة القصوى وبين ٩,٤°م (الوجه ، يناير) و ٢٣,١° (الوجه ، أغسطس) لدرجة الحرارة الدنيا .

على أية حال ، تفحص خرائط مستويات درجة الحرارة القصوى من ٣ – ١٤ ، وخرائط درجة الحرارة الدنيا من ١٥ – ٢٦ يدل على أن هذا النطاق يتميز بإنخفاض نسبي لدرجة الحرارة القصوى خلال الفترة الحارة من السنة والممتدة من مايو إلى سبتمبر حيث تتراوح مرتبته بين الثاني والرابع تصاعديا . ويقابل ذلك ارتفاع نسبي لدرجة الحرارة الدنيا في نفس الفترة حيث تتأرجح رتبته تصاعديا بين السابع والتاسع . هذا التوازن المتعاكس بين درجتي الحرارة القصوى والدنيا يجعل هذا النطاق يشارك النطاق الثامن ضمن المناطق ذات المناخ الأكثر اعتدالا في الفترة الحارة من السنة على مستوى المملكة العربية السعودية . على أية حال ، تتواصل هذه السمة الاعتدالية في بقية فترات السنة بالنسبة لدرجة الحرارة القصوى حيث نجد أن مستوى الحرارة في هذا النطاق يتأرجح بين

الخامس والثامن تصاعديا مع ملاحظة أن المستويات العليا تمثل أشهر الفترة الأبرد من نوفمبر إلى مارس ، مما يعني سيادة الدفء النسبي في هذه الفترة . كما نلاحظ أيضا أن هذا التواتر في الدفء الممثل لمستوى درجة الحرارة القصوى في الفترة من نوفمبر إلى مارس يعضده تبوّؤ هذا النطاق للمستوى التاسع تصاعديا بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا في نفس الفترة ، مما يعني ارتفاع مستوى سقف درجة الحرارة الدنيا خلال الفترة الأبرد نسبيا ممثلا بذلك امتدادا لنطاق الدفء الخريفي – الشتوي – الربيعي على طول الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية تحت التأثير الحجزي الذي تمارسه المرتفعات الغربية على تدفق الرياح الشمالية والشمالية الشرقية التي تسود على البلاد في هذه الفترة وتحت تأثير انحسار مستوى الارتفاع التضاريسي دون ارتفاع ٢٠٠م .

وعلى أية حال ، فلاقتصار تمثيل هذا النطاق بالضرورة على محطتين مناخيتين لم يتم حساب معامل الارتباط لدرجات الحرارة بالضوابط الجغرافية .

وحري بنا بعد هذا الاستعراض لمستويات درجتي الحرارة القصوى والدنيا في النطاقات المكانية المقترحة كل على حدة أن نختم دراستنا بإبراز العلاقة التسلسلية بين هذه النطاقات .

يبرز التأثير البحري في تسلسل نطاقات جنوب الساحل الغربي (النطاق الثالث) وشمال الساحل الغربي (النطاق العاشر) والساحل الشرقي (النطاق التاسع) على التوالي في مستويات متوسطات درجات الحرارة في معظم فترات السنة . ويتمثل هذا التأثير بالخفض النسبي لمستوى متوسط درجة الحرارة القصوى والرفع النسبي لدرجة الحرارة الدنيا في الفترة الحارة من السنة تحت تأثير حدة حركة الهواء البحري صوب الداخل خلال النهار وانقلاب الحركة من اليابس إلى ا لبحر خلال الليل وذلك بتأثير الفروق الحرارية بين المسطحات اليابسة والمائية المتاخمة لبعضها البعض والتي تبلغ ذروتها خلال ساعات قياس درجتي الحرارة القصوى والدنيا . أما في الجزء البارد من السنة ، فإن حدة هذه الفروق في تسخين هذه المسطحات تتضاءل وبالتالي ينخفض مستوى التعديل الحراري الكبير الذي يظهر إبان الفترة الحارة ، فتحتفظ الطبقة الهوائية الملامسة للسهول الساحلية بالجزء الأكبر من حرارتها المكتسبة خلال ساعات الإشعاع الشمسي بحيث يصبح الهواء دافئاً نسبيا خلال هذه الفترة الباردة .

وتبرز النطاقية المتسلسلة الزيادة في مستويات درجتي الحرارة القصوى والدنيا في الجزء الواقع إلى الشرق من المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية كلما اتجهنا صوب الجنوب . ويتحكم في هذه النطاقية عامل الموقع العرضي بشكل أساسي ، لأن الاختلافات في الارتفاع التضاريسي بين أرجاء هذا الجزء الأكبر من البلاد طفيفة نسبيا . وتتلاشى هذه السمة التسلسلية مع بداية ابريل بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا حيث تتبادل نطاقات القطاع الشمالي المراتب ويصبح نطاق القصيم – سدير (النطاق الرابع) هو نطاق القيم الدنيا . ويبدو أن هذا الوضع الذي يستمر حتى أكتوبر وليد التغيرات الحرارية التي تحدث عن الاعتدال الربيعي ومن ثم الانقلاب الصيفي . وتبرز تدريجيا هذه السمة النطاقية مرة

أخرى مع إطلالة نوفمبر تحت تأثير الاقتراب من مرحلة الانقلاب بالشتوي .

ويتبادل نطاقا الساحل الغربي جنوب خط عرض ٢٣° (النطاق الثالث) ونجد والسهول الغربية (النطاق الخامس) الحدود العليا لمتوسط درجة الحرارة القصوى ، حيث تسود أعلى متوسطات درجة الحرارة القصوى على النطاق الثالث في الشهور الباردة من نوفمبر إلى فبراير وذلك تحت تأثير الحجز التضاريسي حيث تقوم المرتفعات الجنوبية الغربية برفع الرياح الشمالية والشمالية الشرقية ، الباردة نسبيا والتي تسود على الأجزاء شرق المرتفعات الجنوبية الغربية ، ثم دفعها إلى الانحدار على السفوح الغربية للمرتفعات الجنوبية الغربية صوب السهول الساحلية الغربية ، مما ينجم عنه تسخين مزدوج لهذه الرياح بفعل الاحتكاك الهبوطي والتسخين الذاتي . وفي الفترة من ابريل إلى اغسطس يستأثر النطاق الخامس بالمستويات العليا لدرجة الحرارة القصوى وذلك تحت تأثير : (١) إحداثياته العرضية ، (٢) سمته القارية ، (٣) كون أن هذه الفترة تشهد نشاطا ملحوظا لحركة الرياح الجنوبية الحارة والمعروفة برياح السموم . وتشتد حدة تأثير هذه الرياح في أواخر الصيف مما يؤدي إلى التحام نطاق الساحل الشرقي (النطاق الثالث) مع نطاق نجد والسهول الغربية في سبتمبر . وعلى أية حال ، فإن السمة التبدلية لأعلى متوسطات درجة الحرارة القصوى بين النطاقين الثالث والخامس تمر بمرحلتين انتقاليتين ، حيث نجد أن أعلى متوسطات الدرجة القصوى تسود على النطاقين الثالث والخامس معا في شهري مارس وأكتوبر ، أي في بداية فترتي الاعتدالين الربيعي والخريفي ممثلة بذلك انحساراً لحركة الرياح الشمالية والشمالية الشرقية الباردة ، وانحساراً لحركة الرياح الجنوبية الحارة على التوالي .

وتظهر النطاقية المتسلسلة بشكل بارز على المرتفعات الغربية جنوب خط عرض ٢٣°ش وذلك بشكل تنازلي مقابل الزيادة في مستوى الارتفاع التضاريسي . ويتركز تأثير الارتفاع التضاريسي على هذا الجزء من البلاد بالاقتراب من فترة الانقلاب الصيفي حيث تكون هذه المرتفعات هي نطاقات المستويات الدنيا لمتوسطات درجتي الحرارة القصوى والدنيا . وفي شهر يونية ، بالنسبة لدرجة الحرارة الدنيا ، وشهر يولية ، بالنسبة للدرجة القصوى ، تتعزز النطاقية على المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية وذلك باقتراب مستوى السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية (النطاق الأول) ، بعد أن كان طيلة الفترة من نوفمبر إلى مايو (بالذات الدرجة الدنيا) أقرب إلى مستويات النطاقات الواقعة إلى الشرق من المرتفعات الغربية . ويتبلور هذا الالتصاق في يولية ، حيث نجد أن مستويات درجتي الحرارة القصوى والدنيا تمثل تسلسلا نطاقيا مكملا لنطاقية المرتفعات الغربية والجنوبية الغربية . وعلى أية حال ، فالملاحظ أن نطاق السفوح الشرقية للمرتفعات الجنوبية الغربية (النطاق الأول) يتميز باستقرارية في المستوى النسبي لمتوسط درجتي الحرارة القصوى والدنيا في الفترتين من ديسمبر إلى مايو ومن يوليه إلى اكتوبر . ولعل هذه الاستقرارية تعود إلى التوازن في تأثيري الارتفاع التضاريسي المتواضع نسبيا < ١٢٠٠م والموقع في أقصى الجنوب إلى

الجنوب من خط عرض ٢٠°ش وذلك تجاوبا مع إرهاصات الانقلاب الشتوي والاعتدال الربيعي في الفترة الأولى ، والانقلاب الصيفي والاعتدال الخريفي في الفترة الثانية .

هذا التأثير المركب للانخفاض في درجة العرض وفي الارتفاع التضاريسي يظهر أيضا في شكل علاقة نطاقية متبادلة بين السفوح الشرقية للمرتفعات الغربية ونجد والسهول الغربية والساحل الشرقي والسهول الشرقية ، حيث نجد أن هذه النطاقات ، وبالذات على مستوى الدرجة الدنيا ، يسود عليها متوسطات مرتفعة نسبيا مشكلة بذلك حلقة وصل بين النطاقات الشمالية ونطاقات المرتفعات الغربية من جهة ونطاق الساحل الشرقي من جهة أخرى .

إن من المؤمل ، على أية حال ، أن هذه الدراسة تكون قد كشفت عن الأبعاد المكانية ، وبالتالي النطاقات ، للاختلافات في قيم المتوسطات الشهرية لدرجتي الحرارة القصوى والدنيا بالدقة التي يسمح بها البعد الزمني المتوافر لإحصاءات الحرارة والكثافة العددية المتوافرة للمواقع التي تم فيها رصد تلك الإحصاءات . هذا الكشف سيحقق ، على الأقل ، وضع أسس مبدئية لدراسات مستقبلية تبحث في تفصيلات خصائص حرارة السطح في هذه النطاقات العشرة المقترحة . وما من شك في أن معالجة هذا العنصر المناخي الأساس على مستوى حدوده الدنيا ومستوى حدوده القصوى أجدى قيمة في خدمة شريحة عريضة من الأبحاث التي تتطلب توافر تفصيلات لعنصر الحرارة تتخطى مستوى المتوسطات العامة كما هو الحال في الأبحاث الزراعية مثلا .

مصادر قيم درجات الحرارة

(أ) مجموعة المحطات التي تديرها وزارة الزراعة والمياه (انظر الجدول ١) استخلصت قيمها من النشرة الهيدرولوجية التي يصدرها قسم الهيدرولوجيا بالوزارة وذلك بالنسبة للفترة ١٩٧٠ – ١٩٨٤ . أما بالنسبة للسنوات ١٩٨٥ – ١٩٨٦ فقد تم الحصول على قيمها مباشرة من ملفات المحطات التي يحتفظ بها قسم الهيدرولوجيا في المقر الرئيس لوزارة الزراعة والمياه . وأرقام النشرات المستخلص منها القيم الشهرية لكل سنة هي كالتالي :

٤٥ (١٩٧٠) ، ٥٣ (١٩٧١) ، ٦١ (١٩٧٢) ، ٧٤ (١٩٧٣) ، ٨٢ (١٩٧٤) ، ٨٩ (١٩٧٥) ، ٩٠ (١٩٧٦) ، ٩١ (١٩٧٧) ، ٩٢ (١٩٧٨) ، ٩٤ (١٩٧٩) ، ٩٦ (١٩٨٠) ، ٩٩ (١٩٨١) ، ١٠٢ (١٩٨٢) ، ١٠٧ (١٩٨٣) ، ١١٠ (١٩٨٤) .

(ب) مجموعة المحطات التي تديرها مصلحة الأرصاد وحماية البيئة (انظر الجدول ١) تم استخلاص معلوماتها للفترة ١٩٧٠ – ١٩٨٥ من المطبوعات التالية والتي نشرتها المصلحة . أما

بالنسبة لسنة ١٩٨٦ فقد تم استخلاصها مباشرة من ملفات المحطات المودعة لدى قسم المناخ بالمصلحة :

١ – التقرير السنوي (١٩٧٠ – ١٩٧٦) .

٢ – التقرير البيئي السنوي (١٩٧٧ – ١٩٨٥) .

(جـ) محطة رأس تنورة تم الحصول على قيم الحرارة الشهرية فيها من شركة أرامكو في شكل جداول ملخصات مفردة .

References

Aldenderfer, M. and **Blashfield, R.,** (1986) Cluster Analysis, A SAGE University Paper **No. 44,** Series: *Quantitative Applications in The Social Sciences,* London, 3rd printing, 54-58.

Al-Jerash, M.A. (1985) Climatic Subdivisions in Saudi Arabia: An Application of Principal Component Analysis, *J. of Climat.* **5**(3): 307-323.

Anderberg, M. (1973) *Cluster Analysis for Applications,* London, Academic Press, 23.

Byfuglien, J. and **Nordgrad, A.,** (1974) Types or Regions?, *Norsk Geografisk tidsskrift,* **28:** 157-166.

Cormack, R. (1971) A Review of Classification, *J.R. Statist. Soc.,* **134**(A): 321-353.

Everitt, B. (1979) Unresolved Problems in Cluster Analysis, *Biometrics,* **35:** 169-181.

Everitt, B. (1986) Cluster Analysis, *2nd* ed., Gower, Aldershort, England, 6.

Everitt, B., Gourlay, A. and **Kendall, R.** (1971) An attempt at validation of traditional psychiatric syndromes by cluster analysis, *Brit. J. Psychiat.,* **119:** 339-412.

Johnston, R.J. (1976) *Classification in Geography,* CATMOG, Norwich, England, 17.

Lawson, M., Balling, R. and **Peters, A.** (1981) Spatial analysis of secular temperature fluctuations, *J. of Climat.* **1**(4): 325-332.

Mojena, R. (1977) Hierarchical grouping methods and stopping rules: an evaluation, *The Computer J.* **20**(1): 359-363.

Romesburg, H. (1984) *Cluster analysis for researchers,* California, Lifetime Learning Publications, Belmont, 134.

Thorndike, R. (1953) Who belongs in a family?, *Psychometrika,* **18**(4): 267-276.

Veldman, Q. (1967) *Fortran Programming for the Behavioral Sciences,* New York, Holt, Rinehart and Winston, 311-317.

Ward, J. (1963) Hierarchical grouping to optimize an objective function, *J. Amer. Statis. Assoc.,* **58:** 236-244.

The Geographic Zones of Maximum and Minimum Temperature in Saudi Arabia: An Application of Cluster Analysis "Ward's Minimum Variance"

MOHAMMAD A. AL-JERASH
Associate Professor, Department of Geography,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. This study aims at unveiling the spatial dimensions that engulf the localities that shares similar values of maximum and minimum temperature. This has been accomplished through the analysis of a temperature data matrix. The size of the matrix was 4992 readings representing eight variables on fifty-two climatic stations through twelve months. It has been possible to identify ten geographic zones for surface temperature in Saudi Arabia through the application of cluster analysis "Ward's Minimum Variance" adopting Euclidean distance as a base for similarity matrix. The method is part of the statistical package known as SAS and available for application at the computer center of the King Abdulaziz University.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٢ ، ص ص ١٧٩ - ٢٠٦ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

الحركة الفقهية فى مصر خلال عصر التابعين
نشأتها وتطورها

حمدان عبد الله الحميدان

أستاذ مشارك – قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية

تشير بعض الدراسات الحديثة إلى تأخر نشأة الحركة الفقهية في مصر إلى أواخر القرن الأول الهجري ، خلافا لما حدث فى كل من الحجاز والعراق والشام . وهذا البحث يعني بدراسة نشأة وتطور الحركة الفقهية في مصر خلال عصر التابعين ، مقارنا هذه النشأة مع نشأة المراكز العلمية الأخرى في ذلك العصر . ولتحقيق هذه الغاية يعالج البحث دور الصحابة في هذه النشأة وأثر ذلك في ظهور طبقة العلماء من التابعين في مصر ، كما يناقش تطور الحركة الفقهية في مصر على أيديهم ، ويبين إسهاماتهم العلمية . كما يتعرض بالدراسة للمشاهير من كبار التابعين فيها متحدثا عن الدور الكبير الذي قاموا به في نمو وتطور الفقه الإسلامي في مجالات الإفتاء والتدريس والقضاء ، وكون هذا المركز لايقل بأي حال من الأحوال عن المراكز العلمية الأخرى .

مقدمـــة

لقد فتحت مصر في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وتزامن مع الفتح العسكري فتح أكثر أهمية وأعظم أثراً ، وذلك هو البعث الحضاري الإسلامي ، حيث شارك في عملية الفتح عدد من كبار الصحابة . ومن هؤلاء من اتخذ في مصر داراً واستقر بها . وإذا كانت المراكز العلمية في مناطق الدولة الإسلامية المختلفة يعود الفضل في نشأتها إلى من استقر بها من علماء الصحابة كما حدث في كل من العراق والشام(١) ، فإن مصر قد نالت حظها من ذلك ، ولم يقل نصيبها عن بقية المناطق الأخرى ، لا من حيث علماء الصحابة الذين شاركوا في الفتح ، ولا من حيث الذين اختاروا البقاء فيها واتخذوها داراً وأثروا بالتالي في مسيرتها العلمية في هذه المرحلة المبكرة .

دور الصحابة في نشأة هذه الحركة

يورد ابن سعد أسماء العديد من الصحابة الذين استوطنوا مصر ، ومنهم عمرو بن العاص وابنه عبد الله ، وخارجة بن حذافة وعبد الله بن الحارث وعقبة بن عامر الجهني وعلقمة بن رمثه البلوي وأبو خراش السلمي وأبو بردة وآخرون(٢) . وتشير مصادر أخرى إلى أنه قد دخل مصر نيف وأربعون ومائة من الصحابة ، وأن من بين من استقروا بها بالإضافة إلى من سبق ذكرهم ، الأكدر ابن عامر وبصرة بن أبي بصرة الغفاري ، وثابت بن الحارث ، وحبان بن أبي جبلة الأنصاري والسائب بن خلاد وسلمة بن الأكوع(٣) .

وإذا كان هؤلاء الأصحاب قد سكنوا مصر واستقروا بها ، فما هو الدور الذي قاموا به في المجال العلمي ؟ وأثرهم على الحركة الفقهية على وجه الخصوص ؟ . إننا لانستطيع تحديد هذا الدور إلا من خلال استعراض المكانة العلمية لهؤلاء الأصحاب ، والتي جعلتهم يؤثرون في هذه الحركة . فهم وإن لم يكونوا جميعاً على درجة واحدة من حيث العلم والفقه في الدين ، إلا أنه كان من بينهم حفظة القرآن العالمين بأحكامه ، وكان من بينهم من كان مُلماً ولو على قدر متفاوت بما صدر عن رسول الله ﷺ من أحكام ، وعلى ذلك فقد كانوا مرجعاً للناس في كل مايتعلق بأحكام دينهم . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نشير إلى بعض هؤلاء البارزين من الصحابة ، فهذا عقبة بن عامر الجهني الذي استقر في مصر وتولى إمارتها لمعاوية بن أبي سفيان وهو من صحابة الرسول ﷺ الذين كان لهم حظ وافر من الناحية العلمية . يقول عنه أبو سعيد بن يونس : «كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه» .(٤) وكان عقبة أحد الذين جمعوا القرآن واهتموا بحفظه وتدوينه ، وتشير المصادر إلى أنه كان له مصحف خاص قام بتدوينه بنفسه . وقد روى عن أبي سعيد بن يونس قوله في ذلك : وهو أحد من جمع القرآن ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان ، وفي آخره كتبه عقبة بن عامر بيده(٥) ويصفه الذهبي بقوله «الإمام المقرىء أبو عيسى صاحب رسول ﷺ» .(٦) وقارىء القرآن ومقرئه في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الفقه الإسلامي ، له منزلة علمية هامة ، حيث يلجأ الناس إليه يستفتونه في أمور دينهم . إن وصف عقبة بالمقرىء ، يدل على أنه كان يقرىء القرآن للناس كما هو معروف عن دور الصحابة الحافظين لكتاب الله ، حيث كان يؤدي نفس الدور الذي أداه صحابة الرسول الآخرون مثل عبد الله بن مسعود في الكوفة وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء في الشام ، ثم إن تعليم القرآن لابد وأن يصاحبه دراسة لما فيه من أحكام يجب العمل بها .

لم يقتصر دور عقبة على هذا الجانب العلمي وحده فهو بالإضافة إلى كونه مقرئاً جيداً للقرآن ، فقد كان حافظاً لأحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ ، يقول ابن تغري بردي : «ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم ولهم عنه نحو مائة حديث» .(٧) وقد عدد ابن عبد الحكم الأحاديث التي

رواها عنه أهل مصر[٨] كما روى عنه بعض الصحابة مثل ابن عباس وأبي إمامة[٩] ، وشد الرحال إليه في مصر بعض منهم مثل جابر بن عبد الله الذي سافر من المدينة إلى مصر ليسمع من عقبة حديثاً عن رسول الله ﷺ في القصاص[١٠] ، وكذلك السائب بن خلاد الذي قدم عليه من المدينة ليسمع منه حديثاً عن الرسول ﷺ في الستر .[١١] وقد عده ابن القيم من بين المتوسطين من فقهاء الصحابة من حيث حجم الفتاوي المأثورة عنه[١٢] . ويبرز كذلك من بين علماء الصحابة الذين سكنوا مصر وأثروا في نشأة الحركة الفقهية فيها الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص ، حيث كان من فقهاء الصحابة ، ومن رواة الحديث المشهورين ، وقد تميز عبد الله عن غيره من الصحابة الرواة باهتمامه بكتابة الأحاديث التي يرويها عن الرسول ﷺ ، وكان قد استأذن الرسول ﷺ في ذلك فأذن له ، حيث يروي عنه قوله : «قلت يارسول الله إني أسمع منك شيئاً فأكتبه قال : نعم»[١٣] . فدون بناء على ذلك صحيفته التي كان يعتز ويفخر بها ولذلك سماها الصادقة ، وقد روى عن مجاهد قوله : «رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة ، فسألته عنها فقال : هذه الصادقة فيها ماسمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد» .[١٤] ويعتبر عبد الله من أكثر الناس أخذاً للحديث عن الرسول ﷺ . وقد ورد في الصحيح عن البخاري عن أبي هريرة قوله : «مامن أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ماكان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب» .[١٥] وقد روى عن عبد الله نحو من سبعمائة حديث اتفق البخاري ومسلم على سبعة عشر منها وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين» .[١٦] وقد فسر النووي سبب قلة المروي عنه على الرغم من أن أبا هريرة وهو أكثر الصحابة رواية قد بين أن عبد الله أكثر رواية منه ويعلل ذلك النووي بقوله : «وإنما قلت الرواية عنه مع كثرة ماحمل لأنه سكن مصر ، وكان الواردون إليها قليلاً بخلاف أبي هريرة ، فإنه استوطن المدينة وهي مقصد المسلمين من كل جهة» .[١٧] كما أن عبد الله لم يقتصر فقط على الرواية المباشرة عن الرسول ﷺ ، فقد استدرك مافاته عن طريق روايته عن كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر ومعاذ وسراقة بن مالك وأبيه وعبد الرحمن بن عوف .[١٨]

وكان لوجود هذين الصحابيين في مصر دور كبير في نشأة الحركة الفقهية وتشجيع طلب العلم . ولقد استفاد طلاب العلم بمصر من وجودهما بينهم فأكثروا من الرواية عنهما[١٩] ويرى أحد الباحثين أن عبد الله بن عمرو هو المؤسس الحقيقي للمركز العلمي في مصر حيث يقول : «وكان من الصحابة الذين نزلوا بمصر علماء علموا بها ، وكانوا أساس مدرستها وأشهرهم عبد الله بن عمرو ابن العاص»[٢٠] وعلى الرغم من أهمية الدور الذي قام به عبد الله في الحركة الفقهية في مصر ، فإنه لم يكن وحده في هذا المجال ، وقد أشرنا من قبل إلى دور عقبة بن عامر وتعليمه للقرآن وروايته للسُنة . وعلى العموم ، فإن المدرسة الفقهية في مصر لم تنشأ بجهد هذين الصحابيين وحدهما ، مع الاعتراف بأهمية الدور العلمي الذي قاما به ، بل إن هناك من الصحابة الآخرين من ساهم بدور هام في هذه النشأة حتى وإن لم يكن بنفس القدر الذي لمسناه من الصحابيين عقبة وعبد الله . وإذا كان أحمد أمين

قد لاحظ أهمية الدور الذي قام به عبد الله بن عمرو وكونه يعد بحق مؤسس المدرسة المصرية ، فإنه قد لاحظ كذلك طبيعة البدايات الأولى لهذه المدرسة حيث يقول : «وهذه المدرسة بدأت ساذجة بسيطة ، يسمع أحدهم الحديث فيحفظه أو يكتبه»(٢١) . وإذا كانت هذه هي البداية التأسيسية لهذه المدرسة ، فقد شارك فيها العديد من الصحابة الذين أشرنا إلى أسمائهم . كما أن ابن سعد قد ذكر من حدثوا بمصر عن الرسول ﷺ وعدد أسمائهم(٢٢) . ويشير السيوطي إلى أن من بين الصحابة الذين سكنوا مصر من روى عن رسول الله عليه ﷺ الحديث والحديثين والثلاثة ، وأخذها عنه العلماء بمصر ، ومن هؤلاء إياس بن البكير الليثي وبشر بن أرطأة وبصرة بن أبي بصرة الغفاري وتميم بن أوس بن حارثة وثابت بن حارثة الأنصاري وثابت بن رويفع الأنصاري ، وبعد ذكره لأسمائهم أشار إلى الأحاديث التي رواها علماء التابعين بمصر عنهم(٢٣) . وهناك طبقة أخرى من الصحابة لم تقتصر مروياتهم على الحديث الواحد أو الاثنين ، فعبد الله بن الحارث المدحجي شهد فتح مصر وسكنها ولأهل مصر عنه عشرون حديثا(٢٤) . وفضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري ، لأهل مصر عنه نحو عشرين حديثا(٢٥) . كل هؤلاء الرواة من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر واستقروا بها أسهموا بدورهم مهما كان متواضعاً في نشأة الحركة الفقهية في مصر ، كما أن من بين هؤلاء الصحابة من ساهم بدوره عن طريق تعليم الناس القرآن ومايتبع ذلك من تفسير لأحكامه وبيانها للناس مثل أبي أمية عبيد بن عمر المغافري الصحابي الذي شهد فتح مصر وهو أول من أقرأ القرآن بها(٢٦) .

هؤلاء هم كبار الصحابة الذين نزلوا مصر وأثروا في حياتها العلمية ، ومنهم من كان يزاول مهمات إدارية فيها كعقبة بن عامر ، ومنهم من تفرغ للحياة العلمية كعبد الله ابن عمرو وغيره من الصحابة وقد عد العلماء بعضاً من هؤلاء الصحابة من بين المفتين من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام(٢٧) . بل إن هناك من قدم مصر لهدف علمي في عصر مبكر جداً ، وفي عهد عمر ابن الخطاب بالتحديد ، حيث كان الصحابة في المدينة يهمهم جداً أمر الحياة الدينية للناس في المناطق المفتوحة ، وقد دأب الخليفة عمر بن الخطاب على بعث علماء الصحابة والنابغين من فقهاء التابعين إلى تلك المناطق ليتولوا مهمة تعليم الناس وتفقيهم في أمور دينهم ، ولم تشذ مصر عن هذه القاعدة حيث بعث عمر ، حبان بن أبي جبلة الأنصاري ليفقه أهل مصر ، وحبان قد اختلف فيه ، هل هو من الصحابة أم من كبار التابعين(٢٨) وأيا كان الأمر ، فإن ثقة عمر به واعتماده عليه ليفقه أهل مصر يدل على مكانته العلمية وقدرته في هذا المجال .

كيف مارس فقهاء الصحابة في مصر دورهم العلمي ، وماهو أسلوبهم الذي تمكنوا به في فترة وجيزة لاتتعدى العقدين من الزمن ، من تخريج مجموعة من علماء التابعين بمصر لتولي القضاء والافتاء ؟ . من الطبيعي أن تكون البداية لهذه الجهود العلمية انطلقت من تعليم الناس القرآن ، حيث لم يتوقف الأمر عند التلاوة وإجادتها ، بل تعدى ذلك إلى دراسة الأحكام الشرعية التي تنطوي عليها النصوص القرآنية . ثم كان الاهتمام بالآثار التي يحفظها أولئك الصحابة ، وذلك بروايتها مشافهة

وكتابة ، والاستعانة بها على فهم أحكام القرآن ، والتصدي لحل المشكلات الفقهية التي يواجهها الناس وتبيين حكم الشرع فيها . وكما هو معروف لأي دارس للحركة العلمية في هذه المرحلة المبكرة ، فقد شكلت الرواية إحدى المصادر المهمة لنقل المعلومات . من الصحابة الذين نزلوا مصر من كان من الرواة المكثرين ، كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد بينا ذلك سابقاً ، وقد كان يدون مروياته وأثر ذلك في تلاميذه حينما نقلوا عنه هذه المرويات حفظاً وكتابة . ويؤيد ذلك ماوراه المقريزي عن حيوة بن شريح قال : «دخلت على حسين بن شفي بن مانع الأصبحي وهو يقول : فعل الله بفلان فقلت : ماله ؟ فقال : عمد إلى كتابين كان شفي سمعهما من عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أحدهما قضى رسول الله ﷺ في كذا ، وقال رسول الله ﷺ في كذا والآخر مايكون من الأحداث إلى يوم القيامة فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب»[٢٩] .

كان جامع الفسطاط نقطة الانطلاق التي بدأت منها جهود علماء الصحابة لتنشئة جيل من الفقهاء ليتحملوا مسؤولية التعليم والقضاء والإفتاء من بعدهم ، وكان علماء الصحابة يحثون طلبة العلم على التعلم ويبينون لهم مافي ذلك من الأجر والمثوبة عند الله ، فهذا عقبة بن عامر الجهني يحدث الناس في فضل العلم ناقلاً لهم ماورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الشأن بقوله : «خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن في الصفة فقال : أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان – أو العقيق – فيأتي كل يوم كوماوين زهراوين فيأخذهما ؟ قلنا : كلنا يارسول الله يحب ذلك قال : فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع واعدادهن من الإبل»[٣٠] . فاستجاب لذلك طلبة العلم وأقبلوا على دراسة القرآن تلاوة وتفهماً لما فيه من أحكام وتطبيقاً لذلك الفهم ، كما اهتموا بحفظ الآثار التي يرويها الصحابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام . وظهر نتيجة لهذا الجهد المشترك حركة علمية لها أهميتها ، برغم أن بدايتها كانت متواضعة ، إلا أنه قد تم خلال فترة قصيرة ظهور مجموعة من علماء التابعين الذين تعلموا وتدربوا على أيدي علماء الصحابة الذين سكنوا مصر ، بالإضافة إلى أخذهم عن علماء الصحابة في المناطق الأخرى ، لاسيما الأوائل من فقهاء التابعين بمصر أمثال سليم بن عتر التجيبي ، وأبي تميم عبد الله ابن مالك الجيشاني ، وعبد الرحمن بن حجيرة وأبي علقمة مولي بني هاشم المصري الفقيه . هذه الطبقة الأولى من فقهاء التابعين بمصر تسلمت مسؤولية القضاء والفتوى والتدريس بعد عصر الصحابة ، وسنتناول ظهور هذه الطبقة من العلماء بالدراسة ، حيث يتبين لنا أن ظهورها لم يكن مقصوراً على جهود علماء الصحابة الذين سكنوا مصر فقط . كما أن الصحابة الذين سكنوا مصر لم يقتصر دورهم على تلاميذهم من المصريين ، بل تعدى ذلك ليؤثر في الحركة الفقهية في المناطق الإسلامية الأخرى . ويتضح ذلك إذا استعرضنا أسماء المشاهير من فقهاء التابعين في المناطق الأخرى الذين رووا عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر أمثال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وأبي إدريس

الخولاني[٣١] . وبلاشك فإن ذلك يبين لنا أن التواصل بين المراكز العلمية خلال القرن الأول الهجري كان موجودًا بالشكل الذي مكن الكثير من علماء التابعين من الأخذ والرواية عن الصحابة أيا كان مكان وجودهم .

فقهاء التابعين بمصر ، ظهورهم ودورهم في الحركة الفقهية

نتيجة للجهود الأولية التي بذلها فقهاء الصحابة وعلماؤهم الذين نزلوا مصر ، على الرغم من اختلاف قدراتهم العلمية وحجم مارووه من السنة ، حيث كان منهم من يحفظ الحديث الواحد عن الرسول عليه الصلاة والسلام ومنهم من يروي الحديثين ، ومنهم من يحفظ الشيء الكثير[٣٢] . فقد ظهرت في مصر طبقة من العلماء كان لهم دور مهم في الحركة الفقهية خلال عصر التابعين . ومن أشهر العلماء الذين ظهروا في أوائل هذا العصر بمصر سليم بن عتر التجيبي ، وقد ابتدأ السيوطي ذكر المجتهدين من الأئمة بمصر بالحديث عن سليم بن عتر ووصفه بقوله : «قاضي مصر وقاصها وناسكها من الطبقة الأولى من التابعين»[٣٣] . وقد ولاه معاوية القضاء في مصر سنة ٤٠ هـ ، وبقي قاضياً مدة عشرين عاماً ، وقد أسهم من خلال عمله بالقضاء في إثراء الفقه الإسلامي بآرائه وأحكامه المختلفة ، وكان له أثر بالغ في تنظيم الأمور الإدارية المتعلقة بالقضاء ، وإحداث السجلات في المحاكم . ويعتبر أول قاضٍ في الإسلام أصدر للمتحاكمين لديه وثيقة بما صدر من حكم في القضية المتنازع فيها[٣٤] . ومنهم أبو تميم عبد الله بن مالك الجيشاني المصري ، والذي قرأ القرآن على معاذ وروى عن عمر وعلي وأبي ذر ، وكان من عباد مصر وعلمائها[٣٥] . وسنتحدث عنه بشكل مفصل عند حديثنا عن المشاهير في هذه المرحلة . ومنهم كذلك أبو علقمة مولى بني هاشم المصري الفقيه روي عن عثمان وابن مسعود وأبي هريرة وطائفة من الصحابة . وله أحاديث صحاح[٣٦] . وعبد الرحمن ابن حجيره الخولاني ، وقد كان أحد قضاة مصر روى عن أبي ذر وابن مسعود وأبي هريرة وعقبة ابن عامر الجهني ، وعبد الله بن عمرو بن العاص[٣٧] . ثم ظهرت بعد ذلك طبقة أخرى منهم عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الكندي ، القاضي المصري روى عن أبيه وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وأبي بصره الغفاري .[٣٨] ومن بين العلماء الذين ظهروا في هذه المرحلة أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني مفتي أهل مصر في وقته حيث أجلس للفتوى ، وقد روى عن ثابت وابن عمر وأبي امامه وعقبة بن عامر[٣٩] . وسنتحدث عن جهوده العلمية بشكل مفصل عندما نتحدث عن المشاهير . وفي المرحلة الأخيرة من عصر التابعين نجد من بين العلماء البارزين في مصر علي ابن رباح اللخمي المصري ، وكان من علماء زمانه حمل العلم عن عدة من الصحابة وتوفي سنة ١١٤ هـ ، وكذلك يحيى بن ميمون الحضرمي قاضي مصر روى عن سهل بن سعد السعدي ، ومنهم

توبة بن نمر الحضرمي قاضي مصر وقاصها المتوفي سنة ١٢٠هـ ، وجعثل بن عاهان الرعيني ، روى عن أبي تميم الجيشاني وقال عنه ابن يونس : «كان أحد القراء والفقهاء أمره عمر بن عبد العزيز بالخروج من مصر إلى المغرب ليقرئهم وولى القضاء بأفريقيا وتوفي بها سنة ١١٥هـ»(٤٠) . ومنهم بكر بن سواده الجذامي أبو ثمامة المصري الفقيه مفتي مصر روى عن ابن عمر وسهل بن سعد ، وتوفي سنة ١٢٨هـ .

وينتمي إلى هذه الطبقة عالمان من كبار علماء التابعين ، نشآ في المدينة ولكنهما أثرا في الحياة العلمية في مصر ، وهما نافع مولي عبد الله بن عمر فقيه أهل المدينة والذي بعثه عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن ، فأقام بها مدة ولكنه رجع بعد ذلك إلى المدينة ، أما العالم الآخر الذى ارتحل إلى مصر واستقر بها إلى وفاته وأثر بذلك في الحركة الفقهية فهو بكير بن عبد الله بن الأشج والذي قيل عنه لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى الأنصارى وبكير ابن الأشج(٤١) . ومن هذه الطبقة الثالثة للتابعين بمصر عالمها المشهور يزيد بن أبي حبيب وقد اعتبره الذهبي من صغار التابعين وقال عنه : الإمام الحجة مفتي الديار المصرية ، حدث عن عبد الله ابن الحارث بن جزء الزبيدني الصحابي(٤٢) .

الإسهامات العلمية لهؤلاء العلماء

هؤلاء هم المشهورون من علماء التابعين بمصر ، وعلى أيديهم نمت الحركة الفقهية بعد طور النشأة التي قام بها علماء الصحابة بمصر ، وكان لجهود وإسهامات علماء التابعين دور مهم في تطور الحركة الفقهية بمصر . إن من أولى هذه الإسهامات اهتمامهم الكبير بالرواية وأخذهم وتلقيهم عن علماء الصحابة ، ففي عصر لم يعرف الكتابة إلا على نطاق ضيق جدًا لايتصور وجود حركة علمية دون رواية . وإذا كان هناك من الصحابة الذين نزلوا مصر من يحفظ الكثير عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلابد من الأخذ عنهم ورواية مايحفظونه ونقله للأجيال التالية من طلبة العلم . وهذا بالفعل ماقام به علماء التابعين حيث تتبعوا المرويات يجمعونها من مظانها ويحفظونها وينقلونها لمن بعدهم . ولم يقصروا أنفسهم في التلقي على أساتذتهم من الصحابة في مصر فقط ، بل إن جهودهم تعدت نطاق مصر لتشمل البحث عن مصادر أخرى من خلال لقائهم بعلماء الصحابة الآخرين ، حيث كان منهم من روى عن معاذ بن جبل وعمر وعلى وأبي ذر كأبي تميم الجيشاني ، ومنهم من روى عن عبد الله بن مسعود وعثمان وأبي هريرة كأبي علقمة مولى بني هاشم المصري وعبد الرحمن ابن حجيرة . ومنهم من روى عن عبد الله بن عمر كعبد الرحمن بن معاوية وأبي الخير مرثد اليزنى كما سبق أن أوضحنا ذلك . بهذه الجهود استطاع هؤلاء العلماء أن يغذوا الحركة الفقهية في مصر من خلال مصادر متعددة أدت إلى قيام حركة فقهية في هذا القطر لاتقل بحال من الأحوال عن المراكز العلمية الأخرى في مناطق الدولة الإسلامية . فوجد نتيجة لذلك العلماء المفتون والقضاة والمدرسون

في المساجد . ومما يدل على أن هذه الحركة الفقهية لها أهميتها بين المراكز العلمية الأخرى ماأورده الكندي : «أن عبد الملك بن مروان كتب إلى عبد العزيز بن مروان يعلمه أن أهل الشام اختلفوا عليه في نفقة المبتوتة ، فاكتب إلى بما عند أهل مصر فيه . فجمع الأشياخ إلى عبد العزيز فسألهم»[٤٣] . ولو لم تشتهر الحركة الفقهية في مصر خلال هذه المرحلة المبكرة ، ولو لم يظهر فيها علماء لهم وزنهم العلمي ، لما كان من الممكن أن يستعين بهم الخليفة لجلاء موضوع الخلاف الفقهي حول نفقة المبتوتة .

ومن مساهمات علماء التابعين بمصر قيامهم بالافتاء ، حيث تصدر للفتوى بمصر خلال هذه المرحلة مجموعة من العلماء اشتهروا بالقدرة العلمية التي مكنتهم من إفتاء الناس بأمور دينهم ، وكان من بين من أشتهروا بذلك عبد الرحمن بن حجيرة الذي بلغت شهرته العلمية أن العلماء من الصحابة وكبار فقهاء التابعين اعتبروه أهلاً للفتوى ، ولذلك جاء استغرابهم من السائلين من أهل مصر ، وكيف لم يتوجهوا بأسئلتهم إليه فالكندي يروي : «أن رجلاً من أهل مصر سأل ابن عباس عن مسألة فقال من أي الأجناد أنت قال : من أهل مصر قال : تسألني وفيكم ابن حجيرَه»[٤٤] . وهذا موسى بن وردان وقد قدم على ابن المسيب عالم المدينة المشهور في عهد التابعين ، وقد سأله عن مسألة ، فقال ابن المسيب بعدما عرف أنه من أهل مصر «تسألني وفيكم ابن حجيره»[٤٥] . ومن المفتين كذلك أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني يقول عنه ابن يونس «كان مفتي أهل مصر في زمنه» ، وكان الوالي عبد العزيز بن مروان يعتمد عليه في حل مشكلات الناس الفقهية حيث كان «يحضره فيجلسه للفتيا»[٤٦] . ومن المفتين بعد ذلك بكر بن سواده الجذامي الفقيه وكان يفتي في مصر كما ذكره السيوطي[٤٧] . وكذلك يزيد بن أبي حبيب مفتي مصر وشيخها وفقيهها في زمنه . ويشير السيوطي إلى أنه أحد الثلاثة الذين جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا في مصر[٤٨] .

ومن الإسهامات المهمة لعلماء التابعين في مصر أنهم تحملوا مسؤولية القضاء ، حيث كان القضاة يعينون من بينهم إلا ماندر ، ومهمة القضاء في هذه الفترة المبكرة والتي سبقت تكون المدارس الفقهية لم تكن بالأمر السهل ، حيث كان على القاضي أن يواجه العديد من المسائل الفقهية التي لم يبت فيها بشكل نهائي ، أو القضايا التي كانت موضع خلاف بين العلماء . لذا كانت أحكامهم في تلك المسائل تشكل مصدراً ثراً لنمو الفقه الإسلامي . يشير الكندي في ترجمته لهؤلاء العلماء القضاة إلى الكثير من الآراء الفقهية التي صدرت عنهم كأحكام في قضايا معروضة عليهم ، ومن ذلك أن متعة المطلقة كانت موضوع خلاف فقهي في هذه المرحلة[٤٩] ، ولكن عبد الرحمن ابن حجيرة قاضي مصر كان يرى إلزامية هذه المتعة على المطلق ، وبالتالي كان يحكم باقتطاع ثلاثة دنانير من عطائه كمتعة لمطلقته ويكتب بذلك لصاحب الديوان[٥٠] . كما كان هذا القاضي يحكم في حالة وجود السلعة بيد أحد المتخاصمين وجاء بشاهد واحد عدل كانت له حتى وإن جاء الطرف الآخر الذي يدعي تغيير الحال بأكثر من ذلك[٥١] . وإذا كان ابن حجيرة يرى إلزامية المتعة بالنسبة

للمطلق ، فإن قاضياً آخر هو توبة بن غر الحضرمي ، كان يرى أنه لايمكن إلزام المطلق بها . وحينما اختصم لديه زوجان وطلق الرجل إمرأته أمره توبة بأن يمتعها ، ولكنه لم يفعل ، فلم يلزمه القاضي بذلك ، ولكنه حينما جاء هذا الرجل كشاهد في قضية أخرى قال له توبة : «لست قابلاً شهادتك . قال الرجل : ولِمَ ؟ قال : لأنك أبيت أن تكون من المحسنين وأبيت أن تكون من المتقين ولم يقبل له شهادة»[٥٢] . ويشير الكندي إلى العديد من الأقضية والآراء الفقهية التي حكم بها توبة وغيره من قضاة مصر والتي أسهمت بشكل مباشر في نمو الفقه وأعطت رأى علماء التابعين بمصر في القضايا الخلافية التي كانت مطروحة على الساحة الفقهية في هذه المرحلة .

تطور الحركة الفقهية خلال عصر التابعين

بفضل الجهود التي بذلها فقهاء الصحابة ومن بعدهم علماء التابعين في مصر ، نمت الحركة الفقهية وتطورت بشكل مماثل للمراكز العلمية الأخرى في الدولة الإسلامية . لم تكن الحركة الفقهية في مصر معزولة عن التطورات الفقهية في هذا العصر ، فما يحدث في المراكز الإسلامية الأخرى يؤثر في الحركة الفقهية في مصر . ويتبين ذلك من خلال اتصال العلماء بعضهم ببعض في رحلاتهم العلمية ، كما يتضح ذلك من خلال سعي علماء التابعين بمصر لتنمية حصيلتهم العلمية بالبحث عن مصادر أخرى للمعلومات ، غير تلك التي تتوافر لهم في مصر ، وكثير منهم لم يقتصروا في تلقيهم على الصحابة الذين سكنوا مصر ، بل أخذوا كذلك عن علماء الصحابة في المراكز العلمية الأخرى لاسيما صغار الصحابة في المدينة ومكة كما عرفنا ذلك من قبل . كما أن صغار التابعين في مصر قد أخذوا عن كبار علماء التابعين في المدينة ومكة والبصرة والكوفة . وبالتالي ، فإن النقاش العلمي الذي كان يدور في الحلقات العلمية في مساجد الكوفة والمدينة مثلاً سرعان مايكون له صداه في جامع عمرو بن العاص في مصر . كان لعلماء مصر آراء ومواقف حيال الكثير من القضايا الفقهية التي كانت موضع جدال بين الفقهاء من علماء التابعين في كل المناطق ، مثل قضية نفقة المبتوتة ، والقضاء بالشاهد الواحد مع يمين صاحب الحق ، ومتعة المطلقة ، وقد ألمحنا إلى شيء من ذلك فيما قبل .

إن شواهد نمو وتطور الحركة الفقهية في مصر لايبعد كثيراً عما حدث في أقطار أخرى ، فالرواية والجدل والمناقشة في الحلقات العلمية في المساجد كلها قد أسهمت في نمو الفقه الإسلامي في كل الأقطار الإسلامية بما فيهامصر . وإذا كانت الأحكام القضائية التي تصدر عن القضاة تشكل أحد المظاهر المهمة لنمو الفقه من حيث إثراؤه بالآراء الفقهية والمساهمة في تطوير التفكير الفقهي ، فقد عرفنا كيف أن العديدَ من مشاهير علماء التابعين في مصر قد أسهموا في ذلك بنصيب وافر . هذه الآراء تشمل اجتهادات القضاة وتفسيرهم للنصوص ، كما تشمل الاستشارات العلمية التي أجراها هؤلاء القضاة مع خلفاء بني أمية في دمشق . لقد حفظ لنا الكندي في كتابه عن القضاة العديد من

هذه الآراء عندما أورد الرسائل المتبادلة بين الخليفة عمر بن عبد العزيز وكل من القاضيين عياض ابن عبيد الله ، وعبد الله بن يزيد بن خذامر ، قاضي مصر في عهده ، وقد احتوت تلك الرسائل على مسائل علمية مهمة كان القضاة يستشيرون الخليفة فيها ، فيوافقهم على آرائهم أو يبين لهم الحكم بعلمه واجتهاده[٥٣] . كما أن الأحكام التي يراها الخلفاء ويريدون تطبيقها من قبل القضاة في مناطق الدولة الإسلامية كانت تصل إلى قضاة مصر كما كانت تصل إلى غيرهم من القضاة في المناطق الأخرى ، وكان القضاة يحكمون بمقتضاها ، وقد يستمر تطبيقها من لدن القضاة الذين يأتون من بعدهم كما يشير إلى ذلك ماروى عن الليث بن سعد عالم مصر المشهور : أن توبة بن نمر القاضي حدثه أن عمر بن عبد العزيز كتب في المرأة تشترط على زوجها ألاّ يخرجها إن ذلك له إن شاء ، ويضيف الليث قائلاً : وقضى بذلك علينا توبة في امرأة من أهلي بأن أخرجها مع زوجها[٥٤] . وفي مثال آخر : كتب هشام بن عبد الملك إلى خير بن نعيم قاضي مصر : أي امرأة أرادت قبض صداقها المؤخر على زوجها لن تعطاه إلا أن يكون شرط عند الإملاك .[٥٥]

كل ماسبق يشير إلى أن الحركة الفقهية في مصر في نموها وتطورها خلال عصر التابعين ، لم تكن معزولة عن النمو والتطور الذي شمل المراكز العلمية الأخرى ، حيث المؤثرات في ذلك النمو كانت واحدة ، سواء باتصال علماء التابعين بمصر بغيرهم من العلماء ومناقشاتهم لهم ، أو من خلال المؤثرات الأخرى كالقضاء مثلاً أو مايصدر للقضاة من أحكام من قبل الخليفة في دمشق . وبالتالي ، فإننا لانستطيع أن نقبل التقليل من الأهمية العلمية للحركة الفقهية في مصر خلال هذه المرحلة ، ولا أن نقبل الروايات التي تظهرها وكأنها لم تكن موجودة أو أن وجودها هامشي ، ولم تشارك بنصيب وافر في نمو الفقه الإسلامي . هذا الأمر يقودنا بالتالي إلى مناقشة ما أوردته المصادر في ترجمتها لعالم مصر في أواخر هذه المرحلة يزيد بن أبي حبيب ، حيث تشير إلى أنه أول من أظهر العلم بمسائل الحرام والحلال بمصر ، وتنص العبارة كما اوردها الذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء على مايلي : «قال أبو سعيد بن يونس : كان أول من أظهر العلم بمصر ، والكلام في الحلال والحرام ومسائله ، وقيل إنهم كانوا قبل ذلك يتحدثون بالفتن والملاحم والترغيب في الخير»[٥٦] . وأورد العبارة نفسها السيوطي (عن أبي سعيد بن يونس) في حسن المحاضرة[٥٧] ، كما أوردها عنه ابن حجر في التهذيب تقريباً بنفس النص[٥٨] . وتكاد هذه العبارة تتكرر في المصادر الأخرى بنفس النص ، والملاحظ أن جميع المصادر تنسبها إلى شخص واحد هو أبو سعيد بن يونس . وواضح منها الثناء على الجهود التي بذلها يزيد بن أبي حبيب في الحركة الفقهية بمصر ، ودوره في تطورها لاسيما في الجانب الفقهي وهو ماتشير إليه عبارة «الحلال والحرام» ، والمقصود بذلك الأمور التشريعية والفقهية حيث حظيت بالاهتمام في عهد يزيد ، بينما لم يكن الوضع السابق كذلك . بل إن الحركة العلمية في مصر كانت مهتمة بالجوانب التاريخية وجوانب الوعظ فقط .

هذه الرواية المتكررة والمنسوبة لشخص واحد ، ربما كانت تعبر عن رأي شخصي لذلك الراوي المعجب بيزيد إعجاباً جعله ينسب إليه تكوين الحركة الفقهية في مصر وإنشاءها ، مع أن يزيد بكفاءته ومقدرته العلمية هو نتاج لتلك الحركة الموجودة من قبل . إن هذه العبارة في رأيي تعطي صورة غير صحيحة عن واقع الحركة الفقهية في مصر قبل عصر يزيد . وقد توقع أي باحث في تاريخ هذه الحركة في لبس سرعان مايتبين عدم صدقه ، ويظهر ذلك في تعليق أحد الباحثين على هذه العبارة بقوله : «ففي هذا النص دليل على أنه لوّن مدرسة مصر بلون جديد هو لون التشريع» . ولكن هذا الباحث نفسه سرعان مايستدرك خطأ هذا الاستنتاج فيقول : «وواضح أنه لم يخلق هذا اللون خلقاً وإنما قواه وزهاه»[٥٩] . وفي الوقت الذي أتفق مع الباحث في استدراكه على العبارة الأولى ؛ على اعتبار أن ليزيد دوراً مهماً في تقوية الاتجاه الفقهي في مصر ، إلا أنني في الوقت نفسه أجد من الصعب القبول بعبارة أبي سعيد وتفسير الباحث لها في عبارته الأولى ، حيث لايمكن القول بأن يزيد كان أول من أظهر العلم بمسائل الحلال والحرام ، أو أنه لوّن الحياة العلمية في مصر بلون الفقه والتشريع ، لأن في ذلك غمطاً لجهود أولئك العلماء والمفتين الذين سبقوا يزيد بمراحل ، حيث ينتمي يزيد إلى الطبقة الثالثة من علماء التابعين بمصر . إن القول بأن جهود أولئك العلماء كانت مقصورة على الترغيب والملاحم والفتن لايتلاءم مع ماسبق أن أوضحناه من تطور للحركة الفقهية في مصر ، وجهود العلماء في الطبقتين السابقتين لعصر يزيد في نمو الفقه والمشاركة في ذلك سواء عن طريق التعليم أو الإفتاء أو القضاء .

وإن الخطوة التي اتخذها عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى الهجرية ، حينما أمر بتفريق العلماء في الآفاق لتعليم الأمة[٦٠] ، قد أثرت على الحياة العلمية بمصر بشكل خاص وأفريقيا بشكل عام . وعمر بن عبد العزيز بأمره هذا يقتدي بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي بعث علماء الصحابة والنابغين من علماء التابعين إلى البلدان المفتوحة لتعليم الناس وتفقيههم في أمور دينهم[٦١] . ونتيجة لهذه الخطوة من قبل عمر بن عبد العزيز انتقل إلى مصر عالمان من كبار علماء التابعين في المدينة – كما أشرنا إلى ذلك من قبل – أحدهما استقر في مصر إلى حين وفاته وهو بكير ابن عبد الله ابن الأشج ، أما الآخر فقد أقام فيها إقامة إلى حين أن أسهم بدوره في نمو وتطور الحركة الفقهية بمصر ، ذلك هو نافع مولى عبد الله بن عمر أحد رواة الحديث المشهورين وفقيه الحجاز في عصره وشيخ الإمام مالك بن أنس ، وقد كان لقدومه مصر وبقائه فيها مدة من الزمن أثر بالغ في الحياة العلمية ، حيث نشر بينهم مايحفظه من السنة[٦٢] . إن قدوم هذين العالمين لمصر قد ساهم في تقريب الفكر الفقهي في مصر من مدرسة المدينة ، حيث نقلا إلى العلماء بمصر آراء فقهاء هذه المدرسة ، ثم إن وجودهما مع العلماء في مصر والنقاش العلمي الذي ينتج عن لقاء العلماء بعضهم ببعض ، يساهم بدوره في نمو الحرية الفقهية وإثراء النقاش الفقهي وظهور العديد من الآراء والاتجاهات الفقهية .

ولايمكن للباحث أن يستنتج من هذه الخطوة لعمر بن عبد العزيز أن مصر كانت تعاني من نقص في العلماء ، ولا أن الحركة الفقهية فيها لم تكن مواكبة للتطور العلمي الملائم لهذه المرحلة ، لأن عمر في نفس الوقت الذي طلب من نافع مولي ابن عمر التوجه إلى مصر ، أرسل بعثة علمية قوامها عشرة من علماء مصر إلى أفريقيا لتعليم الناس ، وكان على رأس البعثة العلمية عالم مصر وفقيهها أبو عبد الرحمن الحبلي أحد فقهاء التابعين المشهور بالعلم والفضل ، وقد شهد فتح الأندلس وسكن القيروان(٦٣) . كما كان من بين علماء التابعين بمصر جعتل بن عاهان بن سعيد الرعيني ، وقد بعثه عمر في مهمة علمية ، ولعله ضمن أفراد البعثة العلمية المشار إليها آنفاً ، ويروى السيوطي عن ابن يونس قوله عن هذا العالم والمهمة التي أمر بها : «كان أحد القراء والفقهاء أمره عمر بن عبد العزيز بالخروج من مصر إلى المغرب ليقرئهم وولي القضاء بأفريقيا لهشام بن عبد الملك»(٦٤) . كل ذلك يدل على أن القرن الأول الهجري لم ينته إلا وقد أصبحت مصر مركزاً علمياً له أهميته وظهر فيها مجموعة كبيرة من علماء التابعين لم يقتصر دورهم على مصر فقط ، بل تعدى حدودها وظهر منها بعثات علمية بأمر من الخلافة ساهمت في نشر العلم ، وتفقيه الناس في أمور دينهم في البلدان المفتوحة حديثا ، في أفريقية ، والأندلس .

مشاهير الفقهاء في مصر خلال عصر التابعين

يتبين لنا مما سبق أنه قد ظهر في مصر مجموعة كبيرة من العلماء خلال هذه المرحلة ، وبما أن دراستنا هي للمشاهير منهم الذين تصدروا الحركة الفقهية وأثروا فيها ، لذا سنقصر الدراسة على فئة منهم يعتبر دورها مهماً في الحركة الفقهية .

ولكي نتعرف على هذه الشخصيات العلمية ودورها المتميز في كل فترة ، لابد من تقسيم عصر التابعين بمصر إلى فترات ثلاث :

الفترة الأولى

وتمتد من بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، حتى العقد الثامن من نفس القرن ، وهي مرحلة كبار التابعين ، حيث كان لهم دور قيادي في مجال القضاء والإفتاء والتدريس ، وقد برز منهم جمع كبير لايسع المقام ذكرهم جميعاً ، ولذلك اخترنا منهم عالمين كان دورهما بارزاً ومؤثراً في هذه الفترة ليمثلا الدور العلمي الذي قام به كبار التابعين بمصر وهما :

أبو تميم عبد الله بن مالك الجيشاني ت سنة ٧٧هـ

لم تشر المصادر بالتحديد إلى تاريخ ولادة هذا العالم ، لكن شهرته العلمية ، والتي جعلته من الطبقة الأولى من التابعين بمصر ، تجعلنا نميل إلى أنه قد ولد في مرحلة مبكرة وربما قبل الهجرة .

ويؤيد ذلك ماذكره الذهبي من أنه وأخاه سيفاً ولدا في حياة النبي ﷺ ، وقدما المدينة زمن عمر(٦٥) . كما يؤيد ذلك مارواه الشيرازي من أن أبا تميم من أصحاب عمر بن الخطاب(٦٦) . وابن سعد يذكر أن أبا تميم قد روى عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب .(٦٧) وهذا يجعله من كبار التابعين إذ لابد أن يكون حين التلقي في سن تسمح له بالأخذ عن هؤلاء ، ولايستغرب بعد ذلك أن تكون له هذه المكانة العلمية الرفيعة في مصر .

لم يقتصر أبو تميم في تكوينه العلمي على الرواية عن عمر وعلي ، بل لقد حدث عن أبي ذر ومعاذ بن جبل . ويبدو أن لمعاذ دوراً كبيراً في النشأة العلمية لأبي تميم ، فهو قد قرأ القرآن على معاذ .(٦٨) وتشير المصادر إلى أن ذلك قد حدث قبل هجرة أبي تميم إلى المدينة ، وذلك حينما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام معاذاً إلى اليمن ليقرئهم القرآن ويفقههم في أمور دينهم . ويقول أبو تميم عن نفسه : «أقرأني معاذ بن جبل القرآن حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن»(٦٩) . فإذا كان قد قرأ القرآن على معاذ وروى عنه في اليمن قبل أن يهاجر للمدينة ، فإن ذلك يعني أنه لم ينتقل من اليمن إلى المدينة إلا ولديه حصيلة علمية جيدة ، لاسيما إذا أخذنا بالاعتبار أن قراءة القرآن في هذه المرحلة ليست مجرد اتقان القراءة ، وإنما تتعدى ذلك لدراسة النصوص القرآنية وماتحتوي عليه من أحكام .

بعد هذه المرحلة التأسيسية في حياة أبي تميم العلمية هاجر إلى المدينة ، وهناك التقى بكبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأبي ذر وغيرهم من علماء الصحابة وأخذ عنهم . لم تحدد المصادر تاريخ قدوم أبي تميم إلى مصر ، ولكنها جميعاً تتفق على أنه من الطبقة الأولى من كبار التابعين الذين سكنوا مصر . ويقول الذهبي عنه : «من أئمة التابعين بمصر»(٧٠) ، ولربما أنه قد شارك مع غيره من المسلمين في الجيش الفاتح لمصر ثم استقر بها ، ولما يتمتع به من قدرات علمية ، فإنه قد قام بدور مهم من حيث الإفتاء والتدريس لاسيما بعد وفاة علماء الصحابة بمصر .

لم يقتصر أبو تميم على مجال الإفتاء فقط ، بل شارك في مجال التدريس مما ظهر واضحاً في مشاركته في إعداد طبقة من العلماء تابعت المسيرة العلمية بعد وفاته وزملائه العلماء . وتشير المصادر إلى التلاميذ الذين تلقوا العلم على يديه ، فالذهبي يشير إليهم بقوله : «رؤي عنه عبد الله بن هبيرة ، وكعب بن علقمة ، ومرثد بن عبد الله اليزني وبكر بن سوادة وغيرهم»(٧١) . ومن أشهر هؤلاء التلاميذ عالم مصر ومفتيها في المرحلة الثانية أبوالخير مرثد بن عبد الله اليزني ، مما جعل تأثير أبي تميم في الحركة الفقهية في مصر يمتد بعد وفاته .

عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني ت سنة ٨٣هـ

لقد أدرك عبد الرحمن بن حجيرة كبار فقهاء الصحابة وأخذ عنهم ، مما يشير إلى ولادته المبكرة التي مكنته من الالتقاء والرواية عن هؤلاء ، فقد روي عن عبد الله بن مسعود وأبي ذر الغفاري وأبي هريرة(٧٢) ، كما التقي بصغار الصحابة مثل عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو ابن

العاص[٧٣] . وإذا كان قد التقي بهؤلاء الذين أشارت إليهم المصادر ، فلابد أنه أيضا قد التقى بفقهاء الصحابة المكثرين من الفتوى أمثال زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، ويؤيد ذلك أنه بعد أن سكن مصر ، أصبح من العلماء البارزين فيها واشتهر بقدرته العلمية بينهم . لذا نجد أن بعضاً من هؤلاء الصحابة كانوا يرشحونه للفتوى . فهذا عبد الله بن عباس فيما يروي عبد الله ابن المغيرة : «أن رجلاً من أهل مصر سأل ابن عباس عن مسألة فقال ابن عباس : من أي الأجناد أنت قال الرجل : من أهل مصر قال : تسألني وفيكم ابن حجيرة»[٧٤] وتعتبر هذه العبارة تزكية من ابن عباس لعبد الرحمن بن حجيرة واعترافا بمكانته العلمية وقدرته على الإفتاء . ولما كان ابن عباس لايطلق القول جزافاً ، فلابد أنه يتحدث عن معرفة أكيدة بعبد الرحمن ، ولربما أن عبد الرحمن قد تتلمذ عليه . وإذا عرفنا أن ابن عباس توفي سنة ٦٩هـ ، يتبين لنا أن عبد الرحمن قد وصل إلى مكانته العلمية المرموقة في مصر في مرحلة مبكرة من هذه الفترة . ووجهة نظر ابن عباس هذه حيال قدرة ابن حجيرة ، قد شاركه فيها بعض كبار علماء التابعين في المراكز العلمية الأخرى ، الذين كانوا على اتصال وثيق بابن حجيرة ، فهذا سعيد بن المسيب عالم المدينة وإمامها في هذه المرحلة يقول لموسى ابن وردان : «يامصري أبلغ ابن حجيرة السلام» وحينما سأله موسى عن بعض المسائل الفقهية ، رد عليه سعيد مستغرباً ، «تسألني وفيكم ابن حجيرة»[٧٥] . كل ذلك يدل على أن شهرة ابن حجيرة قد تعدت حدود مصر وتجاوزتها إلى المراكز العلمية الأخرى ، مما جعل العلماء في تلك المراكز يثقون به ويرون أنه أهل للفتوى . هذه المكانة العلمية لابن حجيرة أهلته لكي يتولى قطاعاً مهماً في هذه المرحلة من تاريخ الفقه الإسلامي ، ألا وهو القضاء ، فالقضاة وكما أشرنا سابقاً كان لهم في هذه المرحلة دور رئيس في إثراء الفقه الإسلامي بأحكامهم المختلفة ، سواء كانت تفسيرا لنص من القرآن أو اجتهاداً في حكم حادثة لم يرد فيها نص . واختيار عبد الرحمن لتولي هذا المنصب ، يدل على أنه كان قادراً على الاضطلاع بهذه المسؤولية ، وقد عزا المعاصرون له اختياره لهذا المنصب الهام إلى قدرته الفقهية ، فهذا الوليد بن سليمان يقول : «كان عبد الرحمن بن حجيرة فقيهاً من أفقه الناس فولاه عبد العزيز بن مروان القضاء»[٧٦] . ولقد أمضى عبد الرحمن ابن حجيرة في هذا المنصب فترة طويلة نسبياً ، فهو قد تولى القضاء سنة ٧٠هـ ، واستمر يقضي حتى وفاته في محرم سنة ٨٣هـ .[٧٧]

وتشير المصادر إلى الدور الذي أداه عبد الرحمن بن حجيرة في حقل القضاء ومساهماته العلمية من خلال العديد من الآراء الفقهية التي أثرى بها الفقه الإسلامي . فالكندي في ترجمته لابن حجيرة يذكر بعضاً من هذه الآراء الفقهية ، منها الرأي الذي سبق أن أشرنا إليه في متعة المطلقة ، وكان ابن حجيرة يرى وجوب المتعة على المطلق ، وذلك بناء على تفسيره للنص الوارد بهذا الشأن ، فعطاء ابن دينار يقول : «إن ابن حجيرة كان يقضي على المطلق بمتعة المطلقة ثلاثة دنانير تقتطع من عطائه في الديوان» . وقضى على المرأة التي جدعت أمة لها بعتق الأمة وجرد المرأة من الولاء وقضى بأن يكون

ولاؤها للمسلمين[٧٨] ، وإلى ابن حجيرة يعود الرأي الفقهي القائل بعدم الحجر على السفيه بل يجب فقط تحذير الناس من التعامل معه ، وتركه يتصرف في أمواله ، فابن لهيعة أحد القضاة في القرن الثاني الهجري يقول : «إن عبد الرحمن بن حجيرة كان لايحجر على سفيه في ماله ، ولكن كان يشهره وينهى الناس عن معاملته ويقر ماله بيده يصنع به مايشاء»[٧٩] .

هذه بعض من الأمثلة على إسهامات ابن حجيرة العلمية ، وبعض من آرائه قد أثار الكثير من الجدل والمناقشة بين الفقهاء في العصور التي تلت عصر ابن حجيرة . وبجانب هذا الدور العملي في الفقه الإسلامي ، كان لابن حجيرة دور آخر لايقل أهمية يتمثل في مساهمته العلمية في إعداد الجيل التالي من الفقهاء . فقد روى عنه ابنه عبد الله وكان عبد الله أحد العلماء بعد أبيه[٨٠] . كما تتلمذ عليه وروى عنه أبو عقيل زهرة بن معبد وأبو سويه عبيد بن سويه ، وعبد الله بن ثعلبة الحضرمي[٨١] .

الفترة الثانية

هذه الفترة تمتد إلى أواخر القرن الأول الهجري ، فبعد وفاة كبار التابعين بمصر ، أمثال أبي تميم الجيشاني وعبد الرحمن بن حجيرة انتقلت القيادة العلمية فيها إلى طبقة أخرى من العلماء ، ومع أنهم كانوا معاصرين لعلماء الطبقة السابقة ، إلا أن دورهم لم يبرز بوضوح إلا بعد وفاة مشاهير علماء الفترة الأولى . وسنختار من بينهم عالمين كان لهم دور رئيس في الحركة الفقهية في مصر خلال هذه المرحلة وهما :

أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني الحميري ت سنة ٩٠هـ

يعد أبو الخير من بين علماء الطبقة الثانية من التابعين في مصر ، وقد ذكره ابن سعد من بينهم وقال عنه ، إنه ثقة له فضل وعبادة[٨٢] . كذلك ذكره الشيرازي في الطبقات وقال إن الفقه انتقل إليه في الطبقة الثانية ، وقد أشار إلى تولي أبي الخير للقضاء في الاسكندرية[٨٣] .

وبالرغم من قلة المعلومات الواردة عنه في المصادر ، فإنه يظهر من المتوافر منها أنه قد التقى ببعض علماء الصحابة وأخذ عنهم . فهو قد التقى بعبد الله بن عمر ، كما التقى بأبي إمامة وعقبة ابن عامر وروى عنهم[٨٤] ، كما التقى بأبي أيوب الانصاري وأبي بصرة الغفاري وزيد بن ثابت وروى عنهم جميعا[٨٥] . ويبدو أن تأثير هؤلاء الصحابة على نشأة أبي الخير العلمية كان متفاوتاً . ففي الوقت الذي نجده قد التقى ببعض الصحابة المقيمين خارج مصر وروى عنهم ، إلا أنه بلاشك كان للصحابة الذين استقروا بمصر تأثير كبير على نشأته العلمية ، فهو قد روى عن عمرو بن العاص وابنه عبد الله ابن عمرو[٨٦] . وقد سبق أن أشرنا إلى مكانة عبد الله بن عمرو العلمية . ويبدو أن أبا الخير قد لازم

عقبة ابن عامر – أحد فقهاء الصحابة الذي استقروا في مصر – فترة طويلة نسبياً ، ويشير إلى ذلك الذهبي في العبر حيث يقول بأنه تفقه على عقبة بن عامر(٨٧) . ولم يكن ذلك حدثاً عابراً ، بل لقد تتلمذ عليه مدة طويلة أشارت إليها المصادر بالملازمة كما يقول الذهبي في ترجمته : «لزم عقبة مدة وتفقه به»(٨٨) . ويذكر ابن حجر بأن هذه الملازمة كانت مستمرة حيث يقول : «روى عن عقبة ابن عامر الجهني وكان لايفارقه»(٨٩) . كل ذلك يؤكد تأثير علماء الصحابة الذين سكنوا مصر لاسيما عبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر على تكوين شخصية أبي الخير العلمية .

ونظراً لهذه النشأة العلمية المتعددة المصادر ، فقد اكتسب أبو الخير منزلة علمية رفيعة في مصر باعتباره وريث التراث العلمي لهذا المركز . هذه المنزلة أهلته ليكون مرجعاً للناس يفتيهم في كل مايطرأ في أمور دينهم ، فهذا ابن يونس يقول عنه : «كان مفتي أهل مصر في زمانه»(٩٠) ، ولم يتصدر لهذا الأمر ويثق الناس به وبفتاويه إلا بعد أن بلغ منزلة سامية لدى أهل مصر ، هذه المنزلة جعلت أحد المعاصرين له يقارن بين منزلته عند أهل مصر ومنزلة أحد كبار علماء التابعين في العراق ، تلميذ عبد الله بن مسعود ، علقمة بن قيس النخعي فيما يروي ابن حجر : «قال ابن معين : كان عند أهل مصر مثل علقمة عند أهل الكوفة وكان رجل صدق»(٩١) .

ولما كانت له هذه المنزلة الرفيعة عند أهل مصر ، فلا غرابة أن نجد بعض الولاة في مصر بعدما رأى ثقة الناس بأبي الخير وقبولهم بفتاويه أراد أن يعطي لهذه المهمة التي كان يقوم بها أبو الخير صفة رسمية ، وهكذا فعل عبد العزيز بن مروان والي مصر ، كما يروي السيوطي قائلاً : «كان عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا» .(٩٢) .

لقد أسهم أبو الخير من خلال جهوده العلمية المختلفة في نمو الفقه الإسلامي وتطور الحركة الفقهية في مصر ، سواء كان ذلك في تحمله لمسؤولية القضاء في الاسكندرية ، أو في تصديه لمشاكل الناس الفقهية كمفتٍ لأهل مصر سواء بصفته الشخصية أو الرسمية . وقد أسهم كذلك أبو الخير مع مجموعة من العلماء المعاصرين له في تنشئة جيل من الفقهاء تحملوا المسؤولية العلمية في المرحلة الثالثة من عصر التابعين . ومن بين هؤلاء العلماء الذين تتلمذوا عليه ورووا عنه جعفر بن ربيعة وعبد الرحمن بن شمامة وعبيد الله بن جعفر وعياش بن عباس ، كما أن إمام مصر وفقيهها في الفترة الثالثة يزيد بن أبي حبيب كان أحد تلاميذ أبي الخير(٩٣) .

عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الكندي ت سنة ٩٥هـ

نشأ عبد الرحمن في وسط علمي ، فوالده معاوية بن حديج أحد أصحاب رسول الله ﷺ الذين سكنوا مصر ، وقد روى معاوية عن الرسول عليه الصلاة والسلام كما روى عن كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وأبي ذر ومعاوية بن أبي سفيان(٩٤) . هذه الحصيلة من المعلومات نقلها معاوية لابنه عبد الرحمن ، حيث أخذ عبد الرحمن علومه الأولية عن أبيه(٩٥) . ولم يكتف عبد الرحمن بما

رواه عن أبيه ، بل اتجه لعلماء الصحابة الموجودين في مصر وأخذ عنهم حيث روى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبي بصرة الغفاري[٩٦] . ثم بعد ذلك اتجه للمراكز العلمية خارج مصر لاسيما في الحجاز ، حيث التقى بأحد المكثرين من الفتوى والرواية عبد الله بن عمر بن الخطاب وروى عنه[٩٧] .

ونتيجة لهذه الجهود المتواصلة التي بذلها عبد الرحمن بن معاوية في تكوين حصيلة علمية عالية المستوى ، وصل إلى منزلة علمية رفيعة في مصر خلال الفترة الثانية من عصر التابعين . ولكن نظراً لأن الدور القيادي في الحركة الفقهية في مصر في هذه الفترة كان لزميله أبي الخير مرثد اليزني ، فإن دور عبد الرحمن لم يظهر بوضوح إلا بعد وفاة أبي الخير سنة ٩٠هـ ، أي في الخمس سنوات الأخيرة من حياته ، ولعل ذلك يفسر قلة المعلومات الواردة في المصادر حول دوره العلمي . وبجانب كون عبد الرحمن أحد مشاهير الفقهاء في مصر خلال هذه الفترة ، فقد كان له دور عملي فهو قد تولى قيادة الشرطة قبل أن يصبح قاضياً ثم جمع له بين الشرطة والقضاء[٩٨] . وخلال توليه لمنصب القضاء أسهم عبد الرحمن إضافة إلى العديد من الآراء الفقهية التي كانت تصدر عنه في أحكامه في تطوير مهمات القاضي وتوسيع نطاق مسؤولياته ، وأصبحت تشمل رعاية مصالح اليتامى بمبادرة من عبد الرحمن ، ويعتبر أول قاضٍ نظر في أموال اليتامى وضمّن عريف كل قوم أموال اليتامى في قومه ، وأنشأ لذلك سجلاً خاصاً في المحكمة ليمكن الرجوع إليه[٩٩] . وبالإضافة إلى هذا الدور العملي في مجال الشرطة والقضاء ، فقد شارك مع زملائه في هذه المرحلة في إعداد الجيل التالي من الفقهاء . وتشير المصادر إلى التلاميذ الذين تلقوا العلم على يديه ومنهم واهب بن عبد الله المعافري وعقبة ابن مسلم التجيبي والحسن بن ثوبان ، كما أن يزيد بن أبي حبيب إمام مصر ومفتيها في الفترة الأخيرة من عصر التابعين ، كان تلميذاً لعبد الرحمن بن معاوية ومن الذين رووا عنه[١٠٠] .

الفترة الثالثة

هذه الفترة تمتد من أواخر القرن الأول إلى أوائل الثاني ، وتعد حلقة الوصل بين مرحلة كبار التابعين ، وعصر أئمة المذاهب . ويعود الفضل إلى هذه الطبقة في نقل آراء فقهاء التابعين ومروياتهم إلى أئمة المذاهب . وفي مصر خلال هذه الفترة هناك شخصيتان بارزتان كان لهما دور كبير في هذه المرحلة ، أحدهما وفد على مصر بعدما تلقى علومه وثقافته في أحد أهم المراكز العلمية في ذلك العصر مركز المدينة العلمي ، ويعد الدور الذي أداه في مصر مهماً بالنسبة لمن يبحث واقع الحركة الفقهية في مصر خلال هذه المرحلة . أما الآخر فقد نشأ وتعلم في مصر فهو يعد امتدادا للحركة الفقهية فيها ، وسوف نتحدث عن هذين العالمين ودورهما :

بكير بن عبد الله بن الأشج ت سنة ١٢٢هـ

لقد كان بكير من صغار التابعين[١٠١] ، وقد ولد بالمدينة ، وفي مركزها العلمي بدأ حياته العلمية خلال الثلث الأخير من القرن الأول ، وكانت المدينة في هذه الفترة في أوج ازدهارها العلمي ، تعج بالعديد من العلماء ، لاسيما فقهاء المدينة السبعة المشهورين . وقد تيسر لبكير لقيا بعض صغار الصحابة وتلقى عنهم مروياتهم ، حيث روى عن أبي إمامة بن سهل[١٠٢] ، كما روى عن السائب بن يزيد وربيعة بن عياد[١٠٣] ، وجميعهم من الصحابة ، ولكن معظم تلقيه كان على أيدي كبار التابعين من فقهاء المدينة ، كسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار ونافع مولى عبد الله ابن عمر[١٠٤] .

وفي المرحلة التي تلت وفاة كبار التابعين في المدينة ، كان بكير قد برز واحداً من العلماء الذين كانت لهم القيادة العلمية في هذا المركز ، فهذا على بن المديني يصف الوضع العلمي في المدينة بعد وفاة كبار التابعين فيقول : «لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى الأنصاري وبكير بن عبد الله بن الأشج»[١٠٥] . ولكن لسبب لم تشر إليه المصادر ، يبدو أن بكيراً لم يطل به المقام بالمدينة بعد أن وصل إلى هذه المكانة العلمية المتميزة ، ولعله قد شارك مع غيره من العلماء في الاستجابة للدعوة التي وجهها لهم عمر بن عبد العزيز للخروج إلى البلدان التي تحتاج إلى علمهم .

وتشير المصادر إلى أنه ارتحل إلى مصر في وقت مبكر ، وربما كان ذلك في بداية القرن الثاني الهجري ، فالإمام مالك الذي كان تلميذاً في مطلع القرن الثاني ، لم يسمع من بكير وإن كان قد سمع من زملائه كابن شهاب ويحيى الأنصاري ، ويفسر ذلك النووي بقوله : «إن مالكاً لم يسمع من بكير شيئا حيث خرج قديماً إلى مصر[١٠٦] . ولكن على بن المدينى يسوق تفسيراً آخر لعدم سماع الإمام مالك من بكير ، كما يروي ذلك عنه ابن حجر بقوله : «كان بكير سيء الرأي في ربيعة فأظنه تركه من أجل ربيعة»[١٠٧] . ومهما يكن السبب الذي من أجله لم يتمكن الإمام مالك من الأخذ والتلقي مباشرة عن بكير ، فإنه في الوقت الذي انتقل فيه بكير إلى مصر ، كان الإمام مالك واعياً للشهرة العلمية التي يتمتع بها بكير ، وقد عرف عن مقدرته ومكانته العلمية في المدينة . ولذا فحينما ذكر عنده بكير أشار إليه بقوله : «كان من العلماء[١٠٨] . ولعل هذه المعرفة قد تعمقت لدى الإمام ، إضافة إلى شهرة بكير من خلال إطلاعه على ماخلفه بكير من ثروة علمية ، وإذا كان الإمام مالك لم يتلق عنه مباشرة ، فقد جاءته الفرصة عن طريق ابن بكير مخرمة ، الذي يبدو أنه دون أقوال وآراء أبيه في كتاب ، فابن المديني الذي أشار إلى أن الإمام لم يسمع من بكير مباشرة بين الطريقة التي عرف بها الإمام مالك بكيراً بقوله : «وإنما عرف مالك بكيراً بنظره في كتاب مخرمة»[١٠٩] .
لقد كان لانتقال بكير إلى مصر أثره الكبير على هذا المركز ، وكما سبق أن أشرنا إلى ذلك . فبعد مجيئه لمصر قام بدور مهم في الحركة الفقهية إفتاءً وتدريساً ، وقد استفاد العلماء في مصر من وجوده

بينهم ، حيث نقل لهم الآراء الفقهية لمدرسة المدينة ، ولم يمنعهم من التلقي عنه كونهم قد وصلوا إلى مرحلة متقدمة في التحصيل العلمي ، فيزيد بن أبي حبيب على الرغم من كونه معاصراً لبكير ، وعلى الرغم من مكانته العلمية المرموقة في مصر ، إلا أنه لم يجد غضاضة في الأخذ والتلقي عن بكير ماحمله من فقه المدينة(١١٠) . وبالإضافة إلى يزيد ، نجد طلاب العلم في هذه المرحلة قد استفادوا بالأخذ والتلقي عن بكير ، فقد روى عنه محمد بن عجلان وعمرو بن الحارث إلا أن أشهر العلماء الذي درسوا على يديه إمام مصر وعالمها المشهور في الأئمة المجتهدين الليث ابن سعد(١١١) .

ونتيجة لهذه الجهود العلمية لبكير ، واعترافاً بفضله وإسهامه في الحركة الفقهية في مصر خلال هذه المرحلة ، نجد أنه اكتسب احترام العلماء وطلبة العلم في مصر وتقديرهم له ولمكانته العلمية ، ولذلك نجد ابن حيان يقول عنه : «كان من تقاة أهل مصر وقرائهم»(١١٢) .

ونختم حديثنا عنه بذكر ثناء العلماء عليه فالنووي يقول : «اتفقوا على جلالته وتوثيقه وعلمه»(١١٣) . ويشير الذهبي في ترجمته إلى ثناء رجال الحديث عليه وتوثيقهم له حيث يروي عن معن بن عيسى قوله : «ماينبغي لأحد أن يفوق أو يفضل بكير بن الأشج في الحديث» ، وقال أحمد بن حنبل عنه : «ثقة صالح ، وقال يحيى بن معين وغيره ثقة»(١١٤) .

يزيد بن أبي حبيب ت سنة ١٢٨هـ

ولد يزيد في مطلع النصف الثاني من القرن الأول ، حيث ذكر الذهبي رواية عن أبن لهيعة أنه ولد تقريباً في سنة ٥٣هـ في دولة معاوية . وقد اعتبره من صغار التابعين ، حيث أشار إلى روايته عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي وهو من الصحابة(١١٥) . وكانت ولادته ونشأته بمصر حيث يروي عنه قوله : «كان أبي من أهل دنقلة ونشأت بمصر». ولذلك فإن تعليمه وتلقيه كان فى المقام الأول عن أساتذة مصر وكبار علماء التابعين فيها . فقد روى عن أبي الخير مرثد اليزني ، كما تتلمذ على عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وروى عنه(١١٧) . ولم يقتصر يزيد في تلقيه على علماء مصر ، بل انتقل إلى مناطق أخرى حيث التقى بكبار التابعين . فهو قد ذهب إلى المدينة والتقي بعلمائها وأخذ عن سالم بن عبد الله بن عمر ، كما ذهب إلى مكة والتقى بكبار علماء التابعين فيها فروى عن عكرمة وعطاء بن أبي رباح(١١٨) .

كما أن قدوم بعض المشاهير من العلماء إلى مصر ، قد سهل ليزيد فرصة الاستفادة منهم ، وقد عرفنا سابقاً حينما تحدثنا عن جهود بكير بن عبد الله بن الأشج الذي قدم مصر بعدما أصبح أحد العلماء المشهورين في المدينة . وأشرنا إلى أن يزيد قد تلقى عنه علم المدينة وفقهها . وتشير المصادر إلى تلقيه وروايته عن نافع مولي عبد الله بن عمر ، والذي قدم إلى مصر بناء على طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز لينشر بينهم السنن(١١٩) .

بهذا الجهد الذي بذله يزيد استطاع أن يجعل لنفسه مكانة رفيعة في مصر ويقوم بدور قيادي في الحركة الفقهية فيها مع بداية القرن الثاني الهجري ، يدل على ذلك ماروي أن يزيد كان أحد الثلاثة الذين جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتوى بمصر[١٢٠] . ولعل الاثنين الآخرين اللذين شاركا يزيد هذه المهمة العلمية هما بكير بن عبد الله بن الأشج ، حيث أهلته شهرته العلمية السابقة لمقدمه إلى مصر ليكون مفتيا لأهل مصر ، أما الآخر فهو نافع مولي عبد الله بن عمر[١٢١] . وعن دور يزيد وتأثيره في الحركة الفقهية في مصر ، نجد أن الذهبي يروي عن أبي سعيد بن يونس قوله : «كان يزيد مفتيا أهل مصر ، وكان حليماً عاقلاً وهو أول من أظهر العلم والمسائل والحلال والحرام»[١٢٢] . وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع عند حديثنا عن تطور الحركة الفقهية في مصر وبينا أنه لايمكن القبول بهذه العبارة على إطلاقها للمبررات التي أشرنا إليها ، وإذا كان هناك من إضافة إلى ماسبق ، فإنها تتعلق بيزيد ، وأن هده العبارة جاءت[١٢٣]لتؤكد أهمية الدور الذي قام به يزيد في تعميق الاتجاه الفقهي وتقويته ، الذي كان موجوداً قبل يزيد ، كما توضح هذه العبارة المساهمات الرائدة والتي قدمها يزيد من خلال آرائه واجتهاداته الفقهية ، وهو جهد ليس بالقليل يقوم به عالم واحد ، إلا أننا إذا نظرنا إلى الحركة الفقهية في مصر بمجملها ، فإنها لم تكن جهد عالم واحد ولم يكن يزيد وحده هو الذي أنشأها ، بل شاركه علماء آخرون قبل عصره وعلماء معاصرون له .

لقد أسهم يزيد بدور كبير في الحركة الفقهية لهذا المركز ، فبالإضافة إلى اهتماماته الفقهية ، والتي تظهر من عبارة ابن يونس السابقة ، نجد أنه قد أسهم في إعداد الجيل الثاني من الفقهاء بعد عصره لمتابعة المسيرة العلمية في هذا المركز ، ومن بين العلماء الذين كان ليزيد دور كبير في إعدادهم سعيد بن أبي أيوب وحيوة بن شريح ويحيى بن أيوب وابن اسحق ، وإمام مصر في عصر الأئمة المجتهدين الليث بن سعد ، وقاضي مصر المشهور عبد الله بن لهيعة وآخرون[١٢٤] .

لقد كان ليزيد مكانة علمية رفيعة في مصر ، وكان لذلك من وجوه المجتمع المقدمين ، فهذا تلميذه ، الليث بن سعد يقول : «عبيد الله بن جعفر ويزيد بن أبي حبيب هما جوهرتا البلد ، كانت البيعة إذا جاءت الخليفة كان أول من يبايع عبيد الله ثم يزيد ثم الناس»[١٢٥] . ولأجل ذلك كان الليث يقول عن يزيد : «هو عالمنا وسيدنا»[١٢٦] .

ونختم حديثنا عنه بالإشارة إلى ذلك الموقف الذي عرض له وأثبت فيه يزيد مكانة العالم ومنزلته واحترام العلم والعلماء ، فقد طلب منه أحد وجهاء مصر في عصره وهو زياد بن عبد العزيز ابن مروان أن يأتيه في البيت ليتلقى عنه ، فكان جواب يزيد معبراً عن اعتزازه واحترامه لمكانته العلمية حيث قال : «بل أنت فأتني فإن مجيئك إليّ زين لك ومجيئي إليك شين عليّ»[١٢٧] .

التعليقـــات

(١) انظر في ذلك للباحث مايلي : الحركة الفقهية ومشاهير الفقهاء في العراق ، **مجلة دارة الملك عبد العزيز** ، لعام ١٤٠٨هـ ، الحركة الفقهية في الشام ، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة الملك سعود ، مج ١٤ لعام ١٤٠٧هـ .

(٢) محمد بن سعد بن منيع البصري ، **الطبقات الكبرى** (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م) جـ ٧ ، ٤٩٣ – ٥٠٣ .

(٣) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ، (القاهرة : المطبعة المتيزيه ١٣٢٧هـ) جـ ١ ، ٨١ ، ٩١ ، ١٠١ .

(٤) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، تحقيق ونشر : المؤسسة العامة للتأليف والترجمة بمصر (القاهرة : مطبعة المؤسسة ، ١٣٨٣هـ) جـ ١ ، ١٢٧ .

(٥) أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تحقيق : على البجاوي ، (القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧١م) جـ ٤ ، ٥٢٠ .

(٦) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ) ، جـ ٢ ، ٤٦٧ .

(٧) ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** . . . ، جـ ١ ، ١٢٩ .

(٨) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، **فتوح مصر وأخبارها** ، تحقيق : تشارلز توري ، نشر جامعة ييل في نيوهيفن ، الولايات المتحدة (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٠) ، ٢٨٧ – ٢٩٥ .

(٩) أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، **تهذيب التهذيب** ، (حيدر آباد : دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٥هـ ، تصوير وتوزيع دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩م) ، جـ ٤ ، ٥٢٠ .

(١٠) السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٨٨ .

(١١) المرجع السابق ، ٩٦ .

(١٢) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزيه) ، **أعلام الموقعين عن رب العالمين** ، (بيروت : دار الجيل للطباعة ، د .ت) جـ ١ ، ١٢ .

(١٣) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي ، **تقييد العلم** ، (دار إحياء السنة النبوية ، ١٩٧٤م) ، ٧٤ .

(١٤) ابن سعد ، **الطبقات** . . . ، جـ ٧ ، ٤٩٤ .

(١٥) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، **صحيح البخاري** ، ط ٣ ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، (دمشق : اليمامة للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ) جـ ١ ، ٥٤ .

(١٦) أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي ، **تهذيب الأسماء واللغات** ، (القاهرة : إدارة الطباعة المنيرية ، د . ت) ، جـ ١ ، ٢٨٢ .

(١٧) نفسه .
(١٨) الذهبي ، **سير أعلام** ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ٨١ – ٨٢ .
(١٩) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٠١ .
(٢٠) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، (القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦١م) جـ ٢ ، ٥٦ .
(٢١) المصدر السابق ، ٨٥ .
(٢٢) ابن سعد ، **الطبقات** ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ٤٩٥ – ٥٠٣ .
(٢٣) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ٨٣ – ٨٦ .
(٢٤) المصدر السابق ، ١٠٠ .
(٢٥) المصدر السابق ، ١٠٦ .
(٢٦) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، (القاهرة : مطبعة بولاق ، ١٢٩٤هـ ، أعيد طبعه بالأوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٠م) جـ ٢ ، ٣٣٢ .
(٢٧) ابن القيم ، **أعلام الموقعين** . . . جـ ١ ، (بيروت : دار الجيل للطباعة ، د . ت) ، ١٢ – ١٤ .
(٢٨) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ٩١ .
(٢٩) المقريزي ، **كتاب المواعظ** . . . ، جـ ٢ . القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٩٤هـ ، ٣٣٢ .
(٣٠) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، (القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٣٢م) جـ ٢ ، ٣٣٢ .
(٣١) الذهبي ، **سير أعلام** . . ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ٤٦٧ ، جـ ٣ ، ٨١ – ٨٢ .
(٣٢) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ٨٥ .
(٣٣) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٣٤) أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ، **كتاب الولاة وكتاب القضاة** ، تحقيق : رفن كست ، (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م) ٣٠٣ ، ٣٠٩ .
(٣٥) الذهبي ، **سير أعلام** ، . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٧٣ – ٧٤ .
(٣٦) السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٣٧) ابن حجر ، **تهذيب** . . . مرجع سابق ، جـ ٦ ، ١٦٠ .
(٣٨) المصدر السابق ، ٢٧١ .
(٣٩) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٤٠) المصدر السابق ، ١٣٣ .
(٤١) نفسه .
(٤٢) الذهبي ، **سير أعلام** . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ٣١ .
(٤٣) الكندي ، **كتاب الولاه** ، مرجع سابق ، ٣٢٢ .
(٤٤) المصدر السابق ، ٣١٦ .
(٤٥) نفسه .
(٤٦) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .

(٤٧) المصدر السابق ، ١٣٣ .

(٤٨) المصدر السابق ، ١٣٤ .

(٤٩) لقد ورد في القرآن نصّان يتعلقان بمتعة المطلقات ، الأول : في قوله تعالى : «لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدَره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين» (البقرة : ٢٣٦) . والثاني : قوله تعالي : «وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين» (البقرة : ٢٤١) وروى الإمام مالك في الموطأ أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأة له فمتع بوليده ، وروى عن ابن عمر قوله : لكل مطلقة متعة ، وهو رأى ابن شهاب الزهري والقاسم بن محمد (**الموطأ** : رواية يحيى الليثي ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٧هـ) . وإذا كان هناك اتفاق على وجوب المتعة للمطلقة قبل الدخول بها وقبل فرض المهر أخذا بنص الآية الأولى ، فإن العلماء قد اختلفوا حول متعة المطلقة بعد الدخول وهل هي واجبة لها ؟ . لذا نجد القضاة في هذه المرحلة يختلفون من حيث حكمهم بإلزامية هذه المتعة على المطلق .

(٥٠) الكندي ، **كتاب الولاه** ، مرجع سابق ، ٣١٧ .

(٥١) المصدر السابق ، ٣١٨ .

(٥٢) المصدر السابق ، ٣٤٤ . والقاضي هنا يشير إلى الآيتين الواردتين في هذا الشأن في سورة البقرة وقد أوردناهما في الحاشية رقم (٤٧) . ويلاحظ استدلال القاضي بالصفة التي وردت في ختام النصين السابقين ففي ختام الآية الأولى قال تعالى : «حقا على المحسنين» ، وقوله تعالى : «حقا على المتقين» .

(٥٣) المصدر السابق ، ٣٣٣ – ٣٣٩ .

(٥٤) المصدر السابق ، ٣٤٤ .

(٥٥) المصدر السابق ، ٣٤٨ .

(٥٦) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، **تاريخ الإسلام ، وطبقات المشاهير والأعلام** ، (القاهرة : مكتبة المقدسي ، ١٩٤٨م) جـ ٥ ، ١٨٥ ، الذهبي ، **سير أعلام** . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ٣٢ .

(٥٧) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٤ .

(٥٨) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٣١٨ .

(٥٩) أمين ، **ضحى** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ٨٧ .

(٦٠) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** ، (المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٦هـ) ، جـ ١ ، ٣٣١ .

(٦١) ابن سعد ، **الطبقات** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ١٥٧ ، جـ ٦ ، ٧ – ٩ .

(٦٢) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٣ ، أمين ، **ضحى** . . . ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ٨٦ .

(٦٣) الحجوي ، **الفكر السامي** . . . ، (المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٦هـ) ، جـ١ ، ٣٠٤ .

(٦٤) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٣ .

(٦٥) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٧٣ – ٧٤ .

(٦٦) أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازي ، **طبقات الفقهاء** ، تحقيق : إحسان عباس (بيروت : دار الرائد العربي ، ١٩٧٨م) ، ٧٧ .

(٦٧) ابن سعد ، **الطبقات** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ٥١٠ .
(٦٨) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، (الكويت : مطبعة الحكومة ، ١٩٦٠م) جـ ١ ، ٨٨ .
(٦٩) الذهبي ، **سير أعلام** ، . . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٧٤ .
(٧٠) نفسه
(٧١) نفسه
(٧٢) السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٧٣) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ١٦٠ .
(٧٤) الكندي ، **كتاب** . . ، مرجع سابق ، ٣١٦ .
(٧٥) نفسه
(٧٦) نفسه
(٧٧) المصدر السابق ، ٣١٦ – ٣١٩ .
(٧٨) المصدر السابق ، ٣١٧ .
(٧٩) المصدر السابق ، ٣١٩ .
(٨٠) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٨١) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ١٦٠ .
(٨٢) ابن سعد ، **الطبقات** ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ٥١١ .
(٨٣) الشيرازي ، **طبقات** .... ، مرجع سابق ، ٧٨ .
(٨٤) السيوطي ، **حسن المحاضرة** ... ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٨٥) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، (حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف ، ١٣٧٥هـ) جـ ١ ، ٧٣ .
(٨٦) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٢٨٤ .
(٨٧) الذهبي ، **العبر** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٠٥ .
(٨٨) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٢٨٤ .
(٨٩) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١٠ ، ٨٢ .
(٩٠) نفسه .
(٩١) نفسه .
(٩٢) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٢ .
(٩٣) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٢٨٤ .
(٩٤) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ٣٧ ، ابن سعد ، **الطبقات** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ٥٠٧ .
(٩٥) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ٣٧ .
(٩٦) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ٢٧٢ .
(٩٧) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٣ .
(٩٨) الكندي ، **كتاب** ، مرجع سابق ، ٣٢٣ .

(٩٩) نفسه .
(١٠٠) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ١٦٠ .
(١٠١) الذهبي ، **العبر** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٥٥ .
(١٠٢) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٤٩١ .
(١٠٣) النووي ، **تهذيب الأسماء** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، (القاهرة : إدارة الطباعة المثيرية : د . ت) ، ١٣٥ .
(١٠٤) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٤٩١ .
(١٠٥) النووي ، **تهذيب الأسماء** ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٥ .
(١٠٦) المصدر السابق ، ١٧٦ .
(١٠٧) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٤٩٢ .
(١٠٨) الشيرازي ، **طبقات** . . . ، مرجع سابق ، ٧٨ .
(١٠٩) ابن حجر ، **تهذيب** . . . ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ٤٩٢ .
(١١٠) النووي ، **تهذيب الأسماء** ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٥ .
(١١١) نفسه .
(١١٢) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٣ .
(١١٣) النووي ، **تهذيب الأسماء** ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٥ .
(١١٤) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ١٧١ .
(١١٥) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ٣١ ، الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، مرجع سابق ، جـ٥ ، ١٨٤ .
(١١٦) نفسه .
(١١٧) أحمد بن عبد الله الخزرجي ، **خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، تحقيق : محمود عبد الوهاب فايد ، (القاهرة : مكتبة القاهرة ، ١٩٧١م) ، جـ ٣ ، ١٦٧ .
(١١٨) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٤ .
(١١٩) نفسه .
(١٢٠) الذهبي ، **تاريخ الإسلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٥ ، ١٨٥ .
(١٢١) السيوطي ، **حسن المحاضرة** . مرجع سابق ، جـ ١ ، ١٣٣ .
(١٢٢) الذهبي ، **تاريخ الإسلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٥ ، ١٨٥ .
(١٢٣) المصدر السابق ، ١٣ ، ١٤ .
(١٢٤) الذهبي ، **تاريخ الإسلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٥ ، ١٨٥ .
(١٢٥) نفسه .
(١٢٦) الذهبي ، **سير أعلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ٣٢ .
(١٢٧) الذهبي ، **تاريخ الإسلام** . . . ، مرجع سابق ، جـ ٥ ، ١٨٥ .

المراجـــع

الأصفهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٢م .

أمين ، أحمد ، **ضحى الإسلام** ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٨م .

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، **صحيح البخاري** ، ط٣ ، تحقيق : محمد ديب البغا ، دمشق ، اليمامة للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ .

البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، **تقييد العلم** ، دار إحياء السنة المحمدية ، ١٩٧٤م .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، تحقيق ونشر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر ، مطبعة المؤسسة ، ١٣٨٣هـ .

ابن حجر ، أحمد العسقلاني ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧١م .

ابن حجر ، أحمد العسقلاني ، **تهذيب التهذيب** ، حيدر آباد ، دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٥هـ ، بيروت ، تصوير وتوزيع دار صادر ، ١٩٦٩م .

الحجوي ، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، ١٣٩٦هـ .

الخزرجي ، أحمد بن عبد الله ، **خلاصة تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، تحقيق : محمود عبد الوهاب فايد ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ١٩٧١م .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام** ، القاهرة ، مكتبة المقدسي ، ١٩٤٨م .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد عثمان ، **تذكرة الحفاظ** ، حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف ، ١٣٧٥هـ .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، **العبر في خبر من غبر** ، الكويت ، مطبعة الحكومة ، ١٩٦٠م .

ابن سعد ، محمد بن منيع البصري ، **الطبقات الكبرى** ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٠م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ، القاهرة ، المطبعة المنيرية ، ١٣٢٧هـ .

الشيرازي ، أبو اسحاق علي بن يوسف ، **طبقات الفقهاء** ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٩٧٨م .

ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، **فتوح مصر وأخبارها** ، تحقيق : تشارلز توري ، نشر جامعة ييل – نيوهيفن ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٣٠م .

ابن القيم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ، **أعلام الموقعين عن رب العالمين** ، بيروت ، دار الجيل للطباعة ، د . ت .

الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف ، **كتاب الولاة وكتاب القضاة** ، تحقيق : رفن كست ، بيروت ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م .

المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٩٤هـ ، أعيد طبعه بالاوفست ، مكتبة المثني ، بغداد ، ١٩٧٠م .

النووي ، أبو زكريا محي الدين بن شرف ، **تهذيب الأسماء واللغات** ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية ، د . ت .

The Early Development of the Legal Movement in Egypt. Rise and Evolution

HUMAIDAN ABDULLAH AL-HUMAIDAN
Associate Professor, Department of Islamic Studies, Faculty of Education, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

ABSTRACT. This article deals with the following topics:

1. The establishment of the Legal Movement in Egypt by the companions, and its further development by their students during the period of the Tabi 'in.

2. A study of the famous jurists in Egypt during this period, the way in which they acquired their knowledge, and their role in The Islamic Legal System, as well as their contribution to Islamic Legal thinking well be discussed.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م٢ ، ص ص ٢٠٧ - ٢٣٥ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

محمد بن صالح العلوى
توفى سنة (٢٥٢ أو ٢٥٥هـ)
حياته ودراسة شعره

عبد المحسن فراج القحطانى
أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الملك عبد العزيز – جدة
المملكة العربية السعودية

الشاعر محمد بن صالح العلوي (ت : ٢٥٢ أو ٢٥٥هـ) من الشعراء المغمورين الذين مرت حياتهم بهزات اجتماعية ، يعتقد الباحث أنها أثرت في شعرهم ، احتفى به بعض المؤلفين والمؤرخين ، وأغلب شعره الذي وصل إلينا منه قاله في خمس عشرة سنة من عمره ، وهي فترة التقى فيها الخليفة العباسي المتوكل ، وبعض كبار القوم في عصره كإبراهيم بن المدبر (ت ٢٧٩هـ) وسعيد بن حميد (ت ٢٥٠هـ) .

لعب شعرُه دوراً رئيساً في تخفيف ماأصابه من سجن ؛ فقد سمع المتوكل قصيدة أعجب بها ، فإذا قائلها محمد بن صالح العلوي ، وقد أمر الخليفة بإطلاق سراحه ، ثم مدحه مرة أخرى ، وظل شعره يطالع القراء المتخصصين ، ولم يعرض له كثير من المؤرخين والأدباء – كما يبدو من مصادر حياته ومظان شعره .

هذه الدراسة محاولة متأنية لمناقشة حياته والآراء التي أوردها المؤلفون حوله ، ثم دراسة شعره المبثوث في بطون كتب أشارت الدراسة إليها .

وكانت دراسة الشعر هذه تنهج نهجاً يعتمد حيناً على الثنائية في تحليل النص ، وحيناً آخر على دراسة الخلفية التاريخية له ، وأحيانا على مناقشة «النص» مناقشة تحركه لاستنطاقه ، وتلك جميعها تخدم النص خدمة قد لايجزم بها المتلقي ولكنها تفتح آفاقاً للدارسين .

ثم ناقش الباحث الإيقاع والوزن العروضي في كل نص ، ولم يتوقف عند جريان الوزن والقافية ، وإنما بحث في تشكلات المقاطع الصوتية مرة ، واختيار الكلمات «مشتقة أو جامدة» مرة أخرى ، ولم يغفل الزحافات وتأثيرها في النص ، مفسراً اختيار القوافي والروي عند الشاعر .

توطـــئة

مازال شعراؤنا المغمورون القدامى يحتاجون إلى دراسات تسهم في إثراء الساحة الأدبية بنصوصهم الشعرية ، لذا رأيت أن أتناول شاعراً مغموراً لأحقق من دراسته هدفين :

(أ) أن أناقش الآراء التى وردت – في أكثرها – عن حياته مناقشة تقربني من الحقيقة . . أو تكشف ترجيحاً لرأي ، وهذا الجانب قد يخدم النص الشعري ، ليقدم له إضاءات تساعد على توظيف بعض المصطلحات الفنية ، والأحداث التاريخية حين ترد في شعره ، هذا بالإضافة إلى معرفة شاعر يضم إلى المعجم المعرفي عند المتلقي .

(ب) دراسة شعره دراسة تحليلية .

ووجدت الشاعر محمد بن صالح العلوي (توفى ٢٥٢ أو ٢٥٥) ممن يحقق هذين الهدفين .

فكان البحث حوله ينحو منحيين :

أحدهما : يتحدث عن نصيبه من الدراسات القديمة والحديثة عند الأدباء والمؤرخين ، وقد ابتدأ هذا المنحنى بالحركة البحثية التي تعرضت للشاعر «مصادر حياته» ثم مناقشة اسمه ، نسبه ، نشأته ، اتصالاته ، وفاته .

والآخر دراسة شعره الذي لمسته لمساً لايثقله ، ولم أحلله تحليلاً يعتمد على «الصورة البيانية» استعارة ، كناية : جزئية أو مركبة ، بل حاولت أن أدرسه دراسة تدغدغ النص وتحركه ، فتنقله إلى المتلقي نقلاً تصويرياً حيناً ، وتركيبياً حيناً آخر ، وتجعل أمامه دراسة تثير الأسئلة ، وتعتمد على الموازنة مرة ، وإصدار الأحكام مرة أخرى ، وهذا ماصنعته أيضاً حين تناولت الإيقاع والوزن العروضي ، وهي دراسات مازالت – في نظري – تنير الطريق ولاتحدد أبعاده ، إلا أنها آراء اجتهادية – وهذا شأن الدراسات الأدبية – فالفيصل فيها المنهج العلمي والمحاولة الجادة ، وعدم اعتساف النصوص غير متناسين الومضة الشعرية والحركة الفنية في النص التي يدركها أي باحث وقد يعجز عن تفسيرها تفسيراً مقنعاً .

مصادر حياته(١)

١ – ترجع أقدم الروايات عن سيرة محمد بن صالح العلوي إلى أبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في كتابيه «الأغاني» و «مقاتل الطالبيين» ، حيث ساق بعض أخباره وأشعاره في حدود أربع عشرة صفحة في كتابه «الأغاني» وبشيء من التصرف في «مقاتل الطالبيين» .

٢ – وترجم له أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) في معجمه في حدود ثلاثة أسطر ، أورد بعدها ثلاث مقطوعات في سبعة أبيات .

٣ - وأورد خبر سجنه الأمير أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) في كتابه «المنازل والديار» ومعه ثلاثة أبيات .

٤ - وذكره ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) حين تكلم عن «سويقة» في كتابه «معجم البلدان» .

٥ - واحتفى به ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في كتابه «مسالك الأبصار» فأورد خبر سجنه وعشر مقطوعات شعرية في أربع صفحات .

٦ - أما صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) فلم ينسه في كتابه الشهير الوافي بالوفيات وساق له ترجمة مقتضبة «أربعة أسطر» وأورد له ستة عشر بيتاً موزعة على خمس مقطوعات أطولها ستة أبيات .

٧ - واستدركه محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) في فوات الوفيات ، فذكر سجنه في سطرين ثم أورد له أربعة أبيات .

٨ - وطفق محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ) يورد ماجاء به المرزباني في كتابه «معجم الشعراء» ، إذ لم يشذ عنه حرفاً وذلك في كتابه «أعيان الشيعة» .

٩ - وذكره خير الدين الزركلي في كتابه الشهير «الأعلام» ، فسرد له ترجمة في حدود أربعة أسطر ، ذيلها بخمسة من المصادر التي يرجع لها حين البحث في حياته أو شعره .

١٠ - أما الباحث الدكتور فؤاد سزكين فقد حوى كتابه «تاريخ التراث العربي ترجمة للشاعر «ثلاثة أسطر» وأورد سبعة مصادر .

بيد أنه حين أورد تاريخ بغداد (٥/٣٥٧ - ٣٥٨) ظن أن محمد بن صالح النطاح هو المعني في هذه الترجمة فأحال إليها ، ولعله اكتفى بمحمد بن صالح ولم يتحقق من بقية النسب .

١١ - وجاء أحمد مختار البرزة في رسالته للدكتوراه «الأسر والسجن في شعر العرب» ليستشهد ببعض أشعاره (أغلبها في الهامش) معتمداً على الأصفهاني في كتابيه «الأغاني» «ومقاتل الطالبيين» .

بقي أن يشار إلى أن بعض المصادر تورد اسمه عرضاً أو تتمثل بمقطوعة من شعره ، إلا أنها لاتسعف الباحث في أن يجد مايقدم جديداً يتصل بحياته ، وأغلبها ينقل بعضها من بعض أو تتفق في النقل من مصدر آخر قد ضاع .

هذا ما اهتديت إليه من مصادر تتصل به ، ولعل فيها مايجلو الغمة ، وينير الطريق لدراسة حياته وشعره .

ويتفق الرواة والمؤرخون على رفع نسب محمد بن صالح إلى «على بن أبي طالب - رضى الله عنه - وإلى سرد نسبه بـ «محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبي طالب[٢] وفي إحدى روايات مقاتل الطالبيين[٣] ورد خبر عن عم أبي الفرج الحسين ابن

محمد ، حين سرد اسم محمد فأقحم «عليا» بين محمد وأبيه صالح ، ولم يقحمه في رواية الأغاني[٤] .

وتبعه ابن أبي الحديد[٥] حيث سماه «محمد بن علي بن صالح «ويكني» أبا عبد الله»[٦] .

أما لقبه ففريق يرفعه إلى علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فيكون «العلويّ»[٧] ومنهم من يقصره على «الحسن» فيلقب بـ «الحسَنّي»[٨] وفي فوات الوفيات لقب بـ «الطالبي» عنواناً للترجمة[٩] .

وجاء المتأخرون من الباحثين والمؤلفين ليلقبه ، فخير الدين الزركلي بـ «العلوي» الطالبيّ ، القرشي»[١٠] وفؤاد سزكين بـ «العلوي»[١١] .

وتحدثت كتب السير والتراجم عن أسرته بدءاً بجده علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه «بقصص ونبذ وسير»[١٢] فكان أبو جده «موسى» شديد الأدمة وهو ابن لهند بنت أبي عبيدة ابن عبد الله وفيه قالت :[١٣]

إنك إن تكون جَوْناً أنزعا أجدر أن تضرَّهم وتَنْفَعَا
وتسلك العيش طريقاً مهيعا فرداً من الأصحاب أو مشيَّعا

وله مع أبي جعفر المنصور أكثر من موقف ، فيقال : إن[١٤] أبا جعفر أرسل لأبيه عبد الله ابن الحسن «أن أرسل إليَّ أحدكم واعلم أنه غير عائد إليكم أبداً . فابتدره بنو إخوته يعرضون أنفسهم عليه ، فجزاهم خيراً وقال لهم : أنا أكره أن أفجعهم بكم ، ولكن اذهب أنت ياموسى» وطالت قصته معهم فضرب بالسياط وأخلى سبيله ، وحين قدم من الشام إلى البصرة[١٥] كانت عيون أبي جعفرٍ تلاحقه فقبض عليه هو وابنه عبد الله وغلامه ، وضرب بالسياط ثم أطلق سراحهم . وقد قيل إن موسى لم يزل محبوساً حتى أطلقه المهدي ، فتوارى بعد ذلك حتى مات وكان يقول شيئاً من الشعر[١٦] .

أما ابنه عبد الله جد شاعرنا فله مع المأمون (ت ٢١٨ هـ) أكثر من موقف ، فبعد وفاة الأمين توارى عبد الله بن موسى عن الناس وكتب إليه المأمون يعطيه الأمان ، غير أنه رد عليه برسالة طويلة يبين فيها خوفه منه ، وعدم رغبته في الظهور ، وظل عبد الله متوارياً إلى أن مات في أيام المتوكل (ت ٢٤٧ هـ)[١٧] .

في هذه الأسرة عاش شاعرنا يستلهم تاريخه ، ويفكر في الخصومة القائمة بين أسرته والعباسيين ، ولايستبعد أن يكون واحداً من المجتمعين من آل أبي طالب «بسر من رأي» في أيام الواثق (ت ٢٢٣ هـ) الذين كانت تجري عليهم الأرزاق حتى تفرقوا في أيام المتوكل (ت ٢٤٧ هـ)[١٨] .

وسكتت المصادر عن الحديث عن حياته المبكرة كما سكتت عن حياة والده صالح . وحين شب عن الطوق فيما أرى ، أطلت علينا أخبار من رواة متعددين تقول :

إن محمد بن صالح خرج وأصحابه على قافلة ، فقاتل من كان فيها واستولى عليها ، إلا أنه

بسبب إمرأة في القافلة أجارها وحماها وأعلن حربه على من يأخذ خيطاً أو عقالاً .[١٩] وقال في ذلك[٢٠] : (إني خرجت في سنة كذا وكذا ومعى أصحابي على القافلة الفلانية . «لم يحدد السنة ولم يسم القافلة – فقاتلنا من كان فيها ، فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينما أنا احوزها وأنيخ الجمال ، إذ طلعت عليَّ امرأة من العمارية مارأيت قط أحسن منها وجها ، ولا أحلى منطقاً ، فقالت يافتى ، إن رأيت أن تدعو لى بالشريف المتولى أمر هذا الجيش ، فقلت : قد رأيته وسمع كلامك ، فقالت : سألتك بحق الله وحق رسوله – ﷺ – أنت هو ؟ فقلت : نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو . فقالت أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحرى (أو الحربي) » ولأبي محل من سلطانه ، ولنا نعمة ، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ماسمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ، ووالله لااستأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليَّ ، وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالاً ، وهذا حلى عليّ من خمسمائة دينار فخذه وضَمِّنِّي ماشئت بعد ، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عني ، واحمنى من أصحابك ، ومن عار يلحقني) .

ومرت السنون وخرج مع جماعة على المتوكل سنة ٢٤٠هـ ، فبعث له أبا الساج[٢١] ، فقيده وحمل فيمن حمل إلى «سر من رأى» ومكث في سجنه ثلاث سنين وللحادثة روايتان أولاهما أن أبا الساج ظفر بمحمد بن صالح وبجماعة من أهل بيته حين خرج في سويقة «منزل للحسينيين»[٢٢] ، وثانيهما : أن عمه موسى بن عبد الله بن موسى[٢٣] خاف أبا الساج على نفسه وولده فضمن له تسليم محمد ، وجاء موسى إلى محمد فأعلمه ذلك وأقسم عليه لَيلْقِيَنَّ سلاحه ، ففعل وخرج إلى أبى الساج فقيده وحمله إلى «سُرَّ من رأى» مع جماعة من أهله»[٢٤] وظل في السجن كما سبق ثلاث سنوات وقد وصف السجن بقوله[٢٥] : «فلما أخذت وحبست ، بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السجان وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليَّ أن يدخل عليك أحد ، إلا أنهما أعطتاني دُمْلُج ذهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما في الدهليز ، فاخرج إليهما إن شئت ، ففكَّرتُ فيمن يجيئني في هذا البلد ، وأنابه غريب ، لاأعرف أحداً ، ثم قلت لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي ، فخرجت إليهما ، فإذا بصاحبتي ، فلما رأتني بكت لِمَا رأت من تَغَيُّرِ خِلْقَتي وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو ؟ فقالت : إي والله إنه لهو ، ثم أقبلت على فقالت فداك أبي وأمي ، والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت ! وكنت بذلك منى حقيقاً ، والله لاتركت المعاونة لك ، والسعى في حاجتك ، وخلاصك بكل حيلة ، ومال وشفاعة ، وهذه دنانير وثياب وطيب ، فاستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك ، حتى يفرِّج الله عنك ، ثم أخرجتْ إليَّ كسوة وطيباً ومائتي دينار ، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف ، وتواصل برها بالسجان ، فلايمتنع من كل شيء أريده» .

وظل في سجنه حتى تغنى بنان في حضرة الخليفة بقصيدة قالها شاعرنا في السجن مطلعها :[٢٦]

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتشعبت شعباً به أشجانه

وحين وصل إلى قوله :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى بَرْقٌ تألقَّ مَوْهِناً لمعانه

استحسن المتوكل اللحن والشعر ، وسأل عن قائله فإذا الفتح بن خاقان (ت ٢٤٧ هـ) يحفظ قصيدة أخرى قالها محمد بن صالح مدحاً في المتوكل مطلعها :[٢٧]

أَلِفَ التُّقى وَوَفَى بنَذْر الناذر وأبى الوقوف على المحلّ الداثر

فأمر الخليفة المتوكل بإطلاق سراحه ، على أن يكون تحت بصر الفتح ومراقبته لايبرح «سُرَّ من رأى» ولايخرج إلى الحجاز[٢٨] .

وبعد خروجه من السجن ، سعى جاهداً لأن يتزوج حمدونه تلك المرأة التي خلصت القافلة من الشاعر وجماعته حينما خرجوا عليها ، خلصتها بحكمتها وحسن أسلوبها ، وهي التي أيضاً واصلت برها بالشاعر مدة بقائه في السجن مجازفة بسمعتها في سبيل خدمته ، فقد خففت عنه معاناة السجن : بما ترسله له كل يوم ، وماتصنعه مع السجان من أعطيات .

وقد وجد من أهلها صعوبة في الزواج منها باديء الأمر ، حتى استعان بصديقه إبراهيم ابن المدبر (ت ٢٧٩ هـ)[٢٩] فخطبها له ، وزوجها إياه ، ودفع الصداق عنه فقال :[٣٠]

لعمر حمدونة إني بها لمغرم القلب طويل السَّقام

مجاوز للقدر في حبها مباين فيها لأهل الملام

مطَّرح للعذل ماضٍ على مخافة النفس وهولِ المقام

إلى أن يقول :

تلك التي لولا غرامي بها كنتُ بسامرا قليل المقام

ولم يتوقف عند هذا الحد ، بل نراه حين يهم بالسفر يتردد خشية أن يفارقها فيقول[٣١] :

أأضرِبُهنَّ كي يَبْعُدْنَ عنها أشلَّ الله يومئذ يميني

بل يتعدى هذا الحب وتلك الغيرة إلى مابعد الوفاة ، فمن فرط حبه تمنى أن يشتري المنايا لتموت حمدونة قبله ، خوفاً أن يحظى بها زوج غيره بعد وفاته[٣٢] .

لو ان المنايا تشترى لاشتريتُها لأم الحميدِ بالغلاءِ على عَمْدِ

وماذاك عن بُغْضٍ ولا عن ملالة ولا أن يكون مثلها أحدُ عندي

ولكنْ أخافُ أن تعيش بغِبْطَةٍ وقدْ مِتُّ أن يحظى بها أحدُ بعدي

وكان فيما يبدو وحيداً بسامرا حين سجن ، فلم يكن أهله يقيمون هناك ، يؤيد ذلك أنه حين جاءه السجان وقال له(٣٣) إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، فقال «فمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب» .

ويعد خير الدين الزركلي وفؤاد سزكين وشاهد هادي شاكر هذا الشاعر ممن ولي إمارة المدينة في عهد الواثق(٣٤) (ت ٢٣٢هـ) يحددها الزركلي(٣٥) وبعده شاهد هادي شاكر(٣٦) سنة (٢٢٩هـ) ويكتفي فؤاد سزكين بأنها أيام الواثق(٣٧) .

وفي يقيني أن الزركلي اعتمد على ماجاء به ابن تغري بردى في كتابه النجوم الزاهرة حيث قال :(٣٨) «وفيها – أي سنة ٢٢٩هـ – ولي الواثق محمد بن صالح إمرة المدينة» فلم يذكر ذلك أحد غيره من مؤلفي الكتب التي رجع إليها الزركلي ، وتبعه في ذلك د . فؤاد سزكين وشاهد هادي شاكر ، غير أن محمد بن صالح هذا ليس بشاعرنا ، بل هو محمد بن صالح بن العباسي بن محمد بن على العباسي(٣٩) .

ورواية ابن تغري بردي تكتفي بالاسم والأب ومن هنا جاء اللبس .

والمتتبع للروايات المختلفة في الكتب التي تعني بإيراد شعر محمد أو خبره ، يجد أن هناك أسماءً لها اتصال وثيق بمحمد ، لعل أبرزها إبراهيم بن المدبر (ت ٢٧٩هـ)(٤٠) الذي مدحه الشاعر بمدائح كثيرة(٤٠) منها(٤١) :

أخ واساك في كَلَبِ الليالي وقد خذل الأقارب والنصير

وسعيد بن حميد (ت ٢٥٠هـ) الذي لايكاد يفارق شاعرنا ، فكانا يتقارضان الشعر ، ويتكاتبان به ، وقال فيه الشاعر(٤٢) .

أُصَاحِبُ من صاحبتُ ثُمَّتَ أنثنى إليك أبا عثمان عطشان صاديا

ولأحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)(٤٣) معرفة بشاعرنا لانعلم متى كانت ، غير أنه كان عند أحد أصدقائه مع محمد بن صالح ، وبعد أن ذهب من الليل نصفه استأذن محمد الذهاب إلى بيته ، بيد أن ابن أبي طاهر أشفق عليه وطلب منه المبيت خوفاً عليه من الخروج في وقت متأخر من الليل ، فما فتيء أن ابتسم بعد أن تقلد سيفه وقال :(٤٤)

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليل لم أُهَلْ لشيء ولم تَقْرَعْ فؤادي القوارعُ

ويطل علينا خبر آخر رواه أحمد بن أبي طاهر أن الشاعر ، حينما مر بقبر بعض ولد المتوكل ورأى الجواري يلطمن وجوههن عنده قال(٤٥) :

رأيت بسامرا صبيحة جمعة عيونا يُروق الناظرين فُتورُها
تزور العظام الباليات لدى الثَّرى تَجَاوزَ عن تلك العظام غَفورُها

وكل أخباره التي جاء بها المؤرخون والرواة في عقد من حياته أغلبها منذ سجن سنة (٢٤٠هـ) حتى وفاته التي اختلف فيها، فالأصفهاني في كتابيه «الأغاني» و «مقاتل الطالبيين» اكتفي في أولهما بقوله: إن الشاعر توفي بـ «سامرا»[٤٦] دون أن يحدد السنة، وحاول أن يقرب من عقد وفاته حينما قال في الثاني «وكانت وفاته في أيام المنتصر[٤٧]».

ويقتفي أثره أسامة بن منقذ حين ركز على أن الوفاة بـ «سرَّ من رأى»[٤٨] دون تحديد السنة.

أما خليل بن أيبك الصفدى (ت ٧٦٤هـ) فقد حدد العقد الذي توفي فيه، بيد أنه تردد بين سنة (٢٥٢هـ) و (٢٥٥هـ)[٤٩] وحدد خير الدين الزركلي وفاته بسنة (٢٤٨هـ) معتمداً على قول الأصفهاني في مقاتل الطالبيين حين قال (إن وفاته كانت في أيام المنتصر)[٥٠] وخلافة المنتصر من سنة (٢٤٧هـ) إلى سنة (٢٤٨هـ).

وتبعه في ذلك سامي الصقار حين حقق كتاب تاريخ «إربل»[٥١] حيث ذكر هذا التاريخ مضيفاً إليه تاريخين هما (٢٥٢هـ) و (٢٥٥هـ) وهى سنون أورد أولها خير الدين الزركلي وثانيها وثالثها الصفدى وهما مصدران اعتمد عليهما المحقق فأحال إليهما.

وأغلب من حدد مكان الوفاة حدده بـ «سر من رأى» «ما عدا الباحث الدكتور فؤاد سزكين[٥٢] والمحقق سامي الصقار[٥٣] فقد جعلا وفاته بالحجاز، ولعلهما اعتمدا على الصفدى وابن شاكر الكتبي حينما قالا «ثم أطلق سراحه فأقام بـ «سُرَّ من رأى»، ثم عاد إلى الحجاز»[٥٤] بيد أن قولهما هذا لايؤكد مكان الوفاة لاسيما وأن له محاولات في الخروج ولكن لم يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز كما قال الأصفهاني[٥٥].

وتوفى لإصابته بالجدري[٥٦]، وقد رثاه صديقه سعيد بن حميد بقصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً منها[٥٧]:

بأي يَدٍ أسطو على الدهر بعدما أبان يدي عَضْب الذبابين قاضبُ
فقدت فتى قد كان للأرض زينةً كما زينت وجه السماءِ الكواكبُ

شعـــره

لم يذكر المؤرخون أو المهتمون (بمحمد بن صالح) أن له ديوانَ شعر خط في حياته أو ذكر بعد وفاته، بل ضاع أكثر شعره حيث يقول الأصفهاني «ولمحمد بن صالح في آل المدبر مدائح كثيرة، لا معنى لذكرها في هذا الكتاب»[٥٧] وقال في موضع آخر: «وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم ابن المدبر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا العمل، ولصداقة كانت بينهما»[٥٨] وكل ماعثر عليه من شعر

في الكتب المتفرقة مائة وثلاثة وثلاثون بيتاً تتوزع في ثمان وعشرين قصيدة ومقطوعة ، وبيتين أو بيت ، وهى تترجح بين مصدر أو أكثر ، وشعره هذا يوجد منه عند الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في الأغاني اثنان وثمانون بيتاً في اثنتى عشرة مقطوعة[٥٩] ، وفي «مقاتل الطالبيين» منها سبعة وسبعون بيتاً[٦٠] .

وذكر الحميدي (ت ٤٨٨هـ) في كتابه جذوة المقتبس[٦١] ثلاثة أبيات ، وذكر له الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)[٦٢] في محاضراته أربعة أبيات وروى له ابن الجوزي (ت ٥٠٧هـ)[٦٣] في «المنتظم» سبعة أبيات .

وأورد أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)[٦٤] في «المنازل والديار» ثلاثة أبيات . أما ابن دحية (ت ٦٦٣هـ) فأورد أربعة أبيات في كتابه «المطرب»[٦٥] ويورد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في كتابه «وفيات الأعيان»[٦٦] أربعة أبيات وابن الفضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في مسالك الأبصار[٦٧] عشر مقطوعات لم يتردد منها عند أحد غيره سوى خمسة أبيات ، ومعظم هذه المقطوعات على غير ماعهده الشعر العباسي في «القرن الثالث الهجري» عصر الشاعر فالأبيات لاتخلو من الزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية المقصودة .

وأورد ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) في أنوار الربيع مقطوعة من ثمانية أبيات .

ومن شعره المتفرق هذا تنفرد سبع مقطوعات بوصف الشاعر علاقته مع حمدونة وهى من أكثر شعره الذي نحا هذا المنحى ، فلقد كانت حمدونة منعطفاً هاماً في حياته بثها حبه ، وشجونه ، وأفضى إليها شؤونه ، ولعله يقصد بها هذا البيت[٦٩] .

رقيقة مجرى الدمع أما شبابها فَغَضٌّ وأما الرأي منها فكامل

وقد ذكرها الشاعر صراحة أو سبقت بتعليق من الرواة – عدا هذا البيت إذ قال فيها :[٧٠]

خطبت إلى عيسى بن موسى فردني فلله والي حُرَّة وطليقهـــا

وجاء باسمها صراحة الأصفهاني قبل إيراده القصيدة[٧١] .

وفي قصيدة أخرى قال الشاعر :[٧٢]

لعمـــر حمدونـــة إنى بها لمغرم القلب طويل السقام

وفي مقطوعة أخرى :[٧٣]

رموني وإياها بشنعاءَ هم بها أحق أدال الله منهم فعجَّلا

وقال في أخرى :[٧٤]

لو ان المنايا تشترى لاشتريها لأم الحميد بالغلاء على عمد

وقوله :[٧٥]

أأضربُهُنَّ كي يَبْعُدْن عنها أشلَّ الله يومئــذٍ يمينــي

وقال في مقطوعة أخرى :[٧٦]

ألم تر ما أمّ الحميدِ تنكَّرت لنا فأطاعتْ كل باغ وحاسد

وأغلب هذا الشعر قاله في فترة قصيرة من عمره قد لاتعدو خمس عشرة سنة ، من سنة ٢٤٠هـ إلى وفاته ٢٤٨هـ أو ٢٥٢هـ أو ٢٥٥هـ . وتاريخ الشعر هنا قد يخدم قضية تاريخية أو تحولاً في شعر الشاعر . والفترة التي سبقت سجنه فترة منسية لم يعثر له فيها على شعر ، ولعل المقطوعات التي أوردها ابن فضل الله العمرى خلوا من التاريخ . أو الحدث المقرب له ، قالها في فترة متأخرة من حياته ، لاسيما وأن فيها بوادر المحسنات اللفظية والصنعة البديعية . وإذن يكون من الشعراء الذين نهجوا هذا المنهج .

وشعره تناول محتده ونسبه في أكثر من مقطوعة .

كقوله :[٧٧]

لقد رَدَّني عيسى ويعلم أنَّني سليلُ بناتِ المصطفى وعريقُها

وقوله :[٧٨]

وعطفتَ بالرَّحِمِ التي ترجو بها قربَ المحلِّ من المليكِ القادرِ

وقوله :[٧٩]

معي حسبي لم أُرْزَ منه رَزيَّة ولم تَبْدُ لي يومَ الحفاظ عيوبُ

ثم انعطف على الشجاعة والوفاء :[٨٠]

إذا ماشتملتُ السيفَ والليل لم أُهَلْ لشيءٍ ولم تَقْرَعْ فؤادي القوارعُ

فالسماحة والسخاء والعفو عند المقدرة :[٨١]

لو امكنتنى غداتئذٍ جلادٌ لألفوني به سَمْحاً سَخِيًّا

بيد أنه حين جاء على وصف حمدونة ، رأيناه أكثر صدقاً مع نفسه ومع حياته . .

هذا هو شعره الذي آثرت أن أحيل القارىء على مصادره ، وألاّ أثقل الدراسة بعمل ليس هذا مكانه – غير أن أحدها وهو مسالك الأبصار «مازال مخطوطاً وهو كتاب ضخم كما سبق ، يحتاج إلى هيئة ترقى بتحقيقه ، والوصول إليه قد يكون فيه صعوبة ففضلت أن أجعل ترجمة ابن فضل الله العُمَري للشاعر ومقطوعاته العشر ملحقاً بهذه الدراسة . لتتم الفائدة ، ويحسن الرجوع إلى أي نص منها يراد قراءته أو مناقشته .

وشعره الذي بين أيدينا استطاع أن يرسم شخصيته ، فمع ماأصابه من سجن ، إلا أنه كان ثابت الجأش متفائلاً بالحياة ، حتى في هجائه كان نزيهاً ، فلم أعثر له إلا على موقفين أحدهما هجاؤه لأبي الساج حيث يقول :[٨٢]

أَلم يحزنك يادلفـــاء أني سكنت مساكن الأمواتِ حياً
وأن حَمَائلي ونجاد سيفي علون مجدَّعا أشْرٌ وسنِيًّا
فقصّرهن لما طُلْنَ حتى استوين عليه لا أمْسَى سويا
أما والراقصات بذات عرق تريد البيت تحسبها قِسيا
لو امكنني غداتئذٍ جِلادُ لألفوني به سمحا سَخِيّا

فأبو الساج – أحد قواد المعتمد العباسي (ت ٢٦٦هـ) أوكل إليه تقييد الشاعر وحمله إلى سر من رأى – كما مر ومع هذا نجد هجاء لاينزل إلى مستوى الحقد – إن صح هذا التعبير – بل يرتفع إلى أن يكون الشاعر «سمحاً سخياً» لو تمكن من القبض عليه ، ولن يكون معه مثل مافعل به ، وهو هجاء خفيف عف ، ليس فيه إفحاش ولا إسفاف .

وثانيهما من آل خاقان حيث تخلوا عنه حين سجن :[٨٣]

وما في آل خاقانٍ اعتصامُ إذا ماعُمِّمَ الخَطْبُ الكبير
لئام الناس إثراءً وفقـراً وأعجزهم إذا حمى القتير
قويم لايزوجهـــم كريم ولاتُسْنَى لنسوتهم مهـور

وآل خاقان منهم عبيد الله بن يحيى (ت ٢٦٣هـ) الذي تحامل على الشاعر ليؤكد عند الخليفة مايوجب حبسه[٨٤] .

ومن أشهر قصائده ذيوعاً وانتشاراً القصيدة التي مطلعها[٨٥] :

١ – طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتشعـبت شعبابـه أشجانـه

إذ تغني بها أكثر من مغن ومغنية : بنان ورذاذ [جارية اشتريت من بغداد لتميم بن المعز] والقصيدة غنيت في حضرة الخليفة المتوكل والأمير تميم بن ا لمعز (ت ٣٧٤هـ) في مصر أو تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي (ت ٥٠١هـ) بعد وفاة الشاعر .

بعد المطلع :

٢ – وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى برقُ تألَّـقَ مَوْهِنـاً لمعانُـهُ
٣ – يبدو كحاشية الرداء ودونه صعبُ الـذُرى متمنـع أركانُـه
٤ – فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ نظـرا إليـه وردَّهُ سجَّانُـهُ
٥ – فالنار مااشتملت عليه ضلوعه والماء ماسَحَّتْ به أجفانُـهُ
٦ – ثم استعاذ من القبيح وَرَدَّهُ نحو العـزاءِ عن الصِّبـا إيقَانُـهُ
٧ – وبدا له أن الذى قد ناله ماكان قَدَّره له دَيَّانُـهُ
٨ – حتى اطمأنَّ ضميره وكأنما هتك العلائـقَ عامِـلُ وسنانُـهُ
٩ – ياقلب لايذهبْ بحلمك باخلٌ بالنَّيْـلِ باذلُ تافـهٍ منَّانُـهُ

١٠ – يعد القضاء وليس ينجز موعدا ويكون قبل قضائه ليَّانُهُ
١١ – خَدِلُ الشَّوى حَسَن القوام مُخَصَّرٌ عذبٌ لماهُ طَيِّبٌ أردانُهُ
١٢ – واقنع بما قسم الإله فأمرُه مالايزالُ على الفتى إتْيانُهُ
١٣ – والبؤسُ ماضٍ مايدوم كما مضى عصرُ النعيم وزالَ عنك أوانُهُ

وهى قصيدة تموج بالموسيقى في شكلها وصورها ، وسيكون في مقدور منشدها أن يحس فيه بإيقاع داخلي ، غير توزيع الشعر العروضي . وتسيطر على القصيدة صورتان هما الفرح والحزن فما تفتأ الفرحة تطل حتى يغشاها حزن . ومافتىء الحب يخبو ويندمل حتى يعترض الطريق من يثير الكوامن .

فالقصيدة كلها : طرب/ حاشية الرداء/ حسن القوام/ عذب الماه/ طيب أردانه/ عصر النعيم . يقابله : أحزانه : أشجانه : اندمل الهوى/ صعب الذري/ سجانه : سحت به أجفانه : ديانه/ سنانه/ البؤس/ وهكذا بنى قصيدته على هاتين العاطفتين الفرح والحزن .

وقد كثرت الدراسات حول الصورة الشعرية ، وأكثرها تشير إلى أحد وظائف الصورة ، وهي الجمع بين المتباعدات ، فالجمع بين هذه المتباعدات – ظاهراً – يصور لنا حدة الانفعال عند الشاعر ، وينقلنا إلى عالمه الداخلي بما فيه من أحاسيس وهواجس ورؤي . وتظل معادلة المتباعدات واضحة في هذا البيت :

والبؤس ماض مايدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوانه

فـ «البؤس» و «النعيم» ماضيان ، فصهر النعيم بالبؤس ، خوفاً على نهاية النعيم وأملاً في أن ينتهي البؤس ، فكانت نظرة الشاعر نظرة «مستقبلية» ، خوف ورجاء شغلاه عما هو فيه من سعادة في حالة نعيمه «حينما كان طليقاً» وتعاسة في حالة بؤسه «حينما كان سجيناً» .

وحين اتجهت بعض الدراسات لمناقشة الفعل والاسم في النص الشعري كظاهرة على الثبات أو الحركة ، فإن ماهية اللغة أن تكون الأسماء فيها أكثر من الأفعال ، وأرى أن تنصب الدراسة على علاقة الأفعال بعضها مع بعض ، وعلاقة الأسماء مع بعضها في النص نفسه .

ولن أعمد هنا إلى حصر الأفعال «ماض ، حاضر ، مستقبل» = حركة ، والأسماء = ثبات ، لاسيما وأنها ستوصلني لنتيجة معروفة سلفاً من أن الأسماء ستكون أكثر من الأفعال .

غير أن القصيدة دارت في حركتين حركة «الماضي» وحركة «المستقبل» وسكتت عن الحاضر – وهى ظاهرة ملموسة في الشعر ، فالماضي ذكرى «مفرحة أو محزنة «والمستقبل» «أمل» . فهو يخاف من الفرح إذ سيجلب قبل أن يتحقق عذابات كثيرة ، فمن الطرب تكون معاودة الحزن ومن ظهور المحب يستجد الجرح ، ومن الرقة تبدو صعوبة المنال ، ومن النظرة يكون نداء السجان . فرابط القصيدة خيط شعوري حزين ، يطرأ عليه دواعي الطرب حيناً :

والبؤس ماض مايدوم كما مضى عصر النعيم وزال عنك أوانه

وبنى قصيدته على بحر الكامل الذي يسهم بحركاته الغالبة على سكناته في أن يفرغ الشاعر شحناته النفسية واندفاعاته نحو هدفه .

وجاءت آخر الكلمات في الأبيات :

أشجانه ، لمعانه ، أركانه ، سجانه ، أجفانه ، إيقانه ، ديانه ، سنانه ، منانه ، ليانه ، أردانه ، إتيانه ، أوانه ، كلمات مطلقات الدلالة على جنسها ، غير مضافة إلى اسم سابق . فكانت ذات استقلالية في دلالتها .

أما قصيدته التي يمدح بها المتوكل ، فقد كسر فيها النمط المألوف عند الشعراء القدامى ، إذ كان من البدهي – عندهم أن يقدم الشاعر تغزله بمحبوبته ، واحتراقه بنارها فالحب الأول عند شاعرنا هو التقى والوفاء والأوب عن الصبابة إلى الهداية . وقصر مدحه على الخليفة لأسباب يوضحها لاحقاً في القصيدة .

ففي أبياته الثلاثة الأول حَكَّم العقل فيها على العاطفة وسيطر على الموقف سيطرة تامة ، وأوضح موقفه أيما إيضاح :(٨٦)

ألف التقى ووفى بنذر الناذر وأبى الوقوف على المحل الداثر

ولقد تهيج له الديار صبابة حينا وتُكْلف بالخليط السائر

فرأى الهداية أن أناب وإنه قصر المديحَ على الإمام العاشر

وحين مدح حاول أن يستثير العاطفة ، وأن يذكر علاقة النسب بينه وبين الخليفة ، وأن تكون محور التخاطب ، بيد أنه تراجع في ظلال منزويه لكي لايكون مساوياً أو نداً للخليفة ، بل ظلاً له ، فطفق يصف الخليفة بصفات لم ينفرد بها وحده ، بل اشترك معه الشاعر فيها ، ثم عرج على فضائل الممدوح بأسلوب يستثيره على تمكينه من خروجه من السجن .

يابن الخلائف والذين بِهدْيهم ظهرَ الوفاء وبان غدرُ الغادر

وابن الذين حَوَوْا تراث محمدٍ دون الأقارب بالنصيبِ الوافِرِ

نطق الكتابُ لكم بذاك مصدِّقاً ومضتْ به سنن النبيِّ الطاهرِ

ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدَى إذ نلتها وأنمتَ عين الساهر

أحييت سُنَة من مضى فتجددتْ وأبنتَ بدعة ذي الضلال الخاسِر

فافخر بنفسك أو بِجَدِّك معلنا أودع فقد جاوزت فخر الفاخر

وحين جاء على نقطة خلاف بين العلويين والعباسيين أراد أن يحسم الموقف حسماً لاتردد فيه :

ماللمكارم غيركم من أوَّلٍ بعدالنبي ومالها من آخر

وهو بيت يبث الطمأنينة والارتياح النفسي عند الممدوح بل العباسيين جميعاً ، في قضية شغلتهم ، ولم

يتوقف عند هذا ، بل جاء على مكارم الممدوح وحميد فعله :

إني دعوتك فاستجبت لدعوتي والموت مني قيد شبر الشابر

ففيه أسلوب تقريري مؤكد يعلن فيه الشاعر للملأ أن الخليفة فك أسره وحماه من مهلكه أوشك على الوقوع فيها ، فما أجمله في هذا البيت السابق فصله في البيت الذي يليه :

فانتشتنى من قعر موردة الردى أمنا ولم تسمع مقالة زاجر

والشاعر عنده يقين جازم بأن في القوم من يريد له أن يطيل المكوث في السجن أو أن يلحقه تعذيب فيه ، ومع هذا فقد عصاهم الخليفة وأمر بإطلاقه ونرى أضعف أبياته موقفاً وأكثرها تأججاً عاطفياً هذا البيت :

وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى غرضاً ببابك للملم الفاقر

فقد بثه توسلاته بألاّ يعطي حساده فرصة فيفقروا ظهره ويصيبوه بأذى كثير .

وعدد مخاوفه من هؤلاء الناس بين فاقر لظهره ، ومضيع له ، وقد كان ملتحفاً لحافاً تعيساً ، ومتكئاً على شفا حفرة من الهلاك فحين اطمأن على نفسه ، جاء ليختم القصيدة ببيت كله اعتراف وشكر على مافعله الخليفة بالشاعر :

ولقد مننتَ فكنتَ غير مكدر ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكر

وقد اختار لقصيدته بحر الكامل ، وهو بحر يوحي بالنفس الطويل ، ويساعد إيقاعه على المفاجأة والصعود ، وهو من أكثر البحور طواعية للشاعر حيث موسيقاه المتكررة ، واتفاقها مع الشحنات العاطفية المحتدمة عند الإنسان ، يساعد على ذلك كثرة الحركات التي اختصت بها تفاعيله ، فتتابعت مع ايقاع السكون ، والشاعر هنا تجنب تغليب السكنات على الحركات ، فلم يستعمل (متْفاعلن = مستفعلن) إلا نادراً ليخرج به من الرقة إلى الفخامة لأن موقفه موقف مادح شاكر .

بيد أن البيت الحادي عشر حين سَكَّن ثواني أسبابه جاء رقيق العاطفة :

إني دعوتك فاستجبت لدعوتي والموت مني قيد شبر الشابر

ثم يختار لها قافية تؤكد على إيقاع يوحي بالحزم والصرامة والشجن ، واختار لها حرفاً يؤكد إيقاعية البيت وهو الراء ليسبق بالمد الذي يعطي زخماً لغوياً ونَفَساً ينتهي بإيقاع مع نبر .

وفي قصيدة أخرى يخطب فيها حمدونة بنت موسى بن عيسى أو أخته ، يسجل الشاعر حدثاً مهماً في حياته تسجيلاً سردياً غائياً :(٨٧)

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردَّني فلله وإلي حرة وعَليقُها
لقد ردني عيسى ويعلم أنني سليلُ بنات المصطفي وعريقها
وأن لنا بعد الولادة نبعةَ نبيٌّ الإله صنوها وشقيقُها
فلما أبى بُخْلاً بِهَا وتَمَنُّعا وصيَّرني ذا خُلةٍ لا يُطيقُها

تداركني المرءُ الذي لم يزل له ... من المكرمات رحبها وطليقُها
سَمِيُّ خليل الله وابنُ وليه ... وحَمَّالُ أعباء العلا وطريقُها
وزَوَّجَها والمَنُّ عندي لغيره ... فيابيعةً وَفَّقْتِنِيَ الريح سوقُها
ويانعمة لابن المدبّر عندنا ... يَجِدُّ على كَرِّ الزمان أنيقُها

فهاهو ذا يؤكد أنه خطب إلى عيسى بن موسى ، بيد أنه رفض ذلك ليس احتقارًا له ولا إزدراءً ، بل خوفاً من المتوكل وولده على نفسه ، فالشاعر يؤكد أن عيسى بن موسى يعلم علم اليقين أن الشاعر سليل بيت المصطفى ، ومع ذلك كرر المحاولة مرة أخرى مستعيناً بصديقه إبراهيم بن المدبّر الذي أضفى عليه الشاعر صفات حميدة «المكرمات – رحبها – وطليقها» .

وقد عمد إلى السرد الغائي من غير أن يستعمل في أسلوبه مؤكدات كثيرة ، لأنها قضية محسومة عند الشاعر والمتلقي عيسى – ولكنه أراد أن يثبت ذلك لعموم السامعين ، وألاّ يجعل المنع لهذا السبب ، بل هو رغبة فيه وخوف من غيره ، وحينما تنبه لهذه المسألة ، أراد أن يتدخل صاحب حظوة ورأي لايستطيع معها الرفض ، فاستعان بصديقه إبراهيم بن المدبّر «سمى خليل الله» فكانت المنة له .

والقصيدة بناها على متضادين هما المنع والإيجاب : فردني/ ردني/ أبى/ وصيرني/ والإيجاب/ تداركني/ وزوجها/ وَفَّقْتِنِي .

وجاءت على بحر الطويل الذي يساعد على الصعود والهبوط ، واختار لها قافية ينتهي معها النفس ، ولايحس القارىء بالوقف المباشر ، بل فإفساح المجال أمام الآهة أن تنتهي بروى القاف الموصول بالهاء الممتدة بحرف الخروج الذي يساعد على النهاية .

وهناك قصيدة أخرى في مدح إبراهيم بن المدبر .

النص :(٨٨)

١ – أتُخْبِر عنهم الدِّمَنُ الدثور ... وقد يُنْبِي إذا سُئِلَ الخبيرُ
٢ – وكيف تُبَيِّنُ الأنباءَ دارٌ ... تعاقبها الشمائِلُ والدَّبُورُ
٣ – فهلا في الذي أولاك عُرفاً ... تُسَدِّى من مقالك ماتُنيرُ
٤ – ثناءً غير مختَلَقٍ ومدحاً ... مع الرُّكْبانِ يُنْجِد أو يَغُورُ
٥ – أخٌ واساك في كَلَب الليالي ... وقد خَذَلَ الأقاربُ والنصيرُ
٦ – حفاظاً حين أسلمك الموالى ... وضَنَّ بنفسه الرجلُ الصبورُ
٧ – فإن تشكرْ فقد أولى جميلاً ... وإن تكفرْ فإنَّكَ لَلْكَفُورُ
٨ – ومافي آل خاقان اعتصامٌ ... إذا ماعُمَّمَ الخطبُ الكبيرُ
٩ – لئام الناسُ إثراءً وفقراً ... وأعجزهم إذا حَمِىَ القتيرُ
١٠ – قويم لايزوجهم كريمٌ ... ولا تُسْتَنَى لنسوتهم مهورُ

هذه القصيدة وقف فيها على الأطلال لا ليصف فيها مكان معشوقته ، ولا ليتذكر صفاء اللقاء ، وتوهج الشوق ، بل ليعظ قوماً – سيأتي على ذمهم في آخر النص .

وليمدح إبراهيم لموقفه النبيل منه في محنته :

أتخبر عنهم الدمن الدثـــور وقد ينبي إذا سئل الخبيرُ
وكيـف تُبَيِّـنُ الأنبـــاء دارٌ تعـاقبها الشمائـــل والدبـــور

فتراه في مدحه بين الخطاب المباشر :

فهلا فى الذى أولاك عرفاً تسدى من مقالك ماتنيـــر

والتفات إلى الغيبة ليحدث الناس عنه :

أخ واساك في كَلَبِ الليالي وقد خذل الأقارب والنصير

فجرد من نفسه شخصاً آخر يخاطبه وهذا منتهى الاعتراف بالجميل ، وقمة الشعور بمحاسبة النفس لتقول «للمحسن أحسنت» وهذا مافعله في البيت السابع :

فإن تشكرْ فقد أولى جميلاً وإن تكفـر فإنك لَلْكَفُـورُ

ثم عرج على آل خاقان فذمهم في الأبيات من الثامن إلى العاشر ، متكئاً على صفة لمسها لمساً حقيقياً في محنته ، وهي عدم اللجوء إليهم عند الشدائد ، أما الصفات الأخرى فلا تعدو أن تكون تفريغاً لشحنات غضب دفينة آثرت الإفصاح عن نفسها ، ليرتاح الشاعر بعدها ، فمن تحقير لهم بأسلوب التصغير «قويم» إلى كلمة ذم «لئام» إلى نقيصة في عصره (ولا تسنى لنسوتهم مهور) .

واختار لقصيدته بحر الوافر الذي يساعد على كسر النمطية في تفاعيله ، وحرف الروى «الراء» الذي يسبقه الردف – وهو أحد حروف المد وقد تعاقب عليه الواو والياء في الأبيات ١ ، ٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، فجاءت مردوفة بياء والأبيات ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ جاءت مردوفة بواو وهما حرفان يوحيان بالاندفاع والتوهج .

وفي أبيات ثلاثة – قد يكون الزمن عدا على أبيات أخرى معها فلم يبق منها إلا هذا الشعر الذي أبان عن صداقة حميمة بسعيد بن حميد ، وأن الرجوع إليه لابد منه مهما تعدد الأصحاب .

فابتدأها ببيت يفتح فيه أبواب الصداقة ويبثها كثيراً من الناس ، ولكنه مايلبث أن يعود لصديقه الحميم أكثر شوقاً وحنيناً إليه :

أصاحبُ من صاحبتُ ثُمَّتَ أنثنى إليك أبا عثمان عطشان صاديا

ومع أن أصدقاء الشاعر أوفياء وأصحاب شهامة ، إلا أن ذلك لايكفي عند المتعطش للصداقة فسعيد في الذروة منها ، ولن يحجبه صديق آخر :(٨٩)

أبي القلبُ أن يُرْوي بهم وهو حائمٌ إليك وإن كانـوا الفـروعَ العواليـا
ولكن إذا جئنـاك لم نبـغ مشربـا سواك وَرَوَّينـــا العظـــامَ الصواديـــا

وقافيته المختومة بحرف الروي الياء المطلق ساعد على حسم الترقب والتوهج نحو اللقاء .

وغزله في قصائده تتابعت فيها نمطية الغزل القديم من وصف حسي – كأغلب الشعراء في عصره – ففي قصيدة يصف فيها حمدونة يصف «الساق . الحشا . الطرف . الوجه» .
ثم وصف رفاهيتها بنؤوم الضحى . . . صامتة الحجل . خفوق الحشا . حائرة الساق . ساجية الطرف . منيرة الوجه .
وقبل أن يصف حمدونة ، وضع نفسه أمام محبوبته بأنه «مجاوز للقدر في حبها . مباين فيها لأهل الملام ، يحدوه في ذلك «قلب يخاف الخنا . وأنه يحمل سيفاً بتاراً أعده لعبث العابثين .
وهكذا تأتي القصيدة في حالة من الديمومة باستعماله اسم الفاعل . المفعول . الصفة المشبه . (مغرم . طويل . مجاور . مباين . الملام . مطرح . ماضي . مخافه . مشايعي . صامته الحجل . خفوق الحشا . حائرة الساق . ثقال القيام . ساجية الطرف . نؤوم الضحى . منيرة الوجه . قليل المقام .
فقد بنى قصيدته كحالته النفسية من ثبات واستقرار (لاسيما في موقفه هذا) . حين تزوجها ، فكانت سبباً في سعادته وفي مكوثه بسامرا – إن تجاهلنا إقامته الجبرية .
وبحر القصيدة السريع وتوالي السكنات مع الحركات ، جعلها ثابتة النمطية كثبات النص إذ لم يكن قلق الحركة لازماناً ولا مكاناً ثم اختار الشاعر حرف الميم الساكن ليؤكد تمام الثبات .
النـــص :(٩٠)

لعمـــر حمدونـــة إني بها ... لمغرم القلب طويل السقام
مجاوز للقـــــدر في حبها ... مبايـــن فيها لأهـــل الملام
مطرح للعذل ماضي على ... مخافة النفس وهول المقام
مُشايعي قلب يخاف الخَنـا ... وصارم يقطع صُمّ العظـام
جشمنى ذلك وجدي بها ... وفضلُها بين النساء الوِسام
ممكـــورة الساق ردينيَّــــةٌ ... مع الشوى الخَدِلِ وحسن القوام
صامتةُ الحجل خفوق الحشا ... مائرة الساق ثقال القيام
ساجية الطرف نؤوم الضحى ... منيرة الوجه كبرق الغمام
زيَّنها الله ومــــــا شأنها ... وأعطيت منـــيتها من تمام
تلك التي لولا غرامي بها ... كنت بسامرا قليل المقام

هذا ويعتور شعره خطان متميزان هما النزعة التقليدية ، والنزعة التجديدية .
فالأولى في محافظته على الوزن والقافية .
والثانية في ابتدائه بمدحه ، وتخلصه من الوقوف على الأطلال وبكاء الديار ووصف راحلته (انظر مقطوعته ألف التقى) ثم ولعه بالتضمين في ستة مواضع .

ويعتبر شعره مظهراً حضارياً فالبيئة العباسية بما فيها من ترف ، وبكاء النساء على القبور ، والتفنن في وصف القلم :

أخـــرس ينبـــيك بأطرافـــه عن كل ماشئت من الأمر
يذري على قرطاسه دمعة يبدي بها السر وما يدري
كعـاشق يخفـي هواه وقـد نَمَّت عليـــــه عَبرة تجري

وشعره الغزلي اتسم بالوصف الحسي الجمالي كالصورة والمشابهات ، فخلا من العمق «القطعة» «لعمر حمدونة» .

وكانت الصورة الشعرية عنده تتفوق على التركيبات البلاغية الأخرى من جناس وتورية وطباق ، فشعره لايكاد يخلو بيت من صورة شعرية إلا ماجاء وصفاً حسياً مباشراً – كما مر في غزله – ولو أحصيت الصور الشعرية جميعاً لأشغلت الدراسة بكم إحصائي ، ليست الدراسة بصدده .

وأكثر ما يطالعنا من شعره البحور التامة ، وأغلبها استعمالاً الطويل ، وهو بحر يكثر الشعراء منه في حالات القلق والاضطرابات النفسية والحزن ، إذ يتيح فرصة ممتدة للشاعر لأن يكمل مايقصده في بيت – لاسيما أن الشعر القديم يعتمد على وحدة البيت – فكان الطويل أقرب البحور إفساحاً للمجال ، لما فيه من دفقات شعرية ، وتموجات حركية ، إذ أمام الشاعر تفعيلات ثلاث (فعولن ، مفاعيلن ، مفاعلن ،) تجاوزا – وتلك ا لمرونة التي تعطيها هذه التفاعيل من زحاف وعله .

ويعطي هذا البحر انفصالاً بين حركة الإيقاع ، وحركة الوزن ، والقصائد أو المقطوعات التي قالها الشاعر على بحر الطويل فخر ، رثاء ، تذمر ، دفاع ، ترقب ، فجاءت اثنتى عشرة مقطوعة .

ثم السريع أربع مرات ومثله الوافر ، فالكامل والرجز مرتان وجاء منفرداً المتقارب ، البسيط ، الخفيف ، المنسرح .

أما تتابع حركة الوافر ، فقد أتاحت للشاعر أن يهجو وأن يفخر ويمدح ، لسرعة حركته ، وتعاقبها وتكرارها (مفاعلن مفاعلن فعول) .

وشعره المتفرق هذا لايشمل مجزوءًا أو رباعي التفعيلة ، بل هو من البحور التامة عدا مشطورين من الرجز ، ربما كانا مطلعا لأرجوزة واحدة أو عجزي بيت منها .

ولخلو شعره من البحور القصيرة والمجزوءة ، فقد كان حريصاً على التضمين في شعره ، حتى إنه يؤثر وحدة النص على وحدة البيت ، فلم يكتف بالبحور الطويلة التي لم تسعفه بما يريد ، فكان يشفع قصائده الطويلة البحور بالتضمين الذي ظهر واضحاً في ست مقطوعات ربما عمد إليه ، ليفسح المجال أمامه ، وليشد السامع على متابعة النص وتعلقه بما سيقال لابما قيل :(٩١) .

١ – فلما أبا بخلاً بها وتَمَنُّعا وصيَّرني ذا خلة لا يطيقهُا
تداركني المرء الذي لم يزل له من المكرمات رحبها وطليقُها

٢ – فلولا قضاء الله أن تعمر الثرى   إلى أن ينادي يوم ينفخ صورها(٩٢)
لقلت عساها أن تعيش – وإنها   شتنتشر من جرًّا عيون تزورها
٣ – رموني وإياها بشنعاء هم بها   أحق أدالَ الله منهم فعجلا(٩٣)
بأمر تركناه ورب محمدٍ   عيانا فإما عفة أو تَجَمُّلا
٤ – فهلا في الذي أولاك عرفا   تسدي من مقالك ماتــــنير(٩٤)
ثناء غيرِ مختلق ومدحـــا   مع الركبان ينجد أو يغور
٥ – أخ واساك في كلب الليالي   وقد خذل الأقارب والنصير(٩٥)
حفاظاً حين أسلمك الموالي   وضن بنفسه الرجل الصبور
٦ – وفي خمسة مني حكت منك خمسة   فريقك منها في فَمِي الطيب الرشف(٩٦)
ووجهك في عيني ولمسك في يدي   ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

وتطالعك حروف الروي : الدال خمس مرات ومثله الراء ، والباء أربع مرات وثلاث مرات لكل من اللام والنون والياء ، ومرة لكل من الضاد والعين والقاف والميم .

ملحـــق
ترجمة الشاعر عند ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في كتابه مسالك الأبصار*

ومنهم محمد بن صالح الحسني/٤٠٨

له من الشرف كاهله ، ومن المجد آهله ، ومن السؤدد ما يرد على من يباهله ، ومن الإبا مايلحقه بالآباء .

حرج على المتوكل فكان المتوكل منتظراً ، وعلى جماعة من أهله مستظهراً ، فأخذهم أشد أخذ ، وقيدهم إلا من شذّ ، وقتل بعضهم ، وأخلى من منازلهم أرضهم ، واجتث مالهم من نخيل ، واستأصل شأفتهم لداية الدخيل وأثر/فيهم آثارا بقيت عليه/٤٠٩ عاراً ، وفي القيامة شناراً يصليه ناراً ، وحمل محمد بن صالح إلى سر من رأى في الحديد ، مغلل الحد منفل العديد ، وحبس بها .

يرى عرفها أجداثاً ، ويأسى كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، ويتناسى بأن جده – عليه السلام – طلق الدنيا ثلاثا . ثم يدخل المتوكل بأبيات غناها بحضرته بنان فطرب لها ، واستحسنها غاية الاستحسان ، وسأل عن قائلها فنسب له ، وأنشده الفتح بن خاقان جملتها شافعاً فقبله وأمر بتسريحه ، وأطلقه من تباريحه وهب له سعد الفتح فأقلع في ريحه ، واشترط عليه أن يكون عند الفتح مقيما ، وألاّ يرى عن سرَّ مَنْ رأى مريما .

ومازال بها إلى أن توفي بالجدري سقيما ، وأول الأبيات :

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه   وتشعبت شعبابه أشجانه
والبؤس ماضٍ لايدوم كما مضى   عصر النعيم وزال عنه أوانه
وبداله من بعدما اندمل الهوى   برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذري متمنع أركانه
فالنار مااشتملت عليه ضلوعه   والماء ماسحت به أجفانه

ومنه قوله :

وفي خمسة مني حكت منك خمسة   فريقك منها في فمي الطيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي   ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

ومنه قوله :

ياصَنَماً أفرع من فِضَّهْ   في خَدِّهِ تفاحةٌ غَضَّهْ
كأنما القبلةُ في خَدِّهِ   بالحُسْنِ من رِقَّتِهِ عَضَّهْ
يهتزُّ أعلاه إذا مامَشَى   وكُلُّهُ من لِيْنِهِ قَبْضَهْ
ارْحَمْ فتى لما تملَّكْتَهُ   أطرقَ بالذُّلِّ فَلَمْ تَرْضَهْ

وقوله :

ونظرة عَيْنٍ تعلَّلْتها   خلاسا كما نظر الأحولُ/٤١٠
تقسَّمْتها بين وجه الحبيب   وطرفِ الرقيب متى يَغْفلُ

ومنه قوله :(٩٧)

ياقمراً ثوبهُ منافِقُهُ   منه حذارِ البلى على خَطَرِ
يامن حكى الماء فرط رِقَّتِهِ   وقلبُه في قَسَاوَةِ الحَجَرِ
ياليت حظي كحظ ثوبك من جِسْمِكَ   ياواحدى من البَشَرِ
لاتعجبوا من بلا غلالته   قد زر أزراره على القَمَرِ

ومنه قوله :

رقيقة مجرى الدمع أما ثيابها   فَغَضٌ وأما الرأيُ منها فكامِلُ
رُدَيْنِيَّة الأعلى هِجَان عَقِيلَةٍ   بأعطافها الحادِيُّ والمسدُ شامِلُ

ومنه قوله وقد رأى هلال الشهر باديا شجوبه ، ممرضاً مثله ، قد أعياه طبيبه هذا وماطلع إلا مؤذناً باللقاء ، ومبينا كأنه نون كتبت معرفة بعضه ينضا في صحيفته رزقاً أمسك بغرة حقاق الليل ، فلم يدع له نَفَساً ، وصاغ منمله من الرمثُ ليحصد من زهر النجوم نرجسا مثل شطر طوق المرأة في التذهيب ، أو حاجب زنجي جلله المشيب :

ماللهلال ناحلا في المغربِ
كالنون إذْ خُطَّتْ بماءِ الذَّهَبِ
أفارقته الشمسُ عن تَعَتُّبِ ؟
فراح نضوا كالمريض الوصِبِ
كأنما حَلَّ به ماحَلَّ بِي
من الضنى عند فراق زينبِ

وقوله : وهو بَكَفَّيه لأنَّهُ كمل معناه ، وأتمَّهُ تمامه لايقدر غيره يوفيه :

تأمل نحولي والهلال إذ بدا   لليلته في أفقه أينا أضنى
على أنّه يزداد في كل ليلةٍ   نُمُوًّا وقلبي بالضنى أبداً يَفْنَى

وقوله :

رب ليل وهت لآلي دموعي   فيه حتى وهت لآلي الثريا/١١١٤
وهبوب الضياء من أُفَقِ المشـ   ـرق بدد الظلام شيئاً فشيئا

وقوله :

أما ترى الجوزاءَ في سيرِها   ناعسة واهيـــــة تَسْحبُ
نِطاقُهــا واه لدى أفقهــا   ينسَلُّ منــه كوكبٌ كوكبُ

وقوله :

والليل رأس كالظليم المختبي
غضبان إن ناجيته لم يُجُبِ
ونجمُهُ قد لاح فوق المرقَبِ
ذاحَيْرةٍ كالدَّيْدَبانِ المُرْتَبِ
يشكو إلى الأفق انسداد المذهبِ
يمحو الدُّجى محو الرضا للغضبِ
شيئاً فشيئاً كاعتدادِ المَذْهَبِ

التعليقـــات

(*) مسالك الأبصار كتاب يضم خمسين جزءاً ، له نسخ متفرقة ، لم يحقق منه إلا جزأن اثنان ، واعتمدت على نسخة مصورة فى دار الكتب المصرية ، انظر الجزء التاسع من القسم الثانى رقم ٥٥٩ معارف عامة ورقة ٤٠٨ – ٤١١ .

(١) أرجأت أجزاء وأرقام الصفحات لهذه الكتب للمكان الذي استقى منه خبرا أو اعتمد فيه على رأي .
(٢) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٠/١٦ **مقاتل الطالبين** ٦٠٠ ، المرزباني **معجم الشعراء** ٣٨٠ ، الكتبي ، **فوات الوفيات** ٤٣٩/٢ ، **الصفدي الوافي بالوفيات** ١٥٤/٣ .
(٣) ص ٦٠٢ «حدثني عمي الحسين بن محمد قال : حدثني أحمد بن طاهر قال : كنت مع أبي عبد الله محمد ابن على بن صالح بن على الحسني» .
(٤) ٣٦٢/١٦ (أخبرني عمي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر قال : كنت مع أبى عبد الله محمد ابن صالح . .) .
(٥) **شرح نهج البلاغة** ٢٧٢/١٥
(٦) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٠/١٦ **مقاتل الطالبين** ٦٠٠ المرزباني «**معجم الشعراء**» ٣٨٠ .
(٧) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٠/١٦ .
(٨) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٣/١٦ **ومقاتل الطالبين** ٦٠٥ (حدثني إبراهيم بن المدبر قال : جاءني محمد ابن صالح الحسني وأكثر معاصريه كانوا يلقبونه بـ «الحسني» انظر صفحات ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٩ .
(٩) ٤٣٩/٢ .
(١٠) **الأعلام** ٣٢/٧ ، ٣٣ .
(١١) **تاريخ التراث العربي** مجلد (٢) جـ ٢٦٥/٤ .
(١٢) انظر مثلا مقاتل الطالبين فالكتاب كله ألف في «آل طالب» وتاريخ الطبري وانظر فهرسه .
(١٣) عند الأصفهاني في «**الأغاني**» ٣٦٠/١٦ هند فقط وفي **مقاتل الطالبين** ٣٩٠ وأمه هند بنت أبي عبيدة ابن عبد الله بن زمعه بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي ، والبيتان في المصدرين السابقين .
(١٤) الأصفهاني «**مقاتل الطالبين**» ٣٩١ .
(١٥) المصدر نفسه ٣٩٢ . وانظر تفصيلا في ٣٩٠ – ٣٩٧ .
(١٦) المصدر نفسه ٣٩٤ .
(١٧) الأصفهاني «**مقاتل الطالبين**» ٦٢٨ – ٦٣٣ الطبري «تاريخه» .
(١٨) الأصفهاني «**مقاتل الطالبين**» ٥٩٣ .
(١٩) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٥/١٦ **ومقاتل الطالبين** ٦٠٦ .
(٢٠) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٤/١٦ – ٣٦٥ .

(٢١) المصدر السابق ٣٦١/١٦ .
(٢٢) المصدر السابق ٣٦١/١٦ .
(٢٣) كان موسى راويا للحديث روى عنه عمر بن شبَّه (١٧٣ - ٢٦٢هـ) ، ومحمد بن الحسن بن مسعد الزرقي ، ويحيى بن الحسن بن جعفر العلوي وفاته في محرم سنة ست وخمسين ومائتين ، الأصفهاني «**مقاتل الطالبين**» ٦٧٨ - ٦٧٩ .
(٢٤) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦١/١٦ **ومقاتل الطالبين** ٦٠٠ - ٦٠١ .
(٢٥) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٥/١٦ - ٣٦٦ .
(٢٦) من أشهر قصائده - وردت عند الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦١/١٦ - ٣٦٢ «**ومقاتل الطالبين**» ٦٠١ - ٦٠٢ وأبيات منها عند البصري «**الحماسة**» ١٢٦/٢ وابن خلكان «**وفيات الأعيان**» ٣٣٨/٥ والحميدي **جذوة المقتبس** ٧١ ومصادر أخرى ستأتي عند الحديث عن شعره .
(٢٧) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٧٠/١٦ - ٣٧١ «**ومقاتل الطالبين**» ٦١٠ - ٦١١ مطلع قصيدة سبعة عشر بيتا . والفتح بن خاقان هو أبو محمد أديب شاعر فطن ، استوزره المتوكل بعد أن جعله أخاً له وولاه إمارة الشام منصبا فخريا على أن ينيب عنه ، كان مقرباً للمتوكل مقدما على جميع اهله ، اهتم بالأدباء والشعراء خاصة وله مكتبة من أعظم المكتبات في عصره له مؤلفات ، وقتل مع المتوكل سنة (٢٤٧هـ) - ابن النديم **الفهرست** ١ : ١١٦ وابن شاكر الكتبي **فوات الوفيات** ٢ : ٢٤٦ - ٢٤٨ **والأعلام** ٣٣١/٥ .
(٢٨) الأصفهاني «**مقاتل الطالبين**» ٦٠٨ ، أسامة بن منقذ «**المنازل والديار**» ٣١٠ .
(٢٩) هو إبراهيم بن محمد، بن عبيد الله بن المدبر ، من الكتاب المسترسلين الشعراء ، استوزره المعتمد (ت ٢٧٩هـ) ، لما خرج من سامراء قاصداً مصر عام ٢٦٩ وتوفى ببغداد متقلدا ديوان الضياع للمعتضد سنة ٢٧٩ ، **الطبري تاريخه** ٩ : ١٦٨ ، ٢٣٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ و ٣١/١٠ والزركلي «**الأعلام**» ٥٦/١ .
(٣٠) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٣/١٦ - ٣٦٤ ص ٣٦٧ «**ومقاتل الطالبين**» ٦٠٤ - ٦٠٥ .
(٣١) الصفدي «**الوافي بالوفيات**» ١٥٥/٣ .
(٣٢) المصدر السابق ١٥٥/٣ .
(٣٣) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٥/١٦ - ٣٦٦ .
(٣٤) **الأعلام** ٣٣/٧ تاريخ التراث العربي مجلد ٢ جزء ٢٦٥/٤ وانوار الربيع ٩١/٤ الهامش (٢٣) .
(٣٥) **الأعلام** ٣٣/٧ .
(٣٦) **أنوار الربيع** ٩١١٤ الهامش (٢٣) .
(٣٧) **تاريخ التراث العربي** مجلد ٢ ، جزء ١٤ ، ٢٦٥ .
(٣٨) ٢٥٦/٢ .
(٣٩) الطبري تاريخه ١٢٨/٩ الخياري : **أمراء المدينة المنورة وحكامها** ، ١٠ .
(٤٠) الأصفهاني : «**الأغاني**» ٣٦٧/١٦ ويقول «ولمحمد بن صالح في آل المدبر مدائح كثيرة لامعنى لذكرها في هذا الكتاب» .
(٤١) الأصفهاني : **الأغاني**» ٣٦٧/١٦ «**مقاتل الطالبين**» ٦١٢ .

(٤٢) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٩/١٦ من قصيدة تبلغ ثلاثة عشر بيتاً وسعيد بن حميد هو أبو عثمان ، كاتب مترسل ، مولده ببغداد له أخبار كثيرة مع فضل الشاعرة ، قلده المستعين ديوان رسائله ، وله شعر رقيق . توفي سنة (٢٥٠هـ) انظر أخباره ونتفا من أشعاره عند الأصفهاني «**الأغاني**» ٢/٢٧ - ٨ الطبري تاريخه ٣٤٨/٩ **والأعلام** ١٤٦/٣ .

(٤٣) هو أحمد بن طيفور «ابن طاهر» ولد سنة ٢٠٤هـ وتوفي سنة (٢٨٠هـ) وكان مولده ووفاته ببغداد له مؤلفات كثيرة منها «**بلاغات النساء** . تاريخ بغداد المنثور - والمنظوم» وله شعر أورده ياقوت في معجمه - انظر **معجم الأدباء** ١٥٦/١ - ١٥٧ ، **وتاريخ بغداد** ٤ : ٢١١ **والأعلام** ١٣٨/٣ .

(٤٤) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٢/١٦ .

(٤٥) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٢/١٦ .

(٤٦) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٩/١٦ .

(٤٧) الأصفهاني «**مقاتل الطالبين**» ٦١٣ .

(٤٨) **المنازل والديار** ٣١١ .

(٤٩) **في الوافي بالوفيات** ١٥٥/٣ .

(٥٠) **الأعلام** ٣٢/٧ .

(٥١) تاريخ إربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل تأليف شرف الدين أبي البركات اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي (المتوفي سنة ٦٣٧هـ ، ١٢٣٩م) ٣٩١/٢ .

(٥٢) **في تاريخ التراث العربي** مجلد ٢٦٥/٤/٢٢١ .

(٥٣) ٣٩١/٢ .

(٥٤) الصفدي «**الوافي بالوفيات**» ١٥٤/٣ .

(٥٥) الأغاني ٣٦٩/١٦ .

(٥٦) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦١/١٦ «**ومقاتل الطالبين**» ٦٠١ .

(٥٧) المصدران السابقان ٣٦٩/١٦ ، ٦١٢ ، ٦١٣ .

(٥٨) «**الأغاني**» ٣٦٨/٣٦٧/١٦ «**ومقاتل الطالبين**» ٦١١ .

(٥٩) ص ٣٥٩ - ٣٧٢ .

(٦٠) ص ٦٠٠ - ٦١٢ .

(٦١) ص ٦٨ وانظر المرزباني «**معجم الشعراء**» ٣٨٠ .

(٦٢) ١١٣/١ .

(٦٣) ٩٣/٧ .

(٦٤) ٣١٠/١ .

(٦٥) ٦٩ - ٧١ .

(٦٦) ٦٨٠/٥ - ٦٨١ .

(٦٧) انظر ملحق الدراسة ، ٣١ .

(٦٨) ٩١/٤ و ١٤٤ - ١٤٥ .

(٦٩) ابن فضل الله العمري (مسالك الأبصار) القسم الثاني ٤٠/١٩ .
٧١/٧٠-الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٣/١٦ عنده ، وقد قال رواية عن ابراهيم بن المدبر (ت ٢٧٩هـ) جاء محمد ابن صالح الحسني فسألني أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى أو أخته حمدونه» .
(٧٢) المصدر السابق ٣٦٤/١٦ **ومقاتل الطالبين** ٦٠٤ .
(٧٣) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٦/١٦ والمرزباني «**معجم الشعراء**» ٣٨٠ والصفدي «**الوافي**» ١٥٤/٣ .
(٧٤) الصفدي «**الوافي**» ١٥٥/٣ .
(٧٥) المصدر السابق ١٥٥/٣ .
(٧٦) المرزباني «**معجم الطالبين**» ٣٨٠ .
(٧٧) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٣/١٦ .
(٧٨) المصدر السابق ٣٧١/١٦ .
(٧٩) المرزباني «**معجم الشعراء**» ٣٨ ، والصفدي «**الوافي بالوفيات**» ١٥٥/٣
(٨٠) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٢/١٦ .
(٨١) المصدر السابق ٣٧١/١٦ .
(٨٢) المصدران السابقان ٣٧١/١٦ «**ومقاتل الطالبين** » ٦٠٩ .
(٨٣) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٧/١٦ - ٦١٢ .
(٨٤) **الأغاني** ٣٦٨/١٦ .
(٨٥) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦١/١٦ - ٣٦٢ «**ومقاتل الطالبين**» ٦٠١ ، وعند القالي في **نوادره**» ١٨٣ ، والصفدي في «**الوافي**» ١٥٥/٣ وابن شاكر الكتبي في «**فوات الوفيات**» ٤٣٩/٢ - ٤٤٠ ، وقد أورد بعض أبياتها أغلب الكتب التي تحدثت عن الشاعر .
(٨٦) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٧٠/١٦ - ٣٧١ «**ومقاتل الطالبين**» ٦١٠ .
(٨٧) المصدران السابقان ٢٦٣/١٦ و ٦٠٤ .
(٨٨) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٧١/١٦ «**ومقاتل الطالبين**» ٦٠٩ .
(٨٩) الأصفهانى «**الأغانى**» ٣٦٨/١٦ أسامة بن منقذ «**المنازل والديار**» ٣١٠/١ .
(٩٠) الأصفهانى «**الأغانى**» ٣٦٣/١٦ ، ٣٦٤ و «**مقاتل الطالبين**» .
(٩١) المصدر السابق ٣٦٣/١٦ .
(٩٢) المصدر السابق ٣٦٢/١٦ .
(٩٣) المرزباني «**معجم الشعراء**» ٣٨٠ الصفدي «**الوافي بالوفيات**» ١٥٤/٣ ، ١٥٥ .
(٩٤) الأصفهاني «**الأغاني**» ٣٦٧/١٦ .
(٩٥) المصدر السابق ٣٦٨/١٦ .
(٩٦) ابن فضل الله العمري «**مسالك الأبصار**» القسم الثاني جزء ٤٠٩/٩٠ وانظر الملحق من هذا البحث ص ٣٣ .
(٩٧) الأبيات منسوبة لابن طباطب العلوى [ت ٣٢٢هـ] فى ديوانه (٥٩) جمع جابر الخاقانى وانظر تخريجها ص ١٤٠

المراجـــع

الأصبهاني ، حسين الراغب (ت ٥٠٢هـ) **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** ، طبع بيروت ، ١٩٦١م .

الأصفهاني ، أبو بكر محمد بن داود (ت ٢٩٧ هـ) **النصف الأول من الزهرة** ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .

الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) **الأغاني** - الجزء السادس عشر - القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكتب ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

الأصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسين ، **مقاتل الطالبيين** تحقيق السيد أحمد صقر ، بيروت ، دار المعرفة .

بردي ، جمال الدين يوسف بن تغري (ت ٨٧٤هـ) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢م .

البرزة ، أحمد مختار ، **الأسر والسجن في شعر العرب «تاريخ ودراسة»** دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

البصري ، صدر الدين أبو الفرج بن الحسين (ت ٦٥٩ هـ) ، **الحماسة البصرية** ، بيروت .

البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٩هـ ١٩٣١م .

ابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد (ت ٦٥٦هـ) **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

الجوزى ، عبد الرحمن بن على (ت ٥٠٧هـ) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، الهند ، طبعة حيدر أباد ، ١٣٥٧هـ .

الحميدي ، محمد بن نصر (ت ٤٨٨هـ) **جذوة المقتبس** ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد أبو العباس (ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان** تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر .

الخياري : أحمد ياسين أحمد الأزهرى (ت ١٣٨١هـ) **أمراء المدينة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم** - المدينة ، الطباعة والصحافة والنشر ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

ابن دحية ، عمر بن الحسن بن علي (ت ٦٣٣هـ) **المطرب في أشعار أهل المغرب** ، تحقيق مصطفى عوض - الخرطوم مطبعة مصر .

الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام** ، الطبعة الثالثة .

سزكين ، فؤاد ، **تاريخ التراث العربي** ، ترجمة محمود فهمي حجازي ، وضع فهارسه عبد الفتاح محمد الحلو ، الرياض مطبوعات جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) **الوافي بالوفيات** ، تحقيق هلموت ريتر (ت ١٩٧١م) وآخرين ، دار النشر فرانز شتاينر بفسبادن ١٩٦١م .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) **تاريخ الطبري** ، ط ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف بمصر .

العاملي ، محسن الأمين الحسيني (ت ١٣٧١هـ) **أعيان الشيعة** ، دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م .

العمري ، ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ) **مسالك الأبصار** (مخطوط) منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة ، القاهرة .

القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) **ذيل الأمالي والنوادر** ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ – ١٩٢٦م .

الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) **فوات الوفيات** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥١م .

المدني ، علي صدر الدين بن معصوم (ت ١١٢٠هـ) **أنوار الربيع** ، تحقيق شاهر هادي شاكر ، العراق ، مطبعة النعمان ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .

المرزباني ، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ) **معجم الشعراء** ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

ابن المستوفي ، شرف الدين أبو البركات مبارك بن أحمد اللخمي الإربلي (ت ٦٣٧هـ) **تاريخ إربل «نباهة البلد الخامل عن ورده فن الأماثل** ، تحقيق سامي الصغار ، العراق ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠م .

ابن منقذ ، أسامة (ت ٥٨٤ هـ) **المنازل والديار** ، تحقيق مصطفى حجازي ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

Mohammad Bin Salih Al-Alawi, His Life and Study of His Poetry

ABDUL MOHSIN FARRAJ AL-QAHTANI
Assistant Professor, Arabic Language Department,
Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. The poet Mohammad bin-Salih Al-Alawi (d.252 ?H/255 ?H) was one of the obscure poets whose life experienced several social events which were naturally reflected on his poetry.

Al-Alawi was recognized only by a small number of the scholars and historians of his day. Most of his work that we know of was the product of a fifteen years period during which he was giving homage to the Caliph Al-Mutawakil and some of the leading and notable figures of his time such as Ibrahim bin-Almudabir (d. 279 H.), and Sa'd bin-Humaid, (d. 250 H).

Al-Alawi's poetry was so effective that it played a vital role in soothing and easing the pain of the poet's imprisonment. It was so effective on the Caliph, who, upon, hearing an eulogistic poem in which Al-Alawi praised and esteemed him highly that the Caliph granted him full pardon. After his release, the poet produced a number of eulogies commending the Caliph.

Still unknown, Al-Alawi's poetry was recognized only by specialists and pertinent groups in the field. Thus, it is clear now that neither the scholars nor the historians had taken the pains in exploring the poet's history of the authentic artists resources for a fair study of his poetry.

This paper is an attempt to explore the poet's life focusing, in the meantime, in particular on his canon of poetry, which is referred to in this study, with the purpose of presenting an assessment and a reevaluation of his poetry.

The previous studies used to pursue the script following different methods as they sometimes applied the ditheism or the historical background in analyzing the script, or some other times the examination of the script, or some other times the examination of the script under study was relying solely on the text with the intention of extracting new ideas which may enrich the script itself. Such ideas may not be taken enthusiastically by many readers but definitely, they could have the power of raising big ques-

tion marks as well as the possibility of paving the way for new scopes for the serious scholars to tackle.

Finally, the paper examined the metrical rhythm and matiris in each script. Furthermore, such task did not investigate the rhyme and rhythm only, but it had also to examine the vocal syllabic differences as well as word selection (WORDING). Also, neither the poetic license and its effect on the script, nor the choice of the rhyming letter (RAWIYY) were disregarded in this study.

القسم الإنجليزي

■ ***General***

• A periodical issued by KAU in the fields of Arts and Humanities and annually published by the KAU Scientific Publishing Centre. Original works are published in this periodical. Materials to be sent to:

Editor-in-chief, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
P.O. Box 9032, Jeddah 21492, Saudi Arabia.

• All materials are submitted to referees.

• Materials submitted should represent original works not previously published, not being considered for publication elsewhere, and if accepted not to be published in the same form in any language without written consent of the editor-in-chief.

■ ***Typescript***

• TS should be submitted in triplicate, double spaced, on only one side of A4 size paper.
• Leave one inch margins on all sides.
• Consecutively number TS including tables and figures.
• Abstracts, footnotes, tables, captions and references should be submitted in separate sheets.

■ ***Writing***

• Paper should include :
1. Title: Concise and expressive.
2. Author(s) name(s).
3. Affiliation of author(s) as a mailing address.
4. Abstract.
5. Text: to be divided into main sections each with its own heading, according to the method used (*e.g.*, Introduction, Results, Discussion, Conclusion, References), taking into consideration the levels of sub- and sub-sub-headings.

• Two Abstracts, one in English, the other in Arabic, each not exceeding 200 words should be submitted. An abstract should summarize the main facts and conclusions of the work. International rules for Abstract writing should be followed. Abstract should be self-contained and understandable in isolation.

• The metric system and standard abbreviations following (SI), avoiding full stops after abbreviations should be used.

• Footnotes: These should be consecutively numbered through the text. Any source cited for the first time should be given a full reference. When cited later, use the proper cross-reference terms (op. cit., loc. cit., ibid., id.). An alphabetically list of references is mandatory. Some authors are entitled to use Name/Date/Page system. Rules of the usage of this system should be thoroughly followed.

• References: The list of references should be alphabetically arranged according to author(s) surnames. References to the same author(s) should be chronologically arranged. All the bibliographic elements of a references should be complete, following the standard of rules of writing and arrangement. Never use *et al.* in the list. Make sure that all the sources cited in text are listed. References other than those cited in the text should not be listed.

■ ***Tables***

• Tables should be consecutively numbered, each having a short self-explanatory title above. Indicate the position of each in pencil in the margin. Avoid unnecessary or too detailed data.

■ ***Illustrations***

• Original illustrations should be submitted flat in protective envelopes and not folded.

• Indicate, in pencil, the position of each in the margin of the text, and stick a copy of each in the right position of the text.

• Line drawings should be drawn in Indian ink on calc paper, not exceeding 12 × 18 cm or half or double that size.

• Photographs, black & white, should be of high quality glossy original prints of maximum size 13 × 18 cm or half or double that size.

• Coloured figures are not acceptable, unless colours have a scientific indication.

■ ***Proofs***

• Two sets of proofs, one galley and one page proof, have to be checked by the corresponding author, in 72 hours at maximum.

• No alteration is allowed, especially on the page proofs.

■ ***Reprints***

• 50 free reprints per paper will be supplied.

• Additional reprints could be ordered on returning page proofs, according to the rates of the publishing Centre.

IN THE NAME OF ALLĀH,
THE MERCIFUL,
THE MERCY GIVING

■ **Annual Subscription** ■

- Local : SR 5
- External : $ 5 (including postage)

■ **Subscription** ■

Scientific Publishing Centre, King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441, Saudi Arabia.

■ **Exchange** ■

Deanship of Library Affairs, King Abdulaziz University
P.O. Box 3711, Jeddah 21481, Saudi Arabia.

King Abdulaziz University Press

English Section

J KAU: Arts & Humanities, **vol. 2**, pp. 1-13 (1409 A.H./1989 A.D.)

Some Reflections on The World Class "Noun" in a Dialect of Contemporary Arabic

EL-RASHID ABU BAKER MUSTAFA
Associate Professor (Linguistics), Department of European Languages & Literature, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. Arabic words which are traditionally assigned to the noun class are better treated as adjectives. Though the argument is mainly syntactic, this treatment will also simplify the morphological description of the language. No advantage gained by the old treatment is lost if this suggestion is accepted. These claims which are made with respect to the spoken Arabic of the Sudan, can in my opinion, be generalized to apply to other dialects of Arabic as well as to the Modern Standard Arabic.

From the modest knowledge I have of other Arabic dialects, and the little reflection I made on them with respect to the subject of the article, I believe that the views expressed are, to a large extent, applicable to them. I also believe that (with some modification of the argument) they are equally applicable to Modern Standard Arabic. But, as many adjustments of presentation will have to be made in order to make the claims accommodateable by other forms of Arabic, I will restrict myself to the spoken Arabic of the Sudan, the dialect to which the title of the articles refers. As a matter of fact, the word "Arabic" will be used as a variant of "spoken Sudanese Arabic" and, beyond the vague contentions made above, no reference will be made to other forms of Arabic.

I. Gender

My starting point is the examination of the category of gender in Arabic adjectives. In the singular they seem to fall in the following pairs:

1. /kabi:r/ = big (masc.) /kabi:r-a/ = big (fem.)
2. /'azi:z/ = dear (masc.) /'azi:z-a/ = dear (fem.)
3. /ta'ba:n/ = tired (masc.) /ta'ba:n-a/ = tired (fem.)
4. /saxi:f/ = unpleasant (masc.) /saxi:f-a/ = unpleasant (fem.)

In each case they differ in that the feminine form of the adjective has a vowel /a/ suffixed to an identical masculine form[1]. I will refer to this morphological phenomenon, where one adjective is predictable from the shape of the other, as formal marking.

In the plural, whereas in the majority of cases, classical Arabic had two distinct forms for masculine and feminine, in the dialect the distinction is syncretisized; the masculine plural form being used for both genders (with, at times, a feminine form used in free variation), thus:

1. /?awla:d šuṭa:r/ = clever boys
2. /bana:t šuṭa:r = clever girls, and, at times,

   /bana:t šatra:t/, with a feminine form of the adjective as a variation.

With very few exceptions, adjectives agree with the nouns they modify in gender (and number). Where grammatical gender is correlated with sex, as in the case of animate nouns, the adjectival form is a definite morphological clue to the sex of the noun, at least in the singular where a feminine adjective follows nouns designating female creatures and a masculine adjective follows nouns designating male creatures, e.g.: –

1 ./?iḥsa:n ṭayib/ = Ihsan (masc.) is kind.
2. /?iḥsa:n ṭayb-a/ = Ihsan (fem.) is kind.
   (*?iḥsa:n* is a proper name used for both sexes)

When we move from adjectives to nouns we find that the category has to be examined from two points of view. Nouns can be classified either according to their gender concord, that is, the way they display the different terms of the category, with accompanying demonstratives, verbs and adjectives, or they can be classified with respect to the formal marking of gender mentioned above. Looking at concord, we discover that there is a sharp distinction drawn between animate nouns on the one hand and inanimate nouns on the other. Starting with inanimate nouns, in order to dismiss them, the position seems to be as follows:

Whereas in the singular a noun can have either masculine or feminine concord, all *plural* inanimate nouns have *singular* feminine concord. Both the nouns /kita:b/ = book and /'ilba/ = tin, which are masculine and feminine respectively have plurals which occur with singular feminine concord. This is shown by both the form of the demonstrative and the following adjective as in:

1. /di kutub jadi:da/ = This (sing. fem.) books (are)
   new, (sing. fem.)

2. /di 'ilab jadi:da/ = This (sing. fem.) tins (are new (sing. fem.)[2]

Animate nouns, on the other hand, form a distinct group with respect to their gender concord; a masculine singular noun has masculine singular concord, a feminine singular noun has feminine singular concord and a plural noun has plural concord. They differ, constituting two classes, with regard to the formal marking of the category mentioned above. Some nouns which designate sex-pairs are not formally marked for gender as, unlike the case of adjectives mentioned above, there is no morphological relation between a masculine noun and its corresponding feminine. Semantics apart, the only way of ascertaining the gender of a noun is by observing its concord with demonstratives, adjectives and verbs. Examples of this type of sex-pairs.

1. /ra:jil/	= man	/mara/	= woman
2. /walad/	= boy	/bint/	= girl
3. /?asad/	= lion	/labwa/	= lioness
4. /di:k/	= cock	/jida:da/	= hen
5. /to:r/	= bull	/bagara/	= cow
6. /te:s/	= he goat	/ganama:ya/	= she goat.

Note: the domestic animals "cat" and "dog" seem to be an exception as all four forms /kalib/, /kalb-a/, /kadi:s/, and /kadi:s-a/, are heard. I feel that in each case only one form is the unmarked form used in general situations with indifference to sex. The other form is sometimes "coined" by analogy with adjectives for use in specialized contexts. Thus one would expect to hear /?alkalib ma:t/ = the dog died, with no interest in sex. The feminine form is only encountered in such contexts as /?al-kalb:a wildat/ = the bitch gave birth, or in contrastive questions /wildat kalib wala kalb-a/ = did she gave birth to a dog or a bitch? With cats the feminine /kadis:-a/ seems to be the unmarked form.

II. A Particular Class of "Nouns"

The set in the class of words which I will consider in this section has traditionally been assigned to the noun class. It is constituted of words which are also animate, but, unlike the class of animate nouns discussed above, the words of this class are formally marked for the category of gender. The masculine and feminine pairs of this class differ in that the latter has a vowel /a/ suffixed to an identical masculine form. In this they are morphologically like adjectives.

The membership of this class is large and I will start by listing instances of the types of nouns included in it and then give a general definition of the class as a whole. Instances of nouns falling within the class are the following:

1. Words denoting various professions (with the term profession used in a wide sense) e.g.:

i. /sawwa:g/	= male driver	/sawwa:g-a/	= female driver
ii. /malik/	= king	/malik-a/	= queen

iii. /fanna:n/ = male artist /fanna:n-a/ = female artist

2. Words denoting nationalities, e.g.:

i. /?ingli:zi/ = English (male) /?ingli:zi-yya/ = English (female)
ii. /libna:ni/ = Lebanese (male) /libna:ni-yya/ = Lebanese (female)[3]

3. Words denoting membership of religious or social organizations, e.g.:

i. /?ištira:ki/ = socialist (male) /?ištira:ki-yya/ = socialist (female)
ii. /masi:ḥi/ = Christian (male) /masi:ḥi-yya/ = Christian (female)

4. Some active and passive participles, e.g.:

i. /sa:ḥir/ = enchanter (male) /sa:ḥir-a/ = enchanter (female)
ii. /mashu:r/ = enchanted (male) /mashu:r-a/ = enchanted (female)

5. Other miscellaneous words of the type:

i. /'uḍu/ = male member /'uḍu-a/ = female member
ii. /ṣa:ḥib/ = male friend /ṣa:ḥib-a/ = female friend.

The list is by no means exhaustive, that is why a definition of the class is in order. The words belonging to the class can simply be defined by saying that they fall into sex-pairs, and that for every form /X/ designating a male creature and masculine in grammatical gender, there is a corresponding form /X/ + the vowel /a/ designating the semantic female of the creature and feminine in grammatical gender. The semantic provision in the definition is deliberate and necessary because the presence/absence of a final vowel /a/ can be the marker of other relations. These relations have nothing to do with gender and can, as a matter of fact, be deceptive in this respect. For example such pairs of nouns as:

1. /ḍarb/ = hitting or striking /ḍarb-a/ = a blow
2. /ḍiḥik/ = laughter /ḍaḥk-a/ = a laugh

are also distinguished by the presence/absence of a final vowel /a/. But the relation here has nothing to do with gender. This relation has been correctly described as a relation between an action or a state on the one hand, and a particular instance of the action or the state on the other (Erwin 1963:164). A similar, but not identical relation is found in the pairs:

1. /xašab/ = wood /xašab-a/ = a piece of wood
2. /be:ḍ/ = eggs /be:ḍ-a/ = an (one) egg.

Here again the relation has nothing to do with gender, and was correctly described as a relation between a collective noun and an individual member of the collective (Erwin 1963:166).

Both types of nouns can be deceptive with regard to their gender marking, because it happens that the form without the vowel has masculine concord and the form with the vowel has feminine concord. Thus the appearance of the vowel can (wrongly) be taken as a marker of gender difference on a par with its function in such forms as:

1. /ša:ṭir/ = clever (masc.) /ša:ṭr-a/ = clever (fem.)
2. /mudarris/ = teacher (masc.) /mudarris-a/ = teacher (fem.)

But there are clearly two types of relations here. There is a *distributional* relation holding between (1 and 2) above in the sense that the relation of /ša:ṭir/ to /ša:ṭr-a/ is the same as the relation of /mudarris/ to /mudarris-a/. The relation of either of them with any of the pairs:

3. /xašab/ = wood /xašab-a/ = a piece of wood
4. /ḍiḥik/ = laughter /ḍaḥk-a/ = a laugh

is merely a trivial *compositional* relation. The two relations shouldn't be confused[4]. Again the pairs (3 & 4) and their types are not an exception to our statement of the category of gender in inanimate nouns, because they do not have a singular/plural relation. The plural of /xašaba/ is /xašaba:t/ and the plural of /ḍaḥka/ is /ḍaḥka:t/. Both, like other inanimate plurals, have feminine singular concord.

Returning to the class of words under consideration, my suggestion is that the words constituting it, which have traditionally been assigned to the noun class, should be treated as adjectives. The reasons I will give in support of the proposal are syntactic, though the proposed treatment will simplify the description of the morphology of the language in a way to which I will attend presently.

III. **The Morphological Implications**

The treatment of the words as adjectives will have the following implications on the statement of the morphology of the language:

1. Once the words are taken out of the noun class, it will follow that the formal marking of gender is exclusively a property of adjectives (I am opposing adjectives to nouns and have no interest in other word classes e.g. verbs).

2. The formal marker of gender in almost all adjectives is the presence/absence of a final vowel /a/.

3. Something has to be said about the appearance of the vowel with such feminine nouns as /mara/ = woman and /labwa/ = lioness. Clearly the vowel cannot have the same grammatical status which it has in the forms /ša:tr-a/ and /mudarris-a/. In these latter cases the presence of the vowel contrasts with its absence in the corresponding /ša:ṭir/ and /mudarris/. On the former cases there are no forms */mar/ or */labw/ to bring about the contrast. That is why it is a marker in one case but not in the other. Marking is best defined by opposition.

4. Suppose we treat the appearance of the vowel in the nouns of the sort cited above as an *indicator* rather than a *marker* of gender. In this case we will have to admit a large number of exceptions to what it indicates as, contrary to the general belief, many female proper names (/su'a:d, hind, ḥaram/) etc., do not have the vowel, and, conversely, many male ones (/hamza, talḥa, taha, etc./) have a final /a/.

5. The treatment of the words as adjectives will have consequences on the statement of the other grammatical category: the category of number, for which I will devote a later section.

IV. The Theoretical Justification

It might be asked: why is the issue of any importance? Does it matter if the words were treated as either nouns or adjectives? As a matter of fact, within traditional grammars, the issue loses a lot of its significance, as traditional grammar does not draw a sharp distinction between nouns and adjectives, both classes being sharply distinguished from verbs. Furthermore, the criteria which are used in assigning words to the different classes are criteria of case and inflection.

But, of course, this is not the only way of looking at the relations among the parts of speech. There is, for example, the point of view advanced by John Lyons (and others) presented in Lyons (1966). Professor Lyons, in complete departure from most traditional outlooks claims that, from the syntactic point of view, verbs and adjectives are related in a number of ways, and that both classes should be sharply contrasted with nouns. He states (page 211):

> "... the primary categorical notions of general grammatical theory are those of 'noun', 'predicator' and 'sentence' and that 'verb', 'adjective' and 'adverb' (unlike nouns) should not be regarded as substantive universals of grammatical theory, but as complex cover terms to be employed in the description of particular languages".

And (page 212):

> "... What may be constant and universal is the distinction between nouns on the one hand and predicators (which combine with one or more nouns) on the other..."

This way of looking at the relations among the parts of speech puts the problem of whether to assign the words to the noun or the adjective class into sharp focus. In the traditional outlook which relates nouns and adjectives (and treats the latter as a subclass of the former) it is not very crucial to which of the two classes a particular group of words is assigned. But if we adopt Lyons', or a similar point of view, which, at a high level of abstraction, segregates – the class noun from all others and associates the grammatical function subject exclusively with it, then it is important to decide whether a particular class of words is a noun or not.

V. The Syntactic Evidence

To show how these words differ in their syntactic behaviour from nouns, I am going to introduce the concept of pseudo-predication. This concept I will associate with nominals when they occur as predicators of sentences in cases like:

1. /ʿali waladak/ = Ali (is) your son.
2. /al-?imtiḥa:n ma'adna/ = The examination is our date.

Pseudo-predicators are opposed to the true predicators: Verbs, adjectives, and pre-

positional phrases which are encountered in most sentences. Now, the syntactic behaviour of true predicators differs from that of pseudo-predicators in a number of significant ways. There is, for example, a transformation, of a great degree of generality which (subject to certain restrictions) converts sentences of the forms:

1. /?al-walad ḍarab ?uxtu/ = The boy hit his sister.
2. /bittu ‘ayya:na/ = His daughter (is) ill.
3. /?al-kita:b fi ?al-duruj/ = The book (is) in the drawer.

where the predicators are a verb phrase, an adjective, and a prepositional phrase respectively, into the relativized noun phrases:

1. /?al-walad ?al-darab ?uxtu.../ = The boy (who) hit his sister ...
2. /bittu ?al-‘ayya:na.../ = His daughter (who) is ill...
3. /?al-kita:b ?al-fi ?al-duruj.../ = The book (which) is in the drawer...

One important restriction on the relativizing transformation is that it is not applicable to pseudo-predicators, */?al-?imtiḥan al-ma'adna/ (which would have been derived from/?al-?imtiḥa:n ma'a:adna/ =the examination is our date), does not occur. When the predicator is one of the words from the class under discussion the transformation applies as naturally as it does in the cases above:

/waladu naja:r/ = his son (is) a carpenter	/waladu ?al-naja:r/ = his son (who is) a carpenter
/ja:rna ?ingli:zi/ = our neighbor (is) English	/Ja:rna ?al-?ingli:zi/ = our neighbour (who is) English...

To assign the words to the noun class would have complicated the statement of this simple and general transformation. We would have had to recognize two categories of nouns in this regard: a category which, like adjectives and other true predicators, partakes in the relative transformation and another category which is excluded from the domain of the transformation. By assigning the words to the adjective class the simplicity of the relativizing transformation is kept intact in the sense that it is now applicable to all sentences with non-nominal predicates.

There is another equally general transformation which converts sentences of the type:

1. /?ana maše:t ?al-su:g/ = I went (to) the market.
2. /'ali maša ?al-su:g/ = Ali went (to) the market.

to the emphatic forms:

1. /?ana ?al-maše:t ?al-su:g/ = It was I who went to the market.
2. /'ali huwwa ?al-maša ?al-su:g/ = It was Ali who went to the market.

As in the case of the relative transformation the emphatic transformation does not apply when the predicate of the sentence is a noun:

*/'ali ?al-waladak/ (which would have been derived from /'ali waladak/ = Ali is your son), being ungrammatical.

The transformation does apply when the predicate is one of the words from the class under discussion, for example, both:

/waladu huwwa ?al-naja:r/ = It is his son who is the carpenter.
/ja:rna huwwa ?al-?ingli:zi = It is our neighbour who is English.

are fully grammatical. The assignment of the words to the adjective class will, in a manner similar to that of the relativizing transformation, simplify the statement of the rules of emphasis.

But the question can be asked: why should the assignment of words to the different classes be motivated by the simplification of the transformational rules of the grammar? And the answer to this question is that, it can be done if it is not at the cost of something else. The aim is a complete description of the language and a solution to a problem, provided it is not *ad hoc* or arbitrary, can be supported by its relevance to the simplification of other areas of the description.

Faced with the question why an English sentence like "the man hit the ball" should be analysed, as traditionally, into a subject constituent "the man" and a predicate verb phrase "hit the ball", R.B. Lees cites the motivation of the simplicity of the rules of conjunction under this, as opposed to any other, alternative, analysis. He states (Lees 1966: XXXV):

> "... to formulate perspicuously the general rule of conjunction in English, which permits the construction of a conjoined sentence from two similar underlying sentences containing different instances of the same constituent, we may construe predicates as constituents as in:
>
> The man hit the ball
The man saw the tree } = the man hit the ball and saw the tree,
>
> we may construe the subject as a constituent as in
>
> The man hit the ball
The boy hit the ball } = the man and the boy hit the ball,
>
> and we may construe the object nominal as a constituent, as in:
>
> The man hit the ball
The man hit the tree } = the man hit the ball and the tree,
>
> but we may not construe the subject nominal plus verb as a constituent of the sentence as in:
>
> The man hit the ball
The boy saw the ball } = *The man hit and the boy saw the ball."

After which he concludes:

> "... it is most important to see that we are not simply selecting arbitrarily one among many possible ways of splitting up sentences, ... but rather we choose the underlying constituent structure of a sentence in such a way that *many* funda-

mental syntactic rules (only one of which is that of conjunction) are formulable in a general and perspicuous form."

The case under consideration suggests that the assignment of words to the parts of speech, like the division of sentences into immediate constituents, can be relevant to the simplification of the transformational rules of the grammar. It is also intuitively more satisfying. The fact that sentences with predicate nouns do not partake in the relativizing and the emphatic transformations can be taken as evidence of the pseudo-predicate nature of nominals in comparison with the "true" predicators: verbs, adjectives, and prepositional phrases. The words in question, no doubt, belong to the class of "true" predicators.

VI. **Number**

I have suggested above that once these words are treated as adjectives, some powerful generalizations can be made about the morphology of the language. In particular, the marking of gender by the presence/absence of a final vowel /a/ can now be looked upon as an exclusive property of adjectives. Other generalizations can be made with regard to the category of number.

Traditional grammar recognizes two main types of plurals in Arabic. As a translation of the traditional labels given to them I will adopt the terms "intact" and "broken" plurals. A closer examination will reveal that the terms "intact" and "broken" refer to the phonological shape of the singular form of the noun (or adjective) in the corresponding plural form. A plural is described as "intact" when the singular form is not affected in the process of plural formation. Conversely, a plural is "broken" when the singular form cannot be traced in the plural in a simple manner. In modern terminology "intact" plurals are formed by the process of suffixation, while "broken" plurals are formed by other less simple processes.

An illustration of the two types can be given respectively by /mudarris-i:n/ (sing. /mudarris/) and /?agla:m/ (sing. /galám/). Furthermore, traditional grammar distinguishes masculine "intact" plurals and feminine "intact" plurals associating the suffix /i:n/ with the former, and the suffix /a:t/ with the latter.

Looking for these types of plurals in the dialect, we discover that nouns, once the class of words under discussion has been excluded from them, never form their plural by suffixing (i:n) to the singular. The suffix can thus be exclusively associated with adjectives.

Other generalizations, which could have previously been made, are not rendered any weaker as a result of associating the words with the adjective class. I will give the example of the generalization which can be made about the distribution of the suffix /a:t/. As I have mentioned above, this is the suffix of feminine "intact" plurals in traditional grammar. Turning to the dialect, we cannot fully associate the suffix with either feminine nouns or feminine adjectives, because "broken" plurals are found in both classes. We would like, however, to make the weaker claim of associating /a:t/ with feminine gender whenever it is found. That is, though feminine words in both

nouns and adjectives may form their plurals in ways other than the suffixation of /a:t/, whenever the suffix is found in a plural form we can assume that the singular is feminine is gender. This claim cannot be made for both classes, however, because many masculine nouns form their plurals by suffixing /a:t/ to the singular, as in:

/ḥamma:m/	= bath (masc.)	/ḥamma:-a:t/
/ḥisa:b	= account (masc.)	/ḥisa:b-a:t/
/talafo:n/	= telephone (masc.)	/talafo:n-a:t/

As far as adjectives are concerned the claim of associating the suffix /a:t/ with feminine gender can be made even after the assignment of the words in question to the adjective class.

VII. **The Function Subject**

It should be mentioned that when treated as adjectives the words from the class in question will have some irregularities. For example, unlike most adjectives, they will have defective paradigms as they do not inflect for the comparative and the superlative. But they are not unique in this, as other unquestionable adjectives, such as the words denoting colour /?aḥmar/ = red, or physical handicaps /?aṭraš/ = deaf, do not have these inflections. It should be remembered that with the words in question, as with these adjectives, the idea of gradation can be syntagmetically expressed e.g. / mudarris ?aḥsan/ = a better teacher, /?aḥsan mudarris/ = the best teacher. When we meet such problems of classification, where things are not clear cut, we have to weigh evidence for or against a particular solution.

More important, in my opinion, is that the subjectival occurrence of these words (and of other adjectives) has to be explained. If we adopt the point of view expressed by Lyons, which was quoted above, we would like to associate the function subject with the category noun (phrase). But in such sentences as /?al-mudarris kuwwayyis/ = the teacher is good, what we are treating as an adjective occurs as the subject of the sentence.

What I want to propose and, what seems to me intuitively more satisfying, is to associate the subjectival occurrence of these words (and of other adjectives) with the surface structure of sentences. In effect a sentence like /?al-mudarris kuwwayyis/ = the teacher is good, will derive from a deep structure which is in many ways similar to that of the sentence /?al-ra:jil mudarris kuwwayyis/ = the man is a good teacher. More accurately (though still informally), every subjectival occurrence of an adjective will be considered the result of a deletion of some features associated with a nominal designated element which is the subject of the sentence in the deep structure. Among the features associated with the element are those which specify its gender and number. The grammatical singularity and masculinity of a word like /mudarris/ is an acquired phenomenon, a matter of concord with the features of the deleted nominal designated element. If we adopt this solution, the formal marking of gender in adjectives will always be viewed as indicative of the acquired concordial nature of the category, as opposed to its inherent (but not formally marked) nature in nouns[5].

VIII. **Concluding Remarks**

The surface treatment of the subjectival occurrence of the words is supported by certain hints found in traditional approaches. Thus D. Cowan (Cowan 1958: 10) in his discussion of nominal sentences cites the examples:

/?al-faqi-ru ġa:?ibun/ = the poor (man) is absent.
/?al-'a:limu faqi:run/ = the learned (man) is poor.

and concludes "Any adjective may be used as a noun". Cowan's translation of the adjectives as "the poor *man*" and "the learned *man*" is instructive. The occurrence of "man" brings to the mind the nominal designated element which I have proposed. The proposed element is however, a bundle of features rather than a lexical item.

For the dialect, the conclusion is even more justifiable. Consider what would most probably be the equivalents of Cowan's sentences in the dialect:

/?al-zo:l ?al-fagi:r ġa:yib/ = the person (who is) poor (is) absent.
/?al-zo:l ?al-'a:lim fagi:r/ = the person (who is) learned (is) poor.

From my point of view /?al-zo:l/ = the person, is nothing but a (sometimes) lexicalization of a bundle of features found in the deep structure of sentences. The features will determine the type and form of the co-occurring adjective from the semantic and the syntactic points of view. In particular, the adjective has to be of the type that can occur with human nouns, and will have its grammatical form determined by the syntactic feature found in the designated element. This is the solution which I proposed to explain the subjectival occurrence of adjectives. According to this solution Cowan's statement quoted above should be modified to read "an adjective may be used as a noun *in the surface structure of sentence*".

Endnotes

1. A point which arises here is whether the feminine form should be written with a final vowel /a/, or with a vowel followed by an aspirate /ah/. Arabic orthography uses the last alternative. Whether the actual pronunciation in the dialect supports this treatment is a debatable point.

2. An identical plural demonstrative /de:l/ can be used as an alternative with both nouns. Whether this is a matter of free variation, or whether there are contextual factors (perhaps relating to the importance given to the noun) which make one choice more appropriate in a particular situation is a question which might be investigated.

3. A final vowel /a/ when attached to a word which already ends in a vowel takes the shape – yya.

4. Bazell (1953:51) makes a distinction between the rather trivial compositional relation between words and the significant distributional relation. According to him, compositional relations are accidental such as the relation which one might want to establish between the pairs sing:sang on the one hand and ding:dang on the other. The distributional relation, which is more significant can override the phonological shape of words. Thus in this respect the relation between walk:walked is on a par with the relation between go:went.

5. Chomsky makes the distinction between the inherent and other features when discussing the legitimacy of deletion transformations. He says, "... a formative, in other words, is to be regarded as a pair of sets of features, one member of the pair consisting of features that are inherent to the lexical entry or the position of lexical insertion, the second member of the pair consisting of features added by transformations." (See Chomsky 1965:181).

References

Bazell, C.E., *Linguistic Form*, Istanbul, Istanbul Press, 1953.

Chomsky, N., *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge Mass., M.I.T. Press, 1965.

Cowan, D., *An Introduction to Modern Literary Arabic*, Cambridge, Cambridge University Press, 1958.

Erwin, W.M., *A Short Reference Grammar of Iraqi Arabic*, Washington, D.C., Georgetown University Press, 1963.

Lees, R.B., *The Grammar of English Nominalization*, Fourth Printing, the Hague, Mouton & Co., 1966.

Lyons, J., *Introduction to Theoretical Linguistics*, London & New York, Cambridge University Press, 1968.

تأمــلات في الاسم في إحــدى اللهجــات العربيــة المعــاصرة

الرشيد أبوبكر مصطفى
أستاذ مشارك - قسم اللغات الأوربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز ، جــدة ، المملكة العربية السعودية

يرى الباحث أن هنالك ما يدعو لمعاملة بعض الكلمات العربية والتي تتميز بخصائص نحوية معينة - كصفات بدلاً من تصنيفها التقليدي كأسماء . ويرى أن هذا التصنيف المقترح يبسط صياغة بعض التحويلات النحوية التي تشكل جزءاً هاماً من الوصف النحوي وهو في نفس الوقت لايتعارض مع الوصف المتبع لخواص المفردات .

ورغم أن البحث يرتكز في إقامة الشواهد على اللهجة السودانية ، إلا أنه من الممكن تعميم هذه الشواهد على اللهجات العربية الأخرى وربما على اللغة العربية المعاصرة أيضاً .

J KAU: Arts & Humanities, **vol. 2**, pp. 15-30 (1409 A.H./1989 A.D.)

The Horse's Mouth and *The Moon and Sixpence* in the Light of the Concept of Aestheticism and the Blakean Philosophy

ADEL ATA ELYAS
Associate Professor, Department of European Languages, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

ABSTRACT. Joyce Cary's *The Horse's Mouth* and William Somerset Maugham's *The Moon and Sixpence*, are two masterpieces in English Literature. Upon first reading these novels, the reader's attention is immediately struck by the remarkable similarities between the protagonists who are both eccentric characters, rebels against social conventions, and 'geniuses' who are passionately devoted to painting. These striking similarities are evidently, in certain respects, inspired by aestheticism, "a late 19*th* century literary movement that rested on the credo of 'Art for Art's sake'" and the philosophy of William Blake, the English romantic poet and painter.

The aim of this paper is to examine the parallelism between the two heroes, Gulley Jimson in *The Horse's Mouth* and Charles Strickland in *The Moon and Sixpence*, in the light of the concept of Aestheticism and the Blakean philosophy.

The Moon and Sixpence is based on the life of the great French post-impressionist painter Paul Gaugin. It is the story of a painter who, like Gaugin, revolts against social conventions in order to practice his art in the South Seas Islands. Although Strickland is not as consciously portrayed in the light of Blake's ideas as Gulley Jimson is, he shares with the latter the poet's conviction that man should give full expression to his creative imagination since its basic role is to reveal the reality masked by visible objects.

The Horse's Mouth is similarly inspired by the revolt of the individual against the accepted conventions of society. However, in this novel, the philosophy of William Blake is more pervasive and emphasised. Throughout the novel, Joyce Cary not only quotes from Blake's poetry to illustrate the inspiration for his hero's attitudes towards art, conventional values and life, but also portrays him as the embodiment of the poet's beliefs.

Joyce Cary's *The Horse's Mouth* and William Somerset Maugham's *The Moon and Sixpence,* are two masterpieces in English literature. Upon first reading these novels, the reader's attention is immediately absorbed by the striking similarities between the protagonists who are both eccentric characters, rebels against social conventions, and 'geniuses' who are passionately devoted to painting. These striking similarities are evidently, in certain respects, inspired by the aestheticism, "a late 19th century literary movement that rested on the credo of 'Art for Art's sake'"[1] and the philosophy of William Blake, the English romantic poet and painter.

The movement of aestheticism sprang up as a deliberate retreat from and as a result of the impact of science. 'Art for Art's sake,' was simply a concept calling for the separation of art, and in fact all fine arts, from any social, political, or economic considerations. Consistent with this approach, the artist, the creator of beautiful things, must ignore such considerations for the sake of his art. The most characteristic belief of the movement was that the value of an experience lay in the feeling of beauty and wonder it bestowed on the human mind and that anything outside this feeling was of no value.

William Blake was an artist, printer, painter and a revolutionary poet who spent his life fighting the repressions of law, religion and science. His violence in poetry and his radicalism made others treat him as a lunatic. Blake was aware of the evils and vicess of a lost world that must be transformed and must go through salvation. According to the Blakean philosophy, with its distrust of reason and contempt for conventional institutions and values, we shall not understand the vast reality beyond our senses and achieve full control of ourselves until we learn to trust our instincts and imagination. Or, as Antony Burges puts it:

> Blake wants every human being to cultivate the imagination to such an extent that it will be capable of perceiving ultimate truth without any help from reason; reason, in fact, is dangerous, so is science; if we all live in a state of unfiltered freedom, unconcerned with laws on the power of insight and on a lower level instinct, we shall achieve that heaven on earth which Blake calls 'Jerusalem' in the Preface of his Milton[2].

This means that man's creation, when performed by imagination is considered divine because, according to Blake's philosophy, only through the imagination can man achieve his full and final spiritual nature. Thus, man should give full capacity to his creative imagination since its basic role is to reveal the reality masked by visible objects. Through visible objects one can reach a transcendent state, or eternity, where he can freely create new worlds.

The aim of this paper is to examine the parallelism between the two heroes, Gulley Jimson in *The Horse's Mouth* and Charles Strickland in *The Moon and Sixpence,* in the light of the concept of aestheticism and the Blakean philosophy.

The Moon and Sixpence is based on the life of the great French painter Paul Gaugin. It is the story of a painter who, like Gaugin, revolts against social conventions and escapes from civilized society in order to practice his art in the South Seas Islands. It is a flight from dull respectability to unconventional freedom. David Waldo Clarke points out that:

> the revolt of the individual against the accepted conventions of society is a theme which has always fascinated Somerset Maugham. It is the inspiration of his novel, *The Moon and Sixpence*, (1919)[3].

The Horse's Mouth is similarly inspired by "the revolt of the individual against the accepted conventions of society." However, in this novel, the philosophy of William Blake is more pervasive and emphasized. Throughout the novel, Joyce Cary not only quotes from Blake's poetry to illustrate the inspiration from his hero's attitudes towards art, conventional values and life, but also portrays him as the embodiment of the poet's beliefs.

Although Strickland is not as consciously portrayed in the light of Blake's ideas as Jimson is, he shares with the latter the poet's conviction that man should give full expression to his creative imagination since its basic role is to reveal the reality masked by the visible objects. This reearch for the spiritual through the eye of the imagination is reflected in the effect Strickland's paintings have on the narrator:

> "I fancy that Strickland saw vaguely some spiritual meaning in material things that was so strange that he could only suggest it with halting symbols. It was as though he found in the chaos of the universe a new pattern, and were attempting clumsily, with anguish of soul, to set it down. (The *Moon and Sixpence*, p. 149)[4*].

Still on the effect of Strickland's paintings on him, the narrator adds:

> Facts were nothing to him, for beneath the mass of irrelevant incidents he looked for something significant to himself. It was as though he had become aware of the soul of the universe and were compelled to expressed it.
>
> (*M.S.*, p. 150)

To Jimson and Strickland, the material world is only there to pave the way for the expression of the spiritual. Their lives are strongly detached from material things; the sensual, materialistic world means nothing to them, apart from the extent to which it serves their artistic interests. Neither character cares for security or respectability. They both believe that as long as they can satisfy their most basic needs, and have the means to paint, nothing else merits attention. They need money only to keep themselves going. Jimson makes his view about money known to Professor Alabaster. He tells him that the art collector Hickson:

> makes money for fun and needs art to keep him alive. I paint pictures for fun, and need money to keep me alive. He wants to boost his pictures and get fun out of them and I want to get some money and paint new pictures. (*The Horse's Mouth*, p. 169)[5*].

When the narrator visits Strickland in his "shabby room" in Paris, he feels sorry for him. He comes out with the impression that Strickland eats only to survive. He points out that the artist:

---

* **Maugham, W. Somerset,** *The Moon and Sixpence:* Harmondsworth: Penguin Books Ltd., 1970; hereafter it will be referred to in the text as (*M.S.*).

* **Cary, Joyce,** *The Horse's Mouth:* Harmondsworth, Penguin Books Ltd., 1948; hereinafter it will be referred to in the text as (*H.M.*).

> Ate with appetite, but was indifferent to what he ate; to him it was only food that he devoured to still the pangs of hunger; and when no food was to be had he seemed capable of doing without. I learned that for six months he had lived on a loaf of bread and a bottle of milk a day...
>
> (*M.S.*, p. 77)

In *The Horse's Mouth,* the pre-eminence of the spiritual in the life of Jimson, is clearly evident. All that matters to him is art, the world of imagination. He believes, as David Perkins points out that:

> The world of imagination is the world of eternity for there exist in the eternal world the permanent realities of everything which we see reflected in the vegetable glass of Nature[6].

This Blakean belief, Perkins adds, reflects the protagonist's disgust of materialism and his yearning for the world of eternity where the 'infinite' truth lies and where the 'imaginative image' renews itself and returns by the seed of contemplative thoughts[7]. Also, in this respect, Diana Neill observes:

> Unlike most English novelists of his period, Cary was seriously concerned with the meaning behind experience. His love of William Blake reveals his bias towards the metaphysical[8].

Jimson's belief in the pre-eminence of the spiritual and his obsession with art also explains his opposition to any form of control or regimentation. He has scant respect for the conventional values and customary obligations. The only morality he practices is the devotion he gives to painting. Harry Blamires comments on Jimson's single-minded pursuit of art; he points out that:

> Gulley Jimson ... is a man of different breed. A visionary painter of invulnerable self-confidence who has no time for inhibiting codes of respectability or moral responsibility, he yet endears himself by ruthless vitality in pursuit of his artistic vocation[9].

Like Jimson, Strickland also sacrifices everything for the sake of art and for the fulfillment of some spiritual need. Frank N. Magill, who confirms that "Charles Strickland lived ruthlessly for his art,"[10] makes the interesting observation that:

> There is shrewd comment on the world's attitude towards a man who passes by the material and sensual to fulfill some spiritual need. If by chance his intent is to help mankind, then he is proclaimed a saint; but if he is like Charles Strckland and ignores mankind, he is vested with the spirit of the devil[11].

Strickland's desertion of his family and decision to go to the South Seas represent his rejection of the world of materialism, conventional values, control and regimentation.

There, in the South Seas, he believes, he can cultivate the imagination and find, as David Waldo Clarke puts it, "a vehicle for his suppressed energy in the creation of great works of art"[12].

What Antony Burges says about Blake's insistence that every human being should

"live in a state of unfiltered individual freedom, unconcerned with laws on the power of insight and on a lower level instinct"[13] and thereby achieve "that heaven on earth which Blake calls 'Jerusalem',"[14] is unmistakably embodied in the life of Strickland. Strickland spends the rest of his life on the South Seas Islands where Gaugin believed he had discovered "the brilliant colouring and sensuous delights of a tropical landscape and [the chance] to experience the charm of a primitive community living the 'natural life'[15].

In turning away from civilized society with its attendant moral restraints and conventional values, Strickland paradoxically reflects his passionate desire for truth, freedom and beauty. It represents his spiritual journey to the world of eternity. When the narrator first sees his paintings, he tells Strickland:

> I do not know that infinite yearning possesses you, so that you are driven to a perilous, lonely search for some goal where you expect to find a final release from the spirit that torments you. I see you as the eternal pilgrim to some shrine that perhaps does not exist. I do not know at what inscrutable Nirvana you aim ... Perhaps it is Truth and Freedom.
>
> (*M.S.*, pp. 150-151)

The reaction of the narrator on first being shown Strickland's paintings, is one of the utter bewilderment because they seemed to him "extra-ordinary crude," (*M.S.*, p. 148) yet he confesses he was not unimpressed by its real power. He says:

> I was excited and interested. I felt that these pictures had something to say to me that was very important for me to know, but I could not tell what it was ... They were strangely tantalizing. They gave me an emotion that I could not analyse.
>
> (*M.S.*, p. 149)

This description of the strange effect of Strickland's painting upon the narrator, recalls the literary movement of aestheticism for which the value of an experience lay in the feeling of beauty or wonder it bestowed on the human mind, and that anything outside this feeling was of no value.

In *The Horse's Mouth,* as well as in *The Moon and Sixpence,* both writers seem to ask almost the same question about the individual and modern society. Cary, according to W.W. Robson, seems to ask persistently: "What is the real thing, what is the truth about life"[16]. How can one live spiritually in a world of conflict? Maugham, similarly, seems to be in search of the answer to the complicated and crucial question: "What is a man's real self"[17]? By portraying their heroes as outcasts from society, unconcerned about their personal comfort, indifferent to the opinions of others regarding themselves as persons and artists, and as rebels against social norms and mores, both writers seem to suggest that the answer to their question lies in a revolt against the prescriptions and values of the collective life. They further seem to suggest that only through a life of non-conformism, individualism and freedom from all restraints – political, social or economic – can man attain self-fulfillment and discover the truth about life.

For both writers, as W.W. Robson also points out, "modern society obscures the answer. It either destroys the individual, or seduces him into conformity. The trend of modern life is towards greater and greater collectivism. Inner freedom disappears"[18]. With its emphasis on collectivism and conformism, modern life as Cary and Maugham show, is boring, depressing and hard to endure, with "no place for the interesting individual: none therefore, for the creative artist"[19]. Thus, in their portrayal of Jimson's and Strickland's revolt, the two writers also reflect Blake's distrust and condemnation of the forces of legality and moralism as the most sinister enemies of the free life of the imagination.

In *The Horse's Mouth,* Cary stresses Blake's view of man's isolated helplessness in this world. In a conversation with Plantie, Jimson recalls the poet's poem:

> The angel that presided at her birth Said, little creature, born of joy and mirth Go love without the help of anything on earth.
>
> (*H.M.*, p. 156)

Jimson here feels, with loneliness, that, from birth, man is isolated and secluded in this unjust world, and as a result he is, as Michael Echeruo remarks, "obliged to construct his own happiness, his joy and mirth, 'without the help of anything on earth'"[20]. However, unlike Strickland, Jimson believes that in spite of such a stiff and awkward position, man should not cut himself off from civilization, but rather face its ugliness with patience and endurance. In this respect, Echeruo observes that "the pattern of responses which Jimson records, helps explain his own calculated strategy for facing the injustice of the world without self-corroding bitterness"[21]. Thus, Jimson celebrates his freedom in a world that seems unjust and in a society that seems to curb the artist's creativity. He "makes a joke of life because he dares not take it seriously. He is afraid that if he does not laugh he will lose either his nerves or his temper." (*H.M.*, p. 6)

In his introduction to William Blake, M.H. Abrams points out that "Blake's old age was serene, self-confident, and joyous, largely free from the bursts of irascibility with which he had earlier responded to the shallowness and blindness of the English public[22]. Likewise, Jimson, who is 67 years old, is not bothered by his age. He would rather enjoy himself and make a joke out of it; he would rather be "the famous Gulley Jimson whom nobody knows" and laugh "like an old goat" and skip "like a young ram." (*H.M.*, pp. 143-4)

Like Blake, Cary believes that in such a state, one is experiencing his 'second childhood'; he is back to the stage of innocence; he is like a two-day old baby. While in this blissful state, Jimson recalls Blake's beautiful poem:

> I have no name
> I am but two days old
> What shall I call thee
> I happy am
> Joy is my name
> Sweet joy befall thee.
>
> (*H.M.*, p. 114)

This Blakean song, from *Songs of Innocence*, reflects the state of wonder and acceptance Jimson goes through in old age. Being once again like a child with its characteristic innocent-like state and outlook on life, provides him with that elevation of mind and soul, and that largeness of human sympathy that are so essential for the endurance and celebration of life.

Jimson's attitude towards life and society springs from his consciousness of the human predicament and the need to live freely and joyously in spite of the restraints that society imposes upon the individual and the creative artist. Such an attitude, Cary seems to suggest, embodies Blake's vision of man freed from the shackles of convention and tradition and who, by means of his intuition or imagination achieves control of himself and lives a fuller and richer life.

While Jimson celebrates life and cultivates friendships, Strickland does not care for anyone or anything in life. He lives wholly for his art. When Dirk Stroeve, a painter and friend of his, invites him to his studio to look at his picture and pass judgement, Strickland looks at them but does not bother to comment on them at all; instead, he asks Dirk to lend him twenty francs.

Not only is Strickland's life divorced from material things, but it is bereft of any compassion, as the narrator points out:

> He had no compassion. The emotions common to most of us simply did not exist in him, and it was as absurd to blame him for not feeling them as for blaming the tiger because he is fierce and cruel.
>
> (*M.S.*, p. 112)

His cruel nature is shown by his desertion of his family and his betrayal of Dirk Stroeve's friendship. He suddenly abandons his wife and children to devote all his time to painting after more than seventeen years of marriage without offering his wife a word of explanation. When he discovers that his friend's wife, Blanche Stroeve, is attracted to him, he takes her as his mistress because he thinks she has a wonderful body that would make her the best candidate for a model. But once he is through with her, he drops her from his life. When asked by the narrator if he really cares a two-penny damn if Blanche Stroeve, who had just committed suicide, is dead or alive, his answer is that he does not care. He points out that:

> Blanche Stroeve didn't commit suicide because I left her, but because she was a foolish and unbalanced woman ... She was an entirely unimportant person ...
>
> (*M.S.*, p. 145)

With regard to his betrayal of his friend's confidence, the narrator's comments on Strickland's character are revealing. He states:

> It was not strange that he should so heartlessly have betrayed his friend's confidence, nor that he hesitated not at all to gratify a whim at the cost of another's misery. That was in his character. He was a man without any conception of gratitude.
>
> (*M.S.*, p. 112)

Strickland behaves like a man possessed – possessed only by one irresistible urge, and that is to paint. The common decencies and human values to him count for nothing at all. In his obsession with art, he deserts his wife and children and betrays his friend without the least compunction. To the narrator and others who meet him, he is an enigma. "There was much in his life," as the narrator points out, "which was strange and terrible, in his character something outrageous, and in his fate not a little that was pathetic." (*M.S.*, pp. 7-8)

In Strickland's view, love is a disease. He has no interest in a stable married life; all he wants to be left alone once he has gratified his desires. He says:

> I don't love. I haven't time for it. It's weakness ... I can overcome my desire; I look forward to the time when I shall be free from all desire and give myself without hindrance to my work ... Love is a disease. Women are the instruments of my pleasure; I have no patience with their claim to be helpmates, partners, or companions.
>
> (*M.S.*, p. 143)

Jimson, on the other hand, believes that love is "the source and guarantee of all our hopes," (*H.M.*, p. 92) and that "there's nothing like marriage for an artist – if he can find the right woman." (*H.M.*, p. 225) Unlike Strickland who neither cares nor hates people, Jimson is sociable and interested in the well-being of his friends. He advises Nosy, an aspiring young artist, not to become a professional painter because he does not usually get what he likes or needs, nor does he get any credit in his lifetime. He tells Nosy:

> The amateur has cash in the bank and goes on having it when he's a professional. That's what I tell you. Get some cash in the bank and then you can go in for art and be as bad as you like. You will still be happy.
>
> (*M.S.*, p. 201)

While Strickland is aggressive, strong-willed, and has a brutal streak in his character, Jimson is a peaceful man who does not recall having any grudge against anyone. He is always ready to forgive and to forget. He tells Nosy: "I forgive 'em, Nosy. And tomorrow I shall forget 'em. To forgive is wisdom, to forget is genius. And easier. Because it's true." (*H.M.*, p. 273) When Jimson gets angry with Mr. Hickson, the art collector, he breaks his windows with some stones and runs away. As a result, he is arrested and imprisoned. But as he likes Mr. Hickson, he forgives him. Several other characters – drop-outs like himself – give him trouble by cheating him. However, he likes them and prefers to remain calm:

> I musn't get up a grievance. Plays a deuce. I must keep calm. For the fact is, IT'S WISE TO BE WISE, especially for a born fool. Anything like bad temper is bad for me. It spoils my equanimity. It blocks up my imagination. It makes me stupid so that I can't see straight ... Cool off, I said to myself. Don't get rattled off your center.
>
> (*H.M.*, p. 12)

Upon reading *The Horse's Mouth,* the reader is easily affected by the hero Gulley Jimson. He admires him and even sympathizes with him sometimes. Some critics, however, are of the view that Jimson is by no means the hero of the novel. They consider him rather as the anti-hero because, in their opinion, he does not seem to possess the conventional characteristics of the hero. According to Frank N. Magill, Jimson is a comic figure who turns the story into a "delightful combination of humour, pathos and down-to-earth philosophy"[23]. Harry Blamires considers him "a riotously comic character [who] sustains imaginative plausibility by sheer personality thrust"[24]. But whether the reader considers Jimson as the hero or anti-hero, he remains a delightful personality whose practical wisdom and joyous celebration of life evokes effect, admiration, and even sympathy.

In the case of Strickland, the reader may find himself a little confused and hesitant as to whether he admires him, feels sorry for him or just feels a sort of disgust or dislike toward him. There is none of the humour, warmth and humaneness in Strickland that is found in Jimson. Strickland, as the narrator confirms is inhuman. His aggressiveness and ruthless treatment of people tend to estrange the reader's sympathy.

Both Jimson and Strickland are very proud of themselves and conscious of their genius. In the case of Jimson, Cary apparently meant him to be an artistic genius. For Cary, as Diana Neill observes:

> [Jimson] embodies his conception of genius and of the significance of art. Imbued with a deep sense that the importance of human destiny lies in the earthly embodiment of the creative force, Cary stresses the need for total experience. The divine aspects of human desire are united and reconciled by the artist. He alone expresses the sorrows, conflicts, the inertia and the commonplace joys of life in their minute concrete particulars, and by doing so reveals their meaning. Art alone has the power to clarify the confusion of life, and that, in Cary's eyes, is its justification[25].

This sublime conception of the nature and function of art is reminiscent of the prophetic and spiritual role Blake believed the creative imagination to have. For Blake, "what was human about us, was the imagination; what was natural about us had to be redeemed by the imagination, or else it would destroy us"[26]. He believed that the imagination was a divine power and that everything real comes from it.

Jimson's artistic genius is recognized by Hickson, an art collector and connoisseur of art and Professor Alabaster, an art critic. Through Hickson, some distinguished citizens and art collectors call on him and buy some of his paintings. While in jail, he receives a letter from Professor Alabaster that he plans to write "a definitive biography, and a descriptive and appreciative catalogue of his art, with reproductions of principal works." (*H.M.*, p. 163) Thus, he is already famous in his lifetime. Later, most of his paintings find their way into the world's museums and the rest of the paintings get into the possession of rich art-collectors.

Although Dirk Stroeve, who is himself a painter, is convinced of Strickland's genius at the initial stage of his career in Paris, fame comes to him only after his death. As the narrator states:

> It was not till four years after Strickland's death that Maurice Huret wrote the article in the *Mercure de France* which rescued the unknown painter from oblivion and blazed the trail which succeedingly writers with more or less docility have followed ... and the reputation of Charles Strickland is now firmly established on the lines which he laid down...
>
> (*M.S.*, p. 6)

Besides Dirk Stroeve, only the narrator and Dr. Coutras who attends to him when he suffers from leprosy, recognize his paintings as works of genius; otherwise, all his other acquaintances find his paintings ridiculous.

Notwithstanding that Jimson achieves fame in his lifetime while Strickland does not, neither painter seeks or cares about fame or has any expectations of achieving fame in his lifetime. Jimson believes that artists only get "an encouraging atmosphere for original art [only] after the artists are dead." (*H.M.*, p. 182) He tells Nosy:

> Nothing is a masterpiece – real masterpiece – till its about two hundred years old. A picture is like a tree or a church, you've got to let it grow into a masterpiece.
>
> (*H.M.*, p. 209)

When Strickland presents one of his paintings to Dr. Coutras shortly before his death, he says:

> Take this picture. It means nothing to you now, but it may be that some day you will be glad to have it
>
> (*M.S.*, p. 202)

Jimson finds himself in an awkward situation of hesitation and confusion when he realizes that he is on the threshold of becoming famous. This happens when the art critic, Professor Alabaster, informs of his plan to write a book entitled, "*Gulley Jimson: His Life and Works.*" Jimson is not sure whether to believe in such unexpected fame or just to consider it "a bad joke." He assures himself that "nobody could believe it. It even sounds like a joke." (*H.M.*, p. 134) But then, what if it is true? Here, Jimson gives his horse full rein. In an interior dramatic monologue, Jimson noves forward in his dreams:

> Old horse, you are now famous. The deals will be running after you with cheques in one hand and smiles in the other. You will have commissions to pick. And the walls will come waltzing to your big front door. As many as you like.
>
> (*H.M.*, p. 134)

Still, Jimson cannot quite get used to the idea of fame. Fame, he believes is beautiful sometimes, but we should feel it first:

> The celebrated Gulley Jimson. But I never got quite used to it. My belief is that nobody does. It never seems quite true, then it doesn't seem just what you had been led to expect. Fame isn't a thing. It's a feeling.
>
> (*H.M.*, p. 134)

Although he himself declared once that "fame is not only the ruin of artists, it busts them," (*H.M.*, p. 165) he finally reconciles himself to the idea of fame because there might be money in it. He says:

> And fame, I thought, if it's true, has its advantage. It will bring in cash.
>
> (*H.M.*, p. 135)

Charles Strickland is totally indifferent to the idea of being famous. When he is asked by the narrator if he ever thought of fame, a thing that most artists "haven't been indifferent to," his answer is simply that such artists are "children," for "how can you care for the opinion of the crowd when you don't care twopence for the opinion of the individual?' (*M.S.*, p. 78) He refuses to show his paintings not only because he does not care what people think of him or his work, but also because he himself is "never satisfied with what he had done." (*M.S.*, p. 78). His contempt for the opinion of others is further evident when he asks "who makes fame? Critics, writers, stockbrokers, women." (*M.S.*, p. 78) Because he paints out of creative compulsion, he does not mind if he paints well or badly; he "only wants to paint" what he "sees." (*M.S.*, p. 78) His indifference to the idea of public recognition that his art might bring him fame, even after this death, is no more clearly evident than when he makes his wife Ata promise to destroy his work upon his death.

Both painters paint their masterpieces on walls: Jimson on the walls of an old chapel and Strickland on the walls of his bungalow in Tahiti. After completing his masterpiece, Strickland goes blind and sits in the bungalow looking at it with the eye of the imagination. Upon his death, Ata faithfully carries out his wish and burns the bungalow. Jimson, on the other hand, is busy completing his masterpiece, when the landlord demolishes the building and so destroys his masterpiece. He is thrown from the scaffold and taken to hospital. Later, he learns that he has suffered a severe stroke.

While Strickland wants all his works destroyed after his death, Jimson does not grieve over the destruction of his masterpiece. For both, it is sufficient that they had the rare joy and satisfaction of painting them. Jimson paints his masterpiece with the knowledge that at any time the ruined building will collapse and destroy his masterpiece. Yet, he is determined to proceed. When Nosy expresses his grievance against those who had demolished the "creation" – as Jimson's masterpiece is called – he tells him: "there you go ... getting up a grievance. Which is about the worse mistake anyone can make, especially if he has one." (*H.M.*, p. 374)

In a sense, the masterpieces represent the consummation of two creative imaginations for whom art alone has "the power to clarify the confusion of life"[27]. Or, as Blake insisted, only through the cultivation of the imagination can we uncover the reality that is masked by visible things. The familiar world gives hints, he believed, which must be taken and developed:

> To see a World in a Grain of Sand
> And a Heaven in a Wild Flower,
> Hold Infinity in the palm of your hand
> And Eternity in an hour[28].

The power to penetrate the visible world and reveal the secrets of nature is reflected in Dr. Coutras's description of Strickland's masterpiece:

> It was the work of a man who had delved into the hidden depths of nature and had discovered secrets which were beautiful and fearful too.
>
> (*M.S.*, p. 207)

The narrator's comments on the extraordinary decoration with which Strickland had covered the wall of his house are significant in that they recall Blake's belief that the imagination creates reality, and this reality is the divine activity of the self in its unimpeded energy. The narrator comments:

> I fancy that here he must have said all that he knew of life and all that he divined. And I fancied that perhaps here he had at least found peace. The demon which possessed him was exercised at last, and with the completion of the work, for which all his life had been a painful preparation, rest descended on his remote and tortured soul. He was willing to die, for he had fulfilled his purpose.
>
> (*M.S.*, pp. 208-9)

The impression Strickland's masterpiece has on Dr. Coutras, is consistent with the belief of the proponents of aestheticism, that the value of an experience lies in the feeling of beauty and wonder that such an experience bestows on the human mind and that anything outside this feeling is of no value. Describing the decoration and its deep impression on him, Dr. Coutras says:

> It was strange and fantastic. It was a vision of the beginnings of the world, the Garden of Eden, ... it was a hymn to the beauty of the human form ... and the praise of nature ... It gave you an awful sense of the infinity of space and of the endlessness of time.
>
> (*M.S.*, p. 209)

Throughout his work, Blake stresses the great forces which lie hidden in man and may be terrifying, but are nonetheless necessary if anything worthwhile is to happen. He sees that the creative activity of the imagination and the transformation of experience through it are possible only through the release of awful powers. Through the creative imagination of Jimson and Strickland, the great forces which lie hidden in man, find expression in works of genius. From the description of their works, awful powers are released to affect the human mind – as the works of those who subscribed to aestheticism did – with their passion, wonder, and even beauty.

In a spirit reminiscent of William Blake, Gulley Jimson and Charles Strickland are inspired by the belief that the imagination is a divine power and that everything that comes from it is real. Their attention is turned towards an ideal, spiritual world. For them every living thing is a symbol of everlasting powers, and it is these they apparently wish to grasp and to represent in their art. What concerns them most deeply and draws out their strongest powers, as their work seem to reflect, is the sense of a spiritual reality at work in all living things. Both appear to be visionaries, like Blake, who believe that ordinary things are unsubstantial in themselves and yet rich symbols of greater realities.

From the lives of Jimson and Strickland, it is clear that experience is bought at a bitter price. As it was for Blake, so it is for them: to reach a higher state man must be tested by experience and suffering. Both seem to embody what Blake says about experience in *Night the Second:*

What is the price of experience?
do men buy it for a song?
Or wisdom for a dance in the street?
No, it is bought with the price
Of all that a man hath, his house,
his wife, his children[29].

The same tragic appreciation of the restrictions which imprison and kill the living spirit – so characteristic of Blake's philosophy – is clearly evident in Jimson and Strickland. Both are passionate rebels, both reveal the spirit of unrest and revolt. Both characters reveal the care-free play of the imagination, uncrubed by what appear to them as no more than senseless restrictions. Their revolt against the restrictions is not purely personal thing. It is their criticism of society, of the whole trend of contemporary civilization.

The remarkable similarities between Gulley Jimson in *The Horse's Mouth* and Charles Strickland in *The Moon and Sixpence* seem to be more than coincidental. Underlying the similarities is the philosophy of William Blake with its sublime conception of the role of the creative imagination with its revolt against social restrictions and conventional values, as well as the credo of art for art's sake as espoused by the proponents of aestheticism. As far as Gulley Jimson is concerned, the Blakean philosophy is more emphasized and pervasive; this is because Joyce Cary's work is directly inspired by the ideas and beliefs of the English romantic poet and painter. Although Somerset Maugham's work is not directly inspired by Blake, it does, however, in significant respects, represent the Blakean philosophy.

Endnotes

(1) **C. Hugh Holman,** *A Handbook of Literature,* (Indianapolis: The Odyssey Press, 1960), 8.
(2) **Antony Burges,** *English Literature,* (London: Longman, 1974), 153.
(3) **David Waldo Clarke,** *Modern English Writers,* (London: Longman, Green and Co., 1959), 71.
(4) **William Somerset Maugham,** *The Moon and Sixpence,* (Harmondsworth: Penguin Books Ltd., 1970), 150.
(5) **Joyce Cary,** *The Horse's Mouth,* (London: Michael Joseph [Carfax Edition], 1967), 6.
(6) **David Perkins,** *English Romantic Writers,* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1967), 161-62
(7) *Ibid.*
(8) **Diana Neill,** *A Short History of the English Novel,* (New York: Collier Macmillan Ltd., 1964), 392.
(9) **Harry Blamires,** *Twentieth Century English Literature,* 2nd ed., (London: Macmillan Education Ltd., 1986), 210.
(10) **Frank N. Magill,** *Masterpieces of World Literature in Digest Form,* **Vol. 1,** (New York: Harper and Row, Publishers, 1969), 621.
(11) *Ibid.*
(12) **D.W. Clarke,** 71.
(13) **A. Burges,** 153.
(14) *Ibid.*

(15) *Encyclopedia Britannica,* **Vol. 10,** "Paul Gaugin," (Chicago: Encyclopedia Britannica, Inc., 1972), 31-32.
(16) **W.W. Robson,** *Modern English Literature,* (Oxford: Oxford University Press, 1970), 148.
(17) *Ibid.,* 40.
(18) *Ibid.*
(19) *Ibid.,* 41.
(20) **Michael Echeruo,** *Joyce Cary and the Dimension of Order,* (London: The Macmillan Press Ltd., 1979), 85.
(21) *Ibid.*
(22) **M.H. Ahrams,** *The Norton Anthology of English Literature,* 3rd ed., **Vol. II,** (New York: W.W. Norton and Company, 1974), 77.
(23) **Frank N. Magill, Vol. II,** 456.
(24) **Harry Blamires,** 210.
(25) **Diana Neill,** 392.
(26) The Oxford Anthology of English Literature, **Vol. II,** (New York: Oxford University Press, 1973), 13.
(27) **Diana Neill,** 92.
(28) *Poetry and Prose of William Blake,* ed., **Geoffrey Keynes,** 4th ed., **Vol. I,** (London: The Nonesuch Press, 1939), 128.
(29) *Ibid.,* 278.

Bibliography

Abrahams, M.H., *The Norton Anthology of English Literature,* 3rd ed. **Vol. II,** New York, Norton and Company, 1974.

Allen, Walter, *The English Novel: A Short Critical History,* New York, E.P. Dutton and Co., Inc., 1954.

Allot, Miriam, *Novelists On The Novel,* London, Routledge and Kegan Paul, 1968.

Bate, W.J., ed., *Criticism: The Major Text,* New York, Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1970.

Bell, Michael, *Primitivism,* London, Methuen and Co. Ltd., 1972.

Blamires, Harry, *Twentieth Century English Literature,* 2nd ed., London, Macmillan Education Ltd., 1986.

Brophy, John, *Somerset Maugham,* London, Longman, Green and Co., 1958.

Burges, Antony, *English Literature,* London, Longman, 1974.

Cary, Joyce, *The Horse's Mouth,* Harmondsworth, Penguin Books Ltd., 1948.

————. *The Horse's Mouth,* London, Michael Joseph, [Carfax Edition], 1967.

Church, Richard, *The Growth of the English English Novel,* London, Methuen and Co. Ltd., 1968.

Clarke, David Waldo, *Modern English Writers,* London, Longmans, Green and Co., 1959.

Echeruo, Michael, J.C., *Joyce Cary and the Dimensions of Order,* London, The Macmillan Press Ltd., 1979.

Encyclopedia Britannica, Warren E. Preece, ed., **Vol. X:** Chicago, Encyclopedia Britannica, Inc., 1972.

Evans, Ifor, *A Short History of English Literature,* 3rd ed., Harmondsworth, Penguin Books Ltd., 1974.

Forster, E.M., *Aspects of the Novel,* New York, Harcourt, Brace Jovanovich Inc., 1927.

Harver World Encyclopedia, Martin Self, ed., **Vol. X,** New York, Harver Education Service Inc., 1973.

Hazards, Adams, *Critical Theory Since Plato,* New York, Harcourt, Brace, Jovanovich Inc., 1971.

Heath, William, *Major British Poets of the Romantic Period,* New York, The Macmillan Company, 1973.

Holman, C. Hugh, *A Handbook to Literature,* Indianapolis, Odyssey Press, 1960.

Kettle, Arnold, *The Nineteenth Century Novel,* London, Heinman Education Books Ltd., 1982.

Magill, Frank N., *Masterpieces of World Literature in Digest Form,* **Vols. I, II,** New York, Harper and Row, Publishers, 1969.

Maugham, W. Somerset, *The Moon and Sixpence,* Harmondsworth, Penguin Books Ltd., 1970.

————. *Selects the World's Ten Greatest* Novels, Greenwich, Fawcett Publications Inc., 1966.

Maugham, W. Somerset. *The Summing Up*, Harmondsworth, Penguin Books Ltd., 1963.
Neill, Diana, *A Short History of the English Novel*, New York, Collier Macmillan Ltd., 1964.
The Oxford Anthology of English Literature, **Vol. II,** New York, Oxford University Press, 1973.
Perkins, David, *English Romantic Writers,* New York, Hartcourt, Brace and World, Inc., 1967.
Poetry and Prose of William Blake, ed. **Geoffrey Keynes,** 4th ed., **Vol. I,** London, The Nonesuch Press, 1939.
Robson, W.S., *Modern English Literature,* Oxford, Oxford University Press, 1980.
Wilson, John Burgess, *English Literature,* London, Longman Group Ltd., 1970.

« فم الحصـــان » و « القمر والبنسات الستـــة » في ضوء نظرية الجمال وفلسفة وليم بليك

عادل عطا إلياس
أستاذ مشارك – قسم اللغات الأوربية – كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز ، جـدة ، المملكة العربية السعودية

تعتبر رواية الكاتب الانجليزي جوليس كاري « فم الحصان » ورواية الكاتب الانجليزي وليم سومرست موم « القمر والبنسات الستة » من روايات الأدب العالمي المرموقة .

ومما يجذب انتباه القارىء لهاتين الروايتين للوهلة الأولى هو ما تحملانه من أوجه الشبه الكبير والمتقارب بين بطليهما ، حيث يبدو أن جويس كاري كان متأثراً وبشكل مباشر بفلسفة وأفكار الشاعر الرومانسي الإنجليزي وليم بليك عندما كتب رواية « فم الحصان » ، فنرى أن بطلها جلي جمسون يجسد وإلى حد بعيد هذه الفلسفة وتلك الأفكار . وينطبق نفس الشيء على الكاتب الإنجليزي سومرست موم فهو الآخر ، وإن كان موضوع روايته « القمر والبنسات الستة » يدور حول حياة الرسام الفرنسي الشهير بول جوجان ، إلا أنه جعل بطل روايته والذي أطلق عليه اسم تشارلز ستر كلاند أنموذجاً مصغراً ليجسد وبشكل غير مباشر أفكار وفلسفة وليم بليك .

ويهدف هذا البحث إلى سبر غور الروايتين ، وتحرى ودراسة عوامل التشابه والاختلاف بين بطليهما جلي جمسون وتشارلز ستر كلاند ، وخاصة فيما يتعلق بتأثير وليم بليك المباشر وغير المباشر ، وكذلك بنظرة كل منهما إلى نظرية الجمال التي بدأت وسادت في نهاية القرن التاسع عشر والتي كانت تنادي ، إلى جانب توفير عوامل الجمال في العمل الفنى بمبدأ « الفن للفن » . وتدعو هذه النظرية إلى فصل الفن تماماً عن أي مؤثرات علمية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية . وفي سبيل تحقيق ذلك يتوجب على الفنان أن يضحى بكل شيء في حياته قد يعترض طريق فنه .

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢

١٤٠٩هـ
١٩٨٩م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص.ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

Journal of

KING ABDULAZIZ UNIVERSITY

Arts and Humanities

Volume 2

1409 A.H.
1989 A.D.

Scientific Publishing Centre
King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441
Saudi Arabia

المحتـويات

أولا : القسم العربي

لغة عربية

ثانياً : القسم الإنجليزى

لغة

أدب

J KAU: Arts and Humanities, **vol. 2**, pp. 1-30 Eng., pp. 1-235 Arab. (1409 A.H./1989 A.D.)

Contents

English Section

Arabic Section

Religion

Arabic Language